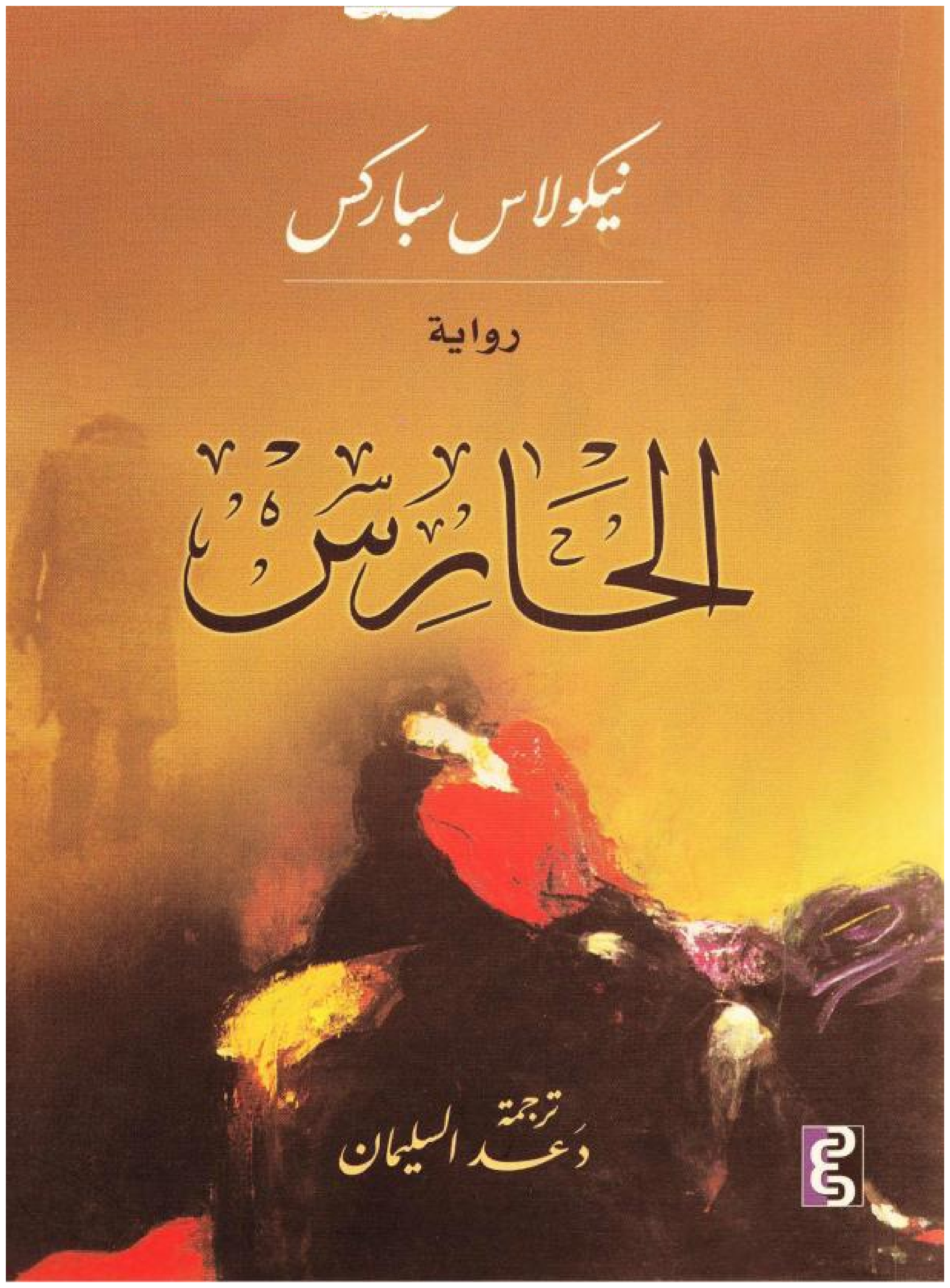


نيكولاس سباركس

رواية

الحارس

ترجمة
د. عد السليمان

الحـــارس

الكتاب: الحارس
تأليف: نيكولاس سباركس
ترجمة: دعد السليمان
التدقيق اللغوي: عمر كوجري
الإخراج: أحمد إسماعيل
تصميم الغلاف: جمال الأبطح

الطبعة الأولى 2010

الناشر

دار دعد للتأليف والترجمة والنشر
تلفاكس: 6441476
هاتف: 5632383
خليوي: 0933154102
دمشق: ص.ب 33286

daad.dar @ G mail. com

تأليف: نيكولاس سباركس

الحـــارس

ترجمة: دعـد الســليمان

حياة الكاتب

ولد نيكولاس شارلز سباركس في 31 ديسمبر عام1965 ، وهو كاتب أمريكي، ورواياته من أكثر الكتب مبيعاً على المستوى العالمي.

تتناول رواياته عدة مواضيع تشمل الديانة المسيحية والحب والتراجيديا والقدر. لديه أربع عشرة رواية مطبوعة، ويقطن في نيوبيم شمال كارولينا في الولايات المتحدة الأمريكية، برفقة زوجته كاثي وأطفالهما الخمسة.

والده باتريك ميشيل سباركس، بروفيسور، ووالدته جيل إيما ماري سباركس، مدبرة منزل. عنده أخ واحد هو ميشيل إيرل سباركس وأخت متوفاة اسمها دانا سباركس، التي قال عنها سباركس أنها مصدر وحيه في الشخصية الرئيسية في روايته "نزهة للذكرى".

معروف عن سباركس أنه كاثوليكي وهو أيضاً من سلالة ألمانية وتشيكية

وإنكليزية وإيرلندية. ولأن والده كان يتابع دراسته للحصول على الليسانس في الوقت الذي كان فيه نيكولاس في الثامنة من عمره.

عاش في لوس أنجلوس وفي جزيرة غراند. في عام 1974 استقرت عائلته في كاليفورنيا، وخلال فترة دراسته في المرحلة الثانوية. تخرج عام 1984 من مدرسة بيلا فيستاهاتي، والتحق فوراً بجامعة نوتردام، بعد استلامه المنحة المدرسية.

تخرج في الجامعة بتفوق عام1988 ، تخصص في علم إدارة المال.

التقى نيكولاس بزوجته كاثي (وهي من نيوهامشير) خلال ربيع عام 1988.تزوجا في تموز 1989 وانتقلا إلى كاليفورنيا، بعد أن رفضه الناشرون والمدارس الثانوية، اختار نيكولاس أن يبذل كل جهده في مجالات متنوعة فعمل في تثمين العقارات، طاولات الانتظار، وبيع المنتجات السنية عن طريق الهاتف، وبدأ أعماله الصناعية الخاصة به.

عام 1992 بدأ ببيع المنتجات السنية إلى الصيادلة، في 1993 انتقل إلى نيوبيرن شمال كارولينا. وهناك كتب روايته "دفتر ملاحظات"، " Note Book"، أثناء وقت فراغه، يتبرع نيكولاس بريع أعماله إلى مدرسة نيوبرن الثانوية، ويساهم في جمعيات خيرية محلية وقومية.

ساهم في برنامج الكتاب الخلاّق (MFA) في جامعة نوتردام من خلال تمويل المنح المدرسية. تبرّع وزوجته بمبلغ قدره 10 مليون دولار لإدارة مدرسة مسيحية خاصة وهي مدرسة أبيفاني التي تدرس كيفية التطور وتشجيع التلاميذ على ضرورة السفر والترحال لكسب المعلومات.

عام 1985 كتب سباركس روايته الأولى "العابر (الفاني The Passing"، في صيف مابين السنة الجامعية الأولى والثانية في نورتردام،

لكن الرواية لم تطبع أبداً. عام1989 ، كتب روايته الثانية التي لم تطبع أيضاً "الجرائم الملكية.The Royal Murders "

أهم روايته المطبوعة:

"دفتر ملاحظات"	The Note Book	عام1996
"رسالة في زجاجة"	Messege in a Bottle	عام1998
"الإنقاذ""	The Rescue	عام2000
"انعطاف في الطريق"	A Benol in the Road	عام2001
"الحارس"	The Guardian	عام2003
"العرس"	The Wedding	عام2003
"ثلاثة أسابيع مع أخي"	Three weeks with my Brother	عام2004
"المؤمن الحقيقي"	True Believer	عام2005
"عزيزي جون"	Dear John	عام2006
"المحظوظ"	The Lucky one	عام2008

تمهيد

ليلة عيد الميلاد عام 1998

بعد مرور أربعين يوماً بالضبط على آخر مرة أمسكت فيها يد زوجها، جلست جولي بارنسون تحدّق من خلال نافذتها إلى شوارع سوانزبورو الهادئة. كان الطقس بارداً، والسماء حولها متجهمة منذ أسبوع، وحبات المطر تنقر النافذة بلطف مصدرة أصواتاً خفيفة. وكانت الأشجار عارية، حيث تجعدت أغصانها الشامخة، وسط ذلك الجو القارس مثل أصابع مفصلية.

أدركت أن جيم كان يود لو تصغي الليلة إلى الموسيقا، استطاعت أن تسمع أنغام بينغ كروسبي وهو يردد أغنية "ثلج عيد الميلاد"، في الركن الخلفي. إنها ستجهز أيضاً شجرة عيد الميلاد لأجله، بالرغم أنها بعد أن اتخذت قرارها بذلك، كانت الأشجار المتبقية يابسة ومتناثرة هنا وهناك، مما اضطرها إلى شرائها السوبر ماركت في الخارج، لايهم. حتى عندما انتهت من تزيينها، كانت عاجزة عن استجماع قواها للعناية بها. بدا في

غاية الصعوبة بالنسبة لها أن تشعر بطعم السعادة منذ أن تفشى ذلك الورم الخبيث في دماغ جيم، وسلبه حياته أخيراً.

أصبحت أرملة في ربيعها الخامس والعشرين، فزهدت بكل شيء في الحياة، وكرهت الكلام: لم تعد ترغب سماع أي صوت، ولاحتى تحريك شفتيها للنطق بأية كلمة، أصبح الصمت رفيقها الدائم. عندما كان الناس يسألونها عن أحوالها، كانت تهز كتفيها استهجاناً. ولكن في بعض الأحيان فقط، كانت تتملكها الرغبة بالإجابة. كم رغبت بأن تطرح هي عليهم السؤال التالي: هل ترغبون حقاً أن تعرفوا ما معنى أنني فقدت زوجي؟. إليكم الجواب:

لقد مات جيم، وبعد أن رحل الآن، أشعر وكأنني فقدت الحياة أنا أيضاً.

تساءلت جولي، هل حقاً هذا ما يرغب الناس بسماعه؟ أن أنهم يرغبون بسماع التفاهات؟ إنني بأحسن حال. إنه لأمر في غاية الصعوبة، لكنني سأحاول أن أبدو على أفضل حال. أشكر اهتمامكم.

افترضت أنه بمقدورها أداء ذلك الدور المبتذل والشجاع، لكنها في حقيقة الأمر لاتفصح عن مكنونات مشاعرها. إذاً سيكون الأمر أكثر بساطة وصدقاً لو اكتفت بهز كتفيها والالتزام بالصمت.

بعد كل ذلك العناء، أحسّت أنها ليست على مايرام، بين فينة وأخرى كانت تفكر بأنها تعجز عن الاستقرار في هذه الحياة دون أن تنهار ولاسيما في تلك الليلة.

وسط ذلك اللمعان المنعكس عن أضواء شجرة عيد الميلاد، وضعت جولي يدها على النافذة، متحسسة برودة الزجاج الذي ضغط على جلدها.

دعاها ميبل إلى العشاء الليلة لكنها رفضت، وكذلك فعل كل من مايك

وهنري وإيما، لكنها رفضت دعوتهم أيضاً.

جميعهم تفهموا حقيقة مشاعرها، أو إلى حد ما تظاهروا بالفهم، بما أنه بدا واضحاً أن كلاً منهم لم يعتقد أنه من الأفضل لها البقاء وحيدة. وربما كانوا على حق. فكل شيء في المنزل تراه أو تتحسسه أو تشمه يذكرها بـ جيم. كانت ملابسه تملأ نصف الخزانة، وموس الحلاقة لاتزال قرب الصابون في الحمام، وبطاقة الاشتراك في الرياضة قد وصلت في البريد الإلكتروني قبل يوم. وهناك لاتزال زجاجتان من الهنيكين، مشروبه المفضل، قابعتين في الثلاجة. في وقت مبكر من تلك الليلة، عندما كانت تنظر إلى الزجاجات المرصوفة على الرف، كانت تهمس لنفسها "لن يشرب جيم أبداً هذه الزجاجات"، وتغلق الباب مستندة إليه ومطلقة موجة من الصراخ في المطبخ لمدة ساعة.

كانت ضائعة في شباك أفكارها، ولم تركز انتباهها على المشهد المطل من نافذتها، لكن جولي بدأت بالتدريج تسمع صوتاً خافتاً لأحد أغصان الأشجار، يطرق على الجدار، استمر صوت الطرق بثبات، ومضت لحظة قبل أن تدرك بأنها كانت مخطئة بشأن صوت حفيف الغصن.

شخصٌ ما يطرق الباب.

نهضت جولي وحركاتها مثقلة بالتعب. عند الباب توقفت لتداعب شعرها بيديها، على أمل أن تضبط نفسها. إن كانوا أصدقاءها فلن تدعهم يعتقدون أنها بحاجة إليهم ولو لبرهة من الزمن.

عندما فتحت الباب أصابتها الدهشة بعد أن رأت شاباً يرتدي معطفاً مطرياً أصفر اللون. حمل في يديه صندوقاً كبيراً.

سأل الشاب: "سيدة بارنسون"؟

"أجل".

أخذ الشاب خطوة مترددة إلى الأمام: "من المفترض أن أسلمك هذا الصندوق.. قال والدي إنه أمر مهم".

"والدك"؟

- يريد أن يتأكد بأن الأمانة وصلتك الليلة.
- هل أعرفه؟
- لا أعرف. لكنه أصرّ على ذلك، إنها هدية من شخص ما.
- من هو؟
- قال والدي بأنك ستفهمين كل شيء حالما تفتحين الصندوق، لاتهزيه، ومع ذلك افتحيه في أقصر وقت ممكن.

دفع الشاب الصندوق نحو ذراعي الفتاة قبل أن تتمكن من إيقافه، ثم استدار ليغادر.

قالت: انتظر، أنني لاأفهم...

رمقها الشاب نظرة من فوق كتفه وقال: "عيد ميلاد سعيد".

وقفت جولي في الممر، وهي تراقبه بينما يصعد عربته، بعد ذلك، دخلت واضعة الصندوق على الأرض أمام الشجرة، وانحنت خلفه، وبنظرة مختلسة سريعة تأكدت أنه لاتوجد على الطرد أية بطاقة. فكّت عقدة الشريط، ورفعت الغطاء لتجد نفسها تحدق بصمت إلى هديتها.

شكل يشبه القزم له شعر قصير أشعث، لايساوي بضع جنيهات، وكان يجلس في زاوية الصندوق، وقد بدا أقبح جرو سبق لها أن رأت، رأسه كبير، لايتناسب مع بقية جسده.

نظر إليها وهو ينشج، نظرة ملؤها السخرية.

فكّرت جولي، "شخص ما اشترى لي جرواً، إنه جرو قبيح"، كان هناك

ظرف داخل الصندوق. عندما أمسكت بالظرف ميّزت خط الكتابة، وتوقفت برهة. قالت لنفسها: لا، لا، يمكن أن يكون هذا...

كانت قد شاهدت ذلك الخط على الرسائل الغرامية التي أرسلها لها في مناسبات خاصة، وعلى الرسائل المكتوبة بسرعة على الهاتف، وعلى أوراق العمل التي كدّسها فوق المقعد.

وضعت الظرف أمامها، وهي تواظب على قراءة اسمها مراراً وتكراراً.

بعد ذلك تناولت الرسالة بيدين مرتعشتين. جالت بناظريها نحو الكلمات المكتوبة في أعلى الزاوية اليسرى.

حبيبتي جوليز،

كان اسم الدلع الذي يطلقه عليها جيم، أغلقت جولي عينيها وهي تحس وكأن جسدها أصبح فجأة أصغر حجماً، أرغمت نفسها على أخذ نفس عميق، واستأنفت القراءة ثانية..

حبيبتي جوليز،

أعلم أنه في الوقت الذي تقرئين فيه هذه الرسالة، أكون قد فارقت الحياة، لاأعرف كم صار لي ميتاً، ولكن آمل أن تكوني قادرة على مواصلة الحياة، وأعلم أنني لو كنت مكانك لواجهت صعوبة شديدة في الاستمرار كالسابق، ولكنك تدركين أنني طالما كنت أعتقد بأنك أكثر قوة مني في تحمل المصائب.

كما ترين اشتريت لك كلباً. كان هارولد كافالت صديقاً لوالدي، وكان لديه عدد من سلالة جيدة من الكلاب الدانماركية، أذكرها مذ كنت صغيراً. كم تمنيت لو أمتلك واحداً منها لكن أمي كانت ترفض دائماً لأن المنزل صغير جداً. إنها كلاب كبيرة ومعطاءة، لكن بالنسبة إلى هارولد. إنها تقريباً أجمل الكلاب في العالم بأسره، آمل أن تستمتعي بها.

طالما اعتقدت في قرارة نفسي أنني لن أقوم بعمل كهذا. لم أشأ التفكير بالأمر، ولكنني أعلم أنه ليس لك معين بعدي، ولن يفكر أي شخص يعمل كهذا.. أقصد، العائلة. أشعر بالتعاسة عندما أفكر بأنك ستبقين وحيدة. لم أعرف ما الذي أفعله لأجلك، لذلك قمت ببعض الترتيبات للحصول على هذا الكلب.

إذا لم تحبيه، بالطبع يمكنك الاستغناء عنه. قال هارولد إنه سيسترجعه فلا مشكلة لديه. (سينضم إلى مجموعة الكلاب لديه).

آمل أن تكون أمورك على أحسن ما يرام. منذ وقعت صريع المرض، انتابني القلق بأنني لن أشفى أبداً. جوليز، أحبك، حقاً أحبك. لقد كنت أكثر رجل محظوظ في العالم منذ دخلت حياتي، وسوف ينفطر قلبي إذا لم تحظي بالسعادة من جديد. لذلك كوني سعيدة لأجلي أرجوك. حاولي أن تكوني سعيدة ثانية. ابحثي عن شخص ما يمنحك السعادة. ربما يكون الأمر صعباً، ربما تعتقدين أنه ليس من الممكن العيش بهناء ثانية، ولكن أتمنى أن تحاولي. فالعالم يصبح أفضل ملجأ لك عندما تتبسمين للحياة.

لاتقلقي أبداً. حيثما أكون سوف أحرسك. سأكون ملاكك الحارس، يا حبيبتي. بمقدورك الاعتماد عليّ حتى تنعمي بالراحة والأمان.

أحبك،

جيم.

وسط دموعها نظرت جولي خلسة إلى الصندوق. أمسكت الجرو ورفعته إلى الأعلى، وقرّبته من وجهها. كان جرواً بالغ الصغر، حيث استطاعت أن تتحسس العظام في قفصه الصدري بينما كان يرتعش.

فكّرت، بالفعل كان جرواً قبيح المنظر، وعندما يكبر سيصبح بحجم

حصان صغير، ما الذي ستفعله مع كلب بهذه المواصفات؟

تساءلت جولي، لماذا، ألم يكن بمقدور جيم أن يحضر لها كلب قنص مصغّراً له شاربان رماديان صغيران، أو نوعاً آخر من الكلاب له عينان مستديرتان حزينتان؟ مخلوق ما سهل الانقياد والترويض؟ مخلوق ما حادّ الذكاء، يمكن أن يطوي نفسه، ويجلس في حضنها من آن لآخر؟.

بدأ الجرو الذكر بالنباح، أطلق صرخة حادة تعالت، وانخفضت مثل صدى صفرات قطار قادم من بعيد.

همست جولي: "أش... ستكون على ما يرام. لن أؤذيك."..

تابعت الحديث مع الجرو بنبرات منخفضة، لتجعله يتعود عليها، وهي بدورها لكي تعتاد على فكرة أن جيم قد فعل هذا لأجل خاطرها. تابع الجرو النباح، بدا صوته تقريباً وكأنه يترافق مع نغمة مسجّلة على الراديو، وكانت جولي تداعبه تحت ذقنه.

سألته وهي تبتسم بلطف للمرة الأولى: "هل تغني لي؟.. تعلم أن ماتفعله يشبه الغناء."..

توقف الجرو لحظة عن النباح، وحَدَّق فيها، بعد ذلك عاود النباح، لكنه هذه المرة لم يعد خائفاً.

همست: "مغني. أعتقد أنني سأطلق عليك اسم سنغر".

الفصل الأول

بعد مرور أربع سنوات

بعد مرور عدة سنوات على موت جيم، وجدت جولي بارنسون طريقة للبدء بحياة جديدة. لم يحدث هذا مباشرة. فبعد مرور عامين على موته وجدت صعوبة في خوض حياة جديدة وعاشت منعزلة، ولكن الزمن أحدث أخيراً مفعوله السحري في نفس جولي، وبدأ يحول فقدانها لزوجها إلى حدث أكثر سهولة وتقبلاً. بالرغم من أنها أحبت جيم كثيراً، ولم تستطع أن تنساه أبداً، لكن الألم الذي يعتمل في داخلها لم يعد بنفس الشدة التي كان عليها في المرة الأولى.

استطاعت أن تتذكر نفسها وهي تذرف دموعها والفراغ القاتل الذي ساد حياتها بعد موته، بشيء من الرضا، لكن الألم الفظيع الذي عانته في تلك الأيام أصبح ذكرى من الماضي .

الآن كلما فكرت بـ جيم تذكرته بابتسامة، شاكرة الله الذي جعله جزءاً من حياتها.

كانت شاكرة أيضاً لـ سنغر، لقد فعل جيم الصواب عندما اشترى لها ذلك الجرو بطريقة ما، كان سنغر وسيلة مناسبة لاستمرارها في الحياة.

لكن في هذه اللحظة، بينما كانت مستلقية في سريرها في صباح يوم ربيعي معتدل في سوانز بورو، شمال كارولينا، لم تكن جولي تفكر بالمؤازرة الفعالة التي صار سنغر يقدمها لها طوال مدة السنوات الأربع الماضية، بدلاً من ذلك، كانت تتذمر بشكل جنوني من وجوده الدائم وملازمته لها طوال الوقت وهو يلهث أثناء تنفسه، وهي تفكر في قرارة نفسها أنه يستحيل عليّ أن أعيش بهذه الطريقة وأقضي نحبي على هذا المنوال، محشورة في السرير إلى جانب كلبي.

بهذا المشهد بينما كان سنغر يميل عليها، ويحشرها إلى الفراش، تخيّلت كيف تزداد شفتاها زرقة بسبب انقطاع الأوكسجين عنها.

قالت وهي تتنفس بصعوبة: "هيا انهض أيها الكلب الكسول. إنك تقتلني هنا".

لم يسمعها سنغر بينما كان يشخر، وبدأت جولي تتملص محاولة إيقاظه من سباته.

ذلك الثقل الذي كان يشعرها بالاختناق، جعلها تحس وكأنها ملفوفة في بطانية وملقىً بها في عرض البحيرة، على طريقة المافيا.

دفعته عنها قائلة: "إنني جادة، لا أستطيع أن أتنفس".

أخيراً رفع سنغر رأسه الضخم، وغمزها نظرة خاطفة سريعة.

"ما كل هذه الضجة؟". تساءل سنغر، "ألا يمكنك أن تلاحظي بأنني أحاول أخذ قسط من الراحة هنا؟".

انفجرت جولي غاضبة: "ابتعد من هنا."!

تثاءب سنغر، وهو يدفع أنفه البارد نحو ذقنها.

قالت وهي تلهث: "ياه، ياه، صباح الخير، والآن هيا انطلق".

بدأ سنغر بالنهوض وهو يشخر مطلقاً ساقيه في نواحٍ متعددة بينما كان يسحقها بضرباته هنا وهناك. ورويداً رويداً نهض بكامل قامته. بعد لحظة كان يعلو فوقها واللعاب يسيل من شفتيه، فبدا مثل مخلوق يؤدي دوراً رخيصاً في فيلم رعب تكلفته منخفضة.

فكرت جولي، ياله من مخلوق ضخم! هل عليَّ أن أعتاد عليه الآن؟ أخذت نفساً عميقاً وحدقت إليه متجهمةً.

سألت: "هل سمحت لك بالصعود إلى سريري؟"

كان سنغر ينام عادةً في زاوية غرفتها ليلاً. لكنه خلال الليلتين الماضيتين تسلل ونام قربها. أو بمعنى أدق فوقها. ياله من كلب كسول.

أخفض سنغر رأسه ولعق وجهها.

قالت وهي تدفعه بعيداً عنها: "لا، لم أسمح لك بذلك. لا ينبغي عليك حتى أن تزعج نفسك للقيام بمثل هذا التصرف. إنك تكاد تقتلني. تعلم إن وزنك يساوي ضعف وزني تقريباً. و الآن ابتعد عن السرير."

بدأ سينغر يأن مثل طفل عابس قبل سقوطه على الأرض.نهضت جولي متألمة من أضلاعها.وهي تنظر إلى ساعة الحائط. أخذت تتمطى هي وسنغر بالوقت نفسه قبل أن تدفع أغطية السرير جانباً.

قالت جولي:"هيا ستبقى خارجاً ريثما آخذ حماماً. ولكن حذار أن تتنشق حول علب قمامة الجيران ثانيةً. لقد تركوا لي رسالة تهديد.

نظر أليها سنغر.

قالت:"أعلم، أعلم إنها مجرد قمامة. ولكن بعض الناس يتصرفون بشكل مثير للسخرية."

غادر سنغر غرفة النوم، متجهاً نحو الباب الأمامي. كوّرت جولي كتفيها وهي تتبعه، مغلقة عينيها للحظة من الزمن.

ارتكبت خطأً فظيعاً. وهي خارجة من غرفة النّوم،أغلقت الباب بشدة ودهست إصبع قدمها. امتد الألم حتى أسفل ساقها. بعد أن أطلقت الصرخة الأولى، بدأت تشتم. مستعملة شتائم متنوعة. وهي تقفز على قدم واحدة مرتدية بيجامتها ذات الون القرمزي، كانت واثقة بأنها بدت مثل أرنب مشوش الذهن مفعم بالحيوية، لم يأبه سنغر لأمرها لكنه رمقها بنظرة، وكأنه يقول لها، مالذي حدث؟ أنت التي أيقظتني، تذكري هذا جيداً، لذلك دعيني أذهب. لدي ما أفعله في الخارج.

قالت جولي متأوهةً:" ألا تلاحظ بأنني جرحت هنا؟"

تثاءب سنغر ثانيةً، وتركت جولي إصبعها قبل أن تقفز خلفه " أشكر قدومك لإنقاذي. إنك عديم الفائدة في حالة الطوارئ"

بعد برهة قصيرة، وبعد أن خطا سنغر فوق إصبع جولي المجروحة وهو يشق طريقه نحو الباب - أدركت جولي أنه فعل ذلك عمداً - ثم أصبح في الخارج. وبدلاً من التوجه رأساً نحو علبة القمامة، تجول سنغر في منطقة مغطاة بالأشجار تحد منزلها من جانب واحد. راقبته وهو يترنح برأسه الضخم من جانب إلى آخر، وكأنه بدا واثقاً من أنه ما من أحد قد زرع أية

أشجار أو شجيرات حديثة منذ البارحة. تفضل جميع الكلاب أن تبدو متميزة في مقاطعاتها، لكن سنغر اعتقد إلى حد ما أنه، في حال وجد أمكنة كافية ليجد راحته فيها، سيكون الكلب الملك في كل أنحاء العالم. على الأقل سترتاح منه لبرهة قصيرة.

فكرت جولي: " الحمد لله توجد مساعدات بسيطة ."

كان سنغر يدفعها إلى الجنون خلال اليومين الأخيرين.

كان يتبعها إلى كل مكان رافضاً أن تغيب عن ناظريه. حتى لبضع دقائق، إلاّ عندما تطرده خارجاً. لم تكن قادرة حتى على ترتيب الصحون دون أن تصطدم به عدة مرات. وكان يزداد سوءاً في الليل. ففي ليلة أمس، بقي يزمجر مدة ساعة، وينبح بين الفينة والأخرى، مما جعل جولي تفكر إما بشراء مأوى خاص به أو اقتناء بندقية.

لم يسبق أن كان سلوك سنغر – على أفضل ما يرام فهذه هي العادة. باستثناء الحالة التي يريد فيها التبول، حيث كان يتصرف دائماً وكأنه مخلوق بشري. رفض أن يتناول الطعام إن لم يوضع في إناء، ولم يحتج أبداً إلى مقود (رسن)، وعندما كانت جولي تشاهد التلفاز، يقفز على الأريكة ويحدق في الشاشة. وعندما كانت تحدثه – وكلما حدثه أي شخص – كان ينظر إليه بإمعان، ويميل رأسه جانباً، وكأنه يتابع الحديث. ومعظم الوقت بدا وكأنه كان يستوعب ماتقوله له جولي. أياً كان ماتطلبه منه، ومهما كان الأمر مثيراً للسخرية، كان سنغر ينفذه. هل يمكنك إحضار محفظة نقودي من غرفة النوم؟ يعود سنغر في الحال مهرولاً ومعه المحفظة.

هلا أطفأت الضوء في غرفة النوم؟ يقف سنغر بشكل متوازن على ساقيه يطفئه بأنفه. ضع علبة الحساء هذه في الحجرة، أوكي؟

يحمل العلبة بفمه ويضعها على الرف. بالتأكيد كل الكلاب مدربة ولكن ليس بهذا المستوى العالي. بالإضافة إلى أن سنغر لم يحتج إلى أي تدريب. ليس تدريباً حقيقياً بمعنى الكلمة. كل ماكانت تبغي جولي أن تفعله، تقوم به لمرة واحدة أمام ناظريه ثم يستلم بدوره المهمة. بصراحة بدا الأمرغريباً بالنسبة إلى الآخرين، ولكن بما أن ذلك جعل جولي تشعر أنها فتاة عصرية، فقد أحبته.

حتى لو كان يعني هذا أن تتحدث مع كلبها بعبارات متكاملة، وتسوي معه الترتيبات،وتطلب نصيحته أحياناً.

ولكن هيه، كانت تقول لنفسها أن الأمر ليس غريباً جداً، أليس كذلك؟

لقد سكنا معاً منذ وفاة جيم، وفي معظم الأوقات كان سنغر بالنسبة لها مخلوقاً لطيفاً وصحبة جيدة.

بالرغم من ذلك كان سنغر يتصرف بغرابة منذ عادت جولي ثانية إلى تنظيم المواعيد مع الزوار، فهو لم يظهر مودة لأي من الشبان الذين كانوا يترددون عليها خلال الشهرين الماضيين. توقعت جولي ذلك. كان سنغر يزمجر وينبح على الرجال إذا قابلهم للمرة الأولى. اعتقدت جولي بأن سنغر يمتلك الحاسة السادسة التي تجعله يميز الشبان الطيبين عن الأشرار الذين عليها تفاديهم، لكنها غيرت رأيها مؤخراً. إنها تعتقد الآن إنه مجرد صديق غيور ضخم البنية مغطى بالفرو.

بدأ الأمر يثير مشكلة بالنسبة لها. عليهما الدخول في حديث جاد. لا يرغب سنغر بأن تبقى جولي وحيدة، أليس كذلك؟ لا، بالطبع لا، ربما عليها أن تجعله يعتاد عليها وهي بصحبة شخص ما وسوف يتفهم الأمر بالتدريج. ربما يشعر بالسعادة لأجلها. تساءلت جولي: " ولكن كيف، وما هي الطريقة المثلى لشرح كل ما يحدث؟"

ترددت لحظة، وهي تأخذ السؤال بعين الاعتبار، قبل أن تدرك دلالات ما كانت تفك به.

فكرت، " أوه يا إلهي هل أشرح له كل ما يحصل. سوف أصاب بالجنون."

تمشت جولي وهي تعرج نحو الحمام لكي تستعد للعمل، وأخذت تخلع بيجامتها وهي تسير. وقفت أمام المغسلة، تنظر إلى نفسها مكشرة. انظر إلى، إنني في التاسعة والعشرين وأبدو أكبر من عمري. كانت تتألم عند القفص الصدري كلما تنفّست، وإصبع قدمها تنبض بشدة، وكل هذا لم تعكسه المرآة حسب رأيها. أثناء النهار،كان شعرها طويلاً وممشطاً، ولكن بعد مضي ليلة في السرير، كان يبدو عليها وكأن أقزام داخل الوسادة عبثت بشعرها. كانت تبدو وكأنها تحت الحصار كما اعتاد جيم أن يصفها بلطف. وكانت المسكرة تسيل فوق خديها. ذروة أنفها كانت حمراء اللون، وعيناها الخضراوان متورمتان بسبب غبار الطلع في فصل الربيع. لكن حمام دافئ كفيل بأزالة كل تلك العوارض، أليس كذلك؟.

حسنٌ، لكن ربما لا يفيد الحمام في حالة الحساسية. فتحت خزانة الدواء وتناولت كلاريتين ونظرت إليه ثانية، و كأنها تأمل حدوث تحسن مفاجئ.

آه.

فكرت جولي، ربما لا ينبغي عليها أن تعمل جاهدة لتثبيط عزيمة بوب في الاهتمام بها بعد كل ذلك. لقد صار لها عام حتى الآن وهي تقص شعر بوب أو ما تبقى من شعر على رأسه. من شهرين، استجمع بوب أخيراً كامل شجاعته وطلب منها الخروج بصحبته. لم يكن الشاب الأكثر طلعة بهية - في العالم - إنه شاب أصلع، له وجه مستدير، وعينان قريبتان من

بعضهما، وبرز بطنه قليلاً -لكنه عازب وناضج، ولم يسبق لـ جولي أن التقت بأي رجل منذ وفاة جيم. فكرت جولي أنها طريقة جيدة لكي تستأنف حياتها في هذا العالم من جديد. ولكن هذا خطأ. هنالك سبب جعل بوب عازباً حتى الآن. لم يكن بوب شخصاً مزيفاً فحسب، كان مملاً جداً أثناء لقائهما حتى أن الناس الجالسين على الطاولات بجوارهما في المطعم نظروا إليها بشفقة. موضوعه المفضل أثناء اللقاء هو الحسابات. لايبدي اهتمامه بأي أمر آخر لا يهتم بها ولا بالقائمة ولا بالطقس ولا بالرياضة ولا بالفستان القصير الأسود الذي ترتديه. الحسابات فقط. لمدة ثلاث ساعات تصغي إلى بوب وهو يتكلم برتابة عن استنتاجاته وصفقاته وأرباحه في نهاية الغداء، عندما يتكأ على الطاولة ويعتز بأنه قد تعرف على أشخاص مهمين جداً، تكون جولي قد انهارت قواها وخلت عيناها من كل تعبير، وخابت آمالها بسماع أية كلمة إطراء.

بالطبع مضى الوقت دون القول إن صحبة بوب ممتعة.منذ ذلك الحين صار له يعرّج عليها ثلاث مرات أسبوعياً، ويلح عليها في الطلب لكي يتبادلا معاً استشارة ثانية، هيه هيه هيه .

كان رجلاً مثابراً بالطبع. رجلاً يثير الضيق والاشمئزاز، وهناك أيضاً روس، الشاب الثاني الذي واعدته. روس الطيب .

شاب بهي الطلعة. روس المنحرف، لقاء واحد معه كان كافياً، أشكرك جزيلاً.

ولا يمكن أن تنسى آدم العجوز الطيب. قال أنه يعمل في المقاطعة وأنه يستمتع بعمله. قال إنه شاب نظامي.

اكتشفت جولي فيما بعد أنه يعمل في تصريف المياه الجارية.لم تنبعث

منه أية رائحة، ولم تكن هناك أية مواد غريبة تحت أظافره، ولم يكن شعره يلمع بسبب تلوثه بالشحم، لكنها أدركت جيداً بأنها لاتسطيع أن تعتاد على فكرة أن تراه يوماً ما مطلاً عند الباب الأمامي وهو بتلك الهيئة." عزيزي هل تعرضت لحادث حتى تبدو بهذا المظهر؟ ". مجرد التفكير بذلك جعلها ترتعش. لم تستطع أن تتخيل نفسها وهي ترقب ملابسه في الخزانة بعد رؤيته بذلك المظهر. بدت العلاقة مشؤومة من بدايتها.

عندما بدأت تتساءل ما إذا كان هناك وجود لأناس طبيعين مثل جيم، وفي اللحظة التي كانت تتساءل فيها عن السبب الذي يجعلها تستدعي انتباه الغرباء مثل وميض النيون، ارتسمت في ذهنها على الفور صورة ريتشارد .

يا لمعجزة المعجزات، حتى بعد أول لقاء حصل في السبت الماضي، كان لايزال .... طبيعياً. مستشار في هندسة بلا تشارد من كليفلاند- في شركة تساهم في إصلاح الجسر الواقع فوق قناة لتوزيع المياه الساحلية- استأذن منها قبل دخوله إلى الصالون ليقص شعره. أثناء لقاءهما، كان قد فتح لها الأبواب، مبتسماً في أوقات مناسبة من المحادثة، وأعطى النادل طلبيتها للغداء، وأظهر لها كل ود واحترام. قبل كل شيء، إنه شاب وسيم على مستوى رفيع من الذوق، برزت عظام خديه المنحوتتين، عيناه بلون الزمرّد، وشعره أسود اللون وله شاربان. بعد أن ودعها، أحسّت بصرخة في داخلها أرادت أن تطلقها، هوليلوجاه! لقد رأيت النّور!

لم يبدو سنغر متأثراً تماماً. بعد أن تمنت جولي ليلة سعيدة لـ ريتشارد، تصرف وكأنه سيد البيت. ظل يتذمر حتى فتحت جولي الباب الأمامي.

قالت: " أوه توقف عن هذا. لا تعامله بهذه القسوة" فعل سنغر ماطلبت منه، لكنه انهزم إلى غرفة النوم، حيث بقي مكشراً هناك بقية الليل .

فكرت جولي. ولو أن كلبي لا يتصرف بهذه الغرابة، لأمكننا أن نتعاون معاً، ونشكل فريقاً للعمل في كرنفال، تماماً إلى جوار الشاب الذي يأكل المصابيح الكهربائية، ولكن عندئذ لن تسير حياتي بشكل طبيعي.

استدارت جولي نحو الصنبور وانهمر عليها الماء بينما كانت تحاول استعادة بعض ذكرياتها. ما الفائدة من استرجاع ذكريات الأيام القاسية؟ استحضرت في تلك اللحظة ذكرى والدتها التي كانت تنجذب نحو نوعين من الرجال، الرجال السكيرين والفاسدين.

إذا كان الرجل فاسداً أو سكيراً فهذا أمر في غاية السوء، ولكن إن اجتمعت فيه كلتا الخصلتين فهذا أمر لا يمكن أن تطيقه جولي.

كانت والدتها تختار أصدقاءها وتتعامل معهم كما يتعامل الأطفال مع مناشفهم الورقية، وكان بعضهم يثير اشمئزاز جولي وعدم ارتياحها لأنهم يتصرفون وكأنهم أصغر من المراهقين. حاول آخرهم أن يتقرّب منها بطريقته الخاصة، وعندما أخبرت جولي والدتها بالأمر وجهت إليها اللوم وهي غاضبة ثملة متبالية لأن ابنتها تحدثها عن موضوع كهذا. لم يمض وقت طويل قبل أن تجد جولي نفسها بلا مأوى.

ظلت مدة ستة أشهر وهي مذعورة من فكرة العيش في الشارع أو قبل أن يدخل جيم إلى حياتها. كل من قابلتهم كانوا يستعملون العقاقير وأساليب الاستعطاف أو السرقة .... أو أساليب أسوأ من هذا للاستمرار بالحياة. خوفها من أن تصبح مثل أولئك الهاربين المشردين الذين كانت تراهم كل ليلة في الملاجئ وممرات الطرقات، جعلها تبحث بشكل مسعور عن عمل تقوم به يسد جوعها، ويبقيها متوارية عن الأنظار. وحيث أن تقوم بكل الأعمال الوضيعة وهي منكسة الرأس. عندما قابلت جيم للمرة الأولى على

الغداء ـِ ديتونا، كانت تحتسي فنجان قهوة بآخر قطعة نقدية ـِ جيبها. اشترى لها جيم فطورها ووعدها بأنه سيعيد الكرّة إذا عادت ـِ اليوم التالي.

أجل إنها جائعة، ولكنها عندما حاولت الاستفسار عن دوافعه (مفترضة أنها قد عرفت مبرراته وبوسعها أن تتذكر خطة مسهبة عنيفة محرجة عن مهد السارقين وزمن السجن)، أنكر جيم أي اهتمام غير لائق بها. وـِ نهاية الأسبوع، عندما كان يستعد للتوجه نحو موطنه، قدم لها عرضاً، ـِ حال انتقلت إلى سوانزبورو، شمال كارولينا، سيساعدها ـِ الحصول على عمل دائم والبقاء ـِ مكان يأويها.

ولكن بعد مضي شهر، وباعتبار أنه ليس لديها جدول التزامات اجتماعية، ذهبت إلى سوانزورو، والأفكار تزدحم ـِ رأسها بينما كانت تنزل من الباص، ماالذي أفعله ـِ هذه البلدة المجهولة؟ على الرغم من ذلك كانت تفكر ـِ جيم، الذي - بالرغم من شكوكها الدائمة- أحضرها إلى الصالون لكي تقابل عمته مابل. وبلا شك وجدت نفسها تمسح الأرض وتأخذ أجرتها بالساعة وتقطن ـِ غرفة ـِ الطابق العلوي للصالون. ـِ بادئ الأمر بدت جولي مرتاحة البال لأن جيم لم يبد أي اهتمام واضح بها. لكن ذلك الارتياح تحول فيما بعد إلى غيرة، ثم إلى انزعاج. أخيراً، بعد أن كانت تلتقي بجيم بشكل متكرر أسقطت ستار الخجل عنها، وسألت مابل :إن كان جيم يراها فتاة غير جذابة؟ بالطبع وصلت الرسالة إلى جيم. التقيا بعدها مرة تلو الأخرى، وبعد مرور شهر على مقابلاتهما أخذت تفيض الهرمونات وتتدفق شدة. بعد ذلك بوقت قصير حان الحب الحقيقي. طلبها للزواج، مشيا ـِ ممر الكنيسة حيث عُمِّد جيم، وأمضت جولي السنوات

الأولى من زواجها في رسم الوجوه المبتسمة التي كانت تراها في كل مكان. عندما أعادت النظر في حياتها، تساءلت: ماالذي يريده المرء أكثر من ذلك؟

الكثير في حال أدركت أنها تريد الكثير. بعد مرور بضع أسابيع على الذكرى السنوية الرابعة لزواجها، أصيب جيم بنوبة مرضية وهما في طريق عودتهما من الكنيسة إلى المنزل، وأسعف إلى المشفى. بعد مرور عامين، سلبه ورم دماغي خبيث حياته، وفي عمر الخامسة والعشرين وجدت جولي نفسها تبدأ حياتها من جديد. بالإضافة إلى ظهور سنغر غير المتوقع وصلت جولي إلى مرحلة في حياتها جعلتها لا مبالية بأي حدث جديد.

في هذه الأيام كانت هنالك أمور قليلة في الحياة تستحق الاهتمام بالنسبة إلى جولي. إن كانت هنالك أية أشياء كانت تدخل السعادة إلى قلبها في الماضي، أصبحت الحوادث اليومية الآن تقيدها وتطفئ جذوة فرحها .مابل باركها الله، كانت ملاكاً. لقد ساعدت جولي للحصول على ترخيص للعمل وبذلك استطاعت أن تقص الشعر وتعيش حياة لائقة، هذا إن لم تكن حياة مرفهة. هنري وإيما كانا صديقين طيبين لجيم، لم يساعداها فقط بأمور المعيشة في البلدة عندما انتقلت إلى هناك لأول مرة، وكانا حميمين معها حتى بعد موت جيم. وهناك أيضاً مايك، الأخ الأصغر لهنري وصديق جيم المفضل الذي نشأ معه .

ابتسمت جولي في الحمام وهي تنطق باسم مايك. ولأنه ظهر في القائمة اسم شاب يمكنه أن يمنح السعادة لامرأة، حتى وإن بدا أحياناً ضائعاً قليلاً.

بعد مضي بضع دقائق، وبعد أن نشفت جسمها، نظفت جولي أسنانها وسرحت شعرها، ووضعت بعض المكياج، وارتدت ملابسها. بما أن سيارتها كانت في الصيانة، توجب عليها أن تذهب للعمل مشياً- حيث يبعد مكان

عملها مسافة ميل- لذلك لبست زوجاً مريحاً من الأحذية. نادت على سنفر وهي تقفل الباب في طريقها للخروج.

لمحت بطرف عينها بطاقة موضوعة بين الصندوق البريدي وغطاء الصندوق، تماماً إلى جوار الباب الأمامي.

فتحتها جولي بشيء من الفضول، وبدأت تقرأها على الشرفة عندما ظهر سنغر في قلب الغابة وهرول نحوها.

حبيبتي جولي،

أمضيت صحبة رائعة معك يوم السبت. لا أستطيع التوقف عن التفكير بك.

ريتشارد

لهذا السبب أصيب سنغر بالجنون الليلة الماضية.

قالت جولي وهي تظهر البطاقة أمام سنغر الذي تمكن من رؤيتها: "انظر، أخبرتك بأنه شاب لطيف."

ابتعد سنغر عنها.

"لاتتصرف هكذا. تعلم أنه بمقدورك الاعتراف بخطئك. أعتقد أنك غيور للغاية."

أخذ سنغر يحك أنفه بها.

وهل الأمر كذلك؟ هل تشعر بالغيرة؟. قالت جولي دون أن تنحني لكي تمسك ظهره بيدها، على خلاف معاملتها لبقية الكلاب. لقد كان حجمه أكبر مما كانت عليه عندما دخلت المدرسة الثانوية.

"لاتكن غيوراً. أوكي؟ تمنَّ السعادة لأجلي."

التف سنغر نحو الجانب الآخر، وحدق فيها.

"والآن تعال. علينا أن نذهب مشياً، الآن مايك لايزال يصلح السيارة."

لدى ذكر اسم مايك، هزَّ ذنبه.

الفصل الثاني

تركت قصائد مايك الشعرية الغنائية أثراً طيباً، وصوته الغنائي لم يحدث بالضبط ضربة تنفيذية مسجلّة سلكت طريقها إلى منزله في سوانزورو. على كل حال، كان يعزف على الغيتار، ويتدرب بشكل يومي، على أمل أن يكون إخفاقه مجرد أزمة عابرة يمكن تجاوزها بسرعة. لمدة عشر سنوات، عمل مع اثنتي عشرة من فرقة موسيقية مختلفة، بدءاً من موسيقا الروك خلال الثمانينيات إلى نمط الموسيقا المحلية. على خشبة الغناء، ارتدى كل ملابسه من الجلد وقبعة رعاة البقر، ومع أنه يعرف بحماس واضح وكل أعضاء الفرقة لم يكن في وسعهم إلا أن يبادلوه كل مودة، عادة ما كانوا يطلبون منه الانسحاب بعد بضعة أسابيع، ويقولون له بأن العمل

قد توقف. كان هناك متسع من الوقت بالنسبة إلى مايك ليفكر بأنَّ الأمر لم يكن مجرد صراع شخصي، على الرغم أنه لا يزال عاجزاً عن الاعتراف في قرارة نفسه أنه ربما لم يكن عازفاً جيداً.

احتفظ مايك أيضاً بدفتر مذكرات، ودوَّن فيه أفكاره خلال وقت فراغه ووضع بالحسبان استعمال تلك الانطباعات في سرد رواية مستقبلية، لكن عملية الكتابة بدت مهنة أكثر صعوبة مما تخيلها أول مرة. لم تكن المشكلة في أنه لا يمتلك أفكاراً غزيرة يكتبها بل كان رأسه يزخم بأفكار كثيرة وإنما تتجلى الصعوبة في كيفية طرحها، وتجسيد ماهو مفيد بسرد القصة والاستغناء عن ما هو زائد.

حاول العام الماضي أن يكتب قصة جريمة غامضة عن سفينة أثناء رحلة بحرية، شيء ما قريب من نمط قصص آجاثا غريستي، وتتضمن الرواية مجموعة من الشكوك المعتادة. لكنه فكرَّ في أن حبكة الرواية ليست ممتعة بما فيه الكفاية، لذلك حاول أن يعدّلها بإدخال كل فكرة مخزونة لديه، بما فيها الرؤوس النووية السرية في سان فرانسيسكو، والشرطي الفاسد الذي شهد على اغتيال JFK ، والإرهابي الإيرلندي، والمافيا، والولد بصحبة كلبه، والرأسمالي المغامر الشرير، والعالم الرحالة الذي فرَّ من اضطهاد الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وفي نهاية المطاف، وصلت عدد صفحات التمهيد إلى مئة صفحة ولم تصل الشكوك الرئيسية بعد قلب المشهد. ولسنا بحاجة إلى القول، أنه لم يجرِ أية إضافات إلى المشهد.

في الماضي حاول أيضاً أن يشتغل بالرسم والتصوير والرسم على الزجاج والسيراميك وعمل في نحت الخشب والحياكة وفي الواقع جمع بعض التحف الفنية المستقلة في لحظة تدفق هائل من الوحي جعله يبتعد عن العمل مدة

أسبوع. كان يلمم أجزاء من سيارة قديمة، ويوصلها بالأسلاك مع تركيبات غير متوازية، وعندما ينتهي، يجلس في المقدمة، متأملاً عمله بكل فخر، وهو يدرك في سريرته أنه وجد أخيراً ضالته.

ذلك الإحساس يستمر عنده مدة أسبوع، حتى ينعقد مجلس البلدة بسرعة لإزالة أية نفايات وسط الباحة. مثل الكثير من الناس، تملكت مايك هاريس رغبة شديدة بأن يصبح فناناً، لكنه لا يملك الموهبة فقط!

على كل حال استطاع مايك إصلاح أي شيء بشكل عملي. كان رجلاً عملياً يتقن عمله، فارس حقيقي بدرع لامع يهب في أداء عمله عندما تتجمع مياه قذرة تحت مغاسل المطبخ أو عندما تلمع من بعيد فضلات القمامة.

ولكن لو كان بالفعل عملياً، لتصرف بشكل حضاري عندما يتعلق الأمر بأي شيء له أربع عجلات ومحرك. هو وهنري يمتلكان الكراج الأكثر ازدحاماً في البلدة، فبينما ينشغل هنري بعمله الكتابي، كان مايك هو المسؤول عن العمل الواقعي. السيارات الأجنبية أو المحلية، الشاحن التوربيني911، استطاع إصلاح كل أنواعها. كان قادراً على الإصغاء إلى المحرك وسماع التكتكات الخفيفة التي يعجز الآخرون عن سماعها، وعادة ماكان يحدد مكان العطل، في أقل من دقيقتين. كان على معرفة بالمضاعفات والصمامات الداخلية، والصدمات، والدعامات، والكباسات، والإشعاعات والتعديلات الأساسيات للعجلة، واستطاع أن يستذكر الوقت العملي المحدد الذي استغرقته كل سيارة تم إصلاحها في المعمل. استطاع إعادة تركيب المحركات دون النظر إلى الدليل. كانت بصمات أصابعه ملطخة بشكل دائم باللون الأسود، وبالرغم من معرفته أنها الطريقة المفيدة

لكسب العيش، تمنى أحياناً لو منحه الله جزءاً ضئيلاً من تلك الموهبة التي يستعملها في نواحٍ أخرى من حياته.

صيت النساء التقليديات في حياة الرجل المترافق مع الميكانيكيين والموسيقيين كان له أثر في حياة مايك. شهد في حياته صديقتين حقيقيتين وبما أن إحدى تلك العلاقات حدثت في المدرسة الثانوية والأخرى مع سارة التي انتهت علاقته معها من مضي ثلاث سنوات، أدى ذلك إلى استنتاج مفاده أن مايك لم يكن يبحث عن التزام طويل الأمد، أوحتى عن عجزه من الالتزام بعلاقة يمكن أن تدوم صيفاً بأكمله. حتى مايك نفسه تساءل أحياناً عن طبيعة علاقاته، ولكن في هذه الأيام، بغض النظر عما كان يتمناه، بدا أن معظم لقاءاته انتهت بقبلة طبعتها النساء على خده عرفاناً بالجميل كونه صديقاً طيب القلب كثيراً. مايك البالغ من العمر الرابعة والثلاثين كان خبيراً بشكل ملحوظ في فن تقديم العطف للنساء من خلال معانقتهن عناقاً حميمياً أخوياً بينما كن يبكين على كتفه بسبب صدمة تعرضن لها من صديق سابق. لم يكن الأمر هكذا لأنه شاب غير جذاب. فقد كان بهي الطلعة، وامتلك أفضل مواصفات الشباب الأمريكي، شعره بلون بني فاتح وعيناه زرقاوان وتظهر على وجهه الإبتسامة بكل يسر وسهولة بحيث تتناسب مع بنيته اللطيفة. ليس لأن النساء لم يستمتعن بصحبته، عاملنه بشكل أخوي. ربما فقدانه الحظ كان له علاقة بحقيقة مفادها أن النساء اللواتي كنَّ يقابلهن، شعرن بأن العلاقة معه لم تكن العلاقة التي ينشدها مايك، ويبحث عنها حقيقة.

عرف أخوه هنري سبب مشاعرهن، وكذلك أدركن ربما حقيقة الأمر. مابل أيضاً عرفت السبب كما عرفه كل شخص فهم مايك هاريس بشكل جيد.

جميعهم عرفوا بأن مايك واقع مسبقاً في غرام امرأة أخرى.

"هيه، جولي- انتظري."-

كانت جولي قد وصلت تماماً إلى أطراف مقاطعة العمل المبنية على الطراز القديم في سوانزبورو، فاستدارت عندما سمعت مايك يناديها. حدّق إليها سنغر وهي تومأ له.

قالت:" هيا تقدم."

انطلق سنغر مقابلاً مايك عند منتصف الطريق. مسدّ مايك رأس سنغر وهما يتمشيا نحو جولي، ثم أخذ يدغدغه خلف أذنيه. عندما أشاح مايك بوجهه عنه، أخذ سنغر يعلو برأسه ويخفضه طالباً المزيد من المداعبة.

قال مايك:"يكفي هذا الآن أيها الشاب الضخم. دعني أتحدث مع جولي."

بعد لحظة وصل إلى جولي بينما جلس سنغر بجانبه، وهو لا يزال ملاحقاً حركة يده.

قالت جولي مبتسمة:" هيه مايك، ما الأمر؟."

"لا شيء. لكنني أردت إخبارك بأن سيارتك تم إصلاحها."

"مالعطل الذي كان فيها؟."

"الغيار"

تذكرت جولي إنها المشكلة ذاتها بالضبط التي ذكرها يوم الجمعة عندما أنقصت الغيار. "هل كان عليك استبداله؟". "ياه. الغيار مهترىء. مامن صفقة كبيرة- فالمشغل ستوك- بالمناسبة، أصلحت أيضاً تسرب الزيت. كان علي استبدال السدادة قرب الفلتر."

"هل كان هناك تسرب في الزيت؟."

"ألم تلاحظي اللطخات على مقعدك؟"

"لا حقاً لم ألاحظها، لكنني لم أنظر إليها ."

ابتسم مايك. " حسن، إنني سعيد أيضاً بإصلاح التسرب. هل ترغبين أن أحضر لك مفاتيحك؟."

ابتسمت جولي:" لا سأحضرهم بعد انتهائي من عملي. لا أحتاج إليهم الآن. لدي مواعيد طوال اليوم. تعلم كيف تكون أيام الإثنين."

كان مايك يقضي عطلة نهاية الأسبوع وهو يعزف موسيقا الروك مع مجموعة من الفاشلين في الدراسة الثانوية الذين لم يطمحوا إلى أي شيء سوى اللعب مع الأطفال واحتساء الجعة، وملء أوقات فراغهم بمشاهدة MTV.كان مايك أكبر من أي واحدٍ منهم بسنتين على الأقل، وعندها أراها سرواله الفضفاض وقميصه الرمادي اللون اللذين سيرتديهما للمعرض في الأسبوع الماضي، أومأت له وقالت: "أوه، إنه مظهر جميل!"، وكانت تقصد حقاً، "أنك ستبدو هناك مثيراً للضحك بشكل مطلق."

قال: "أوكي، حسب تخميني."

"أوكي تماماً؟."

هز كتفيه:" على كل حال ليس ذلك نمطي من الموسيقا."

أحنت جولي رأسها .لم تحب صوته الغنائي بقدر ما كانت تحبه. مع ذلك بدا سنغر مغرماً به كثيراً. كلما غنى مايك لأصدقائه، كان سنغر ينبح معه. بدا الأمر مثل قذف قطعة نقود إما أن تصب أو تخيب، وهذا عائد إلى الرأي المحلي، وإلى الشخص القادر على انتهاز الفرصة الكبيرة.

سألت:" إذاً كم كلف إصلاح السيارة؟."

ناقش مايك المسألة وهو يفرك ذقنه بلا اهتمام

"ربما يكفي قصّ الشعر مرتين."

"هيا . فلتسمح لي أن أدفع هذه المرة. على الأقل بشكل جزئي كما تعلم، لديّ المال الكافي."

في العام الماضي، أخذت السيارة ذات الموديل القديم CJ7 ثلاث مرات إلى الورشة، على كل حال كان بمقدور مايك أن يجعلها تسير بسلاسة خلال الفترة التي تخللت الزيارات.

احتج مايك:" أنت تعرضين عليّ أن تدفعي، بالرغم من أن شعري يطول قليلاً، وهو بحاجة أحياناً إلى قص.

"حسن، قصّ شعرك مرتين ليست تجارة عادلة."

"لم أستهلك وقتاً طويلاً في إصلاح السيارة. ثم إن قطع الغيار لم تكلف الكثير. الفضل يعود إلى الشباب."

رفعت جولي ذقنها بخفة." هل يعلم هنري أنك تفعل هذا؟."

بسط مايك ذراعيه ببراءة:" بالطبع يعرف. فأنا شريكه، وكانت تلك فكرته."

فكرت جولي:" هل حقاً كانت فكرته؟."

قالت أخيراً:" حسنٌ، أشكرك، أقدِّر لك معروف."

"بكل سرور". صمت مايك. كان يرغب بالتوسع بالحديث لوقت أطول لكنه لم يعرف ماذا يقول. نظر إلى سنغر الذي كان يراقبه بإمعان، ويميل برأسه جانباً، وكأنه يقول له:حسنٌ، هيا تابع الحديث يا روميو. نعلم كلانا السبب الحقيقي الذي يجعلك تتكلم معها. ابتلع مايك ريقه. "هكذا سيرافقنا هذا..... أم......" حاول أن يتكلم بالنبرة نفسها التي يتكلم بها قدر ماستطاع.

"ريتشارد؟."

"ياه، ريتشارد."

"مقابلة لطيفة."

"أوه."

أخفض مايك رأسه، شاعراً بأنه يتصبب عرقاًفوق جبهته. تساءل كيف يمكن أن يتعرف في مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح.

سأل: " إذاً ..... أم ..... إلى أين أنت ذاهب؟."

"إلى منزل سلوكام."

"إنها صدفة جميلة في أول لقاء."

"إما إلى هناك أو إلى كوخ بيزا. فأنا حر الاختيار"

انتقل مايك مستنداً إلى القدم الأخرى، منتظراً أن تضيف جولي شيئاً ما. لكنها لم تتكلم.

فكر مايك: " هذا ليس أمراً جيداً. لاشك أن ريتشارد يختلف عن بوب، الكمبيوتر الرومنسي سريع الأداء. كما يختلف عن روس المهووس جنسياً. وعن آدم القادم من قلب سوانزبورو.

بطرح هذه الأسماء الغريبة، فكر مايك في طريقة لانتهاز الفرصة. ولكن ريتشارد؟ منزل سلوكام؟ كان لطيفاً؟

سأل: " إذاً ...... لديك متسع من الوقت؟."

"ياه. هنالك وقت للهو."

فكر مايك: "لهو؟ هل سيلهو كثيراً؟ هذا ليس في مصلحتي على الإطلاق."

حاول كبت مشاعره قدر المستطاع وأظهر حماسته. " إنني سعيد "

اقتربت جولي من ذراعه. " لا تقلق يا مايك. تعلم أنني سأحبك دائماً، صحيح؟."

دس مايك يديه في جيبه وقال: " هذا لأنني أصلّح لك سيارتك."

قالت جولي: " لا تقلل من شأنك. لقد ساعدتني أيضاً في ترميم سقف بيتي."

"وأصلحت لكِ أيضاً المغسلة."

اتكأت عليه، وطبعت قبلة على خده، ثم قرصت ذراعه.

"ماذا بوسعي أن أقول لك يا مايك؟ إنك شاب لطيف جداً."

استطاعت جولي أن تحسّ بنظرات مايك تلاحقها، وهي تتجه نحو الصالون، بالرغم من أن إحساسها بنظراته كان مختلفاً عن أسلوب بقية الرجال في الاهتمام بها لكنها لم تتضايق على الإطلاق. فكرت جولي، إنه صديق طيب، لكنها غيرت رأيها في الحال. لا، في الواقع مايك صديق لطيف، ولاتتردد أبداً في طلب المساعدة منه في حالة الطوارئ، إنه من النوع الذي جعل الحياة في سوانزبورو أكثر يسراً وبساطة لأنها طالما أدركت أنه يتفانى دائماً لأجلها. أصدقاء مثله نادرون جداً، ولهذا السبب شعرت بالضيق لأنها تجعل بعض المناسبات الخاصة في حياتها - مثل آخر موعد لقاء لها - محظورة لم ترغب في الدخول في نقاش حول هذه المسألة لأن مايك..........

حسنٌ، لم يكن مايك إنساناً غامضاً تماماًإذا تعلق الأمر بالبوح عن حقيقة مشاعره تجاهها، وهي بدورها لم تشأ أن تجرح أحاسيسه. مالذي كان من المفروض عليها أن تبوح به؟ "بالمقارنة مع مواعيدي الأخرى، كان اللقاء رائعاً مع ريتشارد! بالتأكيد، سأخرج بصحبته ثانية!" شعرت برغبة

مايك في لقائها، لقد عرفت أنه يرغب بلقائها منذ سنين. لكن مشاعرها تجاه مايك - بغض النظر عن كونه أفضل صديق لها- كانت مشاعر معقدة. وكيف لا تكون معقدة؟ فقد كان جيم ومايك صديقين حميمين ونشأا معاً، كان مايك أفضل رجل قدم كل ما في استطاعته ليلة زفافهما، ومايك هو الشخص الذي التجأت إليه ليواسيها بعد موت جيم. إنه أكثر من أخ لها، ومن الصعوبة لمايك أن يغير مسار أحاسيسها فجأة تجاهه بعد موت زوجها.

غير أن الأمر بدا أكثر تعقيداً. لأن جيم ومايك كانا حميمين للغاية، ولأن مايك كان له دور في حياتهما، حتى التفكير بلقائه جعلها تشعر بالخيانة تجاه جيم. لو وافقت على الخروج برفقته، هل كان يعني ذلك أنها طالما حملت بين جوارحها أحاسيس عميقة تجاه مايك، وأنها ترغب به؟ ماموقف جيم تجاه علاقة كهذه؟ وهل ستجرؤ على النظر في وجه مايك دون أن يأسرها التفكير بجيم ودون أن تسترجع ذكريات العهود السابقة التي جمعتهما؟ لم تعرف. وماذا سيحدث حتى وإن خرجت برفقته، وهي عاجزة أن تتحمل خسارة صديق مثله. من السهولة أكثر إذاً لو سارت الأمور إلى حالها.

انتابتها الشكوك بأن مايك عرف كل هذه المسائل، ومن المحتمل أنه لهذا السبب لم يصر على خروجهما معاً بالرغم من رغبته الشديدة الواضحة في صحبتها.

عندما كانا في القارب الصيف الماضي في رحلة تزلج على سطح الماء (....) هنري وايما

-تملكها شعور أحياناً بأن مايك كان يرهق أعصابه لكي يبقى برفقتها،

وكان مايك يبدو مضحكاً قليلاً عندما تبدو عليه مثل ذلك الانطباعات. فبدلاً من أن يكون سعيداً ومحظوظاً في لحظات كذلك- وأن تضحكه الفكاهات، التي قيلت أيضاً على حسابه، كان ذلك الشاب يذهب لشراء المزيد من الجعة من المخزن المناسب، لأن الجميع أدركوا أنه لن يعترض على تلبية ما يريدون، وكان مايك يتحوّل فجأة إلى شخص هادئ تماماً، وكأنه ارتاب بأن مشكلته الحقيقية مع جولي نشأت من حقيقة مفادها أنه لم يكن هادئاً بما فيه الكفاية حسب رأيها به، وبدلاً من أن تضحكه الفكاهات التي كانوا يقولونها، كان يغمز، أو يحرك عينيه أو يلعب بأظافره، وعندما كان يبتسم لها وهم على القارب في ذلك الوقت، كان يبدو وكأنه يحاول القول :

هيه يا طفلتي، متى نبقى وحدنا، ونستمتع بوقتنا أكثر.!؟

لم يظهر أخوه الأكبر هنري أي تعاطف معه عندما كانت تبدو على مايك تلك الأحاسيس بكل وضوح، ولكي يبعثر أحاسيس أخيه هنا وهناك، ويغطي على التغير الملحوظ المفاجئ، طلب هنري من مايك إحضار المزيد من الفول لأجل العشاء، لأن الكميّة الموجودة غير كافية.

لقد تم كبت مشاعر الأنا لدى مايك في تلك اللحظة.

ابتسمت جولي وهي تستذكر تلك اللحظات، يا للمسكين مايك..

في اليوم التالي عاد مايك إلى عادة الأنا المعهودة لديه، وفي كل الأحوال كانت جولي تحبذ ذلك التحول الذي طرأ على مايك.

كان مايك من الشبان الذين اعتقدوا بأن كل امرأة محظوظة تظفر بهم، من الشبان الذين كانوا يتصرفون بقسوة، أو يخلقون شجاراً مع الآخرين لكي يثبتوا للعالم بأنهم لا يمكن أن يهزموا، من ناحية أخرى كان مايك شاباً جذاباً وجميل المظهر للغاية، بغض النظر عن رأيها بشكله، إنه شاب طيب

القلب ووسيم الطلعة، حتى إن جولي كانت تهيم بالتجاعيد التي تظهر عند زاويتي عينيه كلما ابتسم، وكانت تعشق غمازتيه.

كما أنها قدرت الطريقة التي كان يتصرف بها عندما يتلقى أنباء سيئة إذ يكتفي بإظهار استهجان بسيط من خلال هزّ كتفيه، أحبت جولي الشبان المرحين، وكان مايك شاباً مرحاً للغاية.

وبالفعل كم عشقت صوت ضحكته.!!

عندما كانت تفكر دائماً بهذه الطريقة كلما خطر مايك في بالها، كانت تسمع في الحال صوتاً داخلياً يقول لها: كفى.. ألا تستمرّي مايك صديقك، إنه أفضل صديق لك، وأنت ألا ترغبين بتدمير كل شيء بينكما، أليس كذلك.؟

بينما كانت تسرح بأفكارها على هذا المنوال على سنغر أن يلفت انتباهها وهو يدق بمرفقها، محرراً إياها من سجن أفكارها، وكان يحدق إليها بإمعان.

قالت: "ياه.. هيا اذهب أيها المخلوق الضخم".

هرول سنغر مبتعداً، حتى اقترب من المخبز، ثم استدار نحو الباب المفتوح لصالون مابل، كانت مبابل تقدم له البسكويت بشكل يومي، "إذاً كيف كان لقاءها به؟" سأل هنري وهو يتكئ على إطار باب المقهى.

لم أسألها عن اللقاء، أجاب مايك بنبرة تدل على السخرية، وسحب أفروله الجينز إلى للأعلى.

لماذا لم تسألها.؟

لم أفكر بالأمر..

قال هنري: "ممم؟!"

هنري البالغ من العمر الرابعة والثلاثين، يكبر مايك بأربع سنوات، وهو أكثر نضجاً في كثير من النواحي، هنري أكثر طولا ووزناً وقد غلف خصره بزنار امتد درجة انحسار شعره إلى الوراء نفسها، متزوج من إيما منذ اثنتي عشرة سنة ولهما ثلاثة أطفال يقطنون في منزل بدلا من شقة، لذلك فهو أكثر استقراراً في حياته على خلاف مايك، لم يكن عنده أية طموحات فنية من أي نوع كان في الكلية، تميّز هنري في مجال علم إدارة المال، ومثل باقي الأخوة الكبار أحس أن من واجبه مراقبة تصرفات شقيقه الأصغر، وردعه عن اقتراف الأخطاء حتى لا يشعر بالندم بعد ذلك. الدعم الأخوي الحميم يشمل أيضاً بعض المضايقات والإهانات التي ترجع مايك إلى رشده، وإن كان الأسلوب قاسياً عليه ولكن لم يفعل ذلك، فمن غيره يحرس أخاه.؟ كان يقول هنري في نفسه، ويبتسم: شخص ما يجب أن يحرسه، ويرعاه.

رفع مايك أفروله حتى خصره

أردت فقط إخبارها بأنني أصلحت سيارتها.

العطل ذاته.؟ أعتقد أنك قلت سابقاً بأنه يوجد تسرب في الزيت

أجل

لكنك أصلحته في المرة السابقة

كان الإصلاح ناجعاً بضع ساعات فقط

ممم.. أحنى هنري رأسه مفكّراً، لو تعلمت يا أخي الصغير كيف تتحمل مسؤولية فشلك أكثر، لجعلوك تعمل في بيع البوظة.

بدلاً من أن ذلك "نقى هنري حنجرته، أهكذا إذاً أمضيت عطلة نهاية الأسبوع، وأنت تصلح سيارتها .؟

ليس كل الوقت، عزفت أيضاً في الكليبر، لكني أظن أنك نسيت هذا النوع من الموسيقا .. هاه.؟

رفع هنري يده معترضاً:

تعلم إنني مشغول بأمور أخرى، لا أحب هذا النوع الجديد من الهراء، بالإضافة أنني أتوقع حضور والدي ايما إلى الغذاء.

يمكن أن يكونوا قد حضروا أيضاً

ضحك هنري وهو يرتشف قهوته:

ياه صحيح، هل تستطيع أن تتخيلني وأن أحضرهما إلى الكليبر.؟

إنهما يعتقدان أن هذا الهراء الذي تسمعه في المصعد صوته عال جداً، وأن موسيقا الروك عبارة عن أنموذج شيطاني يقيد العقل، لو ذهبنا إلى الكليبر لنزفا من أذنيهما دماً.

سأخبر إيما أنك قلت ذلك..

قال: ستوافقني الرأي فهذه كلماتها، وليست كلماتي، إذا كيف تسير الأمور.؟ أقصد في الكليبر.؟

أوكي..

أخفض هنري رأسه وقد فهم المسألة بشكل كامل، آسف لسماع ذلك..

هز مايك كتفيه وهو يرفع أفروله.

إذاً ما الأجر الذي أخذته من جولي هذه المرة مقابل إصلاحك سيارتها.؟

ثلاثة أقلام رصاص وسندويشة.؟

***

وحجر أملس.؟

ها، ها

إنني جاد، إنه مجرد فضول.

المعتاد

صفر هنري، يا له من أمر رائع!!، سأحصل على الكتب بهذه الطريقة.

اغتاظ مايك من نظرة أخيه المؤنبة: أتعلم أنك عقدت معها صفقة أيضاً

أعلم ذلك

إذاً لما تثير النقاش الآن.؟

لأنني أريدك أن تعلم بمجريات لقائها

كيف أستغل إصلاحي لسيارتها ثمناً لمعرفة أحداث اللقاء.؟

ابتسم هنري: لست أعرف كيف تفعل هذا يا أخي الصغير

ما رأيك أنت.؟

أعتقد أنك احتسيت الكثير من القهوة هذا الصباح لذلك تعجز عن التفكير بأسلوب صحيح

أنهى هنري فنجانه: تعلم أنك ربما تكون محقاً، إنني واثق من أنك لا تكترث على الإطلاق لموعد جولي.

بالضبط

تناول هنري إناء القهوة، وسكب فنجاناً آخر

إذاً من المحتمل أنك لا تهتم لما تفكر بهم مابل أيضاً.؟

دهش مايك. مابل.؟!

أضاف هنري بلا مبالاة الكريما والسكر إلى فنجانه: ياه، مابل رأتهما سوية ليلة السبت.

كيف عرفت ذلك.؟

لأنني تحدثت معها البارحة بعد العودة من الكنيسة وأخبرتني بذلك

هي أخبرتك.؟

أدار هنري ظهره لمايك، واتجه نحو المكتب مكشراً عن ابتسامة عريضة، ولكن كما قلت فأنت لا تهتم بأمرها، لذلك سأنسى الموضوع.

عرف هنري بخبرته أن مايك مازال موجوداً خارج الباب، متجمداً في مكانه لفترة طويلة بعد أن جلس الأول في مقعده..

الفصل الثالث

بالرغم من حصول أندريا رادلي على ترخيص العمل في المجال التجميلي منذ عام، وبالرغم من أنها تعمل لدى مابل منذ تسعة أشهر، لكنها لم تكن أفضل الموظفات عندها. لم تكن تميل إلى تمضية " أيام خاصة" دون سابق إنذار من رئيسة العمل لديها فحسب - وعادة ماكانت تفعل ذلك دون أن تكبد نفسها مشقة الحصول على أذن - لكنها أثناء أوقات العمل بالكاد كانت تصل في موعدها، ونادراً ماكانت دقيقة في عملها. ولم تكن بارعة في قص الشعر وتسريحه، على الأقل وفقاً لتعليمات الزبائن الذين يصفون لها ما يرغبون به.

لم يكن هناك فرقٌ بين ما يحضره زبائنها من صور تحدّد لها بدقة التسريحة التي يريدون أو من خلال شرح بطيء مسهب وواضح مما

يرغبون به بالضبط، لأن أندريا كانت تقص شعر كل الزبائن بالطريقة نفسها. فالمسألة ليست ذات أهمية بالنسبة لها. وكان لدى أندريا العدد نفسه من الزبائن الذين لدى جولي، بالرغم من أن معظمهم كانوا رجالاً.

أندريا في الثالثة والعشرين من عمرها، شعرها أشقر طويل أملس، ذات بشرة برونزية بشكل دائم حيث بدت وكأنها خارجة من شواطئ كاليفورنيا وليس من بلدة بوب الجميلة الصغيرة، شمال كارولينا،حيث نشأت هناك. حاولت كل جهدها ارتداء أفضل مالديها من ملابس فاضحة ومهما كان الطقس بارداً، ارتدت فساتين قصيرة في الصالون. في الصيف، عالجت المسألة بإضافة أطراف مزركشة للتنانير، وخلال الشتاء كانت ترتدي أحذية جلدية طويلة. كانت تنادي كل زبون لديها "ياسكر، وتمضغ العلكة باستمرار. اعتادت مابل وجولي على الضحك على النظرات الحالمة التي كان الرجال يطلقونها على أندريا وهم يحدقون إلى صورتها في المرآة. حسب رأيهما أن أندريا استطاعت أن تقص شعر الزبون بشكل عرضي بحيث يمكن أن يعود فوراً بعد فترة قصيرة بالرغم من مظهرها الخارجي، تعاملت أندريا بسذاجة مع الرجال. أوه، اعتقدت أنها خبيرة برغبات الرجال، ومعظم الأوقات كانت محقة في ذلك. لكن الذي لم تفهمه أندريا ولم تعرف كيف تفعله هو كيف تجعل الرجال يلاحقونها. لم يخطر في بالها أبداً أنه من الممكن أن تلفت انتباه رجل محدد على حساب الآخر. لم يكن عندها أية مشكلة في إجراء مواعيد مع الرجال الذين يضعون وشماً أو مع السكيرين الذين يرتادون الكليبر، أو الشبان المتملصين، لكنها عجزت عن أجراء مواعيد مع الرجال الذين لديهم وظائف ثابتة.

على الأقل هذا ماكانت تصارح نفسها به عندما تكون في أحد مزاجاتها

السيئة. في الواقع، كانت أندريا مطلوبة بشكل دائم من قبل العمال الجديرين بالثقة، لكن يبدو أنها لم تهتم لأمرهم بسرعة، كذلك لم تتذكر في الحال أنهم حتى يرغبون بلقائها. في آخر ثلاثة أشهر، خرجت مع سبعة شبان، أحدهم يضع وشماً عمره واحد وثلاثون عاماً، واثنان منهم من الشبان المخلصين، وهي الآن تشعر بالحسرة قليلاً على نفسها. كان عليها يوم السبت أن تدفع ثمن الغداء والفيلم لأن الشاب الذي واعدها مفلس، ولكن هل سيطلب منها لقاءً هذا الصباح؟ لا. بالطبع لا. لن يفكر في مقابلتها اليوم. فالشباب لايطلبون موعداً معها أبداً، مالم يكونوا بحاجة إلى نقود أو يشعرون بشيء من العزلة، كما يعبِّر معظمهم عنها.

لكن هذا الصباح جاء ريتشارد إلى الصالون، ليسأل عن جولي والأسوأ من هذا، من المحتمل أن جولي لاتستطيع أن تدفع له ثمن الغداء. تساءلت أندريا، "لماذا تظفر جولي بكل الشبان المتميزين؟" ثم إنها لم تكن تعتني بهندامها بشكل حسن. بدت معظم الوقت بلباس بسيط للغاية، جينزاتها وبلوزاتها الفضفاضة - ولنتكلم بصراحة أكثر - أحذيتها القبيحة المظهر. حتى أنها عندما كانت تخرج في موعد ما لم تكن تهتم بمظهرها، فأظافرها غير مطلية بالمنكير، ولم تكسب لوناً برونزياً على الإطلاق إلا في الصيف وهذا ليس استثناءً لأن الجميع بمقدورهم اكتساب هذا اللون خلال فترة الصيف. إذاً لماذا كان ريتشارد مغرماً بـ جولي إلى هذا الحد؟

كانتا معاً في الصالون عندما دخل ريتشارد ليقص شعره في الأسبوع الماضي، وكانتا تأخذان استراحة اثناء الدوام، ونظرتا معاً إلى ريتشارد وقالتا مرحباً في الوقت ذاته. لكن ريتشارد طلب من جولي أن تقص له شعره، وبطريقة ما أدى ذلك إلى لقاء بينهما. تجهمت اندريا وهي تفكر بذلك.

"أوش..."!

جعلها نباح الكلب ترجع إلى حاضرها، فنظرت أندريا إلى صورة زبونها في المرآة. إنه محامٍ في أوائل الثلاثينيات. كان بفرك رأسه أيضاً، سحبت أندريا يديها إلى الخلف.

"ماذا حدث ياسكر؟..."

"إنك توخزين رأسي بالمقص."

"حقاً"

"ياه. المقص يؤذيني"

حرّكت أندريا رموشها. " أسفة، ياسكر. لم أقصد إيذاءك. لست غاضباً مني، أليس كذلك؟."

"لا .... في الحقيقة لا"، أجابها أخيراً وهو يبعد يده عن رأسه. نظر ثانية إلى المرآة، وهو يراقب عمل أندريا.

"ألا تعتقدين بأن شعري أطول من إحدى الجهتين؟."

"أين؟."

أشار بإصبعه: " هنا. لقد قصصت هذا الجانب أكثر من ذاك"

غمزت أندريا بعينيها مرتين، ثم أمالت رأسها ببطء من جانب إلى آخر: " أعتقد أن المرآة مائلة"

كررّ ما قالته: " المرآة؟."

وضعت يدها على كتفه وابتسمت: " حسنٌ، أعتقد أنك تبدو وسيماً يا سكر."

"هل تعتقدين ذلك حقاً؟."

عبر أرجاء الغرفة، وبالقرب من النافذة، كانت مابل تقرأ جريدتها.

لاحظت أن زبون أندريا أخذ يذوب في الكرسي تقريباً. هزت رأسها عندما عاودت أندريا القص من جديد .

بعد لحظة، شعر الرجل بالثقة مجدداً، فجلس باستقامة قليلاً.

قال: " اسمعي، لقد حصلت على تذاكر لزيارة التلة المقدسة في ريليه مدة أسبوعين. كنت أتساءل فقط إن كان لديك رغبة بمرافقتي."

لسوء الحظ أن أندريا شردت بذهنها ثانية وهي تفكر بـ ريتشارد وجولي. كانت مابل قد أخبرتها بأنهما سيذهبان إلى سلوكام هاوس. سلوكام هاوس! بالرغم من أنها لم ترَ المكان من قبل لكنها سمعت أن سلوكام هاوس مطعم خيالي، حيث تتصدر الشموع المضاءة الطاولات. كما أن الخدم هناك يعلقون لك معطفك. إن رغبت بذلك، في غرفة خاصة بالملابس. وأغطية الطاولات أنيقة جداً وليست من النوع البلاستيكي الرخيص الملون بالأحمر والأبيض. الشبان الذين يلتقون بها لايأخذونها إلى مكان جميل كذلك المكان. من المحتمل أنه حتى لم يجدوا أماكن كتلك.

أجابت بشكل أتوماتيكي: " أسفة، لكنني لاأستطيع."

حسب معرفتها بـ ريتشارد (بالطبع. على الرغم من أنها لم تعرف ريتشارد على الإطلاق)، من المحتمل أن يرسل أزهاراً أيضاً إلى محبوبته. ربما يرسل وروداً حمراء. وروداً حمراء! تخيلت الورود بوضوح وكأنها أمامها. لماذا تحظى جولي بالأشياء الجميلة؟

قال المحامي:"أوه ."

الطريقة التي تكلم بها أعادت أندريا إلى رشدها ثانية فقالت: " اعذرني، هل قلت شيئاً؟."

"لا شيء، قلت فقط "أوه "

لم تكن أندريا تعرف عما كان يتحدث زبونها. عندما توقعت ماكانت تفكر به، ابتسمت. بعد لحظة، أخذ الرجل يذوب ثانية في الكرسي. هنالك في زاوية الغرفة، خنقت مابل ضحكتها.

شاهدت مابل أن جولي تدخل من الباب بعد مرور دقيقة على دخول سنغر. كانت على وشك أن تقول مرحباً عندما قالت أندريا محاولة إخفاء سخطها: " لقد سأل عنك ريتشارد". كانت أندريا تكشط الطلاء من أظافرها بحيوية، وكأنها تحاول إزالة كل بقعة على أظافرها.

سألت جولي:" سأل عني؟ ناذا يريد؟."

طقَّت أندريا علكتها: " لم أزعج نفسي بالاستفسار. لا أعمل سكرتيرة لديك كما تعلمين."

هزت مابل رأسها، وكأنها تقول لـ جولي لا تقلقي بهذا الشأن. مابل البالغة من العمر ثلاثة وستين عاماً، كانت إحدى أفضل صديقات جولي - بالإضافة إلى كونها عمة جيم. فقد منحت مابل جولي فرصة للعمل ومكاناً للعيش فيه مدة إحدى عشرة سنة وهذه المدة كافية بالنسبة إلى جولي لتعرف بأنها ماكانت لتستمتع بصحبة مابل لولا حدوث تلك الأمور.

لم تكترث جولي لأطوار مايل الغريبة قليلاً، مادامت تعاملها بلطف خلال فترة إقامتها هناك، تعلمت جولي أن كل شخص تقريباً في البلدة له طباع مختلفة تميز شخصيته. لكن مابل اختارت أن تمارس غرابة أطوارها في هذه البلدة الصغيرة الجنوبية المحافظة، ولم يكن الأمر بهذه البساطة لأنها تميزت بخاصيات لم تسبب الأذى لأحد. كانت مابل مختلفة بالمقارنة مع الآخرين في البلدة، ولقد أدركت هي والآخرين ذلك جيداً. على الرغم من المتقدمين الثلاثة الذين طلبوها للزواج، فهي لم تتزوج أبداً، وهذا الأمر

لوحده أقصاها بعيداً عن النوادي الليلية المختلفة وعن مجموعة الناس الذين في مثل عمرها. لكن حتى وإن تجاهلت أطوارها الغريبة الأخرى- حقيقة أنها تسمح للرجال المتأنقين بالدخول إلى الصالون مالم يكن الجو ماطراً- مازالت مابل تعتبر إنسانة غريبة الأطوار بشكل إيجابي بسبب أمرما فعلته من مضي ما يزيد عن ربع قرن. عندما كانت في السادسة والثلاثين من عمرها، بعد أن أمضت حياتها بأكملها في سوانزيورو، سافرت دون أن تخبر أحداً عن مكان وجهتها وحتى أنها لم تخبر أي شخص أنها مصممة على الرحيل على الإطلاق. خلال ثماني السنوات التالية، كانت ترسل بطاقات بريدية إلى عائلتها من كل أنحاء العالم، من أيرس روك في أستراليا، ومن كليمانغارو في أفريقيا، وميناء هونغ كونغ، ومن واويل في بولندا. عندما عادت أخيراً إلى سوانزبورو- حيث عادت بشكل غير متوقع إلى موطنها الأصلي- عادت إلى المكان الذي انطلقت منه وإلى المنزل نفسه وباشرت عملها في الصالون من جديد .لم يعلم أي أحد لماذا فعلت مابل ذلك أو من أين حصلت على المال اللازم للسفر أو حتى كيف تدبرت أمرها واشترت الصالون من مضي عام، ولم تجب على الأسئلة و الاستفسارات حول هذه المسألة. كلما طرحت أمامها أية تساؤلات كانت مابل تجيبهم وهي تغمز بعينيها، " إنه لغز غامض "، وهذا ما يثير فضول الناس أكثر فتزداد حماستهم وأقاويلهم ليس عن ماضي مابل الفاضح فحسب، بل عن امتلاكها أكثر من كأسين من الخزف الصيني.

لم تهتم مابل لما يظنه الناس بها، وهذه الميزة التي كانت بالنسبة إلى جولي جزءاً من السحر الذي امتلكته مابل. ارتدت مابل ماتفضله من ملابس وصاحبت الناس الذين ترغب بصحبتهم، وفعلت كل الأشياء التي

ترغب بها. أكثر من مرة تساءلت جولي إن كانت خاصيات مابل حقيقية بالفعل أم أنها تتصرف ذلك لكي تثير تساؤلات الناس حولها. في كل الأحوال، أغرمت جولي بكل صفاتها بالرغم من ميولها للتدخل في شؤون الآخرين.

سألت مابل: " إذاً كيف سارت الأمور بصحبة ريتشارد؟."

قالت جولي:"حسناً، للأمانة، لقد شعرت بالقلق عليك معظم الوقت. أعتقد أنك ربما تشلّين عضلة رقبتك إذا أجهدت نفسك دائماً وحاولت أن تمطي رأسك أكثر بهدف الإصغاء إلى الراديو."

قالت مابل: "أوه، لا تقلقي بشأني. توعكت قليلاً لكنني نهضت في اليوم التالي وأنا بأحسن حال. ولكن كفّي عن تغيير الموضوع. هل سارت الأمور على ما يرام؟."

"سارت كما يجب، باعتبار أنني قابلته."

"لاحظت أنه بدا تقريباً وكأنه تعرّف عليك في مكان ما."

"لماذا تقولين ذلك؟."

"لا أعرف. أظن بسبب تعبيراته، أو ربما بالطريقة التي كان يتأملك فيها طوال الليل. ولسبب ثاني أعتقد بأن عينيه كانتا مُتَّصلتين بك بخيط غير مرئي."

"لم يكن ذلك واضحاً، أليس كذلك؟."

"حبيبتي، بدا وكأنه بحار يغادر الشاطئ، مراقباً عرضاً للفتيات."

ضحكت جولي وهي تنزلق داخل ثوبها الفضفاض. " أظن أنني بهرت ناظريه."

"أعتقد ذلك."

شيء ما بدا غريباً في نبرتها جعل جولي تحدّق إليها بإمعان." ماذا؟ ألا تحبينه؟."

"لم أقل ذلك. تذكري، حتى أنني لم أقابله بعد؟ كنت في الخارج عندما دخل الصالون، وأنت لم تقدميني له يوم السبت. كنت مشغولة جداً بالتحديق إليه". غمزت مابل." بالإضافة إلى أن أسلوبي في الرومانسية قديم الطراز. طالما أن الرجل يصغي إليك ومهتم بك وبما تقولينه، فمظهره الخارجي ليس بالأمر المهم."

"ألا تعتقدين أنه بهي الطلعة؟."

"أوه، تعلمين أنني- أنني منحازة أكثر إلى الشبان الذين يأتون ليسألوا عن أندريا. أعتقد أن أنماط الوشم التي تنقشها أندريا على أذرع الرجال مثيرة للإغراء."

ضحكت جولي:" لا تدعي أندريا تسمعك،سوف تستاء."

"لا، لن تستاء. مالم أسحب الصور، لن تعلم من هو الشخص الذي كنا نتحدث عنه."

في تلك اللحظة تأرجح الباب، وفتح، ودخلت منه امرأة. كانت تلك أول زبونة في ذلك اليوم تأتي إلى جولي وأول زبونة لدى مابل، امرأة أخرى لحقت بها بعد مرور لحظة.

"إذاً ..... هل تنوين الخروج معه مجدداً؟."

"لا أعرف ولكنني من المحتمل أنني سأرافقه إذا طلب مني موعداً."

"هل ترغبين به؟."

قالت جولي بصراحة:" ياه، أعتقد ذلك."

ومضت عينا مابل:" حسناً..... مالذي سيقوله حبيبك بوب؟ سينفطر قلبه".

"إذا جاء ثانية، ربما سأخبره أنك مهتمة به."

"أوه، افعلي ذلك أرجوك، احتاج إلى من يساعدني في تسديد الضرائب" صمتت مابل ثم قالت:" إذاً كيف ستكون ردة فعل مايك؟."

كانت مابل قد شاهدتهما وهما يتبادلان الحديث، بينهما كانت في إحدى جلساتها أمام النافذة.

هزت جولي كتفيها استهجاباً فقد عرفت أن مابل ستسألها عن مايك .

"ستكون ردة فعله جيدة. تعلمين أنه شاب طيّب."

"أجل أنه كذلك."

لم تلح مابل أكثر من ذلك على جولي، بعد أن أدركت أنه من الحكمة التزام الصمت وعدم الضغط عليها. حاولت قبل مضي بضع دقائق ولكن دون جدوى. حسب رأيها من المؤسف أن لاتسير الأمور بينهما على أحسن مايرام. اعتقدت بأن جولي ومايك سيشكلان ثنائياً رائعاً. وبالرغم من أية تصورات لدى إحداهما، كانت على ثقة أن جيم لن يمانع على الإطلاق.

عليها أن تعرف بعد كل هذا أنها كانت عمته.

بينما كانت شمس الصباح ترسل أول موجاتها الحرارية في أوائل الصيف، التصق مفتاح الربط في سيارة مايك على البرغي في الجزء الداخلي للمحرك. وبعد صراع معه في محاولة يائسة لتحريره، بذل مايك جهداً مضاعفاً فجرح ظاهر يده. بعد تعقيم الجرح وتضميد يده، حاول من جديد تحرير المفتاح دون جدوى. ابتعد عن السيارة وهو يلعن نفسه بعد خيبة أمل ومحدقاً إليها بتعبيرات باردة، وكأنه يحاول استعطاف السيارة أن تفعل ما يعجز هو عن فعله. أمضى فترة الصباح كلها وهو يرتكب الحماقة تلو الأخرى وفي نهاية الأمر لم يستطع. حتى فك مفتاح الربط الأحمق ذاك.

بالطبع لم يكن ذلك خطؤه بشكل كامل. جولي أيضاًب حسب اعتقاده تتحمل المسؤولية إذ كيف عليه التركيز على عمله وهو لا يستطيع منع نفسه من التفكير بموعدها الممتع مع ريتشارد؟.

تساءل:" ماهو الشيء الجميل في موعدها؟ ومالذي قصدته بالممتع؟."

أدرك أنه لا توجد سوى طريقة واحدة للحصول على الجواب الشافي. ولكن هل يملك خياراً آخر؟ فهو لا يستطيع الذهاب إلى الصالون ليطلب مقابلتها شخصياً. في حضور جولي. هذا لم يترك له سوى خياره الوحيد وهو هنري.

هنري الأخ الأكبر واللطيف والطيّب والقلب.

فكر مايك،" ياه، هذا صحيح."

استطاع هنري سابقاً أن يخبره بما يجري، لكن لااالا، عليه مناقشة الأمر معه. عرف هنري ماهية الصراع الداخلي الذي كان يعاني منه مايك عندما غادره تاركاً الحديث معلقاً على ذلك النحو. أراد من مايك أن يعود متوسلاً للحصول على معلومات تخص جولي. أراده أن يرجع زاحفاً وأن يعاني العذاب قليلاً.

"ياه، حسناً، ليس الآن، قرر مايك تأجيل اللقاء مع أخيه. اقترب مايك ثانية من السيارة وبدأ في محاولة جديدة لفك مفتاح الربط. مازال عالقاً. تساءل مايك وهو ينظر من فوق كتفه إن كان باستطاعته استعمال مفك براغي ليساعده في انتزاع مفتاح الربط. قرر المحاولة، ولكن بعد أن همّ بالمباشرة. سمع ثانية صوت جولي، فانزلق مفك البراغي من قبضته.

كان الصوت يرن في أذنيه من جديد عندما قالت جولي:" إنه لقاء جميل وممتع."

عندما بحث ثانية عن مفك البراغي، وجده قد انزلق بعيداًمثيراً جلبة في الأسفل مثل كرة الباشينكو وتوارى عن الأنظار. انخفض قليلاً للبحث عنه، لكن بالرغم من معرفته بكل شيء فحص هذا المحرّك المميز، لم يعرف أين اختفى.

وقف مايك معيداً حساباته بدقة.

فكر ملياً:" رائع، حقاً رائع. الرنش عالق، ومفتاح البراغي انزلق داخل حفرة ميكانيكية سوداء، وأنا هنا لم أفعل حتى الآن أي شيء. أعمل منذ ساعة، وإذا بقيت على هذا المنوال توجب علي إحضار طلبية جديدة مع ملين سوتر."

لا بدَّ من الذهاب إلى هنري والحديث معه. إنها الطريقة الوحيدة للتخلص من عذاباته.

أمسك مايك بالمنديل، وبدأ يمسح يديه وهو يخرج من الكراج، شاعراً بالاشمئزاز لما آلت إليه حاله، ولأنه مضطر إلى اختيار الطريقة المثلى لطرح السؤال. عرف بأن التحدي هنا يتجلى في قدرته على أن لا يطلع هنري على سبب اهتمامه الشديد بالأمر وبالوقت ذاته يحصل على الجواب الشافي. من الأفضل طرح النقاش بشكل طبيعي، أو أن يتوقف هنري عن إنهاء الجدال بفرك أنفه. غالباً ما تصرف أخوه بهذه الطريقة. من المحتمل أن يمضي مايك الصباح كله استعداداً للأسلوب الذي سيطرح من خلاله السؤال. مع أناس مثل أولئك، هنالك طريقة وحيدة للعمل لذلك لابدّ من استعمال فن التحايل الجميل. بعد أن أخذ استراحة لكي يضع خطته، اندفع مايك إلى مكتب هنري.

كان هنري جالساً خلف مقعده في مكتبه الفوضوي، ويضع طلبية قرب

الهاتف. أمامه مباشرة كانت هنالك رزمة من السكاكر وإلى جانبها علبة بيبسي. غالباً ما كان هنري يخبئ الحلويات في درجه، ليعوِّض وجبات العشاء الصحية التي كانت تجهزها له إيما. لوِّح له هنري بيده فاتخذ مايك لنفسه مقعداً قبالة مقعد أخيه.

قال هنري:"لم تنجح الصفقة مع التاجر في جاكسونفيل. لن يؤمنوا لنا المفتاح الكهربائي الذي تحتاج إليه من أجل سيارة الفولفو، إلا في غضون أسبوع آخر، ذكرّني كي أتصل بـ ايفلين، هلا سمحت؟"

قال مايك:" بالتأكيد."

"ماالذي يدور في رأسك ياأخي الصغير؟."

بالطبع أدرك هنري مسبقاً أن مايك بحاجة للحديث معه. التعابير التي رسمت على وجه أخيه شرحت الموضوع ببساطة، وبالرغم من أنه استطاع أن يدخل مباشرة بالحديث وأن يخبر أخاه بما قالته مابل، لكنه لم يفعل. كان هنالك شيء ما يشعره بالراحة والغبطة بقية يومه وهو يرى مايك يتملّص دائماً ويعاني صراعاً داخلياً.

قال مايك:" حسناً، أفكر أنه ربما علي البدء بالذهاب إلى الكنيسة برفقتك وبرفقة العائلة من جديد."

وضع هنري إصبعه على ذقنه مفكراً. " تلك طريقة ذكية للمباشرة في الموضوع. إنها طريقة غير ناجعة، ولكنها في نهاية الأمر ذكية."

أجاب هنري مخفياً ابتسامته:" أوه، حقاً؟."

"يا. الأمر سيكون في صالحي."

أحنى هنري رأسه:" مم...... ربما أنك على حق. تريدني أن أقابلك هناك، أم أنك ترغب في مرافقتي؟."

نهض مايك من مقعده:"قبل أن نناقش هذه المسألة- أريد فقط التعرف على الكاهن الجديد. أقصد، هل هو كما يقولون الناس عن مواعظه؟ هل يناقشون مواعظه بعد تأدية الواجب؟."

"أحياناً"

"لكن الناس يتبادلون الحديث بعد الخروج من الكنيسة"

"بالتأكيد. سوف تكتشف ذلك هذا السبت. سنذهب عند الساعة التاسعة."

"التاسعة، أوكي، جيد."

أخفض مايك رأسه، والتزم الصمت لحظة:" حسنّاً، على سبيل المثال فقط، ماالحديث الذي دار بين الناس بعد موعظة السبت الماضي؟."

"أوه، حسناً، دعنا..........." لوَّح هنري بإصبعه مدعياً التركيز والاهتمام. "لنفكر في الأمر، في الواقع لا أعرف. كنت أتحدث مع مابل."

فكر مابل وهو يبتسم ضمنياً، رائع. تماماً كما خططت. إنني سيد المحتالين."

سأل مايك:" ما بك، هاه؟."

تناول هنري قطعة سكاكر وهو يلوح بيده متكأً في كرسيه، ويتحدث بينما كان يمضغ. "يا. عادة ما تذهب باكراً إلى الكنيسة، لكنني أظن بأنها كانت تركض مؤخراً لتصل في موعدها. تحدثنا لفترة طويلة. أخبرتني أمور تافهة لكنها ممتعة". صمت لحظة محدقاً للأعلى، وبدأ يعدّ الثقوب الصغيرة المرسومة في السقف القرميدي، بعد ذلك اندفع نحو مقعده ثانية وهو يهز رأسه.

"لكنك لا ترغب بسماع هذا مني. كنا لتونا نتحدث عن موعد جولي،

وأخبرتني مسبقاً بأنك لا تهتم بالأمر. وهكذا هل علينا اصطحابك يوم الأحد أم ماذا؟."

بعد أن أدرك مايك أن خطته تلاشت سدى، جلس هناك محاولاً استعادة قواه بدون جدوى.

"أوه.......... حسناً.".........

حدَّق هنري بأخيه، محاولاً أن يخفي الوميض الذي لمع في عينيه. "بالطبع إلا إذا غيرّت رأيك."

شحب لون مايك:"آه."........

ضحك هنري. كان يستمتع بإغاظة مايك، لكنه أدرك أن الوقت حان للتكلم بجدية. "أجبني على سؤالي يا مايك، لماذا تتظاهر بعدم رغبتك بمقابلة جولي ؟."

قال هنري وهو يتكأ إلى الأمام.

أجاب مايك وقدّ توردّ:" إننا صديقان". كان الجواب أتوماتيكياً.

تجاهل هنري جوابه. " هل جيم هو السبب؟"

عندما لم يجب مايك، وضع هنري السكاكر جانباً. " مضى الآن على وفاته وقت طويل. لاتظن أن الأمر يبدو وكأنك تسرق زوجته."

"إذاً لماذا تصرَّفت هكذا وكأنك لا ترغب أن أرافقها؟ كما فعلت الصيف الماضي عندما كنا في رحلة بحرية؟."

"لأنها تحتاج إلى متسع من الوقت يا مايك. وأنت تعلم ذلك. العام الماضي لم تكن على استعداد لمقابلة الآخرين أو حتى من انقضاء ستة أشهر. لكنها الآن مستعدة."

لم يكن مايك متأكداً مما يقوله. ولم يفهم كيف لـ هنري أن يكون على دراية كافية بالموضوع، وبهذا القدر من المعرفة.

أجاب أخيراً: "الأمر ليس سهلاً"

"بالطبع ليس سهلاً، هل تعتقد أن مناقشة الموضوع مع إيما لأول مرة كان سهلاً بالنسبة لي؟ لقد التقت بالكثير من الشبان الذين أخذوا يخطبون ودها، لكنني توقعت أن أسوأ ما يمكن أن نفعله هو أن ترفض طلبي."

"هيا .... أخبرتني إيما بأنها كانت معجبة بك قبل أن تطلبها للزواج. أنتما الاثنان كنتما متحديين لبعضكما."

"لكنني لم أكن على علم برأيها بي، ومع ذلك فعلت ما كان علي فعله."

تبادلا النظرات: "لكنها لم تكن متزوجة من صديقك."

قال هنري: " لا. ولكننا لم نكن صديقين قبل أن تزوج مثلك أنت وجولي."

"صداقتنا هي السبب في صعوبة الأمر. ماذا لو تغيَّرت الأحوال بيننا؟."

"لقد تغيرت مسبقاً ياأخي الصغير."

"ليس صحيح."

بالتأكيد صحيح والإ لما سألتني عن طريقة لمقابلتها، أليس كذلك؟

جولي نفسها أخبرتك مسبقاً أن وضعها تغير، لقد حدثتك عن بوب، أليس كذلك؟

لم يكن لدى مايك أية إجابة على أسئلة هنري، ولكنه بعد أن غادر مكتبه بدقيقة، أدرك أن هنري على حق.

الفصل الرابع

رفع سنغر رأسه من قلب الحرَام حالما دخل ريتشارد الصالون، وبالرغم من أنه كان ينبح، بدا صوته مخنوقاً، وكأن جولي وبخته من جديد

"هيه، سكر؟ جئت إلى هنا لكي تقص شعرك؟" سألت أندريا مبتسمةً. كان يرتدي بنطال جينز، وقد فك زر قميصه القطني الأزرق اللون من الأعلى، تاركاً مسافة كافية فقط لإظهار شعر صدره المجعد. ويا للعينين الجميلتين. "سأعود بعد دقيقتين."

هز ريتشارد رأسه:" لا، أشكرك. هل جولي هنا؟"

تلاشت ابتسامة اندريا. قالت مكشرّة وهي تفرقع علكتها وتشير بيدها نحو الصالون:" يا، إنها هنا."

كانت مابل قد سمعت صوت جلجلة الجرس، فخرجت من خلف الحاجز، سألت:" أوه..... ريتشارد، صحيح؟ كيف حالك؟" وضع ريتشارد يديه أمامه فوق بعضهما. تعرف عليها بعد أن تذكر أنه رآها في تلك الليلة في المطعم، بدت تعابير وجهها مريحة، فأدرك أنها لا تزال تقدّره.

"بخير، ماما، أشكرك. كيف حالك؟"

"جيدة، ستحضر جولي بعد دقيقة. إنها تجفف شعر زبونة لديها، ولكنني سأعلمها بمجيئك."

"أشكرك."

بالرغم من أنه لم يلتفت نحوها، عرف ريتشارد أن أندريا لا تزال تراقبه. لقد صدمت، هذا ما سيقوله معظم الناس عنها، لكنه لم يكترث لأمرها على الإطلاق. انجذبت بقوة لجماله، وكأنها كانت تحاول مقاومته بجهد كبير. لكن ريتشارد أحب النساء اللواتي يتصرفن بحكمة، مثلما فعلت جولي.

"ريتشارد؟"، قالت جولي بعد مرور لحظات. ابتسمت له وهي معجبة بمظهره الجميل.

وقف سنغر على الحرام ولحق بها، لكنها وضعت يدها على رأسه لتمنعه. تجمد في مكانه، وتوقف عن النباح.

أجاب ريتشارد:" هيه هناك. أظن أنه تعوَّد علي، هاه؟."

حدقت جولي بسنغر:" هو؟ أوه، لقد تحدثت للتو. أعتقد أنه الآن على أحسن مايرام."

"تبادلتما حديثاً؟."

"أنه يصبح غيوراً."

"غيوراً؟."

هزت جولي كتفيها:" أنك بحاجة إلى أن تعاشره حتى تفهمه بشكل جيد."

رفع ريتشارد حاجبيه، لكنه لم يعلّق .

سألت جولي:" كيف تسير أمورك؟."

"أعتقد أنني جئت لأسألك عن أحوالك."

"أنا بخير، لكنني مشغولة في هذه اللحظة. استغرقت في العمل طوال فترة الصباح. لماذا لست في عملك؟."

"لطف منك أن تسأليني. اعتباري مستشاراً منحت نفسي إجازة قصيرة فقررت المجيء إلى هنا."

"فقط لكي تراني؟ ."

"لا أستطيع التفكير بأي أمر أفضله ."

ابتسمت. " لدي متسع من الوقت يوم السبت."

"وكذلك أنا". نقل ريتشارد نظره بين مابل وأندريا، وبالرغم مما بدا عليهما أنهما مشغولتان بعملهما، أدرك جيداً أنهما تنصتان إلى حديثه مع جولي." هل تعتقدين أنه باستطاعتك أخذ استراحة قصيرة لكي نتحدث خارجاً؟ جئت إلى هنا في وقت مبكر لكنني لم أجدك."

"أود ذلك، لكن لدي زبونة بانتظاري."

"لن آخذ من وقتك الكثير."

ترددت جولي وهي تنظر إلى الساعة.

أضاف ريتشارد:" أعدك. أعلم أنك مشغولة."

استغرقت بضع دقائق وهي تراجع حساباتها. قالت:" أظن أن ذلك مناسب ولكنني لا استطيع التأخر". وإلا سأمضي بقية اليوم وأنا أحاول تثبيت اللون. أعطني ثانية فقط لكي أتأكد من عملي، هلاّ سمحت؟."

"بالتأكيد."

ذهبت جولي لتكشف على زبونتها ثانية. كانت المرأة تريد صبغ شعرها باللون الأشقر، لذلك غطت رأسها بقبعة بلاستيكية مثقوبة بعدة ثقوب. خرجت خصلات الشعر من خلال الثقوب، وكانت ملفوفة بمادة غروية بنفسجية اللون. تأكدت جولي من اللون، واستدارت نحو المجفف الكهربائي، حيث استغرقت وقتاً إضافياً، ثم خرجت ثانية.

قالت وهي تمشي نحو الباب:" كل شيء على مايرام. أنني مستعدة"

لحق بها ريتشارد. وأغلق الباب خلفهما، وبدأ الجرس يجلجل ثانيةً.

"إذاً. ما الموضوع الذي تريد أن تحدثني عنه؟."

هز ريتشارد كتفيه:" في الواقع لاشيء مهم. أريد فقط رؤيتك."

"أنت شاب ساحر."

"لا على الإطلاق."

"ولكن لماذا؟."

قال وقد ارتسمت البراءة على وجهه:" حقيقةً لست متأكداً."

"وجدت بطاقتك. كان ينبغي عليك ألا تفعل ذلك."

"أعلم، لكنني أردت فعل ذلك."

"ألهذا السبب جئت إلى الصالون هذا الصباح؟ لكي تتأكد أنني قرأت البطاقة؟."

"لا. أردت فقط سماع صوتك. ألا تعتقدين أن ذلك يشكل ذكريات طيبة في نفس المرء؟."

"أجل."

"إنني مفتون بك."

نظرت إليه جولي بتمعن، مغازلة كهذه بادرة جميلة للاستهلال. بيوم جديد. بعد لحظة، بدأ ريتشارد يشد ساعته بقوة.

"ولكن في الواقع، بالإضافة إلى رغبتي برؤيتك، هنالك سبب آخر جعلني هنا."

"أوه. إنني على وشك أن أسمع الحقيقة، هاه؟."

ضحك ريتشارد:" شيء من هذا القبيل. الحقيقة التي أرغب إطلاعك عليها هي أنني أريد دعوتك للخروج معي ثانية يوم السبت."

تذكرت جولي بعد أن أحست بوخزة صغيرة، أنه من المفترض أن تتناول الغداء يوم السبت مع إيما وهنري ومايك.

"أودّ ذلك، لكنني لاأستطيع دعاني أصدقائي للعشاء في منزلهم. هل نستطيع الذهاب يوم الجمعة؟ أو ربما أثناء أيام الأسبوع؟."

هز ريتشارد رأسه:" أتمنى لو أستطيع، لكنني ذاهب إلى كليفلاند هذا المساء، ولن أعود حتى يوم السبت. اكتشفت لتوي أنه ينبغي علي الخروج من البلدة ثانية في عطلة نهاية الأسبوع القادم. الأمر ليس مُلحاً إلى هذه الدرجة، ولكن من غرائب الأشياء أنه يتوجب علي الالتزام". صمت قليلاً:" هل أنت واثقة أنك لاتستطيعين الذهاب؟."

"قالت جولي وهي تحاول أن تتلاعب بالكلمات، متمنية أن لاتلفظها كما هي:" حقيقةً لا استطيع.أنهم أصدقاء طيبون لا أستطيع الاعتذار منهم في آخر دقيقة."

تغيرت ملامح وجه ريتشارد لحظة من الزمن، ولكن رجع إلى طبيعته في الحال، وقال:" أوكي."

"أسفة"، قالت على أمل أنه أدرك بأنها لفظت الكلمات عن قناعة تامة.

"لا تقلقي بهذا الشأن"، بدا ريتشارد، وكأنه ينظر إلى الفراغ قبل أن يركز ناظريه على جولي ثانية:" اسمعي، هذه الأمور تحدث دائماً. ليست معضلة كبرى. ولكنك لن تمانعي إن اتصلت بك في ظرف هذين الأسبوعين، أليس كذلك؟ أقصد عندما أعود؟ ربما تستطيع تنظيم موعد مناسب بيننا."

قالت جولي:" حسناً. تستطيع حضور العشاء معي. أنني واثقة من أن أصدقائي لن يمانعوا وجودك."

هز ريتشارد رأسه:" لا. إنهم أصدقاؤك، وأنا في الواقع لست خبيراً في لقاء أناس جدد. لست خجولاً على الأطلاق، أظن- أنني أريدك أن - لاتغيري خططك لأجلي". ابتسم وهو يومئ نحو الصالون. " اسمعي، جعلتني أعدك بأن لا أؤخرك، وأنا من الشبان الذين يلتزمون بوعودهم. بالإضافة إلى أنه علي العودة إلى عملي أيضاً " ابتسم ثانية. " بالمناسبة، تبدين رائعة الجمال."

بينما استدار ليغادر وقبل أن تتمكن من إيقافه، نادت عليه جولي: " انتظر."!

توقف ريتشارد." أجل؟."

"سيتفهم أصدقائي الأمر. أليس كذلك؟. حسناً. أن لم تذهب الأسبوع القادم إلى البلدة، ربما استطيع تغيير مخططاتي. سأتحدث مع إيما. واثقة بأنها لن تمانع."

"لا أريدك تأجيل موعدك."

"ليست بالمعضلة الكبرى ...... إننا مع بعضنا طوال الوقت."

سألها :" هل أنت واثقة؟."

"يا، إنني واثقة."

تأملها وكأنه يراها لأول مرّة." هذا رائع ......"، وقبل أن تدرك مالذي يحدث، مال عليها وقبلها.

لم تكن قبلة حارة وطويلة، وإنما قبلة عابرة .

تمتم لها :" أشكرك."

وقبل أن تفكر جولي بأية كلمة، استدار ريتشارد ونزل إلى الجانب الآخر. كل ما استطاعت فعله هو أن تراقبه.

"هل قبلها؟"، سأل مايك، فاتحاً فاهه .

في وقت مبكر، كان واقفاً بالقرب من فسحة الكراج المفتوحة عندما شاهد ريتشارد يتمشى على الشارع. راقب ريتشارد وحده، وراقب جولي وريتشارد وهما يخرجان معاً، وكان هنري يتمشى هناك عندما شاهد ريتشارد يميل إلى جولي ويقبلها.

أجاب هنري:" هذا ما بدا لي."

"حتى أنهما لم يتعرفا على بعضهما بشكل جيد ."

"وتعرفا الآن ."

"أشكرك هنري- إنك تجعلني أشعر بأنني على أحسن حال."

"هل تريدني أن أكذب عليك؟."

تمتم مايك:" صحيح، أعتقد ذلك."

قال هنري مفكراً بكلماته." حسناً. تلك العاملة فتاة قبيحة بالتأكيد."

بعد أن أدلى هنري بتعليقه، وضع مايك رأسه بين يديه.

هناك عادت جولي إلى زبونتها .

قالت المرأة وهي تتذمر وتزيح مجلتها :" أعتقد أنك نسيت أمري."

تفحصت جولي لون بعض خصلات الشعر." آسفة. بشأن تأخري، لكنني كنت أراقب الساعة، يبدو أن شعرك مازال بحاجة إلى دقيقتين. إلا إذا أردت أن يصبح لونه غامقاً ."

"أعتقد أنه يجب أن يكون لونه أفتح، أليس كذلك؟."

"أعتقد هذا."

حصلت المرأة بالضبط على اللون الذي طلبته .

بالرغم من أن جولي عرفت بأن المرأة كانت تحدثها، لكنها لم تركز جيداً على ماكانت تقوله. وبدلاً من ذلك كانت تفكر بـ ريتشارد . وبما حدث للتو معها في الخارج.

لقد قبّلها.

بالطبع لم يكن حدثاً كبيراً، ولا حتى مشروع ضخم للأشياء. مع ذلك لسبب ما، لم تستطع منع نفسها من التفكير به، ولم تعرف في الحقيقة ما هو الشعور الذي انتابها. الأسلوب الذي حدث من خلاله المشهد حدث هكذا ....هكذا ..... لماذا هكذا؟

يا للدهشة؟

ذهبت جولي إلى المغسلة بحثاً عن الشامبو المناسب، وبينما مازالت تعاينه، جاءت مابل. إلي سألتها:

"هل صحيح ما رأيته للتو؟ هل قبلك منذ لحظة؟."

"في الواقع، قبّلني."

"لا تبدين سعيدة."

"لست متأكدة أن كلمة (سعيدة) يمكن أن تصف مشاعري."

"لماذا؟."

"لا أعرف. يبدو لي ....."، ترددت جولي، وهي لاتزال تبحث عن الكلمة المناسبة.

قدّمت لها مابل الكلمة المناسبة:" مفاجأة؟."

فكرت بها جولي. لم يبتعد كثيراً عن معنى الكلمة. لقد كانت منجذبة له، ووافقت على الخروج معه، لذلك لم تكن واثقة أن كلمة (مفاجأة) هي الكلمة الصحيحة. وفي الوقت نفسه، أدركت أيضاً أنه لو فعل ذلك بعد موعدهما يوم السبت المقبل، من المحتمل أنها لن تطلب منه تقبيلها على الإطلاق، السبت المقبل، ربما ستشعر بالإهانة إذا لم يحاول تقبيلها.

إذاً لماذا شعرت وكأنها تجاوز حاجزاً دون أن يطلب منها الإذن أولاً؟

هزت جولي كتفيها:" أظن أنها الكلمة المناسبة."

تمعن بها مابل ملياً. " حسناً، أودّ القول أن ذلك يعني أنه يتصرف معك بود كما فعلت أنت. بالرغم من أنني لم أفاجأ بكل ذلك. يبدو من الواضح أنه يمنحك مغازلة كاملة."

أخفضت جولي رأسها ببطء." أظن."

"تظنين؟."

"لقد ترك لي بطاقة على شرفتي. وجدتها هذا الصباح."

رفعت مابل حاجبيها مستغربةً.

سألت جولي:" هل تعتقدين أنه يبالغ في تصرفه؟. بما أنني تعرفت عليه للتو."

"ليس بالضرورة."

"ولكن هل من المحتمل أنه يبالغ؟"

"أوه، لا أعرف. ربما يكون من أولئك الشبان الذين يعرفون ما يريدون، وعندما يحققون مبتغاهم، يلاحقون هدفهم باستمتاع. قابلت الكثير من هذا النوع من الشبان. إنهم يطاردون فريستهم الجذابة. وكما تعلمين أنت الفريسة."

ابتسمت جولي.

قالت مابل بلا اكتراث: " أو ربما مجنوناً"

"أشكرك جزيلاً."

"لا مشكلة. ولكن بكل الأحوال. كل مايسعني قوله هو الترحيب بعالم المواعيد المدهش. كما أقول لكل شخص، إنه عالم غير ممل أبداً، أليس كذلك؟."

مضى وقت طويل جداً لم يضحك فيه ريتشارد بصوت عال، وداخل حدود سيارته، بدا الصوت أعلى مماكان.

إنه يصبح غيوراً، هذا ما قالته جولي عن كلبها. كأنها تعتقد بأنه مخلوق بشري ذكي.

أمضيا أمسية رائعة سوية. استمتع بصحبتها بالطبع، لكن أكثر ما أعجبه فيها مرونتها. لقد عاشت حياة قاسية، ومعظم الذين قابلهم كانو غلاظ القلب، لكنه الآن يحس بالنشوة وهو برفقتها.

كانت فاتنة الجمال أيضاً. تلك الابتسامة الطفولية المثيرة والتي ترسمها على وجهها عندما تنظر له ونظرة المشاكسة التي تبدو واضحة في عينيها عندما تناقش مخططاتها مع أصدقائها...... أحس أنه باستطاعته مراقبتها ساعات طوال دون أن يسأم منها.

قالت أنها أمضت وقتاً ممتعاً ليلة السبت.

كان متأكداً تقريباً أنها تمضي بصحبته وقتاً ممتعاً، ولكن عليه أن يراها اليوم ليتأكد أكثر. أدرك بأن الإنسان يفكر بأمور مضحكة في اليوم التالي من اللقاء. الأسئلة، الاهتمامات، الأشياء المثيرة للقلق ....

هل عليه أن يجرّب هذا، هل عليه قول ذلك؟ البارحة، استرجع في ذاكرته تفاصيل اللقاء، فتذكرا ملامح جولي والتعابير التي ارتسمت على وجهها، محاولاً أن يتبين أية معانٍ سرية في عباراتها، مقترحاً بأنه قد ارتكب خطأ ما.

ظل مستيقظاً، لم يستطع الخلود إلى النوم، حتى كتب أخيراً مذكرة ووضعها بحيث يمكن أن تجدها في صباح اليوم التالي. لكنه ليس في حاجة إلى أن يصاب بالقلق. لقد أمضيا وقتاً ممتعاً- لا، بل وقتاً رائعاً. ومن السخرية أن يعتبر نفسه مخطئاً بشأن هذا الأمر.

رنَّ هاتفه، نهض لينظر إلى لوحة الكاشف. إنه بلانسن من العمل. لا شك أن رئيس المحلفين قدّم أنباءً سيئة بخصوص جدول الأعمال، دائماً في جعبة بلانسن أخباراً سيئة. اختصاصه نقل الأخبار السيئة. ذلك مثير للإحباط والكآبة. قال بأنه مهتم برجاله، لكن ما قصده فعلاً هو أنه لا يريد من رجاله أن يعملوا بشكل دؤوب.

بدلاً من الردُ على الهاتف، استرجع ريتشارد ثانيةً في ذاكرته صورة جولي. لقد قدَّر عليه أن يقابلها بتلك الطريقة. كانت هنالك آلاف الأماكن الأخرى التي استطاع أن يرتادها في ذلك الصباح. لم يكن سبب اللقاء قصَّ شعره منذ أسبوعين، ولكن هنالك قوة مجهولة وجهته لكي يذهب إلى هناك ويدفع باب الصالون. إنه القدر.

رن الهاتف ثانية

أجل، انتهى الموعد، ولكن كان هناك أمر واحد.

اليوم، في طريقه إلى النهاية......

ربما لم يكن عليه أن يقبلّها، صحيح أن الأمر بدا وكأنه لم يخطط له، لكنه أحس ببهجة عارمة عندما ألغت مخططاتها. لكي تقابله ثانيةً.........

حدث اللقاء. بدا كل شيء مفاجئاً بالنسبة إليهما. ولكن هل كانت هناك مبالغة كبيرة، وسرعة في اللقاء؟

أجل، ربما اتخذ قراره، وقدم عليه. لكنه لم يكن مندفعاً.

من الأفضل أن يأخذ الأمور ببساطة أكثر عندما يقابلها في المرة الثانية. فليتركها تأخذ وقتها، ليعطها فرصة كي تعيد حساباتها بهدوء، دون أن يمارس أي ضغط عليها.

ليدع الأمور تسير بشكل طبيعي.

رنَّ الهاتف مرة ثالثة، لكنه استمر في تجاهله.

استرجع المشهد ثانية في مخيلته.

يا له من شخص ظريف!

الفصل الخامس

ليلة يوم السبت وأثناء العشاء، جلس ريتشارد خلف الطاولة متأملاً جولي بإمعان، وقد طغت على شفتيه ابتسامة خافتة كانت تداعبهما .

سألت جولي:" لماذا تبتسم؟."

بدا ريتشارد مستغرقاً في النظر إليها، لكنه استردّ وعيه، وارتسمت لمحة خجولة على وجهه.

"أسف. لكنني أبحرت لحظة في أحلام اليقظة."

" هل تراني مثيرة للضجرّ؟."

"لا على الإطلاق. إنني فقط سعيد جداً بصحبتك معي الليلة."

أحضر منديله ليمسح فمه، فتلاقت عيناه مع عينيها. " هل أخبرتك كم تبدين فاتنة الجمال هذه الليلة؟."

"حوالي اثنتي عشرة مرة."

"هل تريدينني أن أكف عن مغازلتك؟" ." لا . لست غريبة الأطوار، ولكن هنالك أمور أساسية في الحياة أحب أن تأخذ مكانها الطبيعي."

ضحك ريتشارد:" سوف أبذل قصارى جهدي كي تسير أمورك بشكل طبيعي."

كانا جالسين في باغيني، وهو مطعم مريح في مدينة مورهيد انبعث منه رائحة السمك والتوابل والزبدة الذائبة، إنه نموذج من الأمكنة التي ارتدى فيها الخدم اللباس الأبيض والأسود وكان الطعام يطبخ في مكان مجاور للطاولات. وضع زجاجة من التشاردوني غاصت في قلب دلو من الجليد بالقرب من الطاولة، سكب النادل كأسين منها، فبدا لونها أصفر متوهجاً في ظل الضوء الخافت. ظهر عند الباب وهو يرتدي جاكيتاً كتانياً، ممسكاً بباقة من الورود الحمراء وقد انبعثت منه رائحة كولونيا خفيفة.

سأل ريتشارد:" أخبريني ماذا فعلت خلال الأسبوع. ماالأشياء الممتعة التي حدثت أثناء غيابي؟."

"تقصد أثناء العمل؟"

"أثناء العمل، أثناء المسيرة الحياتية لايهم. أريد معرفة كل ما جرى."

"ربما الأجدر بي أن أطرح عليك سؤالاً كهذا."

"لماذا."

قالت:" لأن حياتي تخلو من كل متعة. أعمل في صالون جميل في بلدة جنوبية صغيرة، هل تذكر؟". تكلمت بمزاج جيد ومعنويات عالية، وكأنها لاتريد تعاطفا من أي شخص. "بالإضافة إلى أنني أدركت للتو بأنني لاأعرف الكثير عنك."

"بالتأكيد لا تعرفين."

"لم تخبرني عنك الكثير بعد، حتى لا أعرف ماذا تعمل بالضبط."

"أعتقد أنني أخبرتك بأنني مستشار، أليس كذلك؟."

"أجل، ولكنك لم تدخل في أية تفاصيل."

"هذا لأن عملي يثير الملل."

تظاهرت بالارتياب، وظل ريتشارد صامتاً يفكر قليلاً. "حسناً....... ماذا علي أن أخبرك....." صمت. "حسناً، تخيلي فقط شاب مثلي، يعمل خلف الكواليس، يعمل ليتأكد أن الجسر لن ينهار."

"هذا ليس عملاً مملاً."

"هذا مجرد أسلوب خيالي للقول بأنني أعمل مع عدد من العمال طوال اليوم، عندما أكون جاداً في الكلام، سأقول كما يعتبر معظم الناس بأنه عمل غير متحضر."

حدقت إليه بدهشة:" هل سيكون الاجتماع كذلك؟."

"أي اجتماع؟."

"الاجتماع في كليفلاند."

قال ريتشارد وهو يهز رأسه:" أوه....لا. هنالك مشروع آخر تستعد الشركة للالتزام به في فلوريدا، وهنالك الكثير من الأبحاث حول ذلك المشروع - تكلفة، الإسقاطات، إسقاطات حركة السير، الحمولات المتوقعة، وأمور كهذه. بالطبع لديهم عمالهم الخاصون بهم، لكنهم يستخدمون مستشارين مثلي لكي يتأكدوا بأن كل شيء يسير على مايرام حسب الخطة ويهدف الالتزام بالنظام دون بلكؤ. سوف تدهشين من هذا القدر الهائل من العمل الذي يسبق تنفيذ المشروع. إنني المسؤول الوحيد عن تدمير مساحات

شاسعة من الغابات، فقط من أجل تجهيز العمل الكتابي المطلوب من الحكومة، وفي الوقت الحالي لديَّ متسع قليل من الفراغ."

في ظل ضوء المطعم الباهت راقبته جولي. وجهه النحيل، الذي بدا تارةً خشناً وحيناً طفولياً، ذكرها بالرجال الذين كرسوا حيواتهم للترويج لإعلانات تجارية عن التدخين. حاولت، لكنها فشلت، أن تتصور فقط المظهر الطفولي الذي بدا على وجهه.

"ماذا تفعل في وقت فراغك؟ أقصد هواياتك؟."

"في الواقع ليس لدي هوايات كثيرة. فما بين العمل والسعي إلى المحافظة على صحتي لا أجد متسعاً كافياً من الوقت كي أمارس أي عمل آخر. ومع ذلك اعتدت على التقاط بعض الصور الفوتوغرافية. تلقيت بعض المحاضرات بهذا الخصوص في الجامعة، ولفترة قصيرة هنالك، في الواقع اعتبرت هذه الهواية مهنتي. حتى أنني اشتريت بعض التجهيزات. لكنها طريقة صعبة لتسديد الفواتير، إلا إذا رغب المرء في فتح استديو، وليس لدي رغبة في قضاء عطلة نهاية الأسبوع في التقاط صور فوتوغرافية لحفلات الأعراس، أو الأطفال الذين يقتادهم آباؤهم عنوة إلى الاستديو."

"لذلك فضلَّت بدلاً عن ذلك أن تكون مهندساً."

أومأ رأسه موافقاً. سارت المناقشة لفترة قصيرة بأسلوب هادئ، وتناولت جولي كأس نبيذها، وسألته:" هل نشأت في كليفلاند؟"

"لا. صار لي فترة طويلة لم أذهب إلى هناك. منذ حوالي سنة أو ما يقارب. في الواقع، نشأت في دينفر، وأمضيت جلَّ حياتي هناك."

ماذا يعمل والداك؟."

"عمل والدي في مصنع كيميائي. ووالدتي ربة منزل. على كل حال، كما تعلمين في بداية الأمر، التزمت بالبيت، فكانت تطهو الطعام وتنظف البيت. ولكن بعد وفاة والدي، كان عليها أن تعمل خادمة. لم تتقاضَ أجراً باهظاً، لكنها استطاعت أن تعيلنا إلى حد ما. للأمانة لا أدري كيف تدبَّرت أمورها."

"يبدو أنها امرأة مميزة"

"أجل كانت امرأة مميزة"

"كانت؟"

أسدل ناظريه إلى الأسفل، والنبيذ يتحرك كالدوامة في كأسه:

"تعرضت لجلطة دماغية منذ بضع سنوات و..... حسناً، لم تكن الأمور على مايرام. بالكاد كانت تدرك مايجري حولها، ولم تتذكرني على الإطلاق. في الواقع، لم تتذكر الكثير عن بقية الأمور. كان علي إرسالها إلى مكان في مدينة سولت ليك التي تناسب وضعها."

أجفلت جولي. بعد أن لاحظ ملامح وجهها، هزَّ ريتشارد رأسه: "ولكن الأحوال تتحسن. أنت لا تدركين. ولكنني صدقاً لا أتحدث عادة بهذا الموضوع. فهذا النوع من الحديث يؤدي إلى نهاية بائسة، ولاسيما عندما يسمع الناس بوفاة والدي أيضاً. أجعلهم يتساءلون ما معنى أن يكون المرء دون عائلة. لكنك لست بحاجة إلى إيضاح كهذا على ماأعتقد."

فكرت جولي، "لا لست في حاجة لذلك. أدرك تماماً ما تنمه العزلة".

" إذا هل غادرت دينفر؟ بسبب والدتك؟"

"ذلك سبب من الأسباب". حدق إلى الطاولة قبل أن يرفع بصره نحوها ثانية. "أظن أنه حان الوقت المناسب لكي أخبرك بأنني كنت متزوجاً. من امرأة تدعى جيسيكا. افترقنا أيضاً."

بالرغم من دهشتها أنه لم يخبرها من قبل عن زواجه، التزمت جولي الصمت. استطاعت أن تشعر به وهو يتساءل إن كان عليه الاستمرار بالحديث، لكنه أخيراً قرر الاستمرار، فقال بصوت فاتر:

"لا أعلم ما هو الخطأ الذي حدث. كنت أقضي طوال الليل وأنا أتحدث عن الموضوع وأحاول أن أجد له تفسيراً، ولكن صدقاً، لا أزال عاجزاً عن أتخيل الأمر. في نهاية الأمر، كان كل شيء دون جدوى."

"كم طالت مدة زواجكما؟."

تلاقت نظراتهما عبر الطاولة: "أربع سنوات، هل تريدين حقاً سماع التفاصيل؟".

" إذا كنت لا ترغب بذلك فلا داعي."

قال وهو يزفر ويضحك: " أشكرك. لاتتصورين كم أنا سعيد بقولك هذا."

ابتسمت: " إذاً كليفلاند، هه؟ هل تحب ذلك المكان؟"

"كل شيء هناك على مايرام، لكنني لا أتردد إليها كثيراً. عادة أظل لا أبرح مكاني كما أنا الأن. فبعد أن ينتهي هذا المشروع، ليست لدي أية فكرة عن المكان الذي سآوي إليه فيما بعد."

"أراهن أن المسألة صعبة في بعض الأحيان."

"أجل، إنها كذلك أحياناً، ولاسيما عندما أباشر العمل في الفنادق. هذا المشروع جميل لأنه سيتيح لي الفرصة للبقاء هنا فترة من الزمن حيث استطعت إيجاد مكان أستأجره. وبالطبع، تسنت لي الفرصة لمقابلتك."

بينما كان ريتشارد يتحدث عن مسيرة حياته، ذهلت جولي لهذا التشابه الكبير الذي جمعهما، بدءاً من كونهما ولدين نشأا في كنف الأم فقط وحتى قرارهما باستئناف الحياة في مكان جديد.

وبالرغم أن نهاية زواج كل منهما كانت مختلفة عن الأخرى، لكنها شعرت من خلال نبرته وهو يتكلم عن انفصاله عن زوجته، أنه عانى في نهاية الأمر بسبب الفراق.

خلال إقامتها في سوانزبورو، لم تقابل جولي أي شخص استطاع أن يفهم مامعنى أن تشعر بالوحدة، ولاسيما أثناء أيام العطل، عندما كان يذهب هنري وإيما لزيارة والديهما أو عندما كانت مابل تنطلق إلى تشارلستن لقضاء الوقت مع أختها.

لكن ريتشارد عرف معنى الوحدة، وهي بدورها أحست أن علاقة حميمية واضحة تربطها به، مثل العلاقة التي يشعر بها الزوار في بلد غريب عندما يكتشفون بأن الأشخاص الجالسين إلى الطاولة المجاورة، قادمين من بلدة في وطنهم الأم.

لبس المساء حلته السوداء فاصبحت السماء قاتمة، وأماطت اللثام عن النجوم. لم يقبل كل من ريتشارد وجولي إلى العشاء باندفاع. طلبا القهوة في نهاية الوجبة وتناولا شطيرة الليمون، استمرا في تناولهما الطعام وهما قبالة بعضهما حتى لم يبق سوى شطيرة وحيدة لا تثير انتباه أحد.

عندما غادرا أخيراً كان الجو لا يزال حميمياً. كانت تتوقع منه أن يمدّ لها يده أو ذراعه، وتفاجئت عندما لم يفعل. تساءلت جولي إن كان يحاول كتمان مشاعره هذه المرة بعد أن أسرها بقبلة خاطفة في ذلك الأسبوع، وبالوقت نفسه تساءلت إن كان متفاجئاً بنفسه بعد أن أدلى باعترافاته عن ماضيه. فكرت جولي أن هنالك الكثير من الأمور بحاجة إلى استيعاب أكبر. خبر زواجه السابق حدث بلا سابق إنذار، لكنها استغربت لماذا لم يخبرها بأنه كان متزوجاً منذ لقاءهما الأول، عندما حدثته أول مرة عن جيم.

مع ذلك تقبَّلت الأمر بكل نفس رضية. تذكرت بأن الناس يختلفون في طباعهم عندما يتعلق الأمر بالتحدث عن ماضيهم. على كل حال، إنهما الآن يشعران بالارتياح مع بعضهما، فقد أدركت أنها كانت مستمتعة بهذا اللقاء على الأقل بالقدر نفسه من السعادة التي أحست بها منذ اللقاء الأول. عندما توقفا عند مفترق الطريق، تأملته وهي تفكر في قرارة نفسها." إنني أحبه. لست مغرمة به بعد إلى حد الجنون، سأستعد لوداعه فيما بعد، لكنني أحبه. وهذا يكفيني في الوقت الحالي."

سألته:" هل تحب الرقص؟."

"لماذا؟ هل ترغبين بالذهاب؟."

"إذا كنت ترغب بذلك."

"أوه، لا أعرف. لكنني لست على مايرام."

"هيا. أعلم أنه مكان جميل."

"أواثقة أنك لا ترغبين بالبقاء هنا فترة أطول؟ ربما يمكننا إيجاد مكان ما لأخذ المشروب."

"نحن جالسان لساعات. أعتقد أنني على استعداد لممارسة بعض المرح". سأل ريتشارد متظاهراً أنها لم تجرح مشاعره: " هل تعتقدين أن المكان هنا يخلو من المرح؟ إنني أقضي هنا وقتاً رائعاً."

"تعرف قصدي. ولكن إذا كان الرقص يساهم في تحسين مزاجك قليلاً، أعدك أنني لن أتفوه بكلمة اعتراض إذا دهست قدماي، بالرغم من أنني لست راقصة بارعة. حتى أنني سأحاول أن لا أجفل منك."

"معاناة وابتسامة؟."

"كما تعلم، إنها ورطة المرأة."

"حسناً، ولكنني سألزمك بوعدك."

ضحكت وأومأت إلى سيارتها. "هيا"

أحسَّ ريتشارد بدفء ضحكتها أول مرة هذا المساء.

راقبها ريتشارد، إنها امرأة حذرة. قبلها مرة، وبدت في حيرة مطلقة. ولكن بعد أن سمح لها بالقيادة، بدأ الحذر يتلاشى. أدرك بأنها كانت تحاول أن تكتشف خبايا نفسه، وتقارن حكايته بالرجل الذي شاهدته جالساً قبالتها، لكنه لم يخطىء عندما لاحظ ملامح التعاطف واضحة على وجهها في اللحظة التي أدركنا فيها وجه التشابه بينهما.

الفصل السادس

سيلنغ كليبر عبارة عن بار نموذجي في مدينة ساحلية صغيرة. الأضواء فيه باهتة، وتنبعث منه رائحة الرطوبة والسجائر والخمر البائت، كان معروفاً بعماله ذوي الياقات الزرقاء، الذين يزدحمون حول البار بشكل جماعي. على طول الجدار البعيد، أطلت فسحة خصصت للرقص ونادراً ما كانت تخلو من الزبائن عندما تعزف الفرق الموسيقية.

بضع دزينات من الطاولات، التي نقشت عليها الأحرف الأولى من أسماء معظم الذين تمشوا عبر الباب، كانت موضوعة بشكل عشوائي، ولا تناسب الكراسي التي طوقتها بشكل دائري.

فرقة أوكراكوك إنليت على خشبة الرقص، كانت شيئاً مألوفاً في الكليبر. صاحب البار رجل ذو ساق واحدة يدعونه لينينغ جو، أحب الفرقة لأنها

تعزف أغاني تجعل الحاضرين في مزاج جيد، مما يضطرهم للبقاء فترة أطول في البار، وهذا بدوره يدر الربح الوفير على صاحب البار لأنهم كلما أطالوا الجلوس زادت كميات الخمر التي يحتسونها. المقطوعات الموسيقية التي عزفوها لم تكن تقليدية ولاجسورة، عزفوا كل أنماط المقطوعات الموسيقية المعروفة في البلد، لهذا السبب أحبهم الجميع كما اعتقد مايك. حقاً أحبهم الزبائن. عندما كانوا يعزفون كان الناس يتوافدون بكثرة إلى البار، وهذا مالم يشهده مع الفرقة الموسيقية التي عزف معها. على كل حال، لا يهم حتى وإن طلبت الفرقة من مايك أن يملأ فراغاً، بالرغم من أنه شكل اسماً من الدرجة الأولى مع معظم أفراد المجموعة. سواء كانت الفرقة الموسيقية من الدرجة الثانية أم لا، بدت الفكرة بائسة.

لكن المساء كله بدا بائساً للغاية. جحيم لايطاق عانى منه طوال الأسبوع. منذ يوم الإثنين عندما جاءت جولي لإحضار مفاتيحها وبالمصادفة (بالمصادفة!) ذكرت بأنها سترافق ريتشارد يوم السبت لقضاء الأمسية معه بدلاً من قضائها مع أصدقائها، منذ ذلك الحين ومايك يعيش حالة ذعر. ظل يتمتم لنفسه وهو يشكو من الظلم الذي لحق به وبشكل متواصل حتى أن اثنين من الزبائن اشتكيا إلى هنري. والأسوأ من هذا أن مايك لم يمتلك الجرأة الكافية ليتحدث مع جولي بقية الأسبوع، لأنه أدرك لو فعل ذلك، كانت ستضغط عليه بأسلوب يضايقه. لم يكن على استعداد أن يصارحها بالحقيقة، ولكنه عندما كان يراها تتمشى قرب المحل بشكل يومي، تذكر بأنه عاجز عن البوح بأية فكرة بخصوص الوضع بكامله.

بالتأكيد، كان هنري وإيما ثنائياً رائعاً، وأحسَّ بالسعادة بصحبتهما. ولكن لنتكلم بصراحة- في ليلة كهذه، أدرك مايك أنه مجرد مجلة ثالثة في

هذه المجموعة الصغيرة، ففي نهاية الأمر كان على كل منهما العودة إلى البيت. أما مايك فعليه أن يعاني من وساوسه، إلا إذا انشغل بإعداد الغداء التي الفئران تهرول إلى مطبخه بين حين وآخر.

كان من المفروض أن يرقصا مع بعضهما، أما مايك فعليه الجلوس إلى الطاولة وحده ممضياً نصف الوقت، وهو يقرأ عناوين الجعة ويزيل الأوراق الملتصقة على الزجاجات. وعندما طلبت منه إيما مشاركتها الرقص، وهذا ماكانت تفعله بانتظام في تلك الليلة، نكّس مايك رأسه في الأرض، راجياً من الله أن لا يراه أحد يرقص مع أخته. زوجة أخيه. لايهم أياً كانت. لم تكن النواحي الفنية مهمة في وقت كهذا. عندما طلبت منه أن يراقصها، شعر وكأن أمه عرضت عليه الذهاب إلى المنتزه لأنه لم يستطع أن ينسِّق موعداً مع أي فتاة.

ليس من المفروض أن تسير الأمور على ذلك المنوال في تلك الليلة. من المفترض أن تكون جولي بصحبته. من المفروض أن تكون هي العجلة الرابعة. ومن المفروض أن تكون هي الفتاة التي تراقصه، وتشاركه المشرب والمرح والمغازلة. ولولا ريتشارد لكانت الآن بصحبته.

ريتشارد.

كم يكره ذلك الشاب!

لم يعرفه، ولم يرغب بالتعرف إليه. المسألة ليست ذات أهمية. ببساطة مجرد أن يتذكر اسمه يتكدَّر، ويقطب جبينه، ويظل عابساً طوال المساء.

كان هنري يراقب أخاه بحرص، فبعد أن أنهى أخر كأس له وضع الزجاجة جانباً وعلّق:" أعتقد أنه عليك أن تقلل من شرب تلك الجعة الرخيصة. انظر إنها تتخمك بالغازات."

نظر إليه مايك. كان هنري يتكلف الابتسامة عندما تناول زجاجة إيما من الجعة. إيما ذهبت إلى الحمام، وقد عرف هنري بأنها ستغيب برهة من الزمن. فطلب استبدال الزجاجة بواحدة أخرى.

"إنني أشرب النوع ذاته الذي تحتسيه ."

قال هنري:" حقاً؟ لكن عليك أن تدرك أن بعض الرجال يحسنون استعمال المشروب أكثر من الآخرين."

"نعم، نعم ..... تابع الحديث."

قال هنري:" يا أخي، لسنا في مزاج جيد هذا المساء."

"صار لك تتجاهلني طوال الليل."

"راقب تصرفاتك مؤخراً، فأنت تستحق هذا. لقد أعددنا عشاء فاخراً. وطوال الليل وأنا استعمل فطنتي المتوقدة لكي أفهمك وأتعامل معك بشكل لائق، وإيما بذلت قصارى جهدها لكي لا تدعك تجلس وحيداً إلى الطاولة مثل العاشق الخاسر الذي ضيّع موعده."

"هذا الأمر لايدعو للسخرية."

"لم أقصد أن أجعل الأمر مثيراً للسخرية. لكنني ببساطة أقول الحقيقة. فكر بي وأنا أتألم لأجلك، إنك تفرغ همومك كلها في صدري. عندما ترتاب في أمر ما، وعندما تكون بحاجة إلى أجوبة شافية تأتي إلي تطلب المساعدة. على سبيل المثال- أنت بحاجة الآن إلى البهجة. لكنك تدمر نفسك وتعاني طوال الليل ."

"انظر- إنني أفعل ما بوسعي، أوكي؟."

قال هنري وهو مرفع أحد حاجبيه:" أفهمك، آسف. أظن أنني أبالغ في تقييمي حالتك."

نزع مايك الرقعة المتبقية الملتصقة بزجاجته، وجعَّدها بشكل كرة." نعم، نعم. إنك شاب هزلي يا هنري. عليك أن تذهب بمهمة إلى فيغاس.صدقني، سأكون أول شخص يحزم لك أمتعتك."

اتكأ هنري على مقعده:" أوو، هيا. إنني أملك قليلاً من روح الدعابة."

"أجل- على حسابي."

"حسناً، حسناً .... أعتذر منك مسبقاً. ولكن أستمع إلي- سأكرر ثانية ما قلته لك. مجرد أنها خرجت مع ريتشارد لايعني هذا أنك فقدت فرصتك إلى الأبد. بدلاً من أن تصاب بالكآبة، فكر بالأمر وكن متحدياً. ربما سيثيرك هذا التحدي لكي تطلب منها لقاء."

"كنت أخطط لذلك."

"كنت؟."

"أجل. فبعد أن تحدثنا يوم الاثنين، قررت أن أفعل بالضبط ما طلبته مني. هذه الليلة من المفروض أن تكون الليلة التي خططت لها مسبقاً."

تفحصه هنري وقال أخيراً:" جيد. إنني فخور بك."

انتظر مايك أن يستطرد هنري في الحديث لكنه لم يفعل.

"ماذا؟ أليس لديك دعابات في هذا الوقت؟."

"ليس هناك مناسبة لقول الدعابات."

"لأنك لا تصدقني؟."

"لا، أصدقك. أظن أن علي تصديقك."

"لماذا؟."

"لأنني أريدك حقاً أن تفعل ما تقوله."

"هاه؟."

"الآلهة معك يا أخي الصغير."

"أي جحيم تتحدث عنه؟."

رفع هنري ذقنه، وأومأ باتجاه الباب،" خمَّن من دخل للتو؟."

وقف ريتشارد إلى جانب جولي التي كانت تهم بالدخول وهي رافعة عنقها، وتبحث عن مكان للجلوس.

صرخ ريتشارد وسط تلك الضجة:" لم أتوقع أن يكون المكان مزدحماً هكذا. هل أنت واثقة أنك تريدين البقاء؟."

"هيا- سنمرح. سترى ذلك."

بالرغم من الابتسامة السريعة التي ومضت على وجه ريتشارد، بدا مرتاباً. أحس أن هذا المكان مثل ملجأ لأولئك الذين يشربون الخمرة هروباً من مشاكلهم، أولئك البائسون بسبب صحبة الغرباء. كما شعر ريتشارد أن الجو المحيط كان يعزز فكرة مفادها أن كل شخص هنا. سواء أكان برفقة شخص آخر أم لا، فهو متاح لكل من يطلبه، أما جولي فلم تتعامل مع المكان كما فعل هو. على الخشبة، بدأت الفرقة الموسيقية تطلق ألحانها من جديد وكان الناس يتخذون أماكنهم على الأرض، بعضهم يراقب ما يجري وبعضهم الآخر يأخذ قسطاً من الراحة. مال قريباًمن أذن جولي التي استطاعت أن تشعر بأنفاسه قربها، وقال لها:" لنأخذ شيئاً ما نشربه قبل أن نجد مكاناً مناسباً للجلوس."

وافقت جولي:" بالتأكيد. أنت على حق. البار صاخب."

بينما بدأ ريتشارد يعتصر بين الناس، حاول الخروج من ذلك الازدحام، ومدَّ يده لـ جولي. دون تردد، أمسكت بيده. عندما أصبحا داخل البار، تابع ريتشارد تقدمه وهو يرفع يده الأخرى لكي يلفت انتباه ساقي الحانة إليه.

قالت إيما :" إذاً ذلك هو ريتشارد، هاه؟."

إيما في الثامنة والثلاثين من عمرها، عيناها خضراوان وشعرها أشقر وطباعها مريحة، وهذا يعوِّض حقيقة أنها لم تكن جميلة بالمعنى التقليدي. قامتها قصيرة ووجهها مستدير، وباستمرار لم تلتزم بأي نوع من النجاح، بالرغم من أن مايك وهنري لم يعرفا سبب قلقها. استجاب الناس. للتعامل مع إيما ليس لأسباب سطحية، وإنما بسبب شخصيتها وأفعالها. كانت تتطوّع بشكل دائم لرعاية الأطفال في المدرسة، وعند الساعة الثالثة من ظهيرة كل يوم، كانت تفتح الباب الأمامي بحيث يتسنى لجميع الأطفال أن يجتمعوا هناك. وعندما يجتمعون يصبح بيتها مثل خلية نحل ينغل فيها الأطفال الذين يتنقلون هنا وهناك، ويأكلون البيتزا التي تحضرها إيما بنفسها بشكل يومي تقريباً.

ولكن إذا كان الأطفال قد أحبوها كثيراً، هنري أغرم بها واعتبر نفسه محظوظاً بها. عاملت إيما هنري بلطف وبالعكس، وغالباً ما أخبرا الناس بأنهما مشغولان إلى درجة كبيرة بالمرح بحيث لا يتسنى لهما الوقت الكافي لمناقشة أي موضوع. مثل طباع هنري، أحبت إيما مداعبة الآخرين والسخرية منهم. قال عنهما مايك:" راقبيهما، ماذا يحدث بعد أن يشربا كأسين من الخمر؟ كانا منهكين تماماً، مثل سمك القرش الذي تغذى على الأسماك الصغيرة."

لسوء الحظ بالنسبة إلى مايك، فقد أدرك أنه في اللحظة الآتية كان مجرد سمكة قرش صغيرة، تسبح إلى الأمام لتدخل بين فكي الأم المفتوحين. عندما يلقي نظرة متفحصة على ذلك الوميض المتلألئ في عينيهما يتمنى لو يعاود الغوص عميقاً هرباً منهما.

أومأ هنري بإيما : "ذلك هو ريتشارد."

تابعت إيما التحديق إليه:" إنه حقاً شخص مثير، أليس كذلك؟."

قال هنري:" أعتقد أن مابل استعملت الوصف المناسب..... إنه شخص مثير."

رفعت إيما إصبعها، كما لو أن هنري مدعي عام أدلى بملاحظة ثانوية في المحكمة." أجل.... مثير. مثير للغاية."

شبك مايك ذراعيه، وغاص في مقعده، وهو يتساءل إن كانا قد شهد أسوأ من ذلك المساء في حياته.

قال هنري:" إنهما مناسبان لبعضهما."

بينما كان ريتشارد وجولي واقفين عند البار بانتظار الحصول على المشروب، وقد بدا وجهاهما بشكل جانبي، أضاف هنري:" إنهما ثنائي جميل."

وافقته إيما :" بالتأكيد يبدوان مميزين وسط الحشد."

"إنهما مثل أولئك العشاق الذين يخطفون أنظار العالم بأسره ويكتبون عنهم في المجلات."

"سيكونان أكثر إثارة لو اجتمعا معاً في فيلم."

أخيراً قاطعهما مايك:" كفى، أنتما الاثنان. إنه شخص كامل، شخص رائع، سيد كل شيء."

واجه هنري وإيما ومايك، بعيون تبرق متعة .

قال هنري:" نحن لانقول ذلك يا مايك،إننا فقط نصفه كما يبدو."

تقدمت إيما عبر الطاولة وربتّت على كتف مايك. وقالت:" بالإضافة أنه ليس هنالك مبرر لأن تفقد الأمل. الظواهر ليست أهم شيء."

حدّق إليهما مايك.

مال هنري نحو إيما: " أظن أنك يجب أن تعلمي بأن أخي الصغير قد عانى كثيراً من هذا الأمر. وحسب اعتقاده، نحن لا نساعده."

سألت إيما ببراءة: " أوه، حقاً؟."

سأكون على مايرام إذا تركتماني، وشأني. أنتما تهزءان بي طوال الليل."

قهقهت إيما: " لكنك عندما تتصرف بهذه الطريقة تصبح هدفاً سهلاً للغاية. ولاسيما وأنت تكشر هكذا."

"تناقشنا مسبقاً أنا وهنري بهذا الخصوص."

قالت إيما متجاهلة تعليقة: " وهذا ليس مثير للانتباه على الإطلاق."

خذ بنصيحة امرأة تدرك أموراً كهذه. إذا أردت أن تحصل على نتيجة مفيدة عليك أن تغير نبرتك قبل فوات الأوان. إذا واصلت التصرف على هذا المنوال ستخسر كل شيء الآن ."

ومضت عينا مايك: " إذاً هل علي أن اتصرف باللامبالاة؟."

"لا يا مايك. بل تصرف باهتمام، تصرف بطريقة تشعرها أنك تتمنى لها الأفضل."

"كيف أفعل هذا؟."

"كن صديقها"

"أنا صديقها."

"لا إنك الآن لست صديقها . لو كنت صديقها لتمنيت لها السعادة."

"لماذا أتمنى لها السعادة وهي بصحبته؟."

قالت إيما وكان الجواب في غاية الوضوح: " لأن هذا يعني بأنها ستكون على استعداد للبحث عن شاب ودود معها، ويعلم الجميع من يكون ذلك

الشاب. في نهاية الأمر. إنني أشك بصراحة أن الشاب هو سيلبي طلبها".
ابتسمت وهي تربِّت ثانية على كتفه:" هل تعتقد حقاً بأننا نضايقك و أننا لا نعمل لأجلكما في نهاية الأمر؟."

بقدر ما سخرت منه في السابق، أدرك مايك في تلك اللحظة لماذا هام هنري بحبها إلى هذه الدرجة. كما أدرك لماذا يحبها بدوره أيضاً.

بالطبع كما يحب الرجل أخته.

أخيراً حصل ريتشارد وجولي على الشراب- إنه بوربون وهو الخمر المفضّل لديها- وبعد تسديد ثمنه وضع ريتشارد محفظته جانباً، ثم حدّق إلى الجانب الآخر، باتجاه الرجل الذي جلس في نهاية البار.

كان الرجل يحرّك مشروبه، ويبدو ظاهرياً مهتماً بعمله. انتظر ريتشارد برهة من الزمن، وبالتأكيد كان الوقت كافياً ليلاحظ بعد مرور لحظة كيف كان الرجل يراقب جولي. بالرغم من أنه حاول أن لا يلفت انتباه أحد إليه. على كل حال، في هذه المرة أمسكه ريتشارد بالجرم المشهود وأخذ يراقبه بعينين باهتتين حتى أشاح الرجل أخيراً بنظره بعيداً.

سألت جولي:" من ذلك الرجل الذي تنظر إليه؟."

هز ريتشارد رأسه، وقال مبتسماً:" لا أحد. إنني أفكر فقط بشيء ما حدث هنالك من ثانية."

سألت:" هل أنت مستعد للرقص؟."

"ليس تماماً. أعتقد أنني تحاجة إلى إنهاء مشروبي أولاً ."

ارتدت أندريا تنورة قصيرة ضيقة سوداء اللون، وحذاء له كعب عالي مدبب رفيع، وقد مطت علكتها من فمها لتمسكها بإبهاما وكانت تدورها بطريقة مملة. راقب مايك أندريا مكشراً وهو يزيل عجينة الورق من فمه بظاهر كفه. انعكس وميض ضوء النيون خلفهما على سنه الذهبية.

كان كوبرا قد عرّج إلى الصالون صباح يوم الثلاثاء- بالرغم من أن أندريا لم تدر بالأمر، فقد تردد اسمها أمامه كثيراً، كما أعطته أندريا رقم هاتفها وأمضت بقية اليوم وهي تتبختر حول المحل سعيدة بنفسها. في ظل نشوتها العارمة، لم تلاحظ أندريا النظرات المشفقة التي كانت ترمقها بها مابل، ولم تدرك أن كوبرا، كغيره من الرجال الذين قابلتهم، كان فاشلاً بشكل جوهري.

اتصل بها في وقت مبكر من ذلك المساء بعد أن شرب كأسين من الجعة واقترح عليها أن تلاقيه مع أصدقائه في الكليبر. بالرغم من أنه ليس موعداً تكتيكياً- فهو لم يعرض أن يتعرف عليها، ولم يدعوها إلى تناول شيء في بادئ المقابلة- مع ذلك أحسَّت أندريا برعشة قبل أن تجيب على الهاتف مما جعلها تعتقد على الأقل أن لقاءها معه عبارة عن موعد غرام.

أمضت قرابة ساعة وهي تفكر مالذي ستلبسه- فالانطباعات الأولى مهمة- قبل أن تغادر، وتلتقي بـ كوبرا في الكليبر. كان أول تصرف قام به أن وضع ذراعيه حول خصرها، مريحاً كلتا يديه على قفاها بينما أخذ يقبل عنقها. لم تتضايق من تصرفه. فبعد كل هذا، لم يكن كوبرا سيء الخلقة مقارنة ببعض الشبان الآخرين الذين خرجت معهم. بالرغم من أنه ارتدى قميصاً أسودَ نصف كم رسمت عليه جمجمة دموية وبنطال جينز مثيراً للإغراء لكنه لم يكن بديناً ولامشعراً. كما اعترفت بأن وشم حورية البحر الذي رسم على ذراعه، بدا ذواقاً نسبياً بالمقارنة مع أنواع الوشم الآخرى التي رأتها. لم تكن أندريا متلهفة جداً لمنظر الأسنان الذهبية، لكنه بدا نظيفاً بما فيه الكفاية، بحيث لا يمكن للمرء أن يساوم على ذلك.

بالرغم من ذلك أدركت أندريا أخيراً أن تلك الأمسية كانت مجرد تبديد

كامل للوقت وبأنها ارتكبت خطأ عندما أعطته رقم هاتفها. فبعد أول محاولتين قام بهما كوبرا لجذبها إليه، وبينما كانت الأمور تسير من البداية بشكل ممتع، أخبرها أحد أصدقائه أن كوبرا ليس اسمه الحقيقي. كان اسمه الحقيقي إيد دي بونر.

حصل هذا عندما بدأ الاهتمام يتلاشى. لكي تكمل حياتها بشكل طبيعي لم تستطع أندريا أن تتخيل نفسها وهي تبوح بالحقيقة لأي إنسان كان خلافاً لاسم كوبرا (أو أفعى، أو جرذ، أو حتى شيطان)، إيد لم يكن اسماً لشخص ذهب إلى الصالون، وتجاوز القانون، وعاش حياته بطولها وعرضها. إيد لم يكن حتى اسماً لرجل واقعي. إيد كان اسم حصان ثرثار. بالله عليك دعينا لا نذكر حتى الاسم الأخير. دي بونر.

عندما لفظ هذا الاسم الأخير، كادت أندريا أن تبصق مشروبها. سألها كوبرا وهو يدفع الكلمات بعضها: " هل ستعودين إلى مكانك يا طفلتي؟."

انزلقت العلكة من فمها." لا."

"إذاً لنشرب كأساً آخر."

"لكنك لا تملك مالاً."

"إذاً اشتري لي مشروباً وسوف أسدّد لك ثمنه فيما بعد ياطفلتي."

بالرغم من أنها أحبَّت أن يطلق عليها (طفلة) فهذا يشعرها بأنها جذابة، ولكن هذا الشعور انتابها عندما كان يلفظ هذه الكلمة كوبرا، وليس شخص اسمه إيد دي بونر. انتزعت أندريا العلكة من فمها.

بدا كوبرا غافلاً عن استفزازها منه. مرَّر يده من تحت الطاولة ولامس فخذها، فنهضت مبتعدة عن الطاولة، لتطلب كأساً آخر.

عندما اقتربت من البار شاهدت ريتشارد .

أشرق وجه جولي عندما رأت كل من مايك وهنري وإيما إلى الطاولة المجاورة لصالة الرقص. أمسكت بيد ريتشارد .

قالت:" هيا، أظن أنني وجدت مكاناً نجلس فيه."

شقا طريقهما وسط الزحام، واجتازا حافة قاعة الرقص، ووصلا حتى الطاولة.

قالت جولي:" هيه يا شباب. لم أتوقع رؤيتكم هنا. كيف حالكم؟ ."

قال هنري:" نحن بأحسن حال. فكرنا أن نتناول عشاءنا هنا، ونراقب ما يجري."

كان ريتشارد واقفاً خلف جولي، التي كانت تشدّ يده بقوة " ريتشارد أريد أن أعرفك على هنري وإيما. وهذا مايك أفضل صديق لدي."

مدَّ هنري يده، وقال:" هيه هناك."

تردد ريتشارد قبل أن يمسك بيده، وقال ببساطة:" مرحباً."

تقدم فيما بعد من مايك وإيما. عندما نظرت جولي إلى مايك، ابتسم فرحاً، بالرغم من أن تصرفاً كهذا يقتله تقريباً. وسط جو البار الدافئ تورَّد وجهها قليلاً. فكر مايك،" تبدو الليلة في غاية الجمال."

قال هنري:" هل تريدان الجلوس؟ لدينا كرسيان إضافيان."

قال ريتشارد:" لا- لا نريد مضايقتكم."

أضافت إيما:" ليست هنالك أية مضايقة. هيا. انضما إلينا."

سألت جولي:" هل أنت واثقة أننا لا نسبب لكم الإزعاج؟."

قالت إيما:" لا تكوني حمقاء. كلنا هنا أصدقاء."

ابتسمت جولي، واستدارت حول الطاولة لتجلس في مقعدهما."

ولحقها ريتشارد. حالما جلسا بأرتياح، اتكأت إيما إلى الطاولة. قالت:" إذاً يا ريتشارد، حدثنا عن نفسك."

دار الحديث بشكل متكلف، وغير مريح تقريباً في بداية الأمر، لأن ريتشارد لم يتطوع بالمبادرة بالحديث، واكتفى بالرد على الأسئلة المطروحة عليه. بشكل عرضي، زودته جولي بمعلومات إضافية، وفي أوقات أخرى كانت تدفعه عند مرفقه، وكأنها تؤنبه حتى يواصل الحديث بأريحية.

بينما كان ريتشارد يتكلم، بذل مايك قصارى جهده لكي يتظاهر بالاهتمام.

على الأقل كان مهتماً بشكل ضمني ليرى أية صعوبات تواجهه. ولكنه بعد مرور بضع دقائق، بدا يشعر وكأن مستقبله يشبه مصير سمك السلمون الذي يسبح ضد التيار. حتى أنه استطاع أن يلاحظ سبب اهتمام جولي بـ ريتشارد. لقد كان شاباً ذكياً (كما أنه اعترف بأن ريتشارد بهي الطلعة، ولكن فقط إذا أحب المرء هذا النمط من الشبان ذوي البشرة المتجعدة والملامح النشيطة)، وخلافاً لـ مايك، حظي ريتشارد بشهادة جامعية، وكان كثير الترحال. وبالرغم أنه لم يشارك كل من هنري وإيما الضحك وقول الدعابات- ولم يظهر لهما احتراماً كما فعلا هما معه- بدا أن عدم ارتياحه سببه الخجل أكثر منه الغرور- كما أن مشاعره تجاه جولي بدت واضحة.

كلما تكلَّمت، كانت عينا ريتشارد تلاحق وجهها دائماً، لقد تصرَّف مثلما يتصرف الزوج في صبيحة أول يوم من شهر عسله طوال الوقت ومايك يحافظ على ابتسامته ويومئ بالموافقة، لكنه لا يستطيع إلا أن يمقت ريتشارد، ويكرهه. بعد مرور فترة قصيرة، بينما كانت إيما وجولي تتبادلان الحديث حول أحدث الأخبار في البلدة، أنهى ريتشارد كأسه. وبعد أن سأل جولي إن كانت تريد شيئاً آخر، اعتذر لكي يعود إلى البار. عندما طلب منه هنري أن يحضر زجاجتين من الجعة، وقف مايك، متطوعاً لمرافقة ريتشارد.

"سأساعدك في حمل المشروب."

وصلا البار، وأشار لهما الساقي بالانتظار ريثما يحضر طلبهما. وأخرج ريتشارد محفظته، وبالرغم من أن مايك وقف إلى يمينه، ظل صامتاً.

قال مايك أخيراً: " إنها سيدة رائعة."

استدار ريتشارد نحوه، وتفحّصه مليّاً قبل أن يشيح بوجهه عنه.

ردّ ببساطة: " أجل، إنها كذلك."

بعد ذلك التزم كل منهما الصمت.

حالما جلسا إلى الطاولة، طلب ريتشارد من جولي أن تشاركه الرقص، وبعد أن ودّعاهم، انصرفا.

سألت إيما: " والآن لم يكن ذلك في غاية الصعوبة، أليس كذلك؟."

هز مايك كتفيه غير راغب في الإجابة.

أضاف هنري: " ويبدو وسيماً بما فيه الكفاية، وهادئاً قليلاً، لكنه مهذّب."

تناول مايك جعته، وقال: " لا أحبه."

قال هنري ضاحكاً: " أوه، يالها من مفاجأة.!!"

"لست متأكداً أنني أستطيع الوثوق به."

رسم هنري ابتسامة متكلفة: " حسناً، بما أنك فقدت فرصتك، أظن أن علينا أن نتسكع برهة من الزمن."

"أية فرصة؟."

"قلت بأنك ستطلب منها الخروج معك الليلة."

"اخرس، يا هنري."

بعد فترة قصيرة، جلس مايك وهو ينقر بأصابعه على الطاولة ذهب

هنري وإيما لكي يستقبلا زوجاً آخر من معارفهما، و الآن بعد أن ظل وحده، حاول مايك أن يتفحص بدقة ما الذي كان يكرهه بالضبط في صفات ريتشارد فرانكلين.

بالإضافة إلى سمة الوضوح.

لا، هنالك سبب آخر جعله يكرهه، بغض النظر عن رأي هنري بريتشارد أو مشاعر جولي تجاهه، ريتشارد لم يتعامل مع مايك على أنه شاب لطيف بشكل خاص. ما حدث في البار فسّر هذه الحقيقة بكل وضوح. حالما أدلى برأيه بشأن جولي، حدّق إليه ريتشارد بطريقة غريبة، وكأنه عرف مسبقاً حقيقة مشاعره تجاهها، كما أن تعابير وجهه عكست بوضوح مادار في خلده: " إنك الخاسر، لذلك تنحى جانباً."

وهذه ليست السمة التي تميز شاباً لطيفاً .

إذاً لماذا لم يبدو على جولي أنها لاحظت هذه الصفة السلبية في ريتشارد؟ ولماذا لم يرَ كل من هنري وإيما سلبياته؟ أم أن القصة برمتها مجرد شيء ملفّق من محض خياله؟

كرّر مايك هذا السيناريو ثانية. لكنه أخيراً قال لنفسه: " لا، أنا لا أتخيل. أدرك تماماً ما رأيت. وفي نهاية الأمر لا أحبه."

اتكأ في كرسيه، وأخذ نفساً عميقاً وهو يتفحص الغرفة. وقع نظره على ريتشارد وجولي، وبدأ يراقبهما للحظة قبل أن يرغم نفسه على غضٍّ نظره.

خلال فترة استراحة الفرقة الموسيقية، غادر ريتشارد وجولي باحة الرقص، وجلسا إلى طاولة أصغر في الطرف البعيد من البار، بينما كان مايك يراقبهما. لم يستطع منع نفسه من ذلك. بالرغم من محاولته التظاهر بأنه لايزال يكوّن صورة ذهنية عن ريتشارد عرف بأن اشمئزازه

من مراقبته كان أشبه بالشعور الذي ينتاب الناس عندما يراقبون مشهداً مروعاً لحادث ما. أو بمعنى أدق، أحسّ أن مراقبته لهما وكأنه يراقب سيارة تندفع متدهورة من أعلى جرف صخري موحش.

هذا ما كان يتراءى له. بينما الليل يسدل ستاره، لم يستطع ريتشارد أن يتجاهل نتيجة مفادها أنه يفقد فجأة فرصة لقائه بجولي. بينما مايك جالس وَحْدَه، كان ريتشارد وجولي يتأملان بعضهما وابتسامات عريضة بلهاء تعلو وجهيهما.

اتكأا على بعضهما يتهامسان، ويضحكان، وبدا واضحاً أن كلاً منهما مستمتع بصحبة الآخر.

يا للاشمئزاز.!

على الأقل هذه آخر مرة يراقبهما فيها.

ولكنه تساءل:" ماذا يفعلان الآن؟."

حامت ثانية عينا مايك ببطء، ولكن بأسلوب مهذب جداً، عليهما .

كانت جولي تواجه الجانب الآخر، لذلك أحسّت بالارتياح كثيراً لأنها لن تراه وهو يراقبها، لو رأته وهو يراقبها، ربما كانت ستلوح له، أو تبتسم، والأسوأ من هذا ربما تتجاهله.

التصرف الأول سيجعله يبدو كالأبله والتصرف الثاني سيجعله محطم الفؤاد.

عندما استدار، لمح جولي تبحث في محفظتها عن شيء، وقد ركّزت عينيها في حضنها.

بالرغم من أن ريتشارد لم يكترث لنظراته، لكن كان واثقاً من أن مايك يراقبهما. أجل مايك، أعلم أنك تحدّق إلينا تجمد مايك في مكانه، مثل ولد صغير أمسكوه وهو يختلس عشرين جنيهاً من محفظة والدته.

أراد أن يستدير بعيداً لكنه لم يستطع استحضار كامل طاقته ليحرك رأسه حتى سمع صوتاً خلفه يناديه. نظر من فوق كتفه فرأى درو، المغني الرئيسي في الفرقة، واقفاً إلى جانب الطاولة.

قال درو:" هيه مايك، هلا أعطيتني دقيقة من وقتك؟ أود التحدث إليك بخصوص موضوع."

بعد مرور ساعة، كان كوبرا سكران بشكل كامل، وذهبت أندريا إلى الحمام. بما أنها أول ما رأت ريتشارد بدأت تتفحص الغرفة باحثة عنه. كان هو وجولي يغادران قاعة الرقص. مال عليها ريتشارد هامساً في أذنها، ثم اتجه نحو غرفة الرجال.

بعد أن أدركت أندريا أنه سيمر من يمينها، تظاهرت بسرعة أنها تسوّي شعرها وتنورتها.

تقدمت بسرعة معترضة طريقه، وقالت ووجهها مشرق:" هيه ريتشارد، كيف حالك؟."

بالرغم من أنه استغرق لحظة وهو ينظر إليها، لكنها لاحظت من خلال ملامح وجهه أنه تعرف عليها. قال:" بخير، أشكرك أندريا، صحيح؟."

ابتسمت أندريا وقالت:" لم أرَكَ هنا من قبل."

"إنها المرة الأولى التي أحضر فيها إلى هنا."

"ألا تعتقد أن المكان رائع؟."

"ليس كثيراً."

"أوه، حسناً، ولكن الأماكن التي ترتادها هنا قليلة. كما تعلم، إنها بلدة صغيرة؟."

قال:" أجل أعلم."

"مع ذلك عادة ما تكون الليالي يوم الجمعة أفضل"

"أوه؟."

"أجل. عادة أحضر إلى هنا يوم الجمعة. في الواقع، إنني أتواجد هنا تقريباً بشكل يومي."

صمت ريتشارد، وهو يحدّق إليها مباشرة فتلاقت نظراتهما، وأشار أخيراً في الاتجاه الذي تجلس فيه جولي وقال:" استمعي إلى- كنت أودُّ البقاء والحديث معك، ولكنني حقاً لا استطيع."

"لأنك مع جولي؟."

هزَّ كتفيه:" إنني في موعد معها."

قالت أندريا :" أجل، أعلم"

"حسناً، أصغ إلي- من دواعي سروري أن أراك ثانية."

"أشكرك. سررت أيضاً برؤيتك."

بعد لحظة دفع الباب، وأغلقه خلفه. بينما كانت أندريا تحدّق باتجاه الباب، مشى كوبرا متعثراً خلفها، وهو يتمتم بعبارات وقحة بخصوص الوظائف الجسدية.

حالما لحق بـ ريتشارد عبر الباب، قررت أندريا أن الوقت قد حان للمغادرة.

إن رؤية كوبرا أكثر من مرة سينزع عليها فرحتها برؤية ريتشارد. تماماً في منتصف الليلة الماضية، حيث تألق الكون بأشعة فضّية، وقفت جولي مع ريتشارد على الشرفة. كانت الضفادع والصراصير تطلق أغانيها مصدرة أنفاساً خفيفة حركت أوراق الشجر، وحتى سنغر بدا سعيداً بحضور ريتشارد. بالرغم أن وجهه كان يبحث عن شيء ما خلال الستائر، وكان ينظر إليهما بإمعان لكنه لم يصدر أي صوت.

قالت:" أشكرك لهذه الليلة الممتعة."

"على الرحب والسعة. لقد قضيت أيضاً وقتاً ممتعاً معك."

"حتى في الكليبر."

"طالما أنك سعيدة، فأنا سعيد بصحبتك."

"لكنك لم تسعد بالمكان، هاه؟."

هز ريتشارد كتفيه:" بصراحة، كنت أفضّل مكاناً خاصاً قليلاً يجمعنا. بحيث يمكننا أن نجلس وحدنا."

"لقد كنا وحدنا."

"ولكن ليس طيلة الوقت."

نظرت إليه، وقد ارتسمت على وجهها تعابير هزلية.

سألته:" هل تقصد عندما جلسنا مع أصدقائي برهة من الزمن؟ هل تعتقد بأنني فعلت ذلك لأنني لم أكن في مزاج مرح؟."

"لست متأكداً مما كنت تعتقدينه. أحياناً تتصرف النساء هكذا كنوع من الهروب، عندما لا يكون اللقاء على مايرام. وكأنهن يثقلن."

"النجدة! نحتاج للمساعدة."!

ابتسمت: "أوه، لم يكن الأمر هكذا على الإطلاق. إنهم أصدقائي، وكان من المفروض أن أخرج معهم للعشاء في تلك الليلة، وعندما رأيتهم أردت أن أسلِّم عليهم."

نقل ريتشارد ناظريه نحو ضوء الشرفة، ثم عاد إلى جولي.

"هيه...... أصغ إلي، أعلم أنني كنت قليل التهذيب مع أصدقائكَ. آسف بشأن هذا الأمر. لكني بالفعل لم أعرف ماذا أقول لهم."

"لكنك كنت مهذباً. أنا واثقة بأنهم أحبوك."

"لكنني لست واثقاً أن مايك أحبني."

"من، مايك؟."

"كان يراقبنا."

بالرغم أنها لم تلاحظ مايك وهو يراقبهما لكنها توقعت منه ذلك التصرف.

قالت: " أعرف مايك منذ عدة سنوات. إنه يهتم بي، ويرعاني، هذا كل ما في الأمر."

بدا ريتشارد أنه قدَّر طبيعة العلاقة. أخيراً.

وَمَضَ وجهه بابتسامة خفيفة، واكتفى بقول: "أوكي."

مرت فترة طويلة، التزم كل منهما بالصمت. بعد ذلك تقدم ريتشارد نحوها.

هذه المرة، بالرغم أنها توقعت أن يفاجئها بقبلة وبالرغم من رغبتها بذلك- أو على الأقل اعتقدت بأنها رغبت أن يقبلها- لم يستطع أن تنكر بأنها أحست بارتياح خفيف عندما استدار مغادراً بعد دقيقة.

فكرت جولي:" لا داعي للتهور والقيام بأي تصرف. عندما يكون كل شيء على ما يرام سأعلم بالأمر."

الفصل السابع

قال هنري:" يذهب إلى هناك في الوقت المناسب."

حدث ذلك صبيحة يوم الثلاثاء، بعد مرور بضعة أيام على الأمسية في الكليبر.

كان هنري يحتسي مشروباً برفقة الدكتور بيبر، ويراقب ريتشارد وهو يشق طريقه إلى أسفل الشارع المؤدي إلى الصالون. كان يحمل بيده هدية- صندوق صغير- ولكن لم يكن ذلك هو السبب الذي استدعى فضول هنري.

لقد سبق أن أخبر ريتشارد عن مكان عمله عندما قاله يوم السبت، لذلك توقع منه على الأقل أن يلقي نظرة على الكراج. أول أمس، لوّح له

هنري بيده لكن ريتشارد لم يرَهُ أو تظاهر بأنه لم يرَهُ. وبدلاً من ذلك مشى ونظره إلى الأمام تماماً كما فعل اليوم.

مايك، الذي كان ينصت إلى حديث أخيه، ظهر من تحت غطاء المحرك السيارة. بعد أن نزع خرقة مطوية على حزامه، بدأ يمسح يديه.

قال مايك:" جميل أن يكون مستشاراً. أليس من الأفضل لذلك الشاب أن يفعل شيئاً مفيداً؟."

"لا تتضايق الآن. لقد أمضيت فترة الأسبوع الماضي، وأنت مبوِّز الشفتين. ثم إنك تلاحظ أنه يذهب لزيارتها أثناء عملها أكثر مما يراها عندما تكون في البيت، صحيح؟."

نظرة واحدة على مايك جعلت هنري يدرك أنه لم يقتنع بكلامه. بعد ذلك، بشكل آني تقريباً، ارتسمت تعابير الخوف على وجه مايك الذي سأل:" هل يحضر لها هدية؟."

"أجل."

"هل هناك مناسبة خاصة؟."

"ربما أراد أن يحرِّك مشاعرها."

مسح مايك يديه ثانية." حسناً، إن كان الأمر كذلك، سأحضر لها هدية بعد فترة قصيرة."

قال هنري وهو يربت على ظهر أخيه:" والآن إنك تتكلم تماماً ما أريد سماعه منك. عليك أن تقلل من الشكوى، وتزيد جرعة أفعالك. نحن الرجال نكون دائماً على قدر المسؤولية."

"أشكرك يا هنري."

"لكن قبل أن تقتحم الساحة والمدافع تطلق نيرانها، اسمح لي أن أسدي لك نصيحة."

"بالتأكيد"

"أجِّل إحضار الهدية."

"ولكنك قلت للتو."....

"ذلك الأسلوب يناسبه هو. لكنه غير ناجح بالنسبة لك."

"ولكن.".....

"ثق بي بخصوص هذه المسألة. فهذا سيجعلك تبدو يائساً."

"إنني يائس."

وافقه هنري:" ربما تكون يائساً. ولكن لا ينبغي عليك أن تشعرها بيأسك. ستعتقد عندئذ أنك مثير للعواطف."

"ريتشارد ..."، قالت جولي وهي تحدّق إلى صندوق الجواهر المفتوح الذي بيده. كان بداخله علبة صغيرة جداً ومزخرفة أخذت شكل قلب وعلقت بها سلسلة ذهبية." إنها رائعة الجمال."

وقفا في الخارج دون أن ينتبها أن هنري ومايك كانا يراقبانهما عبر الشارع، وكذلك مابل وسنغر اختلسا النظر من النافذة التي خلفهما.

"ولكن ..... لماذا؟ أقصد، ما المناسبة؟."

"ما من مناسبة. رأيتها فقط، حسناً ..... أحببت أن أراك تلبسينها. أو إلى حد ما، فكرت بك واعتقدت أنها تناسبك."

ومض بريق في عيني جولي وهي تنظر إلى العلبة الصغيرة. من الواضح أنها باهظة الثمن.

وكأنه يقرأ أفكارها،رفع ريتشارد يديه قائلاً:" أرجوك. أرغب أن تجربيها. اعتبريها هدية عيد ميلادك."

"عيد ميلادي في آب."

"إذاً إنني مبكر قليلاً" . صمت ثم قال:" أرجوك اقبليها."

"ريتشارد ..... لطف منك، لكنني حقاً لا أستطيع أن أقبلها."

"إنها مجرد سلسلة، وليست خاتم خطبة."

وهي لاتزال مترددة قليلاً، صافحته وقبلته. ثم تمتمت:" أشكرك."

اتجه ريتشارد نحو العلبة الصغيرة وقال:" جربيها."

فكت جولي خطاف السلسلة، وطفت ابتسامة غريبة على وجهها، وكأنها تفكر بشيء آخر. كان ريتشارد ينظر إلى السلسلة فقال:" مناسبة تماماً. بالضبط كما تخيلتها."

"أقصد عندما أحضرتها من محل المجوهرات. لكنها تبدو أجمل على عنقك"

"أوه. حسنٌ، لم يكن ينبغي عليك أن تكلف نفسك."

"أنت مخطئة، إنها بالضبط ما كان علي أن أحضره لك."

وضعت جولي يدها على وركها. " إنك تدللني كما تعلم. عادة لا يشتري لي أحد أية هدايا دون مناسبة على الإطلاق."

إذاً هذا خير ما فعلت. ثم هل تعتقدين بأنه ينبغي أن تكون هنالك مناسبة دائماً لكي نقدم هدايانا؟ ألم يسبق لك أن شاهدت غرضاً ما يناسب شخص آخر، فأحببت أن تقدّميه له كهدية."

"بالطبع. ولكن ليس هكذا. لا أريدك أن تشعر بأنني أتوقع منك أن تقدم لي الهدايا، لأنني لا أريد ذلك."

"أعرف أنك لا تريدين. ولكن هذا سبب من الأسباب التي دفعتني لشراء الهدية. كل شخص بحاجة إلى أن يحظى بمفاجأة بين حين وآخر"ز صمت قليلاً ثم تابع: "إذاً، هل أنت مشغولة ليلة الجمعة؟."

"اعتقدت أنك تغادر البلدة يوم الجمعة، من أجل اجتماعاتك"

"كنت. لكنني ألغيت الاجتماع. أو بمعنى أدق، ألغيت مشاركتي به. ليس لدي الآن أي عمل يشغلني في نهاية الأسبوع على الإطلاق."

سألت: " ماذا في جعبتك؟"

"في جعبتي شيء ما خاص جداً. أود الاحتفاظ به كمفاجأة."

ظلت جولي صامتة مترددة، بينما أمسك ريتشارد يدها: " سوف تحبين المفاجأة ياجولي. ثقي بي. ولكن عليك أن تخرجي باكراً قليلاً. سأعرج عليك حوالي الساعة الرابعة."

"لماذا أخرج باكراً؟."

"ستستغرق وقتاً ريثما نذهب إلى المكان المفروض. هل تعتقدين أنه بإمكانك الحضور؟"

ابتسمت: " علي أولاً مراجعة جدول مواعيدي قليلاً، لكن أظن أنني أستطيع الحضور. هل علي ارتداء ملابس أنيقة أم عفوية؟"

كانت تلك طريقة مهذبة لتعلم إن كان عليها حزم حقيبتها.

إذ قال لها الاثنين معاً، " فهذا يعني أن المكان بعيد."

"سأرتدي جاكيتاً وربطة عنق، إن كان هذا سيلبي الغرض."

بالتأكيد بدا اللقاء شرعياً. قالت أخيراً:"أظن أن علي التسوق."

"واثق أنك ستكون جميلة مهما ارتديت."

قبلها ثانية، وعندما غادر أخيراً، لاعبت جولي العلبة بأصابعها مصدرة صوت طقطقة. أصابتها الدهشة عندما رأت بأن الأحرف الأولى من اسمها منقوشة عليها، على كلا الجانبين.

***

قال هنري: " هذا ليس تصرفاً لائقاً يا أخي الصغير. لا أكترث بما قالته إيما في تلك الليلة، ولكن هذا ليس تصرفاً لائقاً."

قال مايك متذمراً: " أشكرك للمعلومات المتجددة ياأنيشتاين."

"اسمح لي أن أسدي نصيحة."

"مزيد من النصائح؟."

أومأ هنري، وكأنه يقول لـ مايك أنه ليس هنالك مبرر ليشكره. " قبل أن تقوم بأي عمل، عليك أولاً أن تبحث عن خطة."

"أية خطة؟."

"لا أعرف، ولكن لو كنت مكانك لوضعت خطة جيدة."

***

قالت مابل وهي تعاين العلبة: " إنها جميلة. أظن أنه مغرم بك كثيراً، هاه؟ يبدو أن ثمنها باهظ". اتجهت نحو العلبة الذهبية: " هل تمانعين أن أراها؟"

"لا، خذي راحتك، قالت"، قالت جولي وهي تتكِّئ إلى الأمام.

تفحصت مابل العلبة: " من الواضح أنه لم يحضرها من محلات المجوهرات في البلدة. تبدو أنيقة جداً."

"هل تعتقدين ذلك؟."

"بل واثقة من ذلك. ليست هذا فحسب، إنك تكتشفين شيئاً مهماً في ريتشارد فرانكلين."

"ماهو؟."

"ذوقه رفيع المستوى."

تركت مابل العلبة المتعلقة بالسلسلة الذهبية تتدلى بلطف على صدر

جولي. التي تأملتها ثانية: " والآن علي إيجاد صورتين لكي أحشرهما داخل هذه العلبة."

ومضت عينا مابل: " أوه، ياحبيبتي - إذا كنت محتارة بهذا الشأن، لاتقلقي. سأكون سعيدة للغاية أن أمنحك صورة لي لكي تحتفظين بها. في الواقع لي الشرف أن أعطيك صورتي."

ضحكت جولي: " أشكرك. بالطبع أنت أول شخص فكرت أن أحمل صورة لها."

"إنني واثقة من ذلك. إذاً - هل ستضعين صورة سنغر هناك؟."

لدى ذكر اسمه، رفع سنغر بصره إلى الأعلى. صار له واقفاً إلى جانب جولي منذ عودتها إلى الصالون، وجولي بدورها داعبت ظهره.

"بهذا الحجم الضخم، ربما علي أن أقف بعيداً عنه مسافة مئة ياردة حتى آخذ له صورة مناسبة."

قالت مابل: " صحيح. على كل حال، كيف تسير أمورك معه؟ إنه يلازمك مؤخراً بشكل دائم."

"ليس لدي أدنى فكرة، ولكنك على حق - إنه أحياناً يدفعني إلى الجنون. أتعثر به كثيراً كلما استدرت."

"كيف حاله مع ريتشارد؟ أقصد في المنزل؟"

" إنه يتصرف كما يتصرف هنا. يحدق إلينا، لكنه على الأقل لا ينبح كما كان يفعل في المرة الأولى."

بدأ سنغر ينبح، وانبعث من ضجرته صوت أزيز ضيق، بدا الصوت ناعماً جداً بالمقارنة مع حجمه.

من الواضح أنه قصد أن يظهر تذمره الكامل. نعلم كلانا كم تحبينني مهما كان نوع تصرفي.

***

فكر مايك، " خطة، إنني بحاجة إلى خطة."

فرك مايك ذقنه، دون أن يدرك أنه يلوِّث فكه السفّلي بالشحم. فكر مايك: " أجل لقد كان هنري محقاً". قال شيئاً مهما. ما يحتاجه بالتحديد هي الخطة! ولكن المشكلة هي أن مايك يجد من السهولة أن يعرف بحاجته إلى وضع خطة، أكثر من وضع الخطة بحد ذاتّها. لم يكن مايك مخططاً محترفاً. كان من النوع الذي يساير الموج كيفما اتجه مثل سدادة الفلين التي تقوم فوق الأمواج لم يكن ذلك تصرُفاً سيئاً بشكل اعتيادي فمعظم الوقت كان يشعر بالسعادة والرضا عن النفس، حتى عندما لم يكن يؤدي عمله بشكل متقن كفنان وموسيقي.

لكن الرهان الآن أصبح أشد ثقلاً على كاهله. حان الوقت لكي يدلو بدلوه، ويبعثر أوراقه على الطاولة. إما أن يخسر أو يربح. لم تكن الأمور في مصلحته، وكان عليه أن يهز كتفيه. عليه أن يباشر العمل من الآن، لأن الطائر الذي يستيقظ باكراً، هو من يلتقط الدودة أولاً. حان الوقت لكي "يفعل شيئاً ما."

بالرغم من أن جميع المصطلحات المستعملة مناسبة له، كان لا يزال عاجزاً عن القيام بأية مبادرة.

خطة!

المشكلة برمتها هو أنه لا يعرف من أين يبدأ. في الماضي، كان هو الشاب الطيب القلب، والصديق الذي بمقدورها الاعتماد عليه دائماً. الشخص الذي كان يصلح لها سيارتها، ويلعب لعبة القرص الطائر مع سنغر، والشخص الذي أمضى فترة أول عامين بعد وفاة جيم، وهو يواسيها عندما كانت تبكيه .

بدا أنه لاأهمية لكل هذه الأشياء التي تبعثرت خلال أول لقاءَين مع ريتشارد. في الأسبوع الماضي تغير كل شيء، لقد تفادى رؤيتها. لم يتحدث إليها، ولم يزرها في منزلها، ولم يتوقف عندما كان يراها لمجرد أن يقول لها: مرحباً. وما النتيجة؟ هي أيضاً لم تزره ولم تسلّم عليه، وفي نهاية الأمر، كل ما فعلته هو أنها التقت بـ ريتشارد للمرة الثالثة.

إذاً ماالذي كان من المفروض عليه فعله؟ حتى أنه لم يستطع أن يتمشى هناك ويطلب منها الخروج. كانت تخرج برفقة ريتشارد، وماذا كان بوسعه أن يقول وهل يجرؤ على الاعتراض؟ أوه، هل أنت مشغولة يوم السبت؟ ماذا عن الجمعة؟ أو ربما الأسبوع القادم؟ ماذا عن فترة الفطور؟ فكر مايك أن كل هذه التساؤلات ستجعله يبدو بائساً، وهذا حسب ما قاله هنري، ما عليه أن يتحاشاه مهما كلف الثمن.

خطة.!

هز مايك رأسه: أحسُ بالوحدة. أسوأ مافي الأمر إما أن تكون هنالك خطة أو لا تكون.

أجل، الوضع الأكثر سوءاًهو مجرد التفكير بوجود ريتشارد، ولكنه خلال العامين الأخيرين اعتاد أن يتحدث مع جولي على الأقل مرة يومياً. وأحياناً أكثر من ذلك.

سيكون محطم الفؤاد لو تزوج ريتشارد بـ جولي. ولكن لو حدث أمر كهذا. ربما استطاع في حينه أن يتقبل أمراً كهذا. ولكن لم يستطع أن يتحمله هو أن يواجه حقيقة مشاعره التي عانى منها هذا الأسبوع الأخير. لم تكن مشاعر بخيبة الأمل فحسب، أو الخوف، أو حتى الغيرة. لم تكن مشاعريأس أيضاً بل أكثر من ذلك، لقد خسر جولي. خسر التحدث معها،

وابتسامتها، وسماع صوت ضحكتها. عندما كان يراقب عينيها، ظهيرة أمس بينما الشمس في كبد السماء، بدا له أن لونهما تغير من الأخضر إلى اللون الأزرق المخضَّر (الفيروزي). عندما كان يصغي إلى صوت تنفسّه السريع كلما اقتربت منه لكن تبدو له القصة مثيرة للضحك.

حتى أسلوبها عندما كانت تدفع ذراعه كان أسلوباً محبباً إليه. بما من الأفضل له أن يستجمع شجاعته ويتحدث إليها كما كان يفعل في السابق وكأن شيئاً لم يتغيرَّ بينهما. ربما عليه أنّ يخبرها بأنه أحس بالسعادة لأنها أمضت وقتاً طيباً في تلك الليلة، كما نصحته مابل أو هنري أو إيما.

فكر وقد غيَّر رأيه فجأة. "لا. لن أتمادى. ليس هنالك أي مبرر لكي يسمح لعاطفته أن تجرفه. عليه أن يتخذ الخطوة المناسبة في وقتها.

ولكنني سأتكلم معها.

أدرك مايك أنها ليست خطة محكمة، ولكن هذا كل ما استطاع أن يجد له حلاً.

***

الفصل الثامن

ناداها مايك: "هيه، جولي، انتظري."!

استدارت جولي لترى مايك يخبُّ السير مسرعاً باتجاهها بينما هي تتوجه نحو سيارتها. بدا سنغر يتبختر نحوه، فوصل إليه قبل جولي. رفع أحد مخلبيه ثم رفع الآخر، بدا وكأنه يودّ لو ينتزع مايك، ويغمره بعناق ودي وهو يلعقه مهدراً كمية من لعابه عليه لكن مايك تجنب ذلك – بقدر ماأحب سنغر أن يلعقه، بدا التصرف مثيراً قليلاً للاشمئزاز فيما لو تبلل بلعاب الكلب – لكنه حاول أن يلاعبه. مثل جولي، كان مايك يتحدث مع سنغر وكأنه بشر.

"هل افتقدتني أيها الشاب الضخم؟ بلى، بلى، افتقدتك أيضاً. يجب أن نلعب سوية."

رفع سنغر أذنيه باهتمام، وهز مايك رأسه.

"لن نلعب اليوم لعبة الصحن الطائر. أقصد نلعبها فيما بعد."

لم يكترث سنغر بالأمر. أما مايك فاتحه ثانية نحو جولي، وبدأ سنغر يدور ويمشي إلى جانبه، وهو يدفعه بمرفقه مداعباً. بالطبع المداعبة عبارة عن مصطلح نسبي. فالكلب جعل مايك يميل تقريباً نحو الصندوق البريدي قبل أن يتمكن من استعادة توازنه.

قال: " أظن أنك بحاجة إلى ترفيه كلبك. يبدو قلقاً للغاية."

"إنه سعيد برؤيتك. كيف حالك؟ مؤخراً لم أراك بما فيه الكفاية."

"إنني بخير. لكنني مشغول، هذا كل ما في الأمر."

عندما أجابها، لم يكن بوسعه إلا أن يلاحظ بأن لون عينيها قد ازداد خضرة هذا اليوم. بدت مثل الفرس.

قالت جولي: "كذلك أنا. كيف أمضيت ليلتك مع هنري وإيما؟".

" كانت ليلة سعيدة. تمنيت لو كنت برفقتنا، ولكن"..........

هز كتفيه وكأنه غير مهتم، بالرغم من أن ريتشارد أخبرها بأنه كان يراقبهما. لكنها ظنت أنه ربما غير مكترث. على كل لقد أدهشها عندما غيَّر الموضوع بشكل فوري. فقال:

"لدي أخبار سارة. تعرفين الفرقة الموسيقية التي كانت تعزف في تلك الليلة؟ أوكراكوك إفليت؟ أثناء خروجي في تلك الليلة طلب مني دروا الانضمام إليهم كعازف غيتار. الشاب الذي يعزف على الغيتار استدعي إلى حفلة عرس في شيكاغو، ومن المفروض أن تعزف الفرقة في الكليبر."

"واو – هذا عظيم. متى؟."

"في غضون أسبوعين. أعلم إنه حدث فريد، ولكنه سيكون ممتعاً."

"هل تقصد أنك ستعزف في مسرح يضج بالمشاهدين؟"

"بالتأكيد. أقصد، لم لا؟ أحفظ معزوفات معظم الأغاني."

ثم أن مقطوعات الفرقة الموسيقية ليست سيئة على الإطلاق."

"لم تخبرني بهذا الأمر من قبل."

"لم يطلبوا مني العزف من قبل"

"أوه – هل شعرت بالغيرة؟."

حالما لفظت جولي هذه الكلمة شعرت بالندم، ولكن بدا أن مايك لم يلاحظ.

"لا، لم أشعر بالغيرة. شعرت بالإستياء، أجل، ولكن الغيرة، لا. ثم من يعلم كيف ستسير الأمور؟ وهل باستطاعتي أن أحقق تماماً ما أريده للوصول إلى عزف نظامي متقن؟."

قالت جولي غير راغبة بأن تطفئ جذوة حماسته:" حسناً. إنني سعيدة بأن أراك تعمل."

مرت لحظات دون أن يتكلم أي منهما، ثم قال مايك:" إذاً، بماذا أنت مشغولة في هذه الأوقات؟ أقصد. أعرف أنك تقابلين ريتشارد، ولكنني لا أتحدث إليك كثيراً، هل تقضين أوقاتاً ممتعة؟."

"لا، ليس كثيراً. إن سنغر يدفعني إلى الجنون، هذا كل شيء عنه."

"سنغر؟ ماذا يفعل؟."

شغلته جولي بتصرفات سنغر، وبدأ مايك يضحك." ربما هو بحاجة إلى نزهة أو شيء ما؟."

"من يدري. لكن إذا لم يتوقف عن مشاكساته، سأشتري كلباً من الخارج."

"اصغي إلي- سأكون سعيداً بأن أريحك منه لبعض الوقت. سآخذه إلى الشاطئ وألاعبه حتى يعود إلى المنزل منك القوى. عندئذٍ لن يكون له حول لكي ينبح أو يلحقك بقية اليوم."

"لا أريد أن أتعبك معي."

"لكنني آمل أن يقبل مرافقتي. إنني أحب ذلك الشاب الضخم. أليس كذلك؟" . قال مايك وهو يمسك بـ سنغر.

تقبل سنغر محبة مايك وبادلها بنباح ودي.

سأل مايك:" هل من أخبار عن أندريا" محط حديثهما بشكل دائم.

"حدثتني عن موعدها يوم السبت."

جدع مايك أنفه." مع ذلك الشاب الذي كانت معه في الكليبر؟."

"هل رأيته؟."

"أجل. إنه رجل قبيح المظهر. له سن ذهبية. اعتقدت أنها محظوظة باختيارها، لكنني أظن أنني أخطأت."

ضحكت جولي." أتمنى التعرف عليه. قالت مابل بالضبط الشيء نفسه."

ثم بدأت تصف بجرأة كيف كانت أندريا تتحدث عن كوبرا. استمع مايك وهو يصغي إليها ولاسيما عندما حدثته عن إيد دي بونر. وفي النهاية بدأت جولي أيضاً تضحك.

سأل مايك:" بأي حال، ماذا عنها؟ ألا يمكنها أن تلاحظ أفعال الآخرين؟ إنني أشعر بالأسف لأجلها."

"على الأقل لا ينبغي عليك أن تشجعها. لكن للأمانة، إنها تجعل الجو ممتعاً في الصالون."

"أراهن على ذلك. أوه- بالمناسبة، طلبت من إيما إخبارك أن تزوريها. على الأقل هذا ما قاله هنري."

"حسناً. هل تعلم بخصوص ماذا؟."

"لا، ليس بالضبط. ربما تريد أن تعطيك وصفة طبية جديدة أو شيء ما تحدثتما عنه."

"لم نتحدث عن وصفات طبية. تحدثنا عن الأقمشة الجيدة."

"باختصار، أنت تنمين."

احتجّت جولي:" إنها ليست نميمة. هذا يدعى شيء من قبيل التواصل."

"حسناً، اصغي إلي، إذا سمعت أية أخبار طيبة، اتصلي بي،أوكي؟ سأكون موجوداً طوال الليل. وربما أستطيع اصطحاب سنغر معي لأريحك منه لفترة قصيرة. ربما في عطلة نهاية هذا الأسبوع؟."

ابتسمت جولي:" بإمكانك اصطحابه."

أحسَّ مايك بالسعادة والرضا عن النفس وهو يقوم بذلك العمل. لابأس، لم تكن المحادثة على ذلك المستوى الرفيع بالضبط لكنه تأكد على الأقل بأن جولي لاتزال تستمتع بالحديث معه. تبادلا الفكاهات والضحك، وهذا يدل على شيء أليس كذلك؟ بالطبع، يدل!

لقد تصرف بشكل صحيح- لا بدَّ من الحفاظ على مستوى المحادثة المرحة والابتعاد عن أي أمر يثير الغضب، والأفضل من كل هذا أنه أحس بالثقة وهو يعاود الحديث معها ثانية بأريحية، بعد أن تكلمت مع إيما. إيما دائماً تقول شيئاً. تستحق أن نصغي إليها، وفي نهاية الأمر سأكون سعيداً بصحبة سنغر فهذا ضمان لي بأن جولي ستتصل بي.

رفض أن يفكر بـ ريتشارد. في كل مرة كانت تراوده فيها صورته- أو

صورة ريتشارد بصحبة جولي، أو حتى صورة تلك العلبة الذهبية الصغيرة الحمقاء- حاول مايك أن يبعدها عن مخيلته.

ربما كان لـ ريتشارد تأثير داخلي في نفسه، لكن مايك لم يسمح له أن يفسد أفكاره بخصوص جولي في اللحظة الحالية.

ومعظم الوقت، اتبع استراتيجية مهذبة في التفكير .

استمر مايك في مزاج جيد طيلة فترة عمله، وأثناء عودته إلى المنزل، وحتى خلال العشاء. في الواقع، دام ارتياحه ذاك حتى استلقى في فراشه، يتابع أخبار المساء.

فكر مايك بحزن:" لم يرن الهاتف على الإطلاق."

بالنسبة إلى مايك، أحس أن بقية الأسبوع مرت مثقلة بالهموم. جولي لم تتصل به، ولم تعرج على الكراج لتسلم عليه.

بالرغم أنه كان بوسعه أن يتصل بها، وبالرغم أنه لم يتردد أبداً في رفع السماعة ليتكلم معها في الماضي، لم يجرؤ الآن على القيام بذلك. عرف أنها لم تتصل به لأنها كانت بصحبة ريتشارد،ولم يستطع أن يتخيل مشهد وصولها إلى منزله فقط لتشرح له عدم قدرتها على محادثته الآن لأنها كانت (برفقة ريتشارد). أو لأنها كانت (تستعد للخروج معه). أو لأنها (مشغولة بأمر ما يخصها). عرف أنها كانت تقضي بقية الليل وهي تتساءل عن المكان الذي ستذهب إليه بصحبة ريتشارد، وأنها لن تنام رمشة عنه وهي تحضر للقائه .

لم يتألم لأن جولي لم تتصل به في ذلك الأسبوع، وليس فحسب لأن

ريتشارد كان يتردد عليها يومياً (وربما في الليل أيضاً!). ولكنه حتى يوم الجمعة، رآها، وهي تغادر الصالون منتصف الظهيرة. بالرغم أنه يجهل إلى أين كانت ذاهبة، لكنه كان متأكداً لماذا خرجت باكراً هكذا من أجل ريتشارد.

حاول أن لا يكترث بالأمر، أقنع نفسه بأنه لايوجد مبرر للاهتمام. لماذا يهتم بتصرفاتهما؟ لقد خطط مسبقاً لقضاء ليلة هنية، لديه الجعة في البراد، والفيديو هناك في الزاوية، ويمكنه أكل البيتزا والاستمتاع بلعبة الدومينو في مكان لايبعد سوى مسافة تستغرق نصف ساعة. سيمضي مع نفسه وقتاً طيباً. لا، وقتاً رائعاً. ربما يعزف بعض النغمات، ويبقى صاحياً طوال الليل لو رغب بذلك.

تخيل نفسه لحظة وهو يقوم بكل هذه الأفعال، ثم تراخت همته.

فكر في نفسه:" يالي من شخص شجي. إن حياتي تجعل الناس الأصحاء يدخلون في غيبوبة."

ولكن ما الذي غير مجرى القناعات، بعد أن صمم مايك أن لا يهتم بأمرهما، فقد اكتشف أنه حتى الاصحاب غير المقربين يسمعون أخبارهما التي عمت أرجاء البلدة: في مخزن البقال، وفي مركبة القطار، وحتى أثناء عمله في الكراج. فجأة، أدرك مايك أنه حتى معارف جولي العرضيين، والأشخاص الذين كانت تزورهم لبضع دقائق فقط ظهيرة يوم السبت، عرفوا عن أخبارهما أكثر مما عرف هو. صبيحة يوم الأثنين، استغرق عشرين دقيقة تقريباً حتى استجمع قواه للنهوض من فراشه.

كان ريتشارد يصطحب جولي بسيارة الليموزين المزودة بشراب الشمبانيا، وكانا يذهبان إلى مطعم واليه لتناول الغداء. بعد ذلك، كانا يشاهدان عرضاً حياً للأوبرا.

إذا لم تكن كل هذه اللقاءات الخاصة كافية تماماً للتأثير على مشاعرها، فقد كانا يمضيان أيضاً يوم السبت معاً، بالقرب من ولمنغتن.

هناك كانا يمضيان نزهة في المنطاد قبل التنزه على الشاطئ. كيف له بحق الجحيم أن يتنافس مع شاب يغريها بكل هذه الرحلات؟

الفصل التاسع

قالت جولي لنفسها: " والآن إنها عطلة نهاية الأسبوع. بمقدور ريتشارد أن يقدم لـ بوب بعض التعليمات التي تساعده على التأثير في مشاعر سيدة. يا للجحيم! يستطيع ريتشارد أن يقدم حلقات دراسية بخصوص هذا الموضوع."

كانت جولي تحدق إلى صورتها في المرآة صبيحة يوم الأحد وهي لاتزال عاجزة عن تصديق ما يحصل معها. لم يسبق لها أن أمضت عطلة نهاية الأسبوع كذلك .... حسناً، لن تمضي أبداً عطلة كذلك.

كان المسرح تجربة جديدة بالنسبة إليها، وعندما أخبرها ريتشارد أخيراً

في سيارة الليموزين عن المكان الذي سيذهبان إليه، تصوَّرت أنها ربما تستمتع به لكنها لم تكن واثقة من ذلك على الإطلاق. مفهومها عن الموسيقيين كان متجذراً في أولئك الذين تأقلموا مع الأفلام من مضي جيل، مثل الموسيقي وأوكلاهوما!، في مكان ما من ذاكرتها، افترضت أن مشاهدة أداء ما في راليه كشيء متناقض لما يحدث في مدينة نيويورك، سيكون مشابهاً لمسرحية جميلة متقنة العرض في مدرسة ثانوية.

هل هي مخطئة؟.

كانت منتشية بكل ما شاهدته: زوجان ارتديا ملابس النوم وكانا يرشفان الخمر في الباحة قبل البدء بعرض المسرحية، الهدوء الذي خيَّم على الجمهور والأضواء التي بدأت تصبح باهتة، المقطوعات الموسيقية الأولى المؤثرة التي عزفتها الأوركسترا، التي جعلتها تقفز من مقعدها، رومانسية وتراجيدية القصة، و الأداء الموسيقي البارع والأغاني ذات المستوى الرفيع، والتي كان بعضها مؤثراً إلى درجة تجعل العيون تترقرق بالدموع.

والألوان، يالروعتها! والأثاث والأزياء ذات الألوان الجريئة، وطريقة استعمال وميض البقع الضوئية والصورة الأخاذة، كل هذا شكل تركيبة ساهمت في خلق عالم خاص على خشبة المسرح يضج بالغرابة والحيوية.

بدا المساء برمته خيالياً. لم يكن هنالك أي شيء مألوف، ولبضع ساعات أحست جولي وكأنها انزلقت فجأة إلى كون آخر حيث لم تكن تعمل مزينة شعر في بلدة جنوبية صغيرة، ولم تكن مجرد فتاة اهتماماتها عادية. لا، إنها تعيش في عالم مختلف، اقتصر على فئات محددة كانت تقرأ عناوين غير مثيرة في جريدة الصباح بينما تقوم المربية بتجهيز الأطفال استعداداً

للذهاب إلى المدرسة. بعد ذلك عندما خرجت بصحبة ريتشارد، حدقت إلى الأعلى، لم تشعر بأية غرابة حتى ولو شاهدت قمرين يتأرجحان في السماء قلب المدينة. ولكنها لم تكن تعاني. ففي طريق العودة إلى المنزل وهما يركبان الليموزين، وبينما كانت تستنشق رائحة الجلد المعطر بالمسك كما تدغدغ فقاعات الشمانيا أنفها، تذكرت أنها يجب أن تفكر.

إذاً هذا هو النصف الآخر من الحياة. يمكنني أن أتصور بالضبط الأسباب التي تجعل الناس يعتادون على حياة كهذه.

اليوم التالي أيضاً كان مفاجأة لها. ليس لأنه مجرد متعة، بل لأنها أجرت مقارنة بينه وبين ليلة البارحة.

الوقت في النهار بدلاً من الليل، ورحلة بالمنطاد بدلاً من العرض المسرحي، ونزهة على طول الشوارع الكرنفالية بدلاً من الركوب في سيارة الليموزين، ونزهة على الشاطئ بدلاً من تناول العشاء في مطعم.

ذخيرة هائلة من المسرحيات والمناظر في غضون يومين فقط، جعلتهما مثل عريسين يعتصران الساعات الأخيرة من شهر عسلهما لقضاء أكبر متعة ممكنة.

بالرغم من أن رحلة المنطاد كانت مسلية- ومروعة عندما عصفت بهما الريح، لكنها حقاً مسلية، استمتعا بوقتهما وهما ممسكان بأيدي بعضهما ويتمشيان ويتبادلان الفكاهات وريتشارد يلتقط لها عدد من الصور الفوتوغرافية، مع ذلك أكثر ما استمتعت به جولي كانت النزهة على الشاطئ. فهذه النزهة كانت معتادة على القيام بها. لقد قامت بالكثير من النزهات في حياتها- النزهات التي أولع بها جيم- لذلك أحسّت للحظة أنها تستعيد نفسها ثانيةً. لم يدم ذلك الشعور طويلاً. السلة المخصصة للنزهة

كانت تتضمن زجاجة ميرلوت وشريحة لحم بالفاكهة والجبنة، وبعد أن أنهيا طعامهما، عرض عليها ريتشارد أن يفرك لها قدمها. عندما عرض عليها ذلك بدا الأمر مبتذلاً، لكنها في بداية الأمر ضحكت، ولم تقل شيئاً، عندما أمسك قدمها بلطف، ونزع صندلها وبدأ بعملية التدليك، لم يكن بوسعها إلا أن تستسلم له، وهي تتخيل كيلوباترا التي لابدّ أنها كانت تشعر بالاسترخاء بينما يترنح سعف النحل بلطف فوقها. من الغرابة أنها تذكرت أمها في تلك اللحظة.

بالرغم من مضي فترة طويلة منذ قررت جولي بأن أمها لم تكن مسؤولة كأم ولا حتى مثال أعلى لها، لم تستطع إلا أن تتذكر أمراً ما قالته لها أمها مرة عندما سألتها جولي عن السبب الذي جعلها تكف عن رؤية صديقها الجديد.

في ذلك الحين أعلمتها أمها بحقيقة الأمر: "لم يؤرجح قاربي، شيء من هذا القبيل."

مضى على ذلك المشهد ثمانية أعوام، تساءلت جولي أين احتفظوا بالقارب ولماذا لم تَرَهُ أبداً.

بعد مضي عدة سنوات، أدركت جولي ماقصدته أمها، وبينما كانت تحدق إلى ريتشارد، وقدمها بين يديه، ظهر تعبير ما على وجهها.

ترى هل يؤرجح ريتشارد قاربها؟

عرفت بأنه يفعل. ربما لن تجد شاباً أفضل منه، ولكن ليس في سوانزبورو بكل الأحوال. فقد امتلك مواصفات كاملة كما كان يصفه الرجال المؤهلون، ولكن حتى الآن، وبعد أربعة لقاءات رومنسية وقضاء معظم الوقت سويةً، أدركت فجأة أنه لم يهزّ مشاعرها. بعد أن اكتشفت

حقيقة مشاعرها أحست وكأنها تغوص في أسفل بركة سباحة، لكنها لم تستطع أن تفكر ببساطة أن هنالك تركيبة سحرية أو كيميائية أو خليط بينهما. لم تشعر بها. لم تشعر بتلك الوخذات الخفيفة على عنقها مثل التي كانت تحس بها عندما كان جيم يمسك يدها، لم تشعر وكأنها تغلق عينيها وتحلم بمستقبل يجمعها، وكانت على يقين أنها لن تمضي اليوم التالي وهي شاردة الذهن تدور في دوامة رومانسية مغرية. اللقاءات التي خطط لها كانت خرافية، لم تكن واثقة أنها تعرفت على ريتشارد بشكل جيد، لم تعرف سوى أنه شاب وسيم..... شاب يعامل الأخر بلباقة.

تساءلت جولي إن كانت محاولتها تثير مشاعره نحوها، جزء من المشكلة. ربما هما بحاجة إلى المزيد من الوقت قبل أن تصبح علاقتهما سهلة ومريحة. فبعد كل هذا، استغرقت علاقتها مع جيم وقتاً حتى تطورت على ذلك الشكل. بعد مرور بعض اللقاءات معه، ربما تعيد النظر، وتتساءل لماذا لا تشعر بالاستقرار. صحيح؟

بينما كانت تسرِّح شعرها أمام المرآة، أعادت النظر في حقيقة مشاعرها. ربما فكرت في نفسها وهي تضع فرشاتها." أجل، حدث الأمر وانتهى. إننا بحاجة إلى التعرف على بعضنا بشكل أفضل. بالإضافة إلى أنه جزء من الخطأ يقع على كاهلي. لأنني أنا التي أكتم مشاعري."

بالرغم أنها تحدثت مع ريتشارد لعدة ساعات، لكن جل حديثهما دار بشكل سطحي. أجل، عرف عنها الأمور الواضحة، وهي كذلك عرفت عنه الأساسيات. لكنها لم تتطوع للإفصاح أكثر هن جوهر حياتها، كلما ذكر حديث بخصوص الماضي، حاولت أن تتفاداه.لم تكشف له كم كانت علاقتهما بأنها صعبة، وكم أحسَّت بالخوف عندما كانت ترى الرجال

يدخلون ويخرجون من بيتها طوال الوقت، وكم انتابتها مشاعر اليأس عندما غادرت المنزل لكي تلتحق بالمدرسة الثانوية. أو حتى كم شعرت بالذعر عندما عاشت في الطرقات، ولاسيما في أواخر الليل. لم تستطع أن تبوح له عن حزنها بعد وفاة زوجها، وعن حيرتها وضعفها وعدم قدرتها على الاستمرار في الحياة من بعده. كانت تلك ذكريات مؤلمة، تشعرها بالمرارة كلما استعادتها. أحياناً كانت تراودها فكرة أن تجعله يشراكها آلامها، وبذلك يتعرف عليها بشكل أفضل.

لكنها لم تفعل. لسبب ما، لم تستطع. كما لاحظت أنه هو أيضاً لم يخبرها عن نفسه الكثير. كان لديه أسلوبه الخاص في تفادي الحديث عن المستقبل.

ولكن هل كانت الأمور ستنتهي عند هذا الحد؟ هل سيفقدان القدرة على التواصل، والانفتاح على الآخر والثقة به؟ هي وجيم طورا علاقتهما بالتدريج، انطبقت عليهما أحجية (الدجاجة والبيضة)، إذ لم تستطع أن تتذكر من صالح الآخر أولاً، ومالذي حدث أولاً، الوخذات الخفيفة التي أحست بها على مؤخرة عنقها أو جميع تلك الأمور الأخرى.

قطع عليها رنين الهاتف استغراقها في التفكير. لحقها سنغر إلى غرفة الجلوس حيث رفعت جولي السماعة.

"مرحباً؟."

سألت إيما: " ماذا حدث؟ أريد سماع كل أخبارك. ولا تخفي عني أي حدث."

***

سأل مايك، دون أن يزعج نفسه بإخفاء استغرابه من الأمر:" تدليك القدم؟" . هذا الأمر لم يستطع سماعه من الغرباء.

"هذا ما أخبرت به إيما البارحة."

"ولكن ..... تدليك القدم؟."

"إنني أعترف له بجرأته."

"لم أقصد هذا" . صمت مايك وهو يدس يديه في جيبيه. ارتسمت نظرة تائهة على وجهه.

اتكأ هنري إلى الأمام وقال:" أصغي إلي. أكره أن أزف لك مزيداً من الأخبار السيئة، لكن بيني اتصل، ليقول لي بأنه قادم اليوم."

أجفل مايك وقال في نفسه:" بيني، يا الهي، بيني."

"أوه، هذا النهار سيئ للغاية، أليس كذلك؟" . تابع هنري كلامه:" وبلانسن بحاجة إلى شاحنته. عليك إصلاحها له، صحيح؟. هذا جزء من العقد الذي أجريته مع الناس، إنه أمر في غاية الأهمية."

"أجل، سأنهي إصلاحها."

***

لم تستطع أندريا أن تصدق ما يحدث، ولم تشأ أن تصدق. الأمر برمته جعلها تعاني الألم في معدتها، ولاسيما بعد أن لاحظت موقف جولي اللامبالي من كل العلاقة مع ريتشارد. سيارة ليموزين؟ شمبانيا؟ مسرحية ..... مسرحية تلفزيونية أو أياً كان اسمها؟ رحلة بالمنطاد؟ نزهة على الشاطئ؟.

لم ترغب أندريا سماع كل هذه الأخبار. حتى أنها لم ترغب سماع أخبار ولو بالمصادفة، ولكن علاقة كهذه من الصعوبة أن لايسمع بها الجميع في بلدة صغيرة كهذه.

لم تمض أندريا عطلة الأسبوع كما أمضتها جولي. لا، بل كانت عطلتها مشابهة لكل العطل التي أمضتها مؤخراً وهي شاردة الذهن، ففي يوم الجمعة، قضت أمسيتها في الكليبر، وهي تتهرب من كوبرا للمرة الثانية. بالرغم أنها لم تخطط لرؤيته هناك، فقد فاجأها وطوال الأمسية كان يبدو مثل جرثومة اعترضت طريقها. وماذا عن يوم السبت؟ كيف كان تمضي ساعات وهي تصلح أطراف أصابعها التي كسرت في الليلة الماضية؟ وماذا عن عطلة نهاية الأسبوع، ياحبيبي؟ كم رغبت أن تصرخ عالياً. أراهن أن كل مايحدث يجعل دمك يغلي من الغيرة، هاه؟

ولكن بالطبع، لم يسألها أي شخص حتى كيف تقضي عطلتها. لا، كل اهتمامات جولي ومابل كان منصباً حول ما فعلته جولي. إذاً ماذا حدث؟ أراهن أنها مفاجأة، هاه؟ هذا مدهش. جولي، جولي، جولي. كل الحديث لا يدور إلا عن جولي. وجولي تتصرف باللامبالاة وكأن الأمر برمته ليس صفقة كبيرة على الإطلاق. هناك في الزاوية، كانت أندريا تقلّم أظافرها وكأنها تريد الانتقام منهم. فكرت في نفسها." لا ينبغي أن تجري الأمور على هذا المنوال."

***

دفع ريتشارد الباب وانتظر ريثما تنتهي جولي من زبونتها. قالت جولي:" أوه، هيه ريتشارد. أوقات طيبة. سأنهي عملي في الحال."

بالرغم أنها لم تحدد مشاعرها بدقة، أحست بالسعادة وهو ينتظرها، عساها أن تفهم حقيقة مشاعرها بوضوح أكثر عندما تراه.

قال لها وهو يميل ليقبلها:" تبدين جميلة."

بالرغم أنه اختصر مرحلة وحاول تقبيلها بدون تمهيد، حاولت جولي أن

تتفادى أن تتقابل شفاههما. " لا داعي للمخاطرة، ولا أريد الإحساس بالخوف. ربما ..... قبلة عفوية تكفي."

في الحال خطر في بال جولي أمها: " إذا على هذا المنوال ربما يفضي بي الأمر النهاية إلى الجنون مثل ماما."

سألها: " هل لديك متسع من الوقت لاحتساء فنجان قهوة؟."

كانت مابل قد ذهبت إلى البنك. وأندريا تتصفح الجريدة في الزاوية. لكن جولي عرفت بأنها كانت تسترق السمع.

قالت جولي: " بلى. لدي القليل من الوقت. بعد نصف ساعة لدي زبون آخر."

وهي تجيبه، ركز ريتشارد نظره على عنقها الناعم سألها: " أين السلسلة؟" .

انسابت يد جولي بشكل اتوماتيكي على صدرها." أوه- لم ألبسها اليوم. تضايقني أثناء عملي لأنها تتشربك بملابسي، واليوم سأقوم بتجعيد شعر زبونتين."

"لماذا لا تحشرينها داخل الملابس؟."

"حاولت، لكنها تخرج وتتدلى ثانيةً". اتجهت جولي نحو الباب بمقدار خطوة." هيا. دعنا نخرج من هنا. لم أخرج طيلة فترة الصباح."

"هل أحضر لك سلسلة أقصر؟."

"لا تسخر مني. إنها مناسبة تماماً."

"لكنك لا تلبسينها."

لم تجبه جولي خلال فترة الصمت التي سادت، لكنها نظرت إليه بإمعان. بالرغم أنه لم يكن يبتسم، لكن ملامح وجهه ترجمت تعابير فيها شيء من المرونة.

سألته:" هل تتضايق كثيراً إذا لم ألبسها؟."

"هل الأمر يعود إليك. كما تشائين؟."

"أفضِّل أن لا ألبسها أثناء عملي."

من جديد ارتسمت تعابير السخرية على وجهه، وعادت ابتسامته فجأة إلى طبيعتها، وكأن كل ما حدث كان مجرد وهم.

قال:" سأشتري لك سلسلة أقصر. وبذلك تكون عندك اثنتان وبمقدورك أن تلبسي ما تشائين."

"لا داعي أن تفعل هذا ."

قال وهو يشيح ببصره عنها قليلاً، ثم يعاود النظر إليها:" أعرف. ولكنني أرغب بذلك."

حدقت إليه، وفجأة انتابتها مشاعر غريبة .... ما هي؟

***

وضعت أندريا الجريدة جانباً باشمئزاز حالما غادرا الصالون. وقالت في نفسها:" إن جولي أكثر فتاة حماقة على وجه البسيطة."

بعد عطلة نهاية الأسبوع التي أمضتها جولي، بماذا كانت تفكر؟.

كان عليها أن تتوقع مجيء، ريتشارد في أية لحظة. إنه يتردد عليها بشكل يومي تقريباً، واستطاعت أن تفهم بالضبط ماالذي جعل ريتشارد يتضايق عندما لم تكن تهتم به بما فيه الكفاية. لن يأتي إليها في كل يوم شاب مثل ريتشارد، يحمل إليها الهدايا مثل السياسي الذي يقضي عشية عيد الميلاد في دار الأيتام.

لكن هل تقدِّر جولي الأشياء نفسها التي يقدِّرها؟ هل سبق لها أن توقفت عن التفكير بأنه عليها أن تبحث عن سعادة ريتشارد بدلاً من السعي إلى سعادتها؟ هلاً توقفت عن الظن بأن ريتشارد اشترى لها سلسلة لأنه يرغب

بأن تلبس شيئاً أحمق؟ لأنها عندما تلبسه فهذا يدل على أنها تقدر قيمة كل ما يفعله لأجلها؟.

المشكلة هي أن جولي لم تدرك النعيم الذي تعيشه.

بلا شك اعتقدت بأن كل الشباب مثل ريتشارد. ربما جميعهم ينفقون الكثير من المال لشراء الهدايا والإنفاق على الغرائز واصطحاب النساء في سيارات ليموزين. ولكن الأمور لا تسير بهذه الطريقة. بكل الأحوال، ليس في بلدة صغيرة كهذه. كما قالت أندريا ليس هنالك شاب أنيق في البلدة كلها. يا للجحيم، ربما الليموزين لوحدها تكلف أكثر مما أنفقته على عزائمها في غضون السنة الأخيرة. ربما تكلف أكثر من معظم ما تكسبه في ظرف عام.

هزت أندريا رأسها. جولي لا تستحق شاباً مثله. من حسن حظها أن ريتشارد شاب رائع. وبالطبع لن ننسى مظهره الأنيق. بدأت تفكر أن ريتشارد كان حقاً من أكثر الشباب جاذبية من الذين سبق لها أن رأتهم.

إنها المناورة.

هذا الشعور الي ينتاب جولي وأحست أن عليها استعماله مع ريتشارد الذي عاد إلى عمله.

أن تكون مناورة. بالرغم أنه طلب منها وعداً بأن تلبس السلسلة أثناء عملها في المرة القادمة. وبالرغم أنه يجب عليها أن تشعر بالذنب لأنها لم تلبسها.

وبالرغم أن عليها أن تلبسها طوال الوقت.

لم تحبذ جولي ذلك الشعور، وكانت تحاول أن توفق بينه وبين ذلك الرجل الذي يصطحبها في عطلة نهاية الأسبوع.

لماذا يبدي انزعاجاً شديداً من الأمر ..... تافه؟

هل كانت تلك حقاً قضية كبرى بالنسبة له؟

بالطبع، لا، إذا كان يتساءل عن حقيقة مشاعرها نحوه ويريد معرفتها بوضوح أكثر.

تجمدّت جولي بشكل مؤقت، وهي تتساءل إن كانت مشاعرها حقيقية لاسيما بعد الذي أحست به يوم الأحد. لقد انقطعت السلسلة. منذ قدمها لها، وانقطعت في نهاية الأسبوع. لم يكن من المستحيل أن تلبسها أثناء العمل، ولكنها كانت غير مناسبة. ولكن هذا الصباح قررت أن تتركها في المنزل، ..... ربما. .....

فكرت جولي وهي تهز رأسها." لا، لاينبغي أن أفعل ما طلبه من ريتشارد". عليها أن تفعل بالضبط ما تراه مناسباً .

قطعت السلسلة مرتين في الأسبوع الماضي، وأثناء عملها كانت تلتصق بشعر الزبائن أكثر من مرة. لاينبغي أن تلبسها لأنها لا تريد أن تنتزع.

بالإضافة إلى أن السلسلة لم تكن جوهر الموضوع. فهذا لا يخصها ولا يتعلق بها سواء لبستها أم لا، الموضوع يخص ريتشارد والطريقة التي تفكر بها. وليس فحسب بما يحدث، وإنما بكيفية ما يحدث. الأسلوب الذي تكلم به، والنظرة التي ارتسمت في عينيه، والمشاعر التي نقلها إليها..... كل هذا شعرها تشعر بالضيق.

لم يتصرف معها جيم أبداً بهذه الطريقة. حتى عندما كان جيم يغضب وهذا نادراً ما يحدث- لم يحاول أبداً أن يناورها. ولم يحاول أن يخفي غضبه خلف ابتسامته المتكلفة. ولم يتركها جيم أو هي تشعر بذلك النطباع الذي خلفه ريتشارد عندما غادرها، انطباع لا تحبذه أبداً.

بدا ريتشارد يشير إلى حقيقة مفادها، أنه طالما تفعل كل شيء حسب رغبتي، ستسير الأمور على ما يرام. ولن نواجه هذه المشكلة ثانية.

تساءلت جولي:" ماذا عن المشاعر التي انتابتني بخصوص ذلك الموضوع؟

***

الفصل العاشر

كان مايك واقفاً في الكراج، منحني الرأس ومستغرقاً في التفكير، ويبذل قصارى جهده لكي لايفقد أعصابه ويمسك زبونه من رقبته.

كم تمنى لو بعتصر هنري من رقبته، لأنه خدعه وابتلاه بهذا الزبون الخاص. حالما دخل بيني ديكنز، تذكر هنري فجأةً مكالمة مهمة نسي أن يجريها ففر هارباً متوارياً عن الأنظار." لا تمانع بأن تهتم له يامايك، أليس كذلك؟"

بيني في ربيعه الواحد والعشرين، وعائلته تمتلك منجماً للفوسفور خارج البلدة، وشركة فيها أكثر من ثلاثمائة شخص مسجلين في بيان الرواتب، مما جعله أكبر موظف في سوانزبورو. طرد بيني من المدرسة وهو في المرحلة

السادسة، لكنه يمتلك منزلاً فسيحاً على كتف النهر، اشتراه من مال أبيه. بيني لم يرهق نفسه بالعمل، وليست لديه أبداً ما يعمله، وكان لديه على الأقل أخوان صغيران يعيشان في البلدة من والدتين مختلفتين.

لكن عائلة ديكنز كانت تدر أكبر ربح على الكراج، والأعمال الصغيرة كتلك التي في الكراج لاتتحمل أية خسارة. والأب يحب ابنه.

اعتقد أن ابنه مسبع الكارات. ومنذ فترة طويلة قرَّر مايك أن الأب شخص أبله.

قال بيني وقد بدأ خداه يتوردان، وصوته يرتفع ليصبح نحيباً:" أعلى. أخبرتك أنني أريد صوته أعلى."!

كان يتحدث عن محرك سيارته التي اشتراها حديثاً. لقد أحضرها إلى الكراج بحيث يجعل مايك صوت المحرك أعلى. افترض مايك أنه رغب بأن يرفع صوت المحرك لكي يتناسب مع ألسنة اللهب التي كان قد رسمها على غطاء السيارة ومع النظام الصوتي الذي نصَّبه. بالرغم أنه لم يدرس في الجامعة، لكن بيني كان يأخذ سيارته إلى هناك أثناء الأسبوع الذي يلي العطلة الربيعية على أمل أن يغري بها أكبر عدد ممكن من الشابات.

قال مايك:" إنه مرتفع. إذا جعلته مرتفع أكثر، سيصبح غير قانوني."

"إنه قانوني."

قال مايك:" سوف تتوقف على جانب الطريق، أضمن لك هذا."

رمش بيني عينيه، وكأنه كان يحاول أن يفهم ما قال مايك." أنت لا تعرف ماذا تقول، إنك قرد أحمق ملوث بالشحم. هذا قانوني. هل تسمعني؟".

قال مايك موافقاً:" قرد أحمق ملوث بالشحم! حسناً."

التفت يداه حول عنق بيني وبدأ يعصر جوزة حلقه. وضع بيني يديه على وركي مايك. كالعادة كان يلبس كفوفه.

"ألا يصلح بابا جميع سياراته هنا؟."

"أجل."

"ألست زبوناً جيداً أيضاً؟."

"أجل."

"ألا أحضر سيارتي إلى هذا المكان لإصلاحها؟."

"أجل."

"ألا اسدد الثمن في وقته دائماً؟."

"أجل."

"إذاً لماذا لا تريد رفع صوت المحرك؟! أذكر تماماً جئت إلى هنا وشرحت لك هذا بوضوح مستفيض من مضي الوقت. قلت لك أنني أريد صوته أعلى! من أجل الاصطدام بالمرتفعات! وإصدار صوت إحتكاك أقوى! ولن يهدأ بالي! هل تسمعني؟."

"كما تشاء."

"إذاً فلتجعل صوته عالياً."!

"عالياً."

"أجل! وأريده أن يعمل بدءاً من الغد."!

"الغد."!

"عالياً! هل تفهمني، واضح؟ أريده عالياً."!

"واضح."

كان هنري يفرك فكه مستغرقاً في التفكير وهو واقف خلف مايك.

حالما انطلق بيني بسيارة الجاكور، دخل هنري الكراج. مايك لايزال يغلي غيظاً، وهو يتمتم لنفسه بينما يتفحص المحرك، بدون أن يشعر بوجود هنري.

اقترح عليه هنري قائلاً:" ربما عليك أن تجعل صوته عالياً، أقصد المحرك."

حدَّق إليه مايك:" اخرس يا هنري."

رفع هنري يديه، وكأنه يلعب دور البريء:" إنني أحاول فقط مساعدتك."

"أجل، بالتأكيد. مثل الشخص الذي يحرك القاطعة على كرسي كهربائي. لماذا تجعلني أعقد صفقة مع ذلك الشاب؟."

"تعلم أنني لا أستطيع معارضته."

"أوه، وأنا أيضاً لا استطيع؟."

"ربما لا. ولكنك تسيء إليه أكثر مما أسيء إليه. وتعلم جيداً أننا لا نجرؤ على خسارة شركة أبيه كزبون عندنا."

"لقد خنقته تقريباً."

"لكنك لم تفعل. فكر فقط، ربما تستطيع الآن أن تهتم به أكثر."

"لكنه لا يستحق هذا الاهتمام."

"آه، مايك، هيا. إنك تتعامل مع نفسك وكأنك محترف حقيقي. إنك تثيرني."

"لقد نعتني بالقرد الأحمق المشحَّم."

وضع هنري يده على كتف مايك:" ربما عليك أن تعتبر هذا مديحاً. ولكن إصغِ إلي، عندما يتكرر حدث كهذا، عليك أن تحاول التغيير من أسلوب تصرفك. وأن تقوم بتهدئته قليلاً."

"أسمعه شريط تسجيل مثلاً؟."

"مثل ماذا؟."

"لا أعرف". صمت هنري ثم بدأ يفرك ذقنه.

"هل سبق لك أن فكرت بأن تعرض عليه مساج قدم؟."

جمد مايك في مكانه مدهوشاً .

أحياناً تنتابه مشاعر مقت شديد تجاه أخيه.

لعد الساعة الرابعة بقليل جاء جيك بلانسن ليأخذ سيارته، وبعد أن سدَّد الحساب في المكتب، شق طريقه نحو مايك. قال مايك:" المفاتيح شغالة. ولمعلوماتك، أصلحت لك الفرامل فقد كانت متراخية. فقط استعد لتشغيلها."

وافق جيك بلانسن. إنه عامل ناجح، منتفخ البطن، عريض المنكبين، وكان يحشر نكاشة أسنان بين أسنانه ويضع شعار NASCAR على قبعة البيسبول.

كان قميصه قد تصبَّب عرقاً، تاركاً بقعاً دائرية الشكل تحت ذراعيه. بنطاله الجينز وحذاؤه علقتهما طبقة سميكة من الغبار.

قال جيك:" سأخبرهم جميعاً أن الصيانة هنا تتولى كامل مهامها وتصلح كل ما هو معطل في السيارة. ولكن الأسياد هناك يظنون أنفسهم أنهم يتمتعون بالحصافة."

أومأ مايك باتجاه هنري. " أعرف قصدك. ذلك الشاب الذي كان هنا منذ قليل يسبب الوجع الحقيقي لكل من يتعامل معه. ولكنني سمعت أنه مخبول، لذلك لا أستطيع أن ألومه. من الفظيع أن أعلم بأنه مجرد نصف رجل."

ضحك جيك، وقد سعد بهذا الشتم.

ابتسم مايك أيضاً، بعد أن أحس أنه انتقم لنفسه ولو بشكل جزئي. " ما عدد الشبان الذين تتعامل معهم في هذه الأيام؟."

"لا أعرف. ربما مئتان. لماذا؟ هل تبحث عن عمل؟."

"لا- أعمل ميكانيكياً. لكنني التقيت بأحد المهندسين والذي يعمل مستشاراً على الجسر."

"من هو؟."

"ريتشارد فرانكلين. هل تعرفه؟."

تقابلت نظراتهما، وانتزع جيك نكاشة الأسنان من فمه، وقال:" أجل، أعرفه."

"إنه شاب لطيف، أليس كذلك؟."

"ما رأيك؟."

الحذر الذي طغى على نبرته جعلت مايك يتردد." جوابي لا."

بدا جيك أنه قدّر قيمة جوابه.

سأله أخيراً:" هل هو صديقك؟."

"لا- كما قلت لك، قابلته مرة."

"مرة تكفيني. إنك بغنى عن التعرف إليه."

"لماذا؟."

بعد فترة طويلة هز جيك رأسه، وبالرغم أن مايك حاول اكتشاف المزيد من المعلومات، لكنه التزم الصمت. وبدلاً من ذلك غير الموضوع ليتكلّم عن السيارة وغادر الورشة بعد بضع دقائق، تاركاً مايك في حيرة من أمره يفكر بالذي لم يفصح عنه جيك ويتساءل ما هذا الأمر المهم الذي يخفيه عنه.

عندما جاء سنغر وقطع عليه سلسلة أفكاره. ناداه مايك. " هيه، أيها الشاب الضخم."!

عندما اقترب منه سنغر، قفز متوازناً على ساقين، وهو يضغط بمخلبيه الأماميين على صدر مايك وكأنهما يرقصان في حفلة. صدر أزير خافت من حنجرة سنغر وهو يعوي مستمتعاً.

سأله مايك:" ماذا تفعل هنا؟."

عاود سنغر الوقوف على أرجله الأربع، ثم استدار وحدَّق نحو خزانة مايك.

قال مايك وهو يلحق به: "ليس لدي أي طعام. ولكن هنري لديه طعام في مكتبه. دعنا نذهب وننظفه له."

تقدم سنغر. وبعد أن فتح الدرج السفلي لمقعده هنري، أخرج مايك أكلات هنري المفضلة- حلويات سكرية صغيرة وبسكويت مغطس برقائق البطاطا والشوكولا- ووضعها على كرسي هنري. بدأ يقذفها القطعة تلو الأخرى وسنغر بدوره يلتقتها وهي عائمة في الجو، ويلتهمها كما يلتهم الضفدع الذباب.

بالرغم أنه لم يستحسن الطريقة في تناول الطعام لكنه كان طوال الوقت يهز ذنبه موافقاً. بالرغم من أن هنري لو علم الأمر لتضايق كثيراً بعد أن خسر مؤونته.

بعد أن خرج آخر زبون لديها، نظرت جولي حولها في الصالون وسألت مابل:" هل شاهدت سنغر؟."

قالت مابل:" سمحت له بالخروج فترة قصيرة. كان واقفاً عند الباب."

"منذ متى حدث ذلك؟."

"أظن من مضي ساعة."

نظرت جولي إلى ساعتها. لم يغب سنغر أبداً هذه المدة الطويلة من قبل." ولم يرجع؟."

"أعتقد أنني رأيته يتوجه نحو ورشة مايك."

كان سنغر ملتفاً على نفسه داخل بطانية قديمة، ويشخر بعد أن التهم طعامه بينما يصلح مايك ناقل الحركة في المحرك.

نادته جولي:" هيه، مايك، إلا تزال هنا؟."

لدى سماع صوتها نظر إليها مايك واتجه نحو الفسحة وناداها:" هيه، أنا هنا". رفع سنغر رأسه، وترنح بصره.

"هل رأيت سنغر؟."

"أجل، إنه هنا". أشاد نحوه وانتزع خرقة. بعد أن مسح يديه، نهض سنغر وانطلق نحوها.

قالت عندما اقترب منها سنغر وبدأت تداعب ظهره بينما هو يدور حولها:

"أنت هنا. كنت قلقة عليك."

ابتسم مايك، شاكراً سنغر لأنه لم يرجع.

نظرت للأعلى: هل أنت مشغول؟."

"ليس كثيراً. كيف حالك؟."

"إنني بخير."

"بخير تماماً؟."

قالت: " تعلم أنه من الأيام المرهقة."

قال موافقاً: " أجل افترض ذلك. لاسيما اليوم. جاء بيني اليوم من أجل مشغل السيارة، ثم كاد هنري بعدها أن يموت."

"لحظة - هل قلت بأن هنري كاد أن يموت؟."

"أن يموت... أن يقتل... أياً كان الأمر. لقد تمالكت نفسي في الدقيقة الأخيرة. لم أستطع أن أتخيل ما سيقوله لي والداي وأنا خلف القضبان. ولكن دعيني أخبرك. أن الحدث السيء كان على وشك الاقتراب."

"هل أرهقك اليوم في العمل؟"

"ومتى لم يرهقني في العمل؟"

قالت جولي: "أوه ياللمسكين! ذكرني أن أسكب لأجلك الليلة نهراً من الدموع."

"أعرف أنه باستطاعتي الاعتماد عليك."

ضحكت جولي. كان يبدو أحياناً ظريفاً للغاية، لاسيما بتلك الغمازة المرسومة في وجهه. " إذاً ماذا فعل؟ هل خرق لك الأفرول ثانية من الخلف؟."

"لا. هذا تصرف بات قديماً. بالإضافة إلى أنه فعل ذلك آخر مرة، فبعد أن غلقت مفتاح الربط وطلبت منه أن يثبته في وضع معين بينما أتفحص شيئاً ما. لم يستطع أن يغلقه حتى صباح اليوم التالي. هل كان عليه أن ينام مع الرنش؟."

قهقهت جولي: " أذكر ذلك. إنه لا يأخذ منك أي شيء تقدمه له إلا بعد مرور عدة أسابيع."

قال مايك وهو يستظلم نفسه ويظن أن هذه اللحظة هي أفضل لحظات حياته: "أجل. علي القيام بإصلاح كل الأشياء، مع أنني لا أفكر بتلك الطريقة."

"بغض النظر عما نقوم به، إنه سيرهقك دائماً في العمل. ولكن تذكر - إنه يفعل هذا لأنه شخص غيور."

"تعتقدين ذلك؟."

"بل أدرك ذلك جيداً. إنه أصلع الرأس ومصاب بمرض دنلوبس."

"دنلوبس؟."

"أجل، بطنه يتدلىّ فوق حزامه."

ضحك مايك: "أجل. من الصعب التخلص منه."

"إذاً.... لم تجب على سؤالي. كيف كان يومك؟."

لم يستطع مايك أن يشرح تعليق هنري. وبدلاً من ذلك، تحرك باتجاه آلة الصودا، ودس يديه في جيبه من أجل إحداث شيء من التغيير، وقال بعفوية: " أوه – تعلمين المعاناة القديمة ذاتها."

وضعت جولي يديها على وركيها: " ربما ستكون مرتاحاً أكثر إذا لم تفصح لي عما في داخلك."

"لن أفصح"، قال مايك ثم انتصب على قامته، وتكلم بنبرة جدية، " ولكنني أحياناً لا سعني إلا أن أقول لك بأنك تتبنين تصرفاته الغريبة، وهذا يجرح مشاعري"

قدم لها مشروب دايت كوك وأخذ لنفسه مشروب بيبر. لاداعي أن تطلب ما تريد، فقد عرف مسبقاً طلبها.

أخذت منه العلبة وقالت: " أجرح مشاعرك؟."

"أجل مثل السكين."

"هل علي أن أسكب الليلة نهرين من الدموع؟."

"اثنان سيكونان كافيين. ولكن اجعليهما ثلاثة، عندئذٍ سوف أسامحك."

عندما ابتسم ابتسامة عريضة، أدركت جولي أنها مقصرة في حقه وكان عليها أن تتحدث معه مؤخراً. " إذاً بعيداً عن هنري، هل حدث أي أمر ممتع اليوم؟."

صمت مايك. دخل شاب يدعى جيك بلانسن، وقال أشياء مخفية بخصوص ريتشارد. هل عليه أن يفصح عن الأمر. لا، لم يكن ذلك هو.

هزَّ رأسه: " لا لمْ يحدث شيء. ماذا عنك؟."

نظرت باتجاه سنغر: " لا شيء، إلا فيما يتعلق بذلك الشاب الذي يهرب بعيداً. لبرهة من الزمن أصبت حقاً بالذعر لأنني أحسست أن يحدث له مكروه."

"سنغر؟ لن تجرؤ أية سيارة أن تصطدمه لأنه سيسحقها مثل بعوضة."

"ومع ذلك جعلني غيابه فجأة أقلق عليه."

"هذا لأنك امرأة. الرجال مثلي - لا يصيبهم القلق. إننا مدربون لكي لانصاب بالذعر."

ابتسمت جولي:" هذا جيد. عندما يحدث الإعصار".

ستكون أول شخص استنجد به لكي يصلح لي المنزل،

"بكل الأحوال عليك فعل ذلك. لا تنسى؟ حتى أنه عليك أن تشتري لي مطرقتي الخاصة."

"حسناً. لا يمكنك أن تتوقع هذا مني. لأنني سأكون عندئذ مذعورة."

ضحك مايك ضحكة خافتة، والتزم بالصمت لفترة قصيرة. فكر في نفسه. والآن ماذا أقول؟.

سألها محاولاً أن يبقى عفوياً: " إذاً كيف تسير أمورك مع ريتشارد؟."

ترددت جولي. تساءلت في قرارة نفسها. أجل، كيف تسير؟.

أجابت: "على مايرام. كانت عطلة نهاية الأسبوع جيدة، ولكن.... مشت بتثاقل، وهي تفكر، بالجواب الذي ستقوله لـ مايك.

"ولكن ماذا؟."

"لاشيء منهم."

تفحصها بإمعان: "هل أنت واثقة؟."

.أجل . لما قلت لك، لاشيء."

أحس مايك بأنها ليست على ما يرام لكنه تجاهل الأمر. هي لم تشأ التحدث عن ريتشارد، وهو لم يرغب أن تتكلم عنه. ليست لديه مشكلة بخصوص هذا.

"حسناً. اصغِي إلي. إذا شعرت أنك بحاجة إلى أن تتكلمي عن أي أمر، فأنا موجود، أوكي؟."

"أوكي."

قال: " إنني جاد. أنا دائماً في خدمتك."

وضعت يدها فوق كتفه بود، محاولة أن تخفي توترها: "أعلم أنك جاد. أعتقد أنك تنفذ ما تقوله وأكثر. ولكن عليك أن توسع آفاق حياتك، عليك أن تزور العالم وتقوم برحلات خارجية."

"ماذا؟ وأخرِّب نظامي الروتيني وليالي المتعاقبة في مشاهدة برنامجي المفضل؟"

قالت جولي: " بالضبط. أي شيء أفضل من مشاهدة التلفاز. ولكن إن لم تكن تفضل السفر، فعليك بممارسة هواية أخرى. مثل اقتناء آلة موسيقية أوأي شيء آخر."

ضغط مايك على شفتيه: " والآن ياعزيزتي، إنه نقد لطيف."

ومضت عينها: "لطيف مثل نقد هنري لك؟."

فكر بالأمر: " لا. نقد هنري أفضل."

"جرذان."

"ماذا بوسعي أن أقول؟ لست إلا محتالة".

ابتسمت جولي، ثم اتكأت قليلاً إلى الوراء، وكأنها تأخذ وقتاً كافياً لكي

تعيد تقييمه. " تعلم أنك من السهولة أن تنسجم مع شخص آخر، أليس كذلك؟".

" لأنه من السهل مضايقتي؟"

"لا. لأن روحك رياضية."

صمت مايك لحظة ريثما يمسح القليل من الشحم المتراكم على أصابعه، ثم قال: "هذا مضحك" .

"ماذا؟".

"تلك الكلمات التي تقولينها. قالتها أندريا لي في ذلك اليوم".

"أندريا؟" كررت جولي، وهي تتساءل إن كان ما سمعته صحيح.

"أجل في عطلة هذا الأسبوع عندما التقينا. وهذا ماذكرني - أنه من المفترض أن أقابلها في غضون بضع دقائق".

نظر في ساعته ثم إلى خزانته.

لم تستطع جولي أن تخفي ارتباكها، "ولكن... انتظر... أندريا؟".

"أجل، إنها فتاة رائعة. أمضينا صحبة ممتعة. ولكن اسمعي، علي أن أذهب."...

أمسكت جولي بذراعه: "ولكن... أنت وأندريا؟".

حدّق إليها مايك بوقار لفترة قصيرة، ثم غمز بعينيه: "علي أن أذهب، أليس كذلك؟"

شبكت جولي ذراعيها وقالت: "لا".

"هيا اعترف"

حسناً، جميل، سأعترف.

نظر إليها مايك برضا، "جيد، والآن نحن على مايرام".

الفصل الحادي عشر

تركت جولي الباب يتأرجح خلفها، وهي لاتزال مستمتعة بمحادثتها مع مايك. نظرت إليها مايل من فوق المقعد. وسألتها : " أليس من المفروض أن تقابلي ريتشارد اليوم؟".

"لا. لماذا؟".

"جاء إلي هنا وسأل عنك. ألم تشاهديه؟".

"كنت في الكراج مع مايك".

"ألم تقابلي ريتشارد في طريق عودتك؟".

"لا".

" هذا غريب. من المفروض أن تقابليه في الشارع. أقصد أنه غادر من مضي وقت وأعتقد أنه ذهب للبحث عنك".

حدقت جولي إلى الباب:" لا أظن. هل قال لك ماذا يريد؟".

"ليس بالضبط. لكنه فقط كان يبحث عنك. إذا استعجلت بوسعك اللحاق به".

استدارت مايك عن آلة الاستجواب وأنهت تسوية المقعد، وهي تراقب جولي إن كانت أم لا. عندما مرت لحظة - كان القرار يعود لها - تابعت كلامها وكأنها لم تقترح ذلك القرار.

"لا أعرف ما مشكلتك، لكنني مصدومة لكثرة ماسمعت من هموم. كل شخص قابلته يتذمر .... إن لم يتذمرن من شعرهن، اشتكين صغارهن أو أزواجهن أو من الواعظ الجديد أو من نباح الكلاب أو من جنون السائقين القادمين من الشمال. أحياناً يخطر في بالي أن أقول لهم بأن عليهم أن ينضجن أكثر. تعرفين ما أقصد؟".

كانت جولي لا تزال تفكر بـ ريتشارد. تمتمت لنفسها:"هل علي أن أبدو بمزاج حسن؟".

"وحتى مايك؟".

لوّحت جولي يدها بأريحية:"لا، ليس مايك. مايك دائماً يحافظ على مزاجه".

سحبت مابل الدرج السفلي لمقعدها وأخرجت قارورة."حسناً. حان وقت لإزالة نسيج العنكبوت عنها. هيا انضمي إلي؟".

استمتعت مايل وهي تزيل خيوط العنكبوت بانتظام، وبالنتيجة، جمعت كمية كافية.

"أجل، سأنضم إليك. سأقفل الباب".

أخرجت مابل كأسين من البلاستيك من الدرج السفلي، وتمدّدت على الأريكة. بعد أن انضمت إليها جولي، وخلعت مابل حذاءها، وأسندت قدميها على الطاولة، واحتست مشروبها أغلقت عينيها وأسندت ظهرها إلى الوراء، بدت وكأنها تظن نفسها جالسة على أريكة مريحة على شاطئ بعيد، تستمتع بالضوء والدفء، تحت ظل شمس استوائية.

سألت وهي لاتزال مغلقة عينيها :"إذاً كيف هي أحوال مايك؟ لم يأت إليّ منذ مدة".

"لا شيء مهم. إنه يعمل، ويتشاجر مع هنري لمدة طويلة، كما هي العادة. أما بخصوص الأمور الأخرى فليس هناك الكثير لأخبرك إياه". صمتت وأشرق وجهها ."أوه، هل سمعت بأنه سيعزف في الكليبر في غضون بضع أسابيع؟".

قالت بنبرة تخلو بوضوح ومن الحماسة:"أوه ...... هوري".

ضحكت جولي:"سيبدو الأمر لطيفاً. في الواقع، إنها فرقة موسيقية تعزف بشكل جيد".

"هذا لن يغير شيء".

"لكن عزفه ليس سيئاً".

ابتسمت مابل قبل أن تنهض."أوه، ياحبيبتي، أعلم أنه صديقك، ولكنني أعتبره وكأنه قريب لي.كنت أراقبه وهو يدور في الحلقة المفرغة، ثقي بي عندما أقول لك بأنه عازف سيء. أعرف أن رأيي به يدفعك إلى الجنون، طالما أنه يفعل كل ما يرغب به. ولكن كما تقول الحكمة،"المغنون السيئون لا يعانون، لأنهم سيبخشون آذان مستمعيهم".

"الحكمة لا تقول ذلك".

"لا بدّ أنها تقول ذلك طالما أن مايك يدور حول نفسه بهذا الشكل".

"أوه حسناً، إنه يحب العزف، وإذا كان أداؤه يجعله سعيداً، فسأكون سعيدة لأجله".

ابتسمت مابل: "إنك حقاً فتاة مميزة يا جولي. لا أكترث لما يقوله الآخرون عنك - فأنا أحبك".

أمسكت كأسها باستمتاع.

قالت جولي وهي تدق الكأسين ببعضهما: "تعادلنا".

سألت مابل: "كيف أحوالك مع ريتشارد؟ بعد أن سأل عنك اليوم، لم تذكريه على الإطلاق".

"إنه بخير، على ما أظن".

تمعنت مابل بوجه جولي لحظة من الزمن.

"لماذا لم تلحقي به من مضي بضع قائق عندما اقترحت عليك ذلك؟".

أجابت جولي: "لا داعي أن ألحق به، رأيته منذ فترة قصيرة".

قالت مابل بصعوبة: "آه، أظن أنه تصرف مؤثر".

أخذت جولي رشفة من مشروبها، وهي تشعر بحرقة في مؤخرة حلقها. بالرغم أنها لم تستطع التحدث مع مايك بخصوص ريتشارد، لكن الأمر بدا مختلفاً مع مابل. إذ بمقدور مابل مساعدتها في فهم مشاعرها جيداً تجاه ريتشارد.

سألت: "هل تذكرين السلسلة التي أهداني إياها؟".

"كيف أنساها؟".

قالت جولي: "حسناً، المشكلة هي أنني لم أكن ألبسها في ذلك اليوم".

"هكذا إذاً؟".

"هذا ما اعتقدته. لكن ريتشارد استاء من الأمر".

"إذا كان أمر كهذا جعله يستاء، ذكريني بأن لا أقدم له رغيف اللحم كوجبة دسمة".

عندما لم تجب جولي، لوّحت مابل بكأسها قبل أن تتابع كلامها: "إذاً شعر بالاستياء لماذا؟ للرجال خصوصيتهم، وربما كانت تلك إحدى خصوصيته. صدقيني - هناك أمور أسوأ من هذا. ولكن أعتقد أن عليك أن تقدري جيداً ما حدث اليوم. التقيتما ثلاث مرات، أليس كذلك؟".

"في الحقيقة أربع مرات. إذا حسبت أننا التقينا مرتين خلال عطلة الأسبوع الماضي".

"وقلت بأنه لطيف، صحيح؟".

"أجل".

"إذاً ربما شهد يوماً قاسياً. أخبرتني بأنه يعمل لساعات طويلة، صحيح؟ ربما كان عليه أن يعمل يوم الأحد حتى وقت متأخر. من يعلم؟".

نقرت جولي الكأس بإصبعها. "ربما".

حركت مابل السكر في كأسها كالدوامة، وقالت: "لا تقلقي كثيراً بسبب موضوع كهذا. طالما لم يتجاوز حدوده. فليست قصة كبرى".

"إذاً هل أتجاهل الأمر؟".

"ليس بالضبط. لا ينبغي عليك تجاهله بشكل كامل".

نظرت إليها جولي، وتلاقت نظراتهما.

"خذيها نصيحة من سيدة قابلت الكثير من الرجال على مرٍّ عدة سنوات. الجميع بما فيهم أنت- يظهرون أفضل محاسنهم في بداية العلاقة. أحياناً تتحول بعض الهفوات الصغيرة إلى مشكلات كبيرة، والفائدة العظيمة

والوحيدة في بعض الأحيان، والتي تمتلكها النساء - هي قدرتهن على الحدس ....

"ولكنك نصحتني للتو بأن لا أقلق".

"فعلت هذا، ولكن لا ينبغي عليك أيضاً أن تتجاهلي حدسك".

"إذاً هل تعتقدين بأنها مشكلة؟".

"حبيبتي، لا أعرف ماذا اعتقد، وكذلك أنت لا تعرفين. ليس هنالك كتاب يعطيك أجوبة ...... ما أود أن أقوله لك هو أنه ليس من المفروض عليك أن تستهجني ببساطة كل أمر يضايقك ولا تسمحين للمشاكل أن تؤثر على حياتك أيضاً. هذه اللقاءات تنفعك من أجل أن تكتشفي الشخص أكثر وتفهميه وتحسني التعامل معه. إنني أحاول أن أضفي شيئاً من الخير على علاقتكما، هذا كل ما في الأمر".

ظلت جولي هادئة فترة من الزمن، ثم قالت:"أظن أنك محقة".

بدأ الهاتف يرن، واستدارت مابل نحو مصدر الصوت. وبعد أن أصغت لتعرف من الذي يتكلم، نظرت إلى جولي ثانية، وقالت:"هكذا إذاً، أربع لقاءات".

أومأت جولي.

"هل سيكون هنالك لقاء خامس؟".

"لم يطلب مني ذلك، ولكنه ربما سيطلب".

"هذه طريقة غريبة للجواب على السؤال".

"ماذا تقصدين؟".

"لم تقولي إن كنت ستقبلين دعوته إذا دعاك".

أشاحت جولي بنظرها بعيداً."لا أفترض أنني لم أفعل".

❖❖❖

كان ريتشارد بانتظارها عندما وصلت البيت.

صفَّ سيارته في الشارع قبالة منزلها، وكان يستند إليها، وقد شبك ذراعيه ووضع ساقاً فوق الأخرى، وهو يراقبها عندما استدارت نحو الممر.

عندما أطفأت محرك سيارتها، نظرت جولي باتجاه سنغر، وفكت حزام مقعدها.

"ابق في الجيب حتى أمرك بالخروج، أوكي؟".

رفع سنغر أذنيه.

أضافت بينما هي تخرج:"وتصرف بهدوء". بعد ذلك كان ريتشارد واقفاً أمامها.

"مرحباً جولي".

أجابت بحيادية:"مرحباً ريتشارد. ماذا تفعل هنا؟".

استند على قدم واحدة وقال:"صار لي هنا منذ بضع دقائق وكدت أنصرف، بحثت عنك في الصالون، لكن على ما أظن أنك كنت قد خرجت".

"ذهبت لإحضار سنغر. كان في الكراج".

أومأ ريتشارد." هذا ما قالته مابل. مع ذلك لم أستطع الانتظار - كان لدي بعض التصاميم المعمارية وعليَّ إنهاءها قبل إغلاق المكتب، وفي الواقع، كان لا بد من العودة حالما أنهي عملي. لكنني رغبت أن أعتذر لك عن تصرفي هذا الصباح. فكرت بالأمر، وأظن أنني تجاوزت حدودي قليلاً".

ابتسم وعلامات الندم بادية عليه، كان مثل طفل يمسك بمرطبان حلوى.

قالت جولي:"حسناً، والآن تذكر ما حدث ......".

أمسك ريتشارد بيدها ليوقفها عن الكلام."أعلم، أعلم. ليس هنالك أية مبررات تغفر لي. كل ما أردت قوله هو الاعتذار".

أبعدت جولي خصلة شعرها كانت قد تدلَّت على وجهها."هل تضايقت حقاً لأنني لم ألبس السلسلة؟".

"لا، صدقيني - لم يكن انزعاجي بسببها".

"إذاً ما هو السبب؟".

حدَّق ريتشارد في البعيد. وبدا صوته خافتاً للغاية، بالكاد استطاعت أن تسمعه.

"كل ما في الأمر أنني شعرت بصحبة ممتعة لأنني أمضيت العطلة معك، وعندها لاحظت أنك لم تشعري بمثل أحاسيسي، اعتقدت أنك لم تستمتعي بصحبتي كما فعلت. أظن أنني كنت ميالاً لجرح مشاعرك قليلاً، أقصد..... أنك لا تدركين مدى السعادة التي أحس بها عندما نمضي الوقت معاً. هل تفهمين ما أريد شرحه لك".

فكرت جولي لحظة قبل أن توافقه، وقالت:"أجل".

قال ريتشارد:"أدركت أنك ستفهمين مشاعري". نظر حوله، وكأنه شعر بالمعصية بسبب وجودها قربه وهو يفصح عن مشاعره فقال:"حسناً، استمعي كما قلت لك، عليَّ أن أعود لأنهي عملي".

أجابته جولي ببساطة وهي ترسم ابتسامة متكلفة:"أوكي".

غادرها بعد لحظة، دون أن يحاول تقبيلها هذه المرة.

الفصل الثاني عشر

وسط الظلمة، وفي ظل أشعة القمر الفضية، اقترب ريتشارد من الباب الأمامي للمنزل المهجور الذي أطلق عليه بشكل مؤقت منزلاً. كان يقع على أطراف البلدة، وتحيط به أرض زراعية، ويبعد مسافة مئة ياردة عن الطريق الرئيسي.

بدا المنزل باهت اللون في ظل ضوء القمر، وقد بلغ ارتفاعه ارتفاع أشجار الصنوبر التي تحيط به. بالرغم من الإهمال الذي بدا على مظهره إلى حد ما، كان لايزال يحتفظ بسحره الذي على الطراز القديم، والمزين بخشب السنديان الفاخر الذي استحضر إلى الذاكرة دعوة مزركشة إلى

حفلة تقام في منزل المحافظ. إن الأملاك بحاجة إلى من يرعاها، ويهتم بها، فالحديقة التي كانت مرة منسقة بعناية تامة، نمت فيها بكثرة الأعشاب البرية، لكن نموها السريع لم يضايق الرائي المتأمل فيها. ثمة سحر في عشوائية الطبيعة، في الظلال المقوسة والمتعرجة التي تظهر ليلاً، في الألوان والأشكال المختلفة الأغصان والأشجار والأوراق التي تسحر بمنظرها في ضوء النهار.

على كل حال، كان ريتشارد يفضل النظام داخل البيت. فالعشوائية انتهت عند مدخل الباب، وعندما شق طريقه إلى الداخل، بدأ ينقر المصابيح الكهربائية. لم يكن الأثاث المستأجر كثير العدد، لكنه يكفي لجعل البيت صالحاً للضيافة - لم يكن المنزل يناسب ذوقه، لكن في بلدة صغيرة مثل سوانزبورد تكون الخيارات محدودة. في ظل عالم من المنتجات الرخيصة، عالم يعج بالباعة الذين يرتدون سترات مصنوعة من القماش الصناعي، اختار ريتشارد المواد الأقل تكلفة والتي استطاع العثور عليها بسهولة: الأرائك من الجلد المدبوغ والطاولات صنعت من خشب السنديان والمصابيح البلاستيكية من النحاس التقليدي.

بكل الأحوال، هو لم ينتبه الليلة إلى الديكور. الليلة، ليس في ذهنه سوى جولي، والسلسلة الذهبية، والنظرة التي رمقته بها منذ مضي لحظات فقط.

من جديد تصرف معها بقسوة شديدة، وهي بدورها وجهت إليه اللوم على قسوته. كانت تشكل تحدياً بالنسبة له، لكنه تحدٍّ يفضله. كان يكنُّ لها كل احترام بسبب شجاعتها، لأن الشيء الذي كرهه على الإطلاق كان الضعف.

لماذا كانت تعيش في بلدة صغيرة على الأرض كهذه البلدة؟

حسب مفهومه، كانت جولي تتناسب أكثر مع جو المدينة، مع مكان مزدحم بالأرصفة والإشارات المضيئة، مع النكسات السريعة والعودة ثانية للنهوض وكأن شيئاً لم يكن. كان مزاجها حاداً، ومظهرها أنيقاً على مكان كهذا. هذا المكان يخلو من الطاقة اللازمة لها للاستمرار بقوة، لا يوجد فيه أي شيء يساعدها على المدى البعيد.

إن القوة الروحانية إذا لم نحسن استعمالها، تبددت في الهواء، وإذا بقيت جولي على هذا المنوال، سيزداد ضعفها حسب تقديرات ريتشارد، تماماً مثلما ازدادت أمه ضعفاً.

وسيأتي وقت لا يجد فيها أي ميزة تستحق الاحترام.

مثل أمه تماماً. ستكون الضحية. دائماً الضحية.

أغلق عينيه، وهو يسترجع ذكريات الماضي: حدث ذلك في عام 1974، وتراءت له الصورة ذاتها.

كانت قد أغلقت عينها اليسرى المتورمة فوق خدها الأرجواني اللون، حاملة معها حقيبة لكي تضعها في السيارة، محاولة أن تغادر بأقصى سرعة. في الحقيبة حزمت ملابسها. وفي محفظتها، كان لديها 37 دولاراً تتراوح نسبياً بين زيادة ونقصان. استغرقت تقريباً مدة عام حتى جمعت ذلك المبلغ، وكانت مهمة فيرنون الاهتمام بالمسائل المالية، وكان يعطيها ما يكفيها فقط للتسوق. لم يسمح لها أن تلمس دفتر الشيكات حتى أنها لم تعرف أي بنك تعامل معه ليقبض شيكات براتبه. المبلغ القليل الذي جمعته كان مصدره من تحت وسائد الصوفا، بالإضافة إلى القطع النقدية التي كانت تسقط من جيوبه عندما يغفو أمام التلفاز. لقد خبأت المال في

صندوق للملابس على الرف العلوي في الخزانة، وفي كل مرة تتردد فيها على ذلك المكان، كان قلبها يخفق بشدة بين جوارحها.

كانت تقول لنفسها أنها ستغادر إلى مكان أفضل. هذه المرة، لن يطلب منها العودة. قالت لنفسها بأنها لن تصدقه أبداً، مهما كان لطيفاً معها، ومهما كانت وعوده لها صادقة. قالت لنفسها أنها في حال بقيت معه، سوف تقتله. ربما ليس خلال هذا الشهر أو الشهر القادم، لكنها ستقتله. ثم ستقتل ولديهما.

كانت تقول لنفسها كل هذه الترهات، وتكررها أكثر من مرة، كما لو أن هذه الكلمات ستمنحها القوة اللازمة للاستمرار.

فكر ريتشارد بوالدته في ذلك اليوم. تذكر كيف كانت تطلب منه عدم الذهاب إلى المدرسة، وكيف طلبت منه أن يركض إلى الداخل لكي يختطف رغيفاً من الخبز وزبدة الفستق، لأنهما سيذهبان في نزهة.

كيف طلبت منه إحضار سترته أيضاً، في حال انخفضت درجة الحرارة. كان عمره ست سنوات، ويطيع أمه في كل أمر، رغم معرفته بأنها كانت تكذب عليه.

تذكر والدته عندما كانت تصرخ، وتبكي في تلك الليلة قبل أن يستلقي والده في السرير.

سمع صوت اصطدام حاد عندما أمسكت يد والده فخدها، سمع أمه وهي تندفع نحو الجدار الرقيق الذي يفصل غرفته عن غرفتهما، سمع أنينها وتوسلاتها له بأن يكف عن ضربها، سمع اعتذارها له، وقولها بأنها كانت تخطط لغسل الملابس لكنها أخذت ولدها إلى الطبيب بدلاً من ذلك. سمع والده عندما كان يقول،"إنه لا يشبهني! هو ليس ولدي!". كلام يردده دائماً عندما يكون سكران.

كان مستلقياً في سريره وهو يصغي إلى صراخهما. كم تمنى لو أن ما يحدث كان مجرد حلم ولو أن والده ليس ذلك الوحش الذي تخيله. لقد احتقره، احتقر ذلك اللمعان المشحم البادي على شعره عندما كان يعود من المصنع الكيميائي، واحتقر رائحة الخمر التي فاحت منه ليلاً. تألم كثيراً عندما كان يرى صبيان الجوار يركبون دراجاتهم، ويتزلجون في يوم عيد الميلاد، بينما هو لا يملك سوى مضرب كرة بيسبول دون أن يرتدي قفازاً ودون كرة. احتقر الطريقة التي كان يضرب والده بها أمه عندما لا يجد المنزل نظيفاً كفاية أو في حال لم يستطع العثور على غرض ما تكون والدته قد وضعته بعيداً عن متناول يديه. احتقر مظهر الستائر التي كانت مغلقة بشكل دائم، وغياب الزوار الذين لم يسمح لهم أبداً بدخول المنزل.

قالت أمه وهي تلوح بذراعها: "أسرع. يريد أن نجلس على طاولة جيدة في المنتزه".

ركض بسرعة إلى الداخل.

كان والده سيعود من ذلك المساء إلى المنزل لتناول العشاء في ظرف ساعة كما يفعل يومياً بالرغم من أنه يذهب مشياً إلى العمل، فقد احتفظ بمفاتيح السيارة، ووضعها مع مجموعة من المفاتيح الموصولة إلى حزامه بسلسلة. لكن أمه كانت قد أخذت أحد المفاتيح هذا الصباح عندما كان والده يدخن، ويقرأ الصحف ويأكل لحم الخنزير والبيض الذي أعدته زوجته.

كان عليهما أن يغادرا في الحال، بعد أن اختفى والده فوق الهضبة وهو في طريقه إلى المصنع.

حتى في عمر السادسة أدرك ذلك جيداً، ولكن بدلاً من النزهة جلست

أمه عدة ساعات إلى الطاولة، وهي تدخن السيجارة تلو الأخرى، ويداها ترتجفان. لم تنطق بكلمة، ولم تتحرك من مقعدها إلا في الدقائق القليلة الأخيرة.

لم يمر الزّمن لصحالهما، أصابها الذعر وهي تفكر بأن الوقت يمضي دون فعل أي شيء، دخل غاضباً وهو يحمل الخبز وزبدة الفستق، وركض نحو السيارة. وهو يركض، استطاع أن يرى أن البياض في عين أمي اليسرى قد تحول إلى لون أحمر مخضب بالدم. أغلق باب السيارة بعنف، بينما حاولت أن تضع المفتاح في مكانه الصحيح بدون جدوى. كانت يداها ترتعشان. أخذت نفساً عميقاً، وحاولت من جديد. اشتغل المحرك هذه المحرك، فحاولت أن ترسم ابتسامة. كانت شفتاها متورمتين وملتويتين، وعيناها داميتين، اختلطت تلك الابتسامة بشيء من الذعر. حركت السيارة بالاتجاه المعاكس، وأخرجتها من الكراج، تباطأت السيارة في الطريق، ونظرت إلى لوحة عدادات السيارة.

بدأت تلهث فقد أظهر معيار الغاز أن الخزان كان فارغاً تقريباً.

وهكذا بقيا في مكانهما. ثانية لم يبرحاه، كما هي العادة.

في تلك الليلة، سمع أصوات والديه في غرفة النوم، ولم تكن أصوات غاضبة. بدلاً من ذلك سمع صوت ضحكات وقبلات، وبعد ذلك سمع أمه تتنفس بصعوبة، وتنادي والده باسمه. عندما نهض من سريره صباح اليوم التالي، شاهد والديه يعانقان بعضهما في المطبخ. غمز والده بعينه، وراقبه وهو ينزل يديه إلى الأسفل حتى استقر ... على تنورة أمه.

رأى أمه وهي تتورّد.

فتح ريتشارد عينيه. وفكر في قرارة نفسه، لا، لا يمكن أن تمكث جولي

هنا. هذه الحياة ليست الحياة التي تستحقها. سيبعدها عن كل هذا المكان.

من الغباء لو قال أي شيء لها يتعلق بالسلسلة. من الغباء. لن يسمح للمشاكل أن تتكرر ثانية.

بينما هو شارد الذهن، بالكاد استطاع أن يسمع رنين الهاتف، لكنه نهض في حينه ليجيب قبل أن يسبقه المجيب الآلي.

توقف لحظة، فقد ميَّز رمز منطقة دايتونا على الكاشف فأخذ نفساً عميقاً قبل أن يرد.

الفصل الثالث عشر

وسط ظلمة غرفة النوم، والصداع يشتد عليها بقوة، قذفت جولي وسادتها الاحتياطية على سنغر

قالت وهي تأن:"هل تسمح بأن تخرس؟!" .

تجاهل سنغر الوسادة. وبدلاً من ذلك، وقف بالقرب من باب غرفة النوم، يلهث وينبح، وقد بدا واضحاً أنه يريد من جولي أن تنهض لكي يخرج - بما أنه بمقدور الكلاب - أن تتحرى الحقائق خلال الساعة الأخيرة كان يتمشى داخل المنزل، يخرج من غرفة النوم إلى غرفة الجلوس، ويعود ثانية، وأكثر من مرة كان يضغط بأنفه الرطب على جولي، مما يجعلها تقفز من مكانها .

سحبت الوسادة لكي تغطي رأسها، لكنها لم تكن كافية لحجب الصوت عن أذنيها، وكلما ضغطت الوسادة على رأسها ازداد ألماً.

تمتمت:"لا يوجد أي شخص هناك. الوقت منتصف الليل ورأسي يؤلمني. لن أنهض إلى الفراش".

استمر سنغر في النباح. لم يكن نباحاً ينذر بالشؤم ولم يكن زمجرة، ولم يكن النباح الذي يطلقه عادة عندما يأتي الرجال ليكشفوا على العداد الكهربائي أو - لاسمح الله! - أن يحاولوا تسليم البريد.

إنه مجرد ألم في الرقبة يرعد بصوت قوي جداً لا يمكن تجاهله.

ألقت بآخر وسادة لديها على سنغر. تجاهلها سنغر أيضاً ومشى عبر الغرفة بصمت ..... بأنفه في أذنها.

نهضت وهي تمسح أذنها بإصبعها."هكذا إذاً! هذا ما تفعله!".

هز سنغر ذيله، وقد بدت عليه علامات الرضا."والآن بمقدورنا الخروج إلى ..... هيا!". ترجمت نظراته هذه العبارة، ثم تهاوى في الغرفة وهو يشق طريقه بعيداً.

"جميل! تريدني أن أثبت لك بأنه لا يوجد أي شخص في الخارج، يالك من كلب مجنون".

بعد أن أخذ يفرك صدغيها، وهو يئن، نهضت جولي من فراشها وتبخترت نحو غرفة الجلوس. سبقها سنغر إلى النوافذ الأمامية، وأزاح الستائر جانباً بأنفه، وبدأ ينقل ناظريه من جانب .. اختلست جولي النظر أيضاً، لكنها لم ترَ شيئاً.

"أرأيت؟ لا يوجد شيء. تماماً كما أخبرتك".

لم يهدأ بال سنغر. اتجه نحو الباب ووقف قبالته.

"إذا أردت أن تخرج، فلا تتوقع مني أن انتظرك.حالما تخرج، ستبقى خارجاً. سأعود إلى فراشي. إن رأسي يؤلمني حقاً- وأنت لا تهتم لأمري".

لم يبدِ سنغر أي اهتمام.

قالت له:"حسناً. هيا اخرج"؟

فتحت الباب. بالرغم أنها توقعت من سنغر أن ينطلق نحو الغابات، لكنه لم يفعل. وبدلاً من ذلك اتجه نحو الشرفة، ونبح مرتين قبل أن يخفض أنفه، ويتنشق. عندما فعل ذلك، شبكت جولي ذراعيها فوق بعضهما البعض ونظرت حولها.

لا يوجد أحد. ليست هنالك أي مؤشر على وجود أحد على الإطلاق. عم الهدوء على الجميع، باستثناء الضفادع والصراصير. أوراق الشجر كانت ساكنة، والشارع خالياً. سنغر الذي أحس بالرضا. استدار وعاد إلى الداخل.

"هكذا؟ لقد جعلتني أنهض من فراشي بلا مبرر؟".

نظر إليها سنغر. بدا وكأنه يقول لها:"الشاطئ هادئ. لا داعي للقلق. بمقدورك العودة الآن إلى فراشك".

تجهمت جولي في وجهه قبل أن تعود إلى غرفة النوم. لم يلحقها سنغر. بينما كانت تنظر بعينين شبه مغمضتين من فوق كتفها لتعود إلى فراشها، شاهدته وهو يعاود الجلوس ثانية قرب النافذة، وقد أزاح الستائر جانباً. تمتمت:"لا يهم".

في الحمام، كان رأسها لا يزال يؤلمها، فأخذت بعضاً من التلينول ليساعدها في النوم. عندما بدأ يزمجر وينبح ثانية بعد مرور ساعة، كان

نباحه هذه المرة أكثر لهفة لكن جولي لم تسمعه لأنها أغلقت باب غرفة النوم واستدارت نحو المروحة.

صباح اليوم التالي، كانت جولي واقفة في المدخل تحت شمس كروية وسماء زرقاء صافية بدت وكأنها اصطناعية، وتلبس نظارتها الشمسية. آثار الصداع لا تزال تترنح قليلاً، بالرغم أنها لم تعاني من صداع كهذا كما عانت الليلة الماضية. وقف سنغر إلى جانبها وهي تقرأ مذكرة وضعت تحت ماسح سيارة الجيب.

جولي،

استدعيت بسبب حالة طارئة، لذلك لن أتمكن من رؤيتك ليومين. سأتصل بك حالما تتوفر لي الفرصة. سأفكر بك على الدوام.

ريتشارد.

حدقت جولي إلى سنغر.

سألته وهي تمسك المذكرة بكلتا يديها ."هكذا إذاً، لهذا السبب! أحدثت كل تلك الضجة؟ من أجل ريتشارد؟" .

حاول سنغر أن يعتد بنفسه بقدر ما يستطيع، وكأنه كان يقول لها :"أرأيت أخبرتك بأنه يوجد شخص ما هنا" .

جرعة التلنيول جعلتها تشعر بالدوار والتعب، كما أحسَّت بطعم الحموضة، ولم تكن بمزاج جيد . "لا تنظر إليّ هكذا . لقد جعلتني مضطربة لعدة ساعات هيا اصعد" .

زمجر سنغر وقفز إلى الجيب.

"حتى أنه لم يقترب من الباب" .

أغلقت جولي باب السيارة، وانزلقت في مقعدها الأمامي، نظرت إلى سنغر من خلال المرآة شاهدته يطوق نفسه تارة، ثم يجلس مديراً ظهره لها.

"أجل، حسناً، أنا أيضاً غاضبة منك".

في طريقها إلى العمل، نظرت ثانية في المرآة، وكان سنغر لا يزال مديراً ظهره لم يسند رأسه إلى جانب واحد، وترك الرياح تخفق على لسانه وأذنيه كما كان يفعل عادة. حالما صفت السيارة في الكراج، انطلق سنغر. بالرغم من أنها نادته، لكنه تابع طريقه، وقطع الشارع متوجهاً رأساً نحو الكراج.

فكرت جولي في نفسها: "أحياناً يتصرف الكلاب بأسلوب طفولي كما يفعل الرجال كانت مابل تتكلم على الهاتف لكي تلغي مواعيد زبائن أندريا. فأندريا لم تحضر، باعتبارها أخذت "إجازة يوم خاص". فكرت مابل "على الأقل اتصلت هذه المرة". بلا شك ستعود أندريا حاملة معها قصة ما جامحة. من بعد إجازتها الأخيرة ادعت بأنها شاهدت بروس سبرينغسيتن يتمشى في منتزه فودليون وقد لحقت به طوال اليوم قبل أن نكتشف أخيراً بأنه ليس هو مسألة حضور بروس سبرينغستين إلى منتزه فودليون في سوانزيبورو ولم تدخل إلى عقل مابل.

عندما سمعت الباب يهتز خلفها، استدارت مابل لترى جولي. عندما اقتربت من صندوق الحليب والبسكويت مدّت يدها لتقدم الطعام لسنغر، فلاحظت جولي وحدها. سألتها مابل: "أين سنغر؟".

وضعت جولي محفظتها على الرف. "أظن أنه ذهب لزيارة مايك".

"ثانية؟".

"لقد تشاجرنا".

نطقت هذه العبارة بالطريقة نفسها التي كانت تنطقها عندما تتشاجر

مع جيم فاستهزأت مابل. لكن جولي لم تفهم لماذا يستهزئ الآخرون بنبرة كلامها عندما تتحدث عن سنغر.

قالت مابل:"تشاجرتما، هاه؟".

"أجل - أظن أنه الآن متجهم الوجه. وكأنه يعاقبني لأنني صرخت عليه لكنه يستحق هذا".

جولي أخبرت مابل بما حدث في الليلة الماضية.

سألت مابل:"ترك مذكرة لكي يعتذر؟".

"لا، ترك المذكرة ليلة البارحة عندما عدت إلى المنزل. كتب المذكرة ليخبرني فقط أنه سيغيب عن البلدة مدة يومين".

بالرغم أن مابل كانت ترغب بالاستفسار أكثر عن طريقة الاعتذار، لكن بدا واضحاً أن جولي لم تكن في مزاج جيد للتحدث عن الموضوع. أعادت مابل صندوق الحليب إلى الخزانة، ونظرت باتجاه بطانية سنغر المركونة في الزاوية.

قالت:"يبدو المكان فارغاً دونه".

ولكن لشدة دهشتهما، مضت ثمانية ساعات، ولم يعد سنغر بعد.

قال مايك، وقد بدا مرتبكاً كما أحست جولي:"حاولت أن أعيده إلى هنا مرتين، لكنه لم يلحق بي، ولم يستمع لندائي. حتى أنني حاولت إغراءه بلحم البقر لكنه رفض مغادرة الكراج فكرت أن أسحبه رغماً عنه، ولكن صدقيني، لا أظن أنه كان سيسمح بذلك".

نظرت جولي إلى سنغر. كان جالساً إلى جانب مايك يراقب جولي، وقد مال برأسه جانباً. سألته:"ألا تزال غاضباً مني يا سنغر؟ هل هذا كله بسبب ما حدث؟".

"ولماذا يغضب منك؟".

"لقد تشاجرنا".

"أوه".

سألته:"هل ستبقى جالساً هناك، أم أنك ستأتي معي؟".

لعق سنغر شفتيه لكنه لم يحرّك ساكناً.

قالت له آمرةً:"سنغر – تعال".

بقي سنغر في مكانه.

"هيا أطع الأمر".

بالرغم أنها لم تأمره من قبل أبداً، كانت عاجزة عن قول أية كلمة، وعندما بدت عليها علامات الانزعاج، نقر مايك بيده."هيا سنغر. قبل أن تتورط في مشكلة كبيرة".

عندما تكلم مايك، نهض سنغر، واتجه كارهاً نحو جولي. وضعت يديها على وركيها.

"هكذا إذاً فأنت الآن تصغي إلى مايك؟".

قال مايك متظاهراً بالبراءة:"لا تلوميه. لم أفعل أي شيء".

جلس سنغر إلى جانبها وهو يراقبها.

"أنا لا ألومه إنني أتساءل فحسب ما الذي أصابه في الآونة الأخيرة. وماذا يفعل هنا طوال اليوم؟".

"يغفو قليلاً، يسرق سندويشتي المحشوة بلحم الديك الرومي عندما أنهض لأخذ المشروب، يدور هنا وهناك ليؤدي عمله، إنه ينشغل بنفسه طوال الوقت".

"وهل بدت تصرفاته غريبةً لك؟".

"لا. على الإطلاق. بغض النظر عن كونه موجوداً هنا، لقد تصرف بلباقة".

"ألم يكن غاضباً؟".

فرك مايك رأسه، مدركاً أنها توجه له السؤال بشكل جدي."حسناً، لا أدري هو لم يقل أي كلام، بكل الأحوال لم يقل لي شيئاً. هل تريدين أن أنادي هنري وأسأله؟ ربما تحدثا معاً بينما كنت في الخارج".

"هل تسخر مني؟".

"لا، أبداً. تعلمين أنني لا أجرؤ على السخرية منك".

"جيد. ولكن بعد أن أضعت كلبي تقريباً عند شخص آخر، لست بمزاج جيد يسمح لي بالمزاح".

"أنت لم تفقديه. كان بصحبتي".

"أجل. والآن هو يفضلك عني".

"ربما يفتقدني في هذه اللحظة. تعلمين أنني مدمن تماماً عليه".

لأول مرة منذ وصولها، ابتسمت جولي."أنت، هاه؟".

"ماذا بوسعي أن أقول؟ إنه لعنة حلت علي".

ضحكت جولي."لا بدّ أن تكون لعنة بالنسبة لك".

هز مايك رأسه، وهو مسحور بجمال جولي."أنت ليست لديك أية فكرة".

❖❖❖

بعد ساعة، كانت جولي واقفة إلى المغسلة في المطبخ، تمسك بشجاعة المناشف التي لفتها بسرعة حول الحنفية المكسورة، وهي تبذل قصارى جهدها لتوقف تدفق الماء الذي انفجر باتجاه السقف مثل نبع ماء.... انتزعت منشفة أخرى، ووضعتها مع المناشف التي لفتها حول الصنبور لكي

تحكم قبضتها أكثر، مما خفف إلى حد ما من رذاذ الماء. ولكن لسوء الحظ الماء غمر طريقها.

صرخت وهي ترفع ذقنها إلى الأعلى وهي تتفادى وصول الماء إلى وجهها :"هل تستطيع إحضار الهاتف؟".

هرول سنغر إلى غرفة الجلوس، وبعد مرور لحظة أخذت جولي بيدها الأخرى الهاتف النقال من فمه. اتصلت بأول رقم ظاهر على الكاشف.

كان مايك جالساً على الأريكة، يلوك طعامه، وقد التصقت أصابعه ببودرة عصير البرتقال، وحشر بين ساقيه علبة الجعة. كان يتناول غداءه. إلى جانبه على الأريكة وضع غيتاره، وكما يفعل دائماً، حالما ينتهي من العزف، يغلق عينيه، ويستند إلى الوراء، ويتخيل كاتي كوريك وهي تصف المشهد أمام جمهور محلي.

تنفجر كاتي قائلةً:"إنها الحفلة الموسيقية الأكثر تطلعاً خلال هذا العام. مع انطلاقة ألبومه الفريد من نوعه، يلهب ميشيل هاريس العالم الموسيقي. ألبومه الأول وحده لاقى مبيعاً أكثر من كل ألبومات بيتلس وإيلفز التي عملوا عليها طوال مسيرة حياتهما الفنية، والحفلة الموسيقية المتلفزة من المتوقع أن تشهد أكبر جمهور في التاريخ. لأنها ستعرض في الوقت نفسه أمام جمهور يقدر عدده بـ ثلاثة ملايين متفرّج في جميع أرجاء الكرة الأرضية. هذا هو تاريخ الإبداع أيها الجمهور".

حشر في فمه لقمة أخرى وهو يبتسم. فكر مايك في نفسه،"أوه، أجل. أوه، أجل".

"بمقدوركم أن تسمعوا هتاف الجمهور خلفي، وهو ينغم اسمه. من المثير للدهشة هذا الكم الهائل من الناس المعجبين بغنائه. يتوافد إلى الناس طوال

اليوم ليخبروني بأن ميشيل هاريس قد غيَّر حياتهم بموسيقاه .... وهو هنا الآن!" .

يزداد صوت كاتي قوة وسط الحشد الذي يندفع إلى الأمام ويثور مصفقاً .

يمشي مايك على خشبة المسرح، ممسكاً غيتاره.

يتفرّس في الجمهور. يزداد الجمهور جنوناً، ويرتج صوته في أذنه. تقدم له الورود وهو يتجه نحو الميكروفون. تسحر النساء والأطفال لدى رؤيته. يتمنى الرجال الذين أحسوا بالغيرة منه، لو كانوا مكانه. أما كاتي فكان مغمى عليها تقريباً. يمسك مايك بالميكرفون، مشيراً لجمهوره أنه مستعد تقريباً للشروع بالعزف، ويخيم الهدوء فجأةً على الجمهور. إنهم بانتظاره، لكنه لن يبدأ بالعزف الآن. تمر الثواني، وتليها الثواني، ويزداد الجمهور حماسة بشكل محموم، لكنه لا يزال يعقد الآمال المتوقعة.

يبقى صامتاً حتى ينفذ صبر الجمهور تقريباً يحسّ الجمهور، وكذلك كاتي. يشعر به بلايين الناس الذين يشاهدون شاشات تلفزيوناتهم.

مايك أيضاً يشعر باللحن.

على الأريكة، ينسى مايك شغفه، بينما تمتد يده لتناول لقمة أخرى."أوه، أجل....." .

عندما دوَّى فجأة صوت الهاتف الموضوع على الطاولة قربه مثل صفارة إنذار، استيقظ مايك من أحلام يقظته مذعوراً، ارتعشت يده في كل الاتجاهات وهو يتناول طعامه، وانسكبت البيرة، تصرف بشكل غريزي وحاول إزالة البيرة المنسكبة، لكن ذلك لم يجد نفعاً سوى أنه ترك ... من اللطخات.

قال وهو يضع علبة الجعة الفارغة جانباً:"يا له من أمر سيء!" . أمسك

الهاتف بيد واحدة وهو يحاول تنظيف لطخة البيرة. مزيد من اللطخات. قال:"هيا. فَلأُنه هذه المهزلة". رن الهاتف ثانية قبل أن يلتقط السماعة.

"مرحباً؟".

قالت جولي، وقد بدت متوترة من صوتها:"مرحباً مايك. هل أنت مشغول؟".

تسربت الجعة إلى داخل ملابسه، حاول أن يتحرك بهدوء على أمل اتخاذ وضعية ما أكثر ارتياحاً. هذه الحركة لم تكن مجدية - فبدلاً من ذلك تسربت البيرة أكثر إلى سرواله الداخلي. والآن كيف يستطيع التحدث معها بدون أن يظهر مشاعره تعدم الارتياح."ليس تماماً".

"تبدو مرتبكاً".

"آسف. تعرضت للقليل من المشاكل بخصوص غدائي".

"اعذرني؟".

بدا مايك يزيل بقايا الطعام المتراكمة حول غيتاره."ليس هنالك شيء مهم. سأكون على ما يرام. ماذا تريدين؟".

"إنني بحاجتك".

"حقاً؟". عندها تضخم شعوره بالأنا. نسي في الحال الورطة التي تعرَّض لها.

" لقد انفجرت مغسلتي".

قال وشعوره بالأنا يزداد بسرعة:"أوه. كيف حدث ذلك؟".

"كيف لي أن أعرف؟".

"هل حاولت هزها بأداة ما؟".

"لا، كنت استعملها فقط".

"هل تراخت من قبل؟".

"لا أعرف حقاً - ولكن هل يمكنك المجيء أم لا؟".

اتخذ قراره بسرعة."علي أولاً أن أبدل ملابسي".

"اعذرني؟".

"لا عليك. سأحضر في غضون بضع دقائق - عليَّ أن أعرِّج على محل الأدوات المعدنية لكي أشتري لك مغسلة جديدة".

"لا تتأخر، هل سمحت؟ إنني ألصق خرقة حول الحنفية وأمسكها بإحكام وعلي الذهاب إلى الحمام. إذا بقيت جالسة القرفصاء هكذا، سوف تتكسر ركبتي".

"أنا في طريقي إليك".

في هذه المعمعة بدأ يرتدي ملابسه بسرعة استعداداً للخروج، وهو يتخيل جولي أمامه، ولم يسقط سوى مرة واحدة عندما كان يسحب سرواله الداخلي.

بدا الأمر بالنسبة له مقبولاً أن يستغل هذا الظرف ليراها.

الفصل الرابع عشر

نادى مايك عندما دخل المنزل."جولي؟".

كانت جولي ترفع عنقها، وترخي قبضتها على الخرقة المحيطة بالحنفية.

"هنا في الداخل يا مايك. أعتقد أنه استجدَّ أمر ما. يبدو أن التسرّب توقف".

أغلقت مجرى الماء للتو بالصمام الأمامي في الخارج. سيكون كل شيء على ما يرام الآن".

أدخل مايك رأسه إلى المطبخ، وفي الحال لم يستحضر إلى ذهنه سوى كلمة واحدة: أثداء.

كانت جولي قد تبللت بالكامل بحيث استطاع أن يلاحظ بوضوح معالم نهديها، بدت مثل الفتاة التي كانت هدفاً للصبية المشاكسين، الذين يعتبرون شرب غالونات من الجعة وارتداء قمصان مبللة من المزايا الراقية التي تؤكد وجودهم في الحياة.

قالت جولي:"ليس لديك أية فكرة عن مدى تقديري لمجيئك إلى هنا". نفضت جولي المياه الزائدة من يديها، وفكت أربطة المغسلة.

لم يكد مايك يسمعها. قال لنفسه:"لا تحدِّق إلى صدرها. مهما تكن الحالة، لا تحدِّق إلى صدرها. السيد المحترم يغض بصره. والصديق يغض بصره". جلس القرفصاء وفتح صندوق معداته. جلس سنغر إلى جانبه، وبدأ يشم الصندوق، وكأنه يبحث عن الطعام. تمتم:"ما من مشكلة".

بدأت جولي تعتصر الخرق."آمل أن لا أكون قد ألهيتك عن عمل مهم".

"لا تقلقي".

خلعت جولي قميصها، ونظرت إليه. سألته:"هل أنت بخير؟".

كان مايك يبحث عن مفتاح ربط للمغسلة - إنه قضيب طويل رفيع يستعمل للوصول إلى المزالج في أماكن صعبة.

"أنا بخير، لماذا؟".

"تتصرف وكأنك متضايق".

"لست متضايقاً".

"حتى أنك لم تنظر إلي".

"أنا لا أنظر إليك".

"هذا بالضبط ما قلته".

"أوه".

"مايك؟" .

"قال فجأة، شكراً لله إن الفرصة أتت ليغير الموضوع."إنه هنا! كنت آمل إدخاله.." .

كانت جولي لا تزال تحدّق إليه بحيرة. قالت أخيراً:"أظن أنني سأذهب لأبدل ملابسي" .

تمتم مايك:"أظن أنها فكرة صائبة" .

العمل اليدوي أعطى فرصة لـ مايك كي يركز أكثر على شيء ما، فانشغل بعمله، محاولاً أن يبعد عن ذهنه صورة جولي.

نشر مايك بعض المناشف التي انتزعها من صندوق البياضات ...... لكي تمتص الماء المنسكب على الأرض، ثم أفرغ الخزانة في أسفل المغسلة، وأخذ يكدّس زجاجات من منظفات مختلفة قوية المفعول على جانب واحد.

عادت جولي بعد قليل، حيث كان يعمل لاستبدال المغسلة - لم يكن مرئياً سوى جذعه وجسده السفلي، كانت ساقاه ملتصقتين خارجاً، وبالرغم من وجود المناشف كانت هنالك بقع دائرية مبللة على إحدى ركبتيه حيث جثا. استلقى سنغر إلى جانبه، ودس رأسه إلى داخل الفراغ السفلي المظلم.

قال مايك متذمراً:"هلاّ توقفت عن اللهاث؟" .

تجاهل سنغر تعليقه، وأخذ مايك زفيراً، تاركاً مجالاً أن يتنفس من فمه.

"إنني جاد. إن تنفسك رائحته كريهة" .

هزّ سنغر ذنبه إلى الأعلى ثم إلى الأسفل.

"وأفسح لي مجالاً كي أستطيع، هل سمحت؟ إنك تعترض طريقي" .

شاهدته جولي وهو يدفع - أو يحاول إلى حد ما دفع سنغر دون جدوى.

أحسَّت بقشعريرة وهي تلبس بنطالها الجينز وقميصاً خفيفاً فضفاضاً. كان شعرها لا يزال مبلَّلاً، مع أنها سرَّحته إلى الوراء، لتبعده عن وجهها.

سألت:"كيف تسير الأمور هناك؟".

عندما سمع صوتها، رفع رأسه، فاصطدم بحوض المغسلة. أحس بحرارة نفس سنغر تلهب خديه، فالرائحة الكريهة جعلت عينيه تدمعان.

"على ما يرام. إنني على وشك الانتهاء".

"حقاً؟".

"الأمر ليس بهذه الصعوبة - عليَّ إزالة قطعتين من المعدن ثم يخرج الماء من الحنفية. لم أعرف ما نوع الحنفية التي تفضلين، لكنني انتزعت واحدة تشبه الحنفية القديمة. آمل أن تكون مناسبة".

تأملته:"هذا رائع".

"لأنني أحضرت حنفية مختلفة. هذه ليست قضية كبرى".

"لا - بل بأنها تعمل، هذا ممتاز".

نظرت إلى ذراعيه وهما يدوران مفتاح الربط ثانية، وما أثار دهشتها، إنها استطاعت أن تعاين عضلات ساعديه الناتئة بينما كان يعمل. بعد مرور لحظة، سمعت صوت فرقعة، وكأن شيئاً ما سقط تحت الخزانة.

قال:"إنها جاهزة".

خرج من تحت المغسلة، وبعد أن شاهد أن حلتها قد تغيرت، أحسَّ براحة نفسية. الآن من الأسهل أن ينظر إليها. فقد بدت أقل إغراءً. نهض ورفع الحنفية القديمة، ثم قدمها لها.

قال مشيراً إلى الثقب المحفور في رأس الحنفية."لقد حطمت بالفعل هذه الحنفية. ماذا استعملت حتى أصبحت هكذا، مطرقة؟".

"لا. ديناميت".

"عليك أن تستعملي مادة أقل تأثيراً في المرة القادمة".

ابتسمت."هلاّ أخبرتني ما العطل الذي كان بها؟".

"أظن أنها قديمة. ربما إنها حنفية أصلية، وربما لم يكن علي استبدالها بأخرى، لكنني اعتقد أنني منذ عاينتها في المرة الأخيرة لم أثبت لك براعتي".

"إذاً تعترف بخطئك؟".

"إذا كان هذا يجعلك تشعرين بالارتياح فسأعترف بخطئي. ولكن امنحيني دقيقة، وسأعيد كل شيء في مكانه، أوكي؟".

"بالتأكيد".

وضع الحنفية الجديدة في مكانها، وزحف إلى الخلف، وثبتها في الأعلى، ثم خرج من المطبخ، واختفى برهة خلف الباب، وكان سنغر خلفه. بعد أن أدار صمَّام الماء، عاد وفتح الحنفية، ليتأكد أنها لم تسرِّب الماء.

"يمكنك أن تطمئني الآن".

"لا أزال أظن أنك تبسِّط المسألة. قبل مجيئك إلى هنا، كنت أتساءل من سأستدعي كي يصلحها في حال كنت مشغولاً".

تظاهر مايك بالاستياء."لا يمكنني أن أصدق كيف تفكرين بهذه الطريقة بعد كل هذه المعرفة التي جمعتنا".

ضحكت جولي بينما جلس هو القرفصاء. وبدأ بإعادة زجاجات التنظيف.

"أوه، لا، لا تفعل هذا - دعني أرتبها بنفسي. يمكنني فعل شيء ما". صاحت جولي وهي تجثو إلى جانبه.

وهما يصفان المواد في مكانها، أحست جولي أكثر من مرة أن ذراعه كانت

تدق بها وتساءلت لماذا لم يلحظ ذلك على الإطلاق. بعد دقيقة، أغلقت الخزانة. وحزمت المناشف وهي لا تزال مبللة. غادرت المطبخ لحظة لتلقي بالمناشف في غرفة الغسيل بينما أعاد مايك، معداته إلى مكانها. عندما عادت، اتجهت رأساً نحو البراد.

"لا أعرف ماذا تفضل، لكنني بحاجة إلى البيرة بعد كل هذا العناء. هل تريد واحدة؟".

"أجل".

اختطفت جولي زجاجتين، وأعطته واحدة. بعد أن طوت قبعتها، دقَّت زجاجتها بزجاجته.

"أشكر مجيئك لمساعدتي. أعلم أنني شكرتك من قبل، ولكن عليَّ أن أشكرك".

أجاب مايك:"هيه، لأجل هذا خلق الأصدقاء، أليس كذلك؟".

قالت جولي وهي تلوِّح بزجاجتها:"هيا، دعنا نجلس على الشرفة ونحتسي البيرة، الجو جميل جداً في الخارج".

اتجهت نحو الباب، ثم توقفت فجأةً."انتظر- هل قلت مسبقاً بأنك كنت تتناول طعامك؟ أقصد عندما اتصلت بك؟".

"لماذا؟".

"لأنني أتضور جوعاً. وسط كل هذه المعمعة، لم يتسنّ لي أن أتناول طعامي. هل أنت مستعد لتشاركني أكل البيتزا؟".

ابتسم مايك."هذا اقتراح رائع".

اتجهت جولي نحو الهاتف وعندما ابتعدت، تساءل مايك إن كان هذا المساء ....حداً لدقات قلبه.

نادته جولي:"فخذ الخنزير مع الأناناس، أوكي؟".

ابتلع مايك ريقه."كل ما تطلبينه جيد".

جلسا على كرسيين هزازين على الشرفة، وتلاشت حرارة جسديهما وسط ..... المساء البارد إلى حد ما، وكانت حشرات الزيز ترنم أغنياتها والبعوض يدور خارج زجاج الشرفة. كانت الشمس قد غاصت أخيراً خلف الأفق، وأشعة ضوئها الأخيرة تنعكس من وراء الأفق لتسطع بين الأشجار.

منزل جولي الذي يمتد على نصف فدان من الأرض، كان محاطاً من الخلف والجوانب بكثير من الغابات المقفرة، وكلما اشتاقت إلى الوحدة كانت تجلس هناك.ولهذا السبب أيضاً اشترت هي وجيم ذلك المنزل. طالما كانا يحلمان باقتناء منزل قديم تحيط به الشرفات الرائعة. بالرغم من أن المنزل كان بحاجة إلى الكثير من الإصلاح، وضعا في حسبانهما أنهما سيتمشيان في طرقاته خلال اليوم نفسه من شرائه.

كان سنغر على وشك أن يغفو قرب أقدامهما، لكنه ترك عيناً واحدة .... يفتحها بين الفينة والأخرى، وكأنه يريد أن يتأكد أنه لم يفوت على نفسه رؤية أي مشهد. وسط الضوء المضمحل، ظهرت ملامح جولي في ظل وهج شاحب.

قال مايك مبتسماً:"هذا الجو يذكرني عندما التقينا لأول مرة. هل تذكرين؟ عندما دعتنا مابل جميعاً إلى زيارتها وهنالك تسنت لنا الفرصة للقاء؟".

"كيف أنسى تلك اللحظة؟ كانت تلك من أسعد اللحظات في حياتي".

"ولكن كنا جميعاً رائعين جداً".

"لم أعلم ذلك مسبقاً. فقد كنتم غرباء بالنسبة لي. ولم تكن عندي أدنى فكرة عنكم".

"حتى مع جيم؟".

"بخاصة مع جيم. لقد استغرقت وقتاً طويلاً حتى أدركت سبب تصرفاته معي. أقصد، لم أتعرف أبداً على شخص مثله، وقد بقيت وقتاً طويلاً وأنا اعتقد أن الناس هناك كانوا على حد سواء. لا أظن أنني صارحته بكلمة واحدة في تلك الليلة".

"لم تصارحيه. في اليوم التالي، جيم ذكر لي هذا الأمر".

"هل فعل حقاً؟".

"ليس بأسلوب سيء. وبكل الأحوال، أخبرنا مسبقاً بأن لا نتوقع منك أن تقولي الكثير عنه. قال بأنك من النوع الخجول".

"لم يقل ذلك".

"وصفك بالبسيطة".

ضحكت جولي:"لقد صار لي استعمل الكثير من المفردات، لكن كلمة بسيطة لم أستعملها حسناً، أعتقد أنه قال ذلك لكي يمنحك فرصة للتعبير عن نفسك. بالرغم أننا لسنا بحاجة إلى مبرر، في الواقع كان واضحاً للغاية بالنسبة لنا أن مابل وجيم يكنان لك كل المودة".

التزمت جولي بالصمت فترة طويلة، وقد بدا أنها أحسَّت تقريباً بالوحدة.

قالت:"لا أزال أجد صعوبة أحياناً في تصديق أنني أعيش هنا".

"لماذا؟".

"مجرد أنني لا أتصور كيف تسير الأمور. أقصد، أنني حتى لم أسمع بمكان اسمه سوانزبورو حتى ذكره لي جيم، أعيش هنا منذ اثنتي عشرة سنة، ولا أزال أشعر بعدم الاستقرار".

تأملها مايك من فوق زجاجته."كأنك تلمحين برغبتك في المغادرة".

طوت جولي إحدى ساقيها تحت الأخرى."لا. على الإطلاق. أحب هذا المكان. أعني، أنه بعد موت جيم بفترة فكرت أنه علي بدء حياتي في مكان جديد، لكنني لم أحصل عليه أبداً. بالإضافة إلى ذلك، هل كان على المغادرة؟ إنني أرغب أن أعيش ثانية مع ماما".

"هل تتصلين بها؟".

"صار لي بضعة شهور لم أكلمها. اتصلت بي في يوم عيد الميلاد، وقالت بأنها ترغب أن تزورني، ومنذ ذلك الحين لم أسمع صوتها. أعتقد أنها قالت لي ذلك لكي أبعث لها المال من أجل أن تسافر أو من أجل أمر ما، لكنني لم افعل ذلك. فهذا سيفتح جروحاً منسية".

"أعلم أن الأمر صعب عليك".

"يبدو كذلك أحياناً. أو من المفروض أن يكون الأمر قاسياً بكل الأحوال. لكنني بالفعل لم أسمح لنفسي بالتفكير في الموضوع. عندما بدأت أخرج بصحبة جيم، رغبت بالاتصال بها، فقط لكي تشعر بفضلها علي. كما يعلم، أظن أنني رغبت بالحصول على موافقتها؟ من الغرابة أن أهتم بأمر كهذا، ولكن خيبة أملي بها كأم، لا تأخذ مني مأخذها".

"ولكن ليست إلى الآن؟".

"ليس كثيراً. لم تحضر حفلة زفافي، ولم تحضر الجنازة. وبعد كل هذا، لم أعد أبالي بها. أقصد، أنني لا أعاملها بفظاظة عندما تتصل بي، ولكن المشاعر .... تموت نحوها. ربما أتحدث معها كما أتحدث مع امرأة غريبة عني".عندما كانت تتكلم، كان مايك يحدق باتجاه الظلال المظلمة بالقرب من الأشجار.

على مسافة بعيدة، ظهرت جرذان صغيرة ثم توارت عن الأنظار بلمح البصر، وكأنها لم تكن موجودة هناك على الإطلاق.

"معظم الأوقات يدفعني هنري إلى الجنون، و والدي أحسّ أنهما مثل الغريبين عني، ولكنه أمر جيد أن يبقيا حولنا من أجل الدعم. لا أعرف ماذا كنت سأفعل دونهما. لا أعرف ماذا كان بوسعي أن أفعل لو كنت مكانك".

نظرت إليه:"لست وحيدة على الإطلاق. عندي سنغر، وأصدقائي إلى جانبي. هذا يكفيني الآن".

أراد مايك أن يسأل عن مكانة ريتشارد عندها لكنه قرر أن لا يفعل. لم يشأ أن يفسد ذلك الجو الجميل. ولا أن يعكر صفو المشاعر التي تبادلها إياه، وكان وشك الانتهاء من شرب بيرته.

سألت جولي:"هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالاً؟".

"بالتأكيد"؟

ماذا حدث مع سارة؟ أعتقد أن علاقة خاصة تربطكما، ومن الغريب أنكما لا تلتقيان".

سوى مايك جلسته على الكرسي:"أوه، تعلمين .....".

"لا، حقيقة لست مضطراً أن تخبرني أبداً عن سبب انتهاء العلاقة".

"ليس هنالك الكثير لأطلعك عليه".

"هذا ما تقوله دائماً. ولكن ما القصة الحقيقية؟".

بقي مايك هادئاً لفترة طويلة قبل أن يهز رأسه."لا داعي أن تعرفي".

"ماذا فعلت؟ هل خانتك؟".

عندما لم يجب مايك، أدركت جولي فجأة أنها ظنها كان في محله. "أوه، مايك. إنني آسفة".

"أجل، وأنا أيضاً. بكل الأحوال، كنت أشعر بالأسف. إنه شاب يعمل معها. عندما ذهبت لزيارتها ذات صباح، وجدت سيارته قرب منزلها".

"ماذا فعلت؟".

"تقصدين هل شعرت بالغضب؟ بالطبع. ولكن للأمانة، لم يكن خطؤها بالكامل. لم أكن الصديق الوفي لها والذي يهتم بأمورها حتى النهاية. أظن أنها أحست بأنني أهملها".

تنهّد، وهو يفرك يده فوق وجهه."لا أعرف - انتابني إحساس داخلي أن علاقتنا لن تستمر حتى النهاية، لذلك لم أكبد نفسي مشقة المحاولة. ثم بعد ذلك شيء ما كان من المحتم أن يحدث".

لبضع لحظات لم يتكلم أياً منهما، وبعد أن لاحظت جولي أنه على وشك إفراغ زجاجته، أشارت إلى الزجاجة."هل تريد واحدة أخرى؟".

أجاب:"محتمل".

"لك ذلك".

عندما نهضت رجع مايك بسرعة وهو جالس على كرسيه الهزاز إلى الوراء قليلاً لكي يفسح لها المجال بالمرور، وكان يراقبها حتى أغلقت الباب خلفها. لم يكن بوسعه سوى أن يلاحظ كم بدت جميلة وهي ترتدي الجينز.

هزّ رأسه محاولاً إبعاد الفكرة عن ذهنه. الوقت غير مناسب الآن. ربما كان مناسباً ... لو كانا يتناولان سرطان البحر والخمرة، ولكنهما سيتناولان البيتزا والبيرة؟ لا، هذه كانت مجرد ليلة عرضية. يجب أن تسير الأمور على عادتها - قبل أن يقترف عملاً مجنوناً يسمح لنفسه من خلاله أن يقع في غرامها.

لا يزال غير متأكد بالضبط متى انتابته هذه الأحاسيس. لقد أدرك ذلك

بعد وفاة جيم بفترة قصيرة. لكنه لم يستطع الالتزام بكبت مشاعره أكثر من ذلك. لم تكن مجرد أحاسيس انتابته للحظة ثم تلاشت بطرفة عين، لكنها أحاسيس تشبه شروق الشمس، حيث تزداد السماء سطوعاً أكثر فأكثر، ومن غير إدراك حسي تقريباً، يشعر المرء فجأة بإشراقة الصباح.

عندما عادت جولي، قدمت له الزجاجة، وعادت ثانية إلى مقعدها.

"هل تعلم أن جيم اعتاد أيضاً أن يستعمل هذه الكلمة؟".

"أية كلمة؟".

"كلمة ((محتمل)). عندما كنت أسأله إن كان يريد المزيد من البيرة استعمل هذه الكلمة.

"هل كان يستعمل هذه الكلمة معك؟".

"محتمل".

ضحكت جولي."ألا تزال تفكر به؟".

أومأ مايك برأسه."طوال الوقت".

"وأنا أيضاً".

"إنني واثق من ذلك. فقد كان شاباً رائعاً - عظيماً. لم يكن بوسعك أن تتعرف على شاب أفضل منه. وكذلك هو طالما كان يصارحني القول بأنه لن يجد فتاة أفضل منك".

جلست جولي في مقعدها إلى الوراء، وهي تفكر بكلماته العذبة."أنت أيضاً شاب رائع".

"أجل. أنا والملايين من الشبان الآخرين. لكنني لست مثل جيم".

"بالتأكيد أنت مثله. إنك من البلدة الصغيرة ذاتها، ولديك الأصدقاء نفسهم، وتفضل الأشياء ذاتها. تبدوان في كثير النواحي مثل أخوين أكثر مما

تبدو أنت وهنري بالطبع، باستثناء أن جيم لا يستطيع إصلاح الحنفية. لم يستطع إصلاح أي شيء".

"حسناً، هنري أيضاً لا يمكنه إصلاحها".

"حقاً؟".

"لا. يستطيع هنري إصلاحها. لكنه لا يفعل، إنه يكره أن يلوث يديه".

"هذا مضحك، والكراج ملك لكما أنتما الاثنان".

"تقولين لي هذا. لكنني لا أكترث. صدقيني إنني أحب العمل الذي أقوم به أكثر من عمله. لست معجماً كثيراً بالعمل الكتابي".

"إذاً أظن كونك كنت موظفاً إعارة، هاه؟".

"مثلما كان جيم؟ لا يهم. حتى وإن استطعت إقناع شخص ما بالحصول على عمل، لن ألتزم به أكثر من أسبوع. سوف أرضى بكل شخص يدخل من الباب وأحسن استقباله. لا أجيد أبداً أن أرفض طلب أي إنسان".

اقتربت منه جولي وهي تلامس ذراعه. "واو، حقاً؟".

ابتسم وقد تجمدت الكلمات فجأة في حلقه، وتمنى من كل قلبه لو أن لمستها تدوم إلى الأبد.

وصلت البيتزا بعد بضع دقائق. شاب مراهق قواد يلبس نظارات ذات إطار سميك أسود اللون تفحص البطاقة كثيراً قبل أن يتلعثم ويقول ما هو المبلغ الإجمالي.

أخرج مايك محفظته. دفعته جولي بمرفقها، وأخرجت محفظتها.

"لا داعي. هذه العزيمة على حسابي".

"ولكنني هكذا سآكل أكثر".

"يمكنك تناول كل الطعام إذا أردت. ولكنني مصرة على أن أدفع الثمن".

قبل أن تتمكن ثانية من الاعتراض، سلَّمت الصبي المبلغ، وطلبت منه الاحتفاظ بالباقي، ثم أدخلت الطعام إلى المطبخ.

"أحضرت شرائح اللحم، أوكي؟" .

"إنني أكل كميات كبيرة من شرائح اللحم طوال الوقت" .

قالت وهي تغمزه:"أعرف. وليس بوسعي أن أعبر لك عن مدى .... لأجلك" .

خلال الساعة التالية جلسا معاً، يتحدثان بهدوء كعادتهما. تحدثا عن جيم وعن ذكرياتهما معه، وبشكل نهائي تحول الموضوع ليدور حول أحداث البلدة وأخبار الناس الذين يعرفونهم وكان سنغر من حين لآخر ينبح، وقد بدا عليه وكأنه أحس أنهما يتجاهلانه، بينما يقذف له مايك قطعة من الشطيرة بدون أن يوقف حديثه.

عندما بدأ المساء يسدل ستاره ببطء، وجدت جولي نفسها تبادل مايك نظراته لفترة طويلة أكثر من المعتاد. نظرة مايك المتأملة أدهشتها. لم تكن نظرة تعبر وكأنه فعل إذ قال شيئاً ما خارجاً عن المألوف منذ مجيئه، لم يكن مبرر نظراته العميقة جلوسهما وحدهما على الشرفة ومشاركتها العشاء في تلك الأمسية التي بدت وكأنه خطط له مسبقاً.

لا، ليس هنالك أي داعٍ يجعلها تشعر بأنها تشهد ليلة مميزة، لكنها لم تستطع التحكم بأحاسيسها. ولم تدرك إن كانت حقاً ترغب بالسيطرة على مشاعرها. بدا ذكياً وهو يرتدي حذاءه الخفيف وبنطال الجينز، ويسند ساقيه على الحاجز المصنوع من القضبان وشعره مشربكاً. لكنها كانت تعلم لمواصفاته، حتى قبل أن تبدأ بلقاء جيم. الوقت الذي تمضيه بصحبة مايك يختلف عن كل الأوقات التي تقضيها مع الآخرين، بما فيهم عطلة نهاية

الأسبوع برفقة ريتشارد. مع مايك لا تشعر بأنها تتظاهر، يتكلمان بكل عفوية بعبارات صريحة ودون معانٍ ملغمة، ولا يستعمل مايك ... منمقة للتأثير عليها. بالرغم أنها كانت دائماً تحس بالبساطة وهي برفقة مايك لكنها أدركت فجأة أنها في زوبعة مجريات الأسبوعين الأخيرين، قد نسيت تقريباً كيف تستمتع بوقتها معه.

ذكرها مايك بالمتعة الحقيقية التي أحست بها عندما تزوجت جيم. لم تكن المتعة النابعة عن تدفق العواطف الجياشة التي جعلتها تفتن بـ جيم فحسب، بل كانت متعة تلك الأيام عندما كانا يمضيان صباحهما بكسل وهما يقرآن الجريدة في الفراش ويحتسيان القهوة، وأثناء صباحات ديسمبر الباردة عندما كانا يثبتان المصابيح الكهربائية في الحديقة، وكذلك عندما كانا يتسكعان في الطرقات لعدة ساعات ويبحثان في المخازن عن أثاث لغرفة النوم، ويتبادلان الحديث حول منافع الكرز والفواكه الأخرى. تلك اللحظات جعلتها تشعر بأنها أكثر قناعة، ... عندما سمحت لنفسها أخيراً أن تؤمن بالمستحيل. كانت تلك اللحظات الأكثر صفاء والتي جعلتها تتصالح مع العالم كله.

وهي تسترجع ذكرياتها، كانت جولي تراقب مايك وهو يأكل، مقلباً زوايا فمه بلطف. كان يصارع مجموعة خيوط طويلة من الجبنة التي فرت هاربة من فمه متحولة إلى شرائح صغيرة. بعد أن يقضم لقمته، كان يحاول أحياناً النهوض فجأةً والتلعثم باللقمة، مستعملاً أصابعه ليمنع الفتات من الانزلاق من فمه أو يتحاشى أن تنفطر صلصة البندورة. بعد ذلك، يضحك على نفسه ويمسح وجهه بعنف بالمنديل، وهو يتمتم بعبارات مثل "لقد لوثت قميصي بتلك القطعة".

لم يأخذ الأمر على محمل الجد، كما لم يكترث لعدم اهتمامها به لأنه وسخ ملابسه، أو عندما كانت تنظر إليه بحميميَّة بطريقة تذكرها بزوجين طاعنين في السن يجلسان على مقعد في المنتزه، ممسكين بيدي بعضهما البعض. كانت لا تزال شاردة الذهن لبضع دقائق عندما لحقته إلى المطبخ، حمل كلاهما بقايا الطعام، وراقبته عندما وجد ورق السلوفان في الدرج القريب من الفرن دون أن يسألها عن مكانه. تناول ورق السلوفان ولف بها البيتزا ووضعها في البراد، ثم اقترب بشكل أتوماتيكي من حاوية النفايات ولاحظ أنها كانت ممتلئة، مرَّت لحظة، لحظة فقط عندما بدا المشهد وكأنه لا يحدث الآن، وإنما يحدث في لحظة ما من المستقبل، إنها ليلة عادية من بين سلسلة من الليالي المتعاقبة.

قال مايك وهو يتفحص أرجاء المطبخ:"أعتقد أننا أنهينا كل شيء على الإطلاق".

جولي التي كانت شاردة الذهن عادت إلى رشدها بعد أن سمعت صوته، وأحست باحمرار خفيف على وجنتيها.

وافقته القول:"أجل. أشكر مساعدتك".

مضت لحظة طويلة دون أن يتكلم أي منهما، فجأة تذكرت جولي العبارة المتكررة التي عاشت معها طوال بداية أول عامين عاشتهما مع جيم، كما لو أن آلة تسجيل تكرر ما كان يقوله لها. ارتباط مع مايك؟ ليس هناك مجال. ما من فرصة.

شبك مايك يديه ببعضهما، قبل أن يسيطره أكثر بأفكاره.

"علي المغادرة. لدي عمل غداً في الصباح الباكر".

وافقته الرأي."أقدر هذا. علي أيضاً الخلود إلى الفراش. لقد جعلني سنغر مستيقظة ليلة أمس من ساعة متأخرة".

"ماذا كان يفعل؟" .

"يئن ويزمجر وينبح ويتمشى ..... يعمل كل ما في وسعه لكي يضايقني" .

"سنغر؟ لماذا؟" .

"أوه، جاء ريتشارد ليلة البارحة. تعلم كيف يتعامل سنغر مع الأشخاص الجدد" .

كانت تلك المرة الأولى التي يذكر فيها اسم ريتشارد من بداية المساء، لذلك أحس مايك فجأة بانقباض في حلقه، وكأن شيئاً ما كان يضغط عليه بقوة.

سأل:"هل كان ريتشارد هنا ليلة أمس؟" .

"لا - ليس بالضبط. لم نكن على موعد. جاء إلى هنا فقط ليترك مذكرة على سيارتي ليخبرني بأنه خارج البلدة" .

"أوه" .

شعرت جولي فجأة بحاجة ملحة إلى الإيضاح فقالت:"الأمر عادي" .

سأل مايك:"كم كانت الساعة؟" .

استدارت جولي نحو الساعة المعلقة على الجدار، كما لو أنها بحاجة إلى أن تعاين ...... حتى تتذكر.

"أظن حوالي الثانية أو ما يقارب. حدث ذلك عندما بدأ سنغر بالنباح، ولكن لم يدم فترة قصيرة. لماذا؟" .

ضغط مايك على شفتيه، مفكراً في نفسه،"وسنغر كان ينبح طوال الوقت؟" .

قال:"أتساءل فقط لماذا لم يترك المذكرة صبيحة اليوم التالي" .

هزت جولي كتفيها ."ليست لدي أدنى فكرة. ربما لم يكن لديه الوقت الكافي " .

أومأ مايك موافقاً، ومتسائلاً إن كان عليه قول المزيد أم لا، وبعد ذلك قرر أخيراً أن يلتزم الصمت. بدلاً من ذلك. اقترب من صندوق معداته ووضع الحنفية التي استبدلها، غير راغب بأن يعكر صفو تلك الليلة الهانئة. تراجع خطوة إلى الوراء.

"اصغي إلي ......".

لاحظت جولي لأول مرة، وهي تمرر يدها في شعرها، شامة صغيرة في وجنته بدت جذابة، وكأن فناناً رسمها بدقة في مكانها الصحيح لكي تزيد صاحبها جاذبية. استغربت أنها لم تلحظها من قبل.

قالت معترضة سبيل أفكارها :"أعلم ... عليك الذهاب".

استند مايك على القدم الأخرى، ورفع الحنفية وهو يردد .... ماذا يقول:"حسناً، أشكرك لأنك اتصلت بي طالبة مساعدتي. سواء أتيت أم لا، شعرت بالسعادة لأنك فعلت ذلك. أمضيت وقتاً رائعاً الليلة".

تلاقت نظراتهما قليلاً قبل أن يشيح مايك بنظره عنها. شعرت جولي بنفسها وهي تأخذ زفيراً - حتى أنها لم تدرك بأنها كانت تحبس أنفاسها- وبالرغم عنها لم تشعر إلا ونظراتها تلاحق مايك وهو يتقدم رأساً باتجاه الباب. كان بنطاله الجينز مناسباً له تماماً، فشعرت أنها متوردة الوجنتين ثانية، وتدفقت الدماء إلى خديها مثلما تهتاج الرواسب الطينية في أسفل بركة ريفية.

رفعت بصرها إلى الأعلى عندما أدار مايك قبضة الباب. أحسَّت للحظة وكأنها تراقب شخصاً في حفلة وسط جموع محتشدة في الغرفة، شخص ما لم يسبق لها أبداً أن رأته. في أي مكان وأي زمان، انتابتها موجة من الضحك لسخافة الموقف.

ولكن من الغرابة أنها لم تتمالك نفسها وتمنعها من مراقبته.

بعد أن ودَّعها، وقفت في الممر تراقبه وهو يركب سيارته. وخلال لحظة وقبل أن يغلق باب السيارة، لوَّح لها وضوء القبة السماوية فوقه يتوهج مثل هالة مقدسة.

لوَّحت له ثم راقبت ضوء سيارته الأحمر الخافت الذي أخذ يتناقص بالتدريج كلما ابتعدت السيارة. وقفت على الشرفة لمدة دقيقة تقريباً، وهي تحاول أن تجد تفسيراً لمشاعرها. فكرت ثانية."مايك، مايك!".

لماذا حتى تزعج نفسها في التفكير بالمسألة؟ بالتأكيد، إنه شاب جذاب، بالتأكيد، التعامل معه سهل، وبالطبع إنه شاب حاضر البديهة. ولكن مايك؟.

قررت جولي فجأة بأن الأمر برمته مناف للعقل. إنها حزمة من الترهات سيطرت على تفكيرها.

استدارت لكي تدخل."أليست المسألة كذلك؟".

الفصل الخامس عشر

صباح اليوم التالي، وضع هنري فنجان القهوة على مقعده وسأل."هكذا إذاً؟" .

حك مايك مؤخرة رأسه."ذلك ما حصل" .

"اكتفيت بالخروج فقط؟ بتلك الطريقة؟" .

قرَّب هنري سبابتيه من بعضهما ووضعهما تحت ذقنه بشكل مثلث. بالرغم أنه كان كعادته يريد أن يقرِّع مايك لأنه لم ينتهز الفرصة المناسبة ليطلب من جولي الخروج بصحبته، لكن الوقت لم يكن مناسباً للتقريع.

"إذاً دعني أتأكد بالضبط مما حصل. لقد سمعت حزمة من الترهات الملغزة التي قالها جيك بلانس هذا عن ريتشارد والتي يمكن أن تدل على معنى ما أو من الممكن أن تكون مجرد أقاويل، لكنها بشكل محدد أقاويل

غريبة قليلاً باعتباره لم يستطرد بشرح المزيد، بعد ذلك نكتشف بأن ريتشارد يحوم حول منزلها ﴿في﴾ منتصف الليل ويضع لها تلك المذكرة والله يعلم كم بقي من الوقت هناك وأنت بدورك تقرر أن لا تخبرها عما سمعت بخصوص ريتشارد؟ أو حتى أنك لا تلمِّح لهذا الموضوع المتعلق بها؟" .

"هي من أخبرتني بقدوم ريتشارد . إنها على علم بوجوده في تلك الليلة" .

"ليس هذا موضوعنا، وأنت تعلم ذلك" .

هز مايك رأسه."لم يحدث أي شيء يا هنري" .

"كان عليك أن تبوح بشيء" .

"كيف؟" .

اتكأ هنري في مقعده إلى الوراء." افعل فقط ما قلته لك. أخبرها بما يدور في ذهنك" .

قال مايك وهو يبادل أخاه نظراته:"بوسعك أن تقول ذلك بطريقتك، لكنني أستطيع. ربما ستعتقد بأنني أقول لها ذلك الكلام عن ريتشارد بسبب ما أحمله لها من مشاعر" .

قال هنري بنبرة تعبر غن كونه أباً أكثر منه أخاً."اسمع يا مايك. أنت صديقها وستكون دائماً صديقها، سواء حدث بينكما ارتباط أم لا أوكي؟ ثم إنني لا أحبذ فكرة أن يطوف حول منزلها في منتصف الليل. ذلك الزاحف، لا يهم أياً كان السبب الذي جعله ينتظر عند منزلها. كان بوسعه أن يترك مذكرته في الصباح، أو أن يتصل بها. أو أن يترك رسالة في مكان عملها ....أي نوع هو من الشبان، حتى يرتدي ملابسه ويقفز إلى سيارته، ويعبر البلدة فقط من أجل أن يترك مذكرة عند الساعة الثانية ليلاً؟ ثم ألم تقل بأن سنغر أبقاها مستيقظة لعدة ساعات؟ ماذا لو كان يتسلل حول

منزلها طوال الفترة التي كان سنغر يتصرف فيها بغرابة؟ وماذا لو كان بلانس يحاول أن يحذرك من أمر ما؟ ألم تفكر بكل هذه العواقب؟".

"بالطبع فكرت. ولم أحبذ العواقب أيضاً".

"إذاً عليك أن تصرح بما لديك".

أغلق مايك عينيه، لقد كانت ليلة رائعة حتى تلك اللحظة.

قال:"أنت لم تكن موجوداً يا هنري. بالإضافة إلى أنها لم تعتبر تصرفه غريباً على الإطلاق، لذلك لا تضخم المسألة ولاتعطها حجماً أكبر مما تستحق. كل ما فعله أنه ترك مذكرة".

"كيف لك أن تعرف أنه لم يفعل أي شيء سوى ترك المذكرة؟".

أراد مايك أن يجيبه لكن التعابير التي ظهرت على وجه هنري جعلته يصمت.

قال هنري:"اسمع، عادة ما أرغب منك أن تتصرف حسب قناعتك حتى عندما تخطئ، لكن المجال مفتوح أمامك لتقول ما تريد. وهذا الوقت غير مناسب لكي تخفي عنها أسراراً، لاسيما إن كانت تخص شخصاً مثل ريتشارد. ألن يحدث هذا تأثير عليها؟".

بعد لحظة، أخفض مايك ذقنه نحو صدره. وقال:"أجل. ذلك يحدث تأثيراً".

❖❖❖

قالت مابل:"حسناً، إذاً أمضيتما وقتاً ممتعاً".

أجابت جولي:"أجل. تعلمين كيف طباعه. إنه مرح دائماً".

وهما يتبادلان الحديث كانت مابل تدوِّر المقعد الفارغ، ما من زبائن خلال هذه الدقائق القليلة لذلك وجدا متسعاً من الوقت للكلام.

"وهل أصلحت الحنفية؟" .

كانت جولي مشغولة بتجهيز مقعدها، فأومأت لها ."استبدلها بواحدة جديدة" .

"أصلحها بسهولة؟ هل تساءلت لماذا كان عليك أن تتصلي به بالدرجة الأولى؟" .

"بلى" .

"هل تكرهين ذلك؟" .

"في كل لحظة" .

ضحكت مابل."بالتأكيد هو شخص مميز، أليس كذلك؟" .

ترددت جولي. ومن طرف عينها شاهدت سنغر جالساً قرب الباب الأمامي ويحدّق خارج النافذة، وكأنه يهم بالخروج.

بالرغم أن سؤال مابل لم يكن بحاجة إلى إجابة، ولكن كان هنالك إحساس جدِّي .... محتمل، بما أنها لم تتوقف عن التفكير بما حصل الليلة الماضية. لم تعرف لماذا لم تغب عن بالها ليلة أمس. لم تكن ليلة مثيرة، ولم يحدث ما يستحق الذكر. ولكن ليلة أمس، بينما كان ضوء القمر ينشر أنواره الذهبية من خلال نافذتها والفراشات تضرب إطار ....، لم يكن مايك فقط الشخص الذي كانت تتخيله قبل أن تخلد إلى النوم، ولكنه كان أيضاً أول شخص تفكر به عندما استيقظت صباح اليوم التالي.

جاء جواب جولي دون عناء وهي تتجه نحو الباب لتسمح لـ سنغر بالخروج.

"أجل، إنه كذلك" .

❖❖❖

نادى هنري."مايك، لديك ضيف".

مطَّ مايك رأسه خارج غرفة المؤونة."من هو؟".

"احزر من هو".

قبل أن يجيب، كان سنغر يهرول إلى جانبه.

في وقت متأخر من الظهيرة عرَّجت جولي نحو الكراج. حدَّقت إلى سنغر وهي تضع يديها على وركيها.

قالت:"إن كنت مصيبةً، إنه يخطط للمجيء إلى هنا لكي يحثني على اللحاق به".

حالما قالت جولي ذلك. لم يوفر مايك جهداً ليقدم شكره إلى سنغر عن بعد."ربما يحاول أن يخبرك شيئاً ما".

"مثل ماذا؟".

"لا أعرف. ربما لا تعيرينه اهتماماً كافياً في الآونة الأخيرة".

"أوه، إنه يحظى برعاية كافية. لا تدعه يسمعك. سوف تفسده أكثر".

سنغر الذي كان مقعياً على وركيه، بدأ يحكهما بساقه الخلفية، وكأنه يريد أن يظهر لهما لا مبالاته بما يقولانه عنه. كان مايك بكل .... بينما كان يتحدثان.

قال:"آمل أن لا تكترثي بكلامي، لكن هذا الشيء يدفعني إلى الجنون. أجريت تغييراً عليه في السائل لكنني أتنفس رائحة الغاز طوال اليوم".

"إذاً فأنت تشعر بطنين في رأسك هاه؟".

"لا، إنه مجرد صداع".

راقبته جولي وهو يسحب أفروله إلى الأسفل، ويخلعه متوازناً على ساق واحدة ثم على الأخرى، قبل أن يركنه في الزاوية: حسب رأي جولي بدا في بنطاله الجينز وقميصه الأحمر اللون أكثر شباباً.

سألته:"ما هو جدول أعمالك الليلة؟".

"كالمعتاد. إنقاذ العالم، وإطعام الجياع، وتحقيق السلام العالمي".

"من المدهش حقاً كم يستطيع المرء إنجاز أعمال رائعة إذا وضعها في ذهنه".

"صحيح". رسم مايك على وجهه ابتسامة صبيانية. ولكن عندما مررت جولي يدها في شعرها انتابه فجأة الإحساس ذاته الذي شعر به ليلة أمس، عندما اتجه أولاً إلى المطبخ.

"ماذا عنك؟ هل لديك أية مخططات مثيرة؟".

"لا، علي تنظيف المنزل قليلاً ودفع بعض الفواتير. على خلافك، علي الاهتمام بأمور صغيرة قبل الاستعداد لإصلاح الكون".

مايك لمح هنري وهو يستند إلى الباب ممسكاً بحزمة من الأوراق، التي كان يتظاهر بأنه يدرسها ولا ينتبه إلى مايك وجولي، لكنه كان متأكداً أنهما مدركين لوجوده، وبذلك لن ينسى مايك توصية هنري. دس مايك يديه في جيبه. لم يرغب بذلك الفعل. أدرك أن عليه أن يصارحها القول لكنه لم يرغب بذلك. أخذ نفساً عميقاً.

سأل:"هيه، هل لديك متسع من الوقت لبضع دقائق؟ أريد أن أحدثك بموضوع".

" بالتأكيد. ما هو؟".

" هل تمانعين أن نذهب إلى مكان آخر؟ أعتقد أنني بحاجة إلى كأس بيرة أولاً".

بالرغم أنها أصيبت بالحيرة من نبرته الجدية المفاجئة، لم تستطع جولي أن تنكر بأنها كانت سعيدة لطلبه.

قالت:" الجعة رائعة الآن".

بعد مشوار قصير إلى أعلى الشارع بالقرب من طرف البلدة، وصلا إلى مطعم تيزي الذي يقدم السندويش، مثل مطعم سيلنغ كليبر لم يكن نظيفاً ولا مريحاً بشكل خاص. وكان صوت التلفاز يدوي في ركن البار، والنوافذ ملونة بغبار الطباشير، والجو يعبق برائحة الدخان الذي كان يتصاعد بشكل كبير فوق الطاولات.

بالنسبة إلى الزبائن الذين كانوا يترددون باستمرار على البار، لم تكن كل هذه المسائل مهمة، كما أن نصف الزبائن كانوا يعيشون في ذلك المكان بالنسبة إلى تيزي، صاحب البار، كان البار معروفاً لأنه اكتسب صيتاً خاصاً للزبائن. وبهذا الصيت، افترض مايك أنه سيحصل على مشروب كحولي رخيص الثمن.

من ناحية أخرى، لم يلتزم صاحب البار بالشكليات والنظام. فالزبائن ليسوا بحاجة إلى أحذية أو قمصان خاصة للحصول على الخدمة، كما لم يهتم صاحب البار بما كان الزبائن يحضرونه معهم. على مرِّ عدة سنين، سمح بإدخال كل شيء إلى البار، بدءاً من سيوف الساموراي وحتى حبات البلح الكبيرة، وبالرغم استنكار جولي الشديد لهذا المكان، ضمنه هذه المجموعة تأقلم سنغر عندما جلس مايك وجولي على مقعدين في الطرف الأخير من البار، التف سنغر حول نفسه قبل أن يتمدد.

سألهما تيزي عن طلبهما قبل أن يضع أمامهما كأسين من البيرة. بالرغم أنهما لم يشعرا .... كثيراً، لكنهما لم يحسا بالدفء إلى حد ما، ومايك كان سعيداً بذلك. ففي مكان كهذا لا يمكن للزبون أن يتوقع أكثر من ذلك.

نظرت جولي حولها ."هذا المكان يشبه حوض الغطس. أحس دائماً بأنني سأصاب بمرض معد إذا بقيت هنا أكثر من ساعة" .

"لكنه اكتسب صيتاً معروفاً" .

"بالتأكيد . نفقاته كبيرة. إذاً ما الأمر المهم الذي جعلك تحضرني إلى هنا على عجل؟" .

طوق مايك الزجاجة بكلتا يديه."إنه أمر حضني هنري على أن أخبرك إياه" .

"هنري؟" .

"أجل" . صمت."اعتقد أن علي أن أصارحك بأمر ما البارحة" .

"بخصوص من؟" .

"بخصوص ريتشارد" .

"ماذا به ريتشارد؟" .

جلس مايك باستقامة في مقعده."بخصوص المذكرة التي تركها ليلة أول أمس" .

"وماذا عنها؟" .

"حسب رأي هنري أن تصرفه غير طبيعي. كما تعلمين إنه الأمر غريب أن يحضر في منتصف الليل ليضع المذكرة" .

نظرت إليه بريبة."هنري قلق بهذا الخصوص؟" .

"أجل. هنري" .

"مم ...... وأنت لم تشعر بالقلق" .

"لا" .

أخذت جولي رشفة من البيرة."لماذا أحسَّ هنري بالقلق؟ لم يكن ريتشارد

يختلس النظر من النوافذ. لو حدث ذلك لذهب سنغر وألقى نظرة من خلف الزجاج ثم أنه يقول في المذكرة أنه كانت هنالك حالة طارئة، لذلك ربما غادر في حينه".

"حسناً ..... هنالك أمر آخر أيضاً. في ذلك اليوم جاء شخص عبر الجسر إلى الكراج وما ذكر لي شيئاً غير طبيعي".

"مثل ماذا؟".

بينما كان مايك يدخل أصابعه من خلال الأخاديد المنحنية للبار، أخبرها بما قاله حيك بلانس، وشرح لها بقليل من التفاصيل حول ما علّق به هنري

- بعد أن انتهى من كلامه،

وضعت جولي يدها على كتفه، ولوّت شفتيها ببطء راسمة ابتسامة.

"أوه، لطف من هنري أن يهتم بي".

استغرق مايك لحظة حتى استوعب ردة فعلها.

"لحظة .... ألست غاضبة؟".

"بالطبع لست غاضبة. أشعر بالارتياح لا، لي أصدقاء مخلصون مثله".

"ولكن ...".

"ولكن ماذا؟".

"حسناً .... أوه ... ".

ضحكت جولي، وهي تربت بلطف على كتف مايك."هيا، اعترف يا مايك

- أنت أيضاً كنت قلقاً عليَّ. وليس هنري فحسب، أليس كذلك؟".

ابتلع مايك ريقه. "لا".

"إذاً، لماذا لم تخبرني منذ البداية بالأمر؟ لماذا ألقيت كيل المسؤولية على كاهل هنري؟".

"لم أشأ أن تغضبي مني".

"لماذا تفكر بأنني سأغضب منك؟".

"لأن .... حسناً، كما تعلمين ... أنت تقابلين الشاب".

"وماذا أيضاً؟".

"لا أريد أن تظني ... حسناً، لست متأكداً بأنك –"

لم يرغب مايك أن يصرخ بما يدور في نفسه.

سألته جولي:"لا تريد أن أظن بأنك تقول لي ذلك لكي أتوقف عن مقابلته، أليس كذلك؟".

"أجل".

تأملته جولي بإمعان. "هل لدي إيمان حقيقي بصداقتنا؟ هل تظن بأنني سألغي صداقة عمرها اثنا عشر عاماً؟".

لم يجب مايك.

"أنت تعرفني أكثر من أي شخص آخر، وأنت صديقي المفضل. لا أظن أنك ستفعل أي أمر من شأنه أن يسبب لي الأذى. حسب معرفتي بك جيداً، أنت تعجز حتى عن اقتراف أي خطأ ..... لماذا تعتقد بأنني أمضي الوقت معك لفترة طويلة؟ لأنك شاب طيب. وشاب لطيف".

استدار مايك، وهو يفكر بأنها ربما تضيف، وتصفه بالشاب المخصي.

"الشبان اللطفاء يكسبون اللمسة الأخيرة. أليس هذا ما يقوله الناس؟".

استعملت جولي أصبعها لكي تدير له وجهه قبالتها وتتلاقى نظراتهما.

"بعض الناس وليس أنا".

"وماذا بخصوص ريتشارد؟".

"ماذا عنه؟".

"إنك تمضين معه مؤخراً جل وقتك".

اتكأت إلى الوراء في مقعدها، وكأنها تحاول أن تجعله يركز بشكل أفضل على معنى كلامها قالت محاولة أن تغيظه: "لماذا؟ إن لم أكن مخطئة، أعتقد أنك تشعر بالغيرة منه".

أحذ مايك رشفة بيرة، متجاهلاً تعليقها.

"لا تكن غيوراً، خرجنا معاً بضع مرات واستمتعنا قليلاً. ما المشكلة؟ إنها ليست بالقضية الكبرى. لا يبدو الأمر وكأنني أخطط للزواج"؟.

"ألا تخططين؟".

زمجرت. "أنت تمزح، صحيح؟". صمتت، لكن ملامح مايك جعلتها تجيب على السؤال. "إذاً أنت لا تمزح. هل تعتقد بأنني أحبه؟".

"ليست لدي أية فكرة".

"أوه. حسناً، لا أحبه. حتى إنني لست متأكدة بأنني سأخرج برفقته مرة ثانية ليس هذا بسبب ما أخبرتني إياه الآن. عطلة نهاية الأسبوع الماضي .... أمضيتها بصحبته كانت رائعة، وممتعة، لكنها انتهت في حينها، كما تعلم؟ ثم أنه بدا يوم الاثنين لا مبالياً قليلاً، فقررت أنها لا يستحق أن أصطحبه ثانية".

"حقاً؟".

ابتسمت. "حقاً".

كل ما استطاع مايك أن يقوله. "واو".

"أجل، واو".

تمشى تيزي وغيَّر القناة التلفزيونية على ESPN قبل أن يسألهما إن كانا يرغبان بمزيد من المشروب. أومأ كل من جولي ومايك بالموافقة.

سأل مايك: "إذاً ما هو التالي؟ هل سنشاهد ثانية بوب العجوز ،.....

"أمل أن لا يكون هو".

أومأ مايك بالموافقة. وسط ذلك الجو بدت جولي متألقة، وأحس مايك أن ريقه بدأ يجف. أخذ جرعة أخرى من البيرة.

"حسناً، ربما سينضم إلينا شخص آخر".

"ربما". أسندت جولي ذقنها بيدها وهي تبادله نظراته.

"لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً. أنا واثق أن ثلَّة من الشبان ينتظرون الفرصة المناسبة لكي يطلبوا منك الخروج برفقتهم".

ابتسمت ابتسامة عريضة:"لا أحتاج سوى شاب واحد".

قال مايك معلقاً:"إنه في الخارج هناك. لن أشعر بالقلق حيال هذا الأمر".

"لست قلقاً. أعتقد أنني حصلت الآن عما أبحث عنه في الشباب. الآن أعيش لحظات من الوضوح، وكل الأمور تبدو أكثر نقاءً. أرغب في أن أجد شاباً طيباً. شاباً لطيفاً".

"حسناً، أنت تستحقين شاباً بهذه المواصفات، كوني على ثقة".

لم يكن بوسع جولي سوى أن تفكر بأن مايك كان يبدو أحياناً صعب الاختراق مثل الرخام. حاولت أن تجد عنده ثغرة أخرى.

"إذاً ماذا عنك؟ هل سبق لك أن وجدت فتاة حركت مشاعرك؟".

"من يدري".

" ستجدها. إذا أمعنت النظر جيداً ستجدها. أحياناً يكون الأشخاص الذين نحبهم أمام أعيننا والذين نستطيع أن نراهم".

شد مايك مقدمة قميصه بقوة. لم يدرك كم كان الجو حاراً، لكنه أحس بأنه ربما سيتصبب عرقاً إذا لم يخرج من ذلك المكان في غضون بضع

دقائق - قال لها :"أمل أن تكوني على حق".

صمتا ثانية.

قالت له وهي راغبة بأن يتفوه بكلمة ما. "هكذا".

قال وهو يحدق في أرجاء الغرفة: "هكذا".

أخيراً أخذت جولي زفيراً وفكرت في نفسها. "أظن أن المسألة تعتمد على مبادرتي. إذا بقيت طوال الوقت أنتظر مبادرة كازنوفا هذا، سأصبح عجوزاً وهي يرافقني في مشواري".

قالت:"إذاً ماذا لديك ليلة غد؟".

"لم أفكر بعد بما أقوم به غداً".

"كنت أفكر أنه ربما يمكننا الخروج معاً".

"الخروج؟".

"أجل. هنالك مكان في الجزيرة رائع الجمال. إنه على الشاطئ تماماً، وقد سمعت بأن الطعام الذي يقدمونه للزبائن شهي للغاية".

"هل أسأل هنري وإيما إن كانا يرغبان بالمجيء؟".

وضعت إصبعها تحت ذقنها."مم ..... ماذا إذا ذهبنا وحدنا؟".

"أنت وأنا؟". استطاع مايك أن يسمع دقات قلبه تحت أضلاعه.

"بالتأكيد. لم لا؟ بالطبع إلا إذا كنت لا ترغب بذلك".

"لا، بل أرغب بذلك". أجاب مايك على الفور، ثم شعر بالندم في الحال. بعد أن أخذ نفساً عميقاً، حاول أن يستعيد هدوءه. فكر في نفسه." كن هادئاً ". رمقها نظرة مثل نظرة جيمس دين، وقال:" أقصد، أظن أنه بمقدوري أن أضع خطة للخروج معاً".

خنقت جولي ضحكتها، وقالت: "واو، أقدِّر لك هذا العمل".

❖❖❖

قال هنري:" إذاً طلبت منها الخروج معك، هاه؟".

كان مايك مستنداً إلى الجدار مثل رعاة البقر، أحنى أحد ركبتيه، وضغط بقدمه على الجدار، ورأسه متوجه نحو الأسفل. كان يتفحَّص أصابعه، وكأن الأمر برمته ليس بالقضية الكبرى.

هزَّ مايك كتفه بطريقة ممتعة."لقد حان الوقت".

"حسناً ... جيد. هل أنت واثق أنه لقاء يجمعكما؟".

رفع مايك بصره وكأن سؤال هنري استنفد صبره."أوه أجل، بالطبع إنه لقاء".

"إذاً كيف أعددت للقاء؟ أقصد، هل كان مجرد مصادفة؟".

"عملت من أجل التخطيط له مسبقاً وببطء، تبادلنا الحديث بشكل عادي، وعندما حانت الفرصة المناسبة، اتفقنا على الموعد".

"هكذا إذاً، هاه؟".

"هكذا إذاً".

"مم"، قال هنري. عرف أن مايك كان يكذب، لكنه لم يستطع أن يكتشف ما الثغرة المزيفة في القصة. بعد كل هذا يبدو بالفعل وكأن اللقاء سيحدث.

"إذاً ماذا قالت بخصوص ريتشارد؟".

حكَّ مايك أصابعه بقميصه ثم تفحصها."أظن أن الموضوع عابر".

"هل قالت ذلك؟".

"أوه، أجل".

"هاه"، قال هنري. كان يفكر بما سيقوله فأعطى لنفسه فرصة لذلك.

لم يستطيع أن يضايقه، ولا أن يسدي له نصيحة، ولا أن يتخذ أي إجراء بدون أن يكون على علم بأحداث القصة كلها.

"حسناً، أظن أن كل ما في وسعي قوله هو أنني فخور بك. حاو الوقت لكي تصبح الكرة في ملعبكما".

"أشكرك هنري".

حام فوق كتفه وقال:"لا مشكلة. استمع لي - لدي عمل علي أن أنهيه في المكتب، ثم علي العودة إلى البيت لأخذ ساعة من الراحة، لذلك اسمح لي بالانصراف".

"اذهب". أنزل مايك قدمه على الأرض، وتوجه عائداً إلى الكراج بعد مرور لحظة، ومشاعر الارتياح تلفه بشكل لم يعهده طوال حياته. راقبه هنري وهو يخرج، ثم تابع طريقه إلى مكتبه، وأغلق الباب خلفه. رفع سماعة التلفون، واتصل، وبعد لحظة سمع صوت إيما من الناحية الأخرى.

قال:"لن تصدقي ما سمعته للتو".

"ماذا؟".

أفرغ هنري ما في جعبته لها.

هتفت إيما."حسناً، لقد حان الوقت".

"أعرف. هذا رأيي أيضاً. ولكن اسمعي - هل تعتقدين أنه باستطاعتك أن تسمعي القصة من جولي؟".

"أظن بأنك قلت أن مايك أخبرك بالقصة كاملة".

"أجل. لكنه لم يخفِ عني أمراً ما".

صمتت إيما. "أنت لا تخطط لفعل أي شيء، أليس كذلك؟ هل تريد أن تفسد كل شيء؟".

"لا، على الإطلاق. أريد أن أعرف فقط ما جرى بينهما بالضبط بدون تشويه للأحداث".

"لماذا؟ هل تريد مضايقته؟".

"بالطبع لا".

"هنري ...".

"هيا، حبيبتي. إنك تفرفينني جيداً. لن أقدم أبداً على فعل كهذا. أريد فقط أن أفهم مساعي جولي ومشاعرها نحوه، تعلمين ذلك؟ مايك يأخذا ا لأمر كله على محمل الجد، ولا أريده أن يفهم الأمر بشكل خاطئ فيصاب بالإحباط".

لم تجبه إيما، وهو بدوره عرف بأنها كانت في حيرة من أمرها فيما إذا كان عليها أن تصدقه أم لا.

"حسناً، سأحاول أن أجتمع معها قليلاً على العشاء".

أومأ هنري مفكراً، "هذه هي فتاتي التي أحبها".

فتحت جولي الباب الأمامي، وهي تحمل سلة من البقوليات ومعها الفواتير، واتجهت نحو المطبخ. توقفت أمام المخزن على أمل إيجاد شيء ما صحي تتناوله، لكنها انتزعت قطعة من اللازانيا من المايكروويف.

لازانيا: نوع من أنواع المعجنات الإيطالية.

لم يلحقها سنغر، بل قفز من سيارة الجيب بعد أن توقفت وانطلقت عبر الغابات الممتدة على طول الممر المائي الساحلي. لم يعد إلا بعد مضي بضع دقائق.

وضعت جولي اللازانيا[1] في الفرن، وبدلت ملابسها في غرفة النوم وارتدت ..... وقميصاً نصف كم، ثم عادت إلى المطبخ. تصفَّحت الفواتير،.... من جداول الطلبات البريدية - ثم وضعت الكومة كلها جانباً. لم تكن في مود يسمح له بمراجعة كل هذه الأمور الآن.

فكرت في نفسها، سوف تخرج بصحبة مايك. مايك.

همست اسمه بصوت عال، لتتأكد أن ما يجري كان حقيقة.

بلى

بينما كانت تفكر به، ومضت عيناها وهي تنظر إلى المجيب الآلي ولاحظت أن ضوءه يتلألأ. سمعت صوت إيما، وهي تدعوها إلى العشاء يوم الجمعة.

"إذا لم تتمكني من الحضور، اتصلي بي. وإلا دعينا نتقابل عند دكان الأطعمة".

فكرت جولي إنها دعوة جاءت في محلها. بعد مرور لحظة، صفرت الآلة وسمعت صوت ريتشارد من خلالها. بدا منهك القوى، وكأنه كان يعمل طوال النهار.

"هيه، جولي. اتصل فقط لأترك لك رسالة، لأنني أخمن أنك لست موجودة الآن في البيت، هاه؟ إنني مشغول طوال المساء، ولكنني سأعود إلى المنزل غداً". صمت، وسمعته وهو يلتقط نفساً عميقاً.

"لا تصدقين كم أفتقدك في هذه اللحظة".

---

[1] لازانيا: نوع من المعجنات الإيطالية.

سمعت جولي صوت الطقطقة عندما أغلقت السماعة. هناك على عتبة النافذة، شاهدت حسّوناً يقفز مرتين قبل أن يهم بالطيران بعيداً.

فكرت فجأة:"أوه، أيها الغلام، لماذا ينتابني إحساس بأنه لن يحقق ما يرغب به؟".

الفصل السادس عشر

استعد مايك ليلة اليوم التالي للذهاب إلى منزل جولي قبل الساعة السابعة بقليل، لبس بنطالاً وقميصاً كتانياً أبيض اللون. بعد أن أطفأ محرك سيارته، دسَّ المفاتيح في جيبه، واختطف علبة الشوكولا، وهمَّ بالمشي، وهو يردد ما كان عليه قوله. بالرغم أنه أراد أنه يتصرف بشكل عفوي، لكنه لم يستطع أن يقاوم رغبته بالتأثير عليها، وإثارة إعجابها بشكل حقيقي، والبدء باستهلالية مناسبة. بعد طول تأمل وتفكير وقرر أن تكون عبارته الاستهلالية كالتالي:

"يا لها من فكرة رائعة أن نذهب معاً إلى الشاطئ!. إنها ليلة جميلة!".

أحب أن يبدأ بهذه العبارة ليس لأنها تعبر عن أحاسيس طبيعية فحسب، بل لكي لا يبدو وكأنه جاء إليها مندفعاً. كانت تلك فرصته، وربما فرصته الوحيدة، ولذلك لم يرغب أن يحترق بنيرانها.

اتجهت جولي خارجاً بينما كان مايك يقترب من الباب ورحَّبت به بحميمية، وربما كان ترحيباً من نوع خاص، لكن صوتها الذي امتزج مع إحساسه بأن اللقاء كان يحدث بشكل واقعي!، قطع عليه سلسلة أفكاره، ونسي ما كان ينوي قوله، في الواقع، نسي تماماً كل ما حوله.

فكر مايك وهو يتأملها،"هنالك نساء جميلات في كل مكان. نساء يسحرن الرجال، ويأخذن عقولهم حتى لو كان على موعد مع نساء أخريات، هنالك نساء يفتن قلوب الرجال فقط برمشة عين. "لكن هذه جولي".

معظم الناس يعتبرونها جذابة، بالطبع هنالك بعض العيوب - أنف بارز قليلاً، بعض النمش على الوجه، الشعر غير مسرَّح كما يجب. ولكن عندما كان يراقبها مايك وهي تنزل الدرج، اندفع ثوبها أمامها بخفة كالموج مع هبوب تسمية ربيعية، أدرك حينها أنه لم يرَ بمثل هذا الجمال الأخاذ.

قالت جولي:"مايك؟".

فكر مايك، "أوكي، هذه هي فرصتي. لن أضيعها. أعرف تماماً ما علي قوله. ما عليك سوى الحفاظ على هدوئك وتترك الكلمات تنساب بشكل طبيعي".

قالت جولي ثانية."مايك؟".

أعاده صوتها إلى رشده. كل شيء ما عدا العبارة الاستهلالية.

سألته:"هل أنت على ما يرام؟ تبدو شاحباً قليلاً".

فتح مايك فمه لحظة، ثم أطبقه عندما أدرك أنه نسي ما كان ينوي قوله فكر في نفسه،"لا تخف، لقد بدأت تخاف. مهما فعلت، لا تجعل الخوف يأخذ منك مأخذه!، قرر أن يمنح نفسه الثقة وأخذ نفساً عميقاً.

قال أخيراً وهو يمسك بعلبة الشوكولا ."أحضرت لك شوكولا".

نظرت إليه ."أرى ذلك. أشكرك".

فكر مايك، "أحضرت شوكولا؟ هل هذا كل ما استطعت قوله؟".

قالت جولي وهي تلحن كلماتها ."مرحباً؟ هل يوجد أحد هنا؟".

العبارة الاستهلالية ..... العبارة الاستهلالية ... ركز مايك انتباهه وأحسَّ أن العبارة الاستهلالية ستتدفق من ثغره بشكل متقطع. على كل حال كانت جولي بانتظار أن يتفوه بكلمة ما، بأية كلمة.

أخيراً أفلتت منه عبارة،"تبدين جميلة وأنت على الشاطئ الليلة".

تأملته جولي لحظة، ثم ابتسمت. "أشكرك. ولكننا لم نذهب بعد إلى هناك".

دسَّ مايك يده في جيبه مثل الأبله!.

قال وهو عاجز عن إضافة أية كلمة أخرى."إنني آسف؟".

"على ماذا؟".

"لا أعرف ماذا أقول".

"عما تتحدث؟".

كانت ملامح جولي تعبر عن خليط غريب من الاضطراب ونفاذ الصبر، وظلت هكذا حتى استطاع مايك أخيراً أن ينتقي العبارة الصحيحية.

"لاشيء. أظن أنني سعيد جداً كوني هنا".

قالت:"وأنا كذلك".

انتعش مايك قليلاً بهذا الرد. ابتسم لها لكنه بدا شارد الذهن، تائهاً

وكأنه يتأمل الجوار. لم يقل كلمة، غير واثق في عواقبها.

سألها أخيراً: "حسناً، هل أنت جاهزة؟".

"أرافقك أينما ذهبت".

عندما استدار، واتجه نحو السيارة، سمع مايك صوت نباح سنغر قادماً دخل المنزل، فنظر نحوه من فوق كتفه.

"ألن يرافقنا سنغر؟".

"كنت أريد أن أتأكد بأنك تريده معنا".

يتوقف مايك. فكر في نفسه، ربما يضايقه سنغر، ويثير أعصابه أثناء مرافقة جولي. "بوسعه المجيء إذا رغبت بذلك. سنذهب إلى الشاطئ، وسيشعر بالسعادة هناك".

عندما نظرت نحو المنزل، نبح سنغر ثانية. كان يدس وجهه في النافذة. يرغب بأن يرافقها بما أنه لا يفارقها في كل مكان، ولكن من المفترض أن يكون هذا موعداً.

عندما كانت تقابل ريتشارد - أو أي من الشبان لم تحاول حتى أن تدرس الفكرة أبداً.

"بالتأكيد لن تمانع؟"

"لا على الإطلاق".

ابتسمت. "أعطني ثانية فقط لكي أفتح له الباب، أوكي؟".

بدأ سنغر ينبح ثانية. كان مستلقياً في مؤخرة السيارة، وشفتاه ولسانه يخنقان إثر الريح، وقد بدت عليه سعادة عارمة.

تكور سنغر فوق الرمال الدافئة أمام المطعم بينما جلس كل من مايك وجولي في مقعديهما إلى طاولة صغيرة في فناء الطابق الثاني، كانت غيوم

منخفضة تنساب ببطء وسط سماء داكنة. والنسمات التي تهب عبر المحيط كانت تضرب الجزيرة بقوة، جاعلةً أطراف المظلة التي تطوق الطاولة تتحرك وفق إيقاع ثابت، أنا جولي فرفعت شعرها خلف أذنيها متحاشية أن تلطم خصلات شعرها وجهها. الشاطئ بحد ذاته بدا واسعاً وخالياً – الازدحام هناك لا يبدأ حتى حلول يوم الشهداء- والأمواج تكورت فوق الانتفاخات الرملية القريبة من طرف المياه.

بدأ الجو في المطعم مريحاً وعفوياً، وبسبب موقعه على الشاطئ، كانت معظم الطاولات الأخرى مأهولة بالزبائن. عندما جاء النادل، طلبت جولي كأساً من النبيذ، وطلب مايك زجاجة من بيرة.

خلال فترة النزهة القصيرة، تحدثا كعادتهما قليلاً عن أعمالهما اليومية، وتطرقا أثناء حديثهما إلى مايك وأندريا، وهنري وإيما. بينما أثناء حديثهما حاول مايك أن يستجمع قواه ويحافظ على رباطة جأشه. لم ينسَ أنه عجز عن طرح عبارته الاستهلالية في وقتها المناسب، والتي خطط لها كثيراً. تمنى لو يضيف هذه العبارة لتكون جزءاً من سحره الطبيعي، لكنه في قرارة نفسه أدرك أن جولي لم تلحظ ببساطة ذلك لأنها لم تعتبر المسألة أمراً خارجاً عن المألوف. أحس بأن شيئاً ما يثبط عزيمته ويثنيه عن قول أي كلمة، ولكن من الناحية الأخرى، هي على الأقل لم تحاول أن تضايقه.

خلال الدقائق القليلة الأولى في المطعم، أحس مايك بصعوبة في التأقلم مع الوضع بعد كل ذلك، صار يفكر بهذه اللحظة الجميلة يومياً طوال العامين الأخيرين. وظل يستعيد تلك الفكرة – فإذا عرف كيف يستغل الفرصة بشكل صحيح- سيتمكن فيما بعد من تقبيل جولي.

عندما رفعت كأس النبيذ وأخذت رشفة، وهي تزم شفتيها بطريقتها المعهودة، أدرك مايك أنها أكثر اللحظات تأثيراً التي سبق له وأن شهدها .

أثناء احتسائهما المشروب، واظب على موجة متدفقة من الحديث وحتى أنه أضحكها مرتين، ولكن عند موعد الغداء، أحس بتوتر شديد جعله ينسى الكثير مما قاله لها .

قال لنفسه:" هيا تماسك وحافظ على هدوئك" .

أحس مايك بالارتباك والتشويش.

لم تكن جولي مندهشة. عرفت بأنه يحتاج إلى وقت حتى يسترخي. وكانت تأمل أن يتصرف معها بأريحية خلال أقصر وقت ممكن. لم تشعر بالراحة بشكل كامل وهو بدوره صعَّب عليها الأمر أكثر بسبب ارتباكه. والطريقة التي كان ينقل ناظريه عليها في كل حين وهي تأخذ كأسها جعلهامتلهفة لكي تسأله إن سبق له أن رأى أي شخص يشرب نبيذاً من قبل. معنى أول مرة كان يراقبها وهي تحتسي مشروبها، جعلها معتقدة بأنه كان يحاول إنذارها من أنها على وشك من ابتلاع بعوضة حطَّت في مشروبها .

هذه الليلة مختلفة عن الليلة التي جاء فيها ليصلح لها الحنفية، لكنها لم تتوقع أن تشعر كم كانت خرقاء عندما طلبت منه موعداً البارحة في مطعم فبعد كل هذا، لم يكن مايك مجرد جزء محتمل من مستقبلها، إنه جزء من ماضيها وكذلك ماضي جيم.

خطر في بالها جيم أكثر من مرة عندما كانا يتناولان طعامهما ووجدت نفسها تقارن الاثنين، ما أدهشها أن مايك، بالرغم أنه جعل اللقاء يبدو أكثر توتراً بصعوبة، لكنه لم يكن يشكل عائقاً أمام ذاكرتها التي انتعشت، صحيح

أن مايك ليس مثل جيم ولكن كان هنالك شيء جعلها تتذكر وهي برفقته أوقاتاً سعيدةً أيضاً خلال فترة زواجها . ...لحظة قصيرة جداً خلال تناولها الغداء انتابتها مشاعر الخيانة بقوة وطغت على أفكارها، فولدَّت لديها انطباعاً بأن جيم برفقتها ،لكنها مشاعر لحظية انتهت بسرعة. ولأول مرة، عاشت إحساساً دافئاً، أكدَّ لها ثانية بأن جيم لن يتضايق على الاطلاق.

في الوقت الذي انتهيا فيه من طعامهما، كان القمر يشرق، تاركاً هالة بيضاء على سطح الماء المظلم.

قال مايك: "هل ترغبين بأن نتمشى."

قالت وهي تضع كأسها على الطاولة: "اقتراح رائع".

وقف مايك. أسدلت جولي فستانها، ثم سوَّت حزام الشعر الذي سقط على كتفها . بعد أن اتجها نحو الحاجز المعدني، طوقها مايك حول خصرها وانبعثت رائحة الكولونيا التي تعطر بها مع انبعاث نسمات حملت رائحة الملح ومياه البحر، فتذكرت جولي ذلك التغيير الهائل المفاجئ الذي أصابه.

مال عليها مايك، وهو يبحث عن سنغر، فيما وجهه في الظل، لكنه عندما أدار رأسه، سطع عليه ضوء القمر فبانت سحنته الخشنة، مما جعله يبدو في مظهر جديد لم تكد جولي تعرفه. حطت أصابعه على حديد مطاوع، وكانت ملطخة بالشحم، فأدركت جولي ثانية الفرق بينه وبين الرجل الذي تمشي معها مرةً إلى أسفل الجزيرة.

فكرت جولي: "لا، لم أقع في غرام مايك".

أحست أنها تريد أن تبتسم. لكل الأحوال ليس بعد .

قال مايك: " إنك تنعمين بنوع من الهدوء بعد نهاية الغداء".

سارا على طول حافة المياه، خلعا حذاءيهما، وطوى مايك طرفي بنطاله

ورفعهما إلى الأعلى. أما سنغر فتجول أمامهما، ملصقاً أنفه بالأرض، عساه يعثر على سرطانات البحر.

تمتمت جولي: "إنني أفكر".

أومأ مايك: "تفكرين بـ جيم؟".

حدقت إليه :"كيف عرفت؟".

حكَّ جانب رأسه:"لمحت التعابير على وجهك. إنك لاعبة بوكر فظيعة.كما تعلمين لاشيء يفوتني".

"حقاً؟ إذاً ما الذي كنت أفكر به بالضبط؟".

"كنت تفكرين بالسعادة التي حظيت بها عندما تزوجت به".

"أوه، الآن أنت في وضع حرج".

" مع ذلك، ألست مصيباً؟".

"لا".

"إذاً بما كنت تفكرين؟".

ليس بالأمر المهم. بالإضافة إلى أنك لست بحاجة إلى أن تعرف".

"لماذا؟ هل الأمر سيء؟".

"لا".

"إذاً أخبريني".

"حسناً، كنت أفكّر. بأصابعه".

"أصابعه؟".

"أجل .يوجد شحم على أصابعك. كنت أفكر بأنني طوال فترة زواجي من جيم".

"لم أر أبداً الشحم على أصابعه كما هي الحال لديك".

حرّك مايك يديه وهو يعي ما فعل ووضعها خلف ظهره.

"أوه، لم أقصد الإساءة. أعرف أنك ميكانيكي. وبحكم عملك لابد أن تتلوث يداك".

"إنهما ليستا ملوثتين. أغسلهما طوال الوقت. إنهما ملطختان فحسب".

"لا تدافع عن نفسك بهذا الشكل. تعلم ما قصدته. بالإضافة إلى أنني أفضل هذا النوع من الأصابع".

"تفضلينها؟".

"أظن أنني أفضلها".

انشرح صدر مايك وهما يتمشيان بصمت لعدة خطوات.

"إذاً، هل تمانعين بالخروج ليلة غد؟ ربما نذهب إلى الـ بيومورت".

"هذا ممتع".

أضاف."ولكن ربما علينا أن لا نصطحب سنغر هذه المرة".

"حسناً. إنه غلام ضخم الحجم".

"هل في ذهنك أي مكان ترغبين الذهاب إليه؟".

"جاء دورك لكي تختار المكان. لقد أديت واجبي".

اختلس مايك نظرة عليها، وأمسك يدها."أحسنت الاختيار. كانت فكرة رائعة أن نذهب إلى الشاطئ. إنها ليلة جميلة".

ابتسمت جولي وهي تشبك أصابعها ببعضهما وقالت له موافقة: "أجل إنها ليلة جميلة".

بعد بضع دقائق غادرا الشاطئ عندما بدأت جولي تشعر بالبرد. لم يرغب مايك أن يفلت يدها حتى عندما وصلا إلى سيارته، لكنها وضعت يديها في حضنها وبدأت تحدّق خارجاً من النافذة الجانبية.

لم يتكلما كثيراً وهما في طريقهما إلى المنزل، وعندما تمشى معها حتى

الباب، أدرك أنه ليست لديه أدنى فكرة عما يدور في خلدها. لكنه عرف بماذا يفكر بالضبط، على كل حال كان يأمل أن تتردد قليلاً على الشرفة، قبل أن يودعا بعضهما، لكي تعطيه فرصة للتأكد من أنها كانت سعيدة بصحبته.

قال:"أمضيت معك ليلة رائعة".

"وكذلك أنا. في أي ساعة علي أن أكون مستعدة غداً؟".

"الساعة السابعة؟".

"وقت مناسب".

أومأ مايك موافقاً وقد أحس أنه مثل المراهق. لقد تحققت أمنيته الكبرى.

قال:"هكذا".

ابتسمت جولي، وهي تقرأ أفكاره. أمسكت بيده وضغطت عليها قبل أن تفلتها.

"تصبح على خير يا مايك. أراك غداً؟".

استغرق ثانية وهو يدرس العرض، ثم توازن على القدم الأخرى وعاد ثانية إلى ما كان عليه. وسألها بشك."غداً؟".

فتحت محفظتها وبدأت تبحث عن المفاتيح،"أجل. تذكر موعدنا؟".

وجدت المفاتيح ودسَّت إحدها داخل القفل، ثم نظرت إليه ثانية. انضم إليهما سنغر وفتحت الباب لكي تسمح له بالدخول.

"أشكرك ثانية على هذه الليلة اللطيفة".

لوَّحت له قبل أن يدخل سنغر إلى المنزل. عندما أغلقت الباب خلفها، حدَّق إليها مايك قبل أن يدرك أنها لن تخرج ثانية. بعد بضع ثوانٍ،. غادر

الشرفة، وهو يضرب الحصى بقدميه بينما كان يشق طريقه نحو سيارته.

لم تشعر جولي بالنعاس، وبدأت تتصفح الكتالوج وهي جالسة على الشرفة، وتستعيد مجريات أحداث تلك الأمسية. كانت سعيدة لأنها لم تقبل مايك على الشرفة، بالرغم من عجزها عن إدراك ذلك. ربما هي بحاجة إلى أن تدرس مشاعرها نحوه بوضوح أكثر.

أو ربما رغبت أن تراه محرجاً. عندما كان يرتبك، كان يبدو حاضر البديهة بطريقة لا يمكن أن يجسدها سوى مايك. وهنري كان محقاً عندما قال بأنه من السهولة استفزاز مايك.

التقطت جهاز التحكم وأشعلت التلفاز. كان الوقت لا يزال مبكراً - لم تصبح الساعة العاشرة بعد- جلست لتتابع دراما CBS تحكي عن عمدة بلدة صغيرة يشعر أنه مضطر للمجازفة بحياته لكي ينقذ حياة الآخرين.

بعد مضي عشرين دقيقة، تماماً عندما كان عمدة البلدة على وشك إنقاذ غلام أسير في سيارة مشتعلة، سمعت طرقات على الباب.

نهض سنغر بسرعة، وهو يقفز خارجاً في غرفة الجلوس. دسَّ رأسه وسط الستائر ودفعها جانباً، افترضت جولي أن مايك قد عاد.

بعد ذلك بدأ سنغر بالنباح.

الفصل السابع عشر

قالت جولي:" ريتشارد؟" .

كان يمسك باقة من الورود . "مرحباً جولي، قطفت لك هذه الورود على طريق المطار وأنا عائد إلى المنزل. آسف إنها لا تبدو منعشة كما يجب، ولكن لم يكن أمامي خيار" .

وقفت جولي في الممر، وسنغر إلى جانبها . توقف عن النباح حالما فتحت الباب، وسلّم عليها ريتشارد . تنشق سنغر قبل أن يرفع بصره، ليتأكد أن الوجه الذي أمامه يتناسب مع الرائحة المعروفة التي عهدها، ثم استدار بعيداً . بدا وكأنه يقول:"أوه، إنه هو . لم أشعر بالنشوة لرؤيته، لكن لا بأس" .

لم يكن الأمر سهلاً على جولي. ترددت قبل أن تأخذ الورود، متمنية لو لم يحضرها . قالت:"أشكرك" .

"آسف لحضوري في وقت متأخر، لكنني أردت أن أسلِّم عليك قبل الذهاب إلى منزلي".

قالت:"لا بأس".

"اتصلت بك في وقت مبكر لكي أعلمك بسفري، لكنني أظن أنك لم تكوني في الداخل".

"هل تركت رسالة؟".

"لا. لم يكن عندي متسع من الوقت. أعلنوا عن الرحلة الأخيرة، ولم أكن قد حجزت لنفسي مقعداً. تعلمين كيف تسير الأمور. مع ذلك تركت لك مذكرة البارحة".

"أجل- استلمتها".

وضع ريتشارد يديه قبالته."إذاً كنت في الداخل؟ أقصد في وقت....

أحست جولي بالارتباك قليلاً. لم ترغب أن تخبره بما حدث الآن.

قالت:"كنت خارج المنزل بصحبة صديق".

"صديق؟".

"تذكره مايك؟ تناولنا غداءً سريعاً".

"أوه، أجل. شاهدته في البار في تلك الليلة، صحيح؟ الشاب الذي يعمل في الكراج".

"إنه هو".

قال:"أوه، استمتعت بوقتك؟".

"منذ مدة لم أره، لذلك تقابلنا مؤخراً".

"جيد". حدَّق بعيداً في الشرفة، ثم أخفض بصره، ونظر إليها ثانية." هل أستطيع الدخول؟ كنت آمل أن نتبادل الحديث لبضع دقائق".

"لا أعرف. الوقت متأخر. كنت لتوي أستعد للنوم".

قال:"أوه، حسناً أفهمك. هل يمكنني أن أراك غداً؟ ربما نتناول الغداء معاً".

لم تظهر ملامح وجهه بوضوح في الظلام، لكنه ابتسم، وكأنه يعرف جوابها مسبقاً. أغمضت جولي عينيها لحظة طويلة، وفكرت في نفسها، كم أكره أن أقوم بعمل كهذا أكرهه، أكرهه، أكرهه. على الأقل كان بوب سيرتاب من أن نهاية العلاقة وشيكة الحدوث، وليس ريتشارد.

قالت:" آسفة، لكنني لا أستطيع الخروج معك. وضعت مخططات يومي مسبقاً".

"مع مايك ثانية؟".

أخفضت رأسها.

حكّ ريتشارد طرف خده، وهو شارد الذهن، ولا يزال يمعن النظر فيها."هكذا إذاً؟ أقصد، خططت لأجلنا معاً؟".

تعابير وجهها ترجمت له الإجابة.

سألها: "هل اقترفت خطأ ما؟".

قالت معترضة:"لا، الأمر ليس كذلك".

" إذاً .... ما الأمر؟ ألم تشعري بالسعادة عندما كنا نخرج سويةً؟".

"أجل استمتعت بصحبتك".

"إذاً ما الأمر؟".

ارتبكت جولي. " في الواقع، الأمر لا يتعلق بك. إنه يخصني أنا ومايك. إننا ....

حسناً، لا أعرف كيف أشرح لك الأمر. لا أدري ماذا أقول لك؟".

بينما هي تحاول جاهدة أن تجد الكلمات المناسبة، بدأ يشد فكه حتى أنها تمكنت من رؤية عضلات فكه تظهر بارزة في خده.

بقي صامتاً فترة طويلة.

قال:"لا بدَّ أنك أمضيت وقتاً ممتعاً أثناء غيابي، هاه؟".

"اسمع، إنني آسفة ....".

"على ماذا؟ لأنك ذهبت معه من وراء ظهري حالما غادرت؟ لأنك استعملتني كوسيلة لكي تثيري غيرة مايك؟".

"عمَّا تتحدث؟".

"لقد سمعت ماقلته".

"أنا لم أستعملك ..... ".

تجاهل ريتشارد كلامها، وأصبحت نبرته أكثر غضباً. " لم تستعمليني؟ إذاً لماذا تريدين إلغاء كل شيء، ونحن في طور التعرّف على بعضنا؟ وكيف أظهر مايك اهتمامه فجأة؟ أقصد، بمجرد أن غادرت البلدة لعدة أيام، انتهى كل شيء بيننا وجاء مايك وأخذ مكاني".

حدَّق إليها، وابيضَّ طرفا شفتيه."كل ما حصل كان بمنتهى السوء".

كان غضبه غير متوقع وحدث بشكل مفاجيء حتى أنها عجزت عن إيقافه.

"أنت مضطرب".

تمعن ريتشارد في وجهها ملياً قبل أن يشيح بناظريه عنها. وفجأة تحول غضبه إلى إحساس مؤلم بالإهانة.

قال بها بلطف:"هذا ليس عدلاً. أرجوك، أريد أن أتحدث معك دقيقة فحسب، أوكي؟".

عندما نظرت إليه جولي، دهشت عندما رأت الدموع تترقرق من عينيه.

أدركت جولي أن مشاعر الرجل متدفقة بشكل مطلق. قالت له: "اسمع، إنني متأسفة يا ريتشارد. لم يكن ينبغي علي أن أقول ما قلته ولم أقصد أبداً الإساءة. حقاً" صمتت قليلاً لكي تتأكد أن يصغي إليها."لكن الوقت متأخر الآن وكلانا يشعر بالتعب. أعتقد أنه من الأفضل لنا أخذ قسط من الراحة قبل أن نتفوه بأي كلام آخر. أوكي؟".

عندما لم يستجب لها ريتشارد، تراجعت خطوة إلى الوراء وهمَّت بإغلاق الباب. دفع ريتشارد يده فجأة نحو الباب، لإيقافها عن عزمها.

"جولي! انتظري! أنا آسف. أرجوك .... إنني بحاجة حقاً إلى الحديث معك".

مستقبلاً كلما تذكرت جولي هذه اللحظة، كانت تسترجع دائماً في مخيلتها كيف انطلق سنغر بشكل مدهش لإنقاذها. قبل أن يتسنى لها الوقت الكافي لترى أن ريتشارد يحاول منعها من إغلاق الباب، اندفع سنغر بقوة باتجاه يده، وكأنه يحاول أن يمسك بصحن طائر قذفه أحد ما. وجدت مخالب سنغر هدفها وبدأ ريتشارد يئن ألماً بعد أن سقط عند عتبة الباب.

صرخت جولي:"سنغر!".

جثا ريتشارد على ركبتيه، ومد أحد ذراعيه بينما كان سنغر يهز برأسه من جانب إلى آخر مزجراً.

صرخ ريتشارد. "أوقفيه! أبعديه عني!".

اندفعت جولي نحو سنغر، وأمسكت برقبته ودفعته بقوة آمرةً. "دعه يذهب! دعه يذهب الآن!".

بالرغم من غضبه الشديد في تلك اللحظة، تراجع سنغر فوراً وسحب ريتشارد يده بشكل غريزي نحو صدره، وطوّى فوقها يده الأخرى. وقف سنغر بجانب جولي مكشراً عن مخالبه، وقد وقف شعر ظهره.

صرخت جولي وهي ما زالت مذهولة بشراسة الكلب:" سنغر كف عن هذا!. هل يدك بخير؟" .

حرَّك ريتشارد أصابعه منتفضاً . "لا أعتقد أنني أصبت بأية كسور" .

أشارت جولي بيدها نحو سنغر الذي برزت عضلات وجهه، وأغلق عينيه متجهاً صوب ريتشارد .

قال ريتشارد بهدوء:" إنني حتى لم أنتبه أنه قادم نحوي. ذكريني في المرة القادمة أن لا أصد بابك عندما يكون الكلب موجوداً" .

بالرغم أن تكلَّم وكأن الحادث بدا كوميدياً إلى حد ما، لم تجب جولي. لقد تصرَّف سنغر بشكل غريزي لكي يحميها، ولن تعاقبه على تصرفه.

وقف ريتشارد وهو يفتح يده ويغلقها . ولاحظت جولي آثار أسنان سنغر، بالرغم أنه لم يتمزق الجلد . تراجع خطوةً إلى الوراء مبتعداً عنها .

قال:"أعتذر منك. لم يكن ينبغي علي منعك من الدخول. كان ذلك خطئي" .

فكرت جولي في نفسها . بهذا أنت محق.

تنهد قائلاً:" وماكان ينبغي أن أغضب منك بهذا الشكل. لكنني عانيت كثيراً خلال نهاية هذا الأسبوع القاسي. لهذا السبب جئت إليك. أعرف أنه لا مبرر لتصرفي هذا، ولكن .... " .

حاول أن يظهر أسفه وندمه الشديدين، لكن جولي رفعت يديها لكي تمنعه.

قالت:" ريتشارد ... " .

بدا واضحاً من نبرتها أنها لم ترغب الاستمرار في الموضوع أكثر. أشاح ريتشارد ببصره جانباً. بدا شارد الذهن لا يمعن النظر في شيء، ومض ضوء الشرفة على وجهه، وتأكدت جولي أنها لم تكن مخطئة في رؤيتها دموعه التي انحبست في عينيه مشكلة ضبابة معتمة.

تكلم ثانية وبدا صوته مخنوقاً وغاضباً.

همس قائلاً:" توفيت والدتي هذا الأسبوع. جئت لتوي من جنازتها" .

استفاض ريتشارد في الشرح."لهذا السبب اضطررت إلى ترك مذكرة لك على سيارة الجيب في تلك الليلة. قال الطبيب أنه من الأفضل لي السفر في أول طيارة لأنه لم يكن واثقاً أنها ستعيش حتى اليوم التالي. سافرت بأول طيارة إلى ريليه صباح يوم الثلاثاء لهذا كان علي المجيء إلى هنا في منتصف الليلة" .

بعد عدة دقائق، كان ريتشارد جالساً على أريكة جولي، يحدِّق إلى الأرض، وهو لا يزال يحبس دموعه. استغرقت وقتاً لكي تستعيد ما قاله ريتشارد، ولكنها حالما استوعبت ما حدث، لم يكن في وسعها إلى أن تتعاطف معه. بعد أن تلعثمت كعادتها وهي تقول:" آسفة ولكن لماذا لم تخبرني وقتها؟" .

انهار ريتشارد بشكل كامل، وانسابت دموعه. سمحت جولي له بالدخول بعد أن وضعت سنغر في غرفة النوم. والآن هي تجلس قبالته على الكرسي، وتصغي إليه وهو يتكلم سعيداً أنه بصحبتها في الوقت الذي كان فيه منكسر القلب.

"أعرف أن ما قلته لي على الشرفة لن يغير في الأمر شيئاً. ولكنني لم

أرغب أن ينتهي لقاؤنا في الشجار. استمتعت بالوقت الذي أمضيته معك".
نقى حنجرته وضغط بأصابعه على جفنيه."هل تعلمين أن ما قلته لي كان مفاجئاً بالنسبة لي؟ لم على استعداد لسماع هذا منك". تنهَّد.

"بحق الجحيم لست مستعداً لسماع أي شيء. لا تتصورين كم قاسيت حتى هذه اللحظة. كل ما حدث ... ".

المظهر الذي بدت عليه في اللحظة الأخيرة، وما كانت تقوله للممرضات،....".

وضع كلتا يديه على وجهه واستطاعت جولي أن تسمع صوت أنفاسه المخنوقة، سلسلة متعاقبة من الشهقات أعقبها زفير طويل.

"كنت بحاجة فحسب إلى شخص ما أتحدث إليه. شخص أعرف أنه يحسن الإصغاء إلي".

فكرت جولي،"أوه .... يا صغيري. هل يمكن أن يكون هنالك أسوأ مما تحملته".

أطلقت ابتسامة باهتة.

قالت:"بوسعنا أن نتحدث. لا نزال أصدقاء، أليس كذلك؟".

أخذ ريتشارد يتخبط في الحديث مدة ساعتين، وينتقل من موضوع إلى آخر: ذكرياته مع أمه، وبماذا كان يفكر عندما توجه أول مرة إلى المستشفى، وكيف كانت مشاعره صباح اليوم التالي عندما عرف أنه كان يمسك يدها للمرة الأخيرة. بعد أن صار له يتحدث عن أحاسيسه برهة قصيرة، قدَّمت له جولي البيرة، وبينما ساعات الليل تتعاقب، أنهى ثلاث كؤوس من البيرة دون أن يلاحظ. بين الحين والآخر كان يلتزم الصمت يحدِّق في فناء الغرفة، وتعابير الذهول مرسومة على وجهه، وكأنه قد نسي ما كان يحاول قوله،

وفي لحظات أخرى كانت الكلمات تنساب بسرعة من فمه بالرغم أنه قد احتسى لتوه كأسين من الإسبروسو. جولي بدورها كانت تصغي إليه. طرحت عليه سؤالاً عرضياً بدا مناسباً في حينه، وكأن هذا كل ما تنوهت به. شاهدت الدموع تتلألأ في عينيه أكثر من مرة، ولكن كلما أوشكت دموعه على السقوط، كان ريتشارد يقرص جسر أنفه لإيقافها.

حلَّ منتصف الليل. تعاقب الوقت وأشار عقرب الساعة الموضوعة على رف الموقد إلى الواحدة بعد منتصف الليل، ثم بدأ يتحرك نحو الثانية. بحلول هذا الوقت استهلك ريتشارد كل ما في زجاجة البيرة واستنفد كل طاقته وانفعالاته فبدأ يكرر العبارات ذاتها ويدمج كلماته ببعضها. عندما ذهبت جولي لتحضر كأساً من الماء من المطبخ، لاحظت بأن ريتشارد أغلق عينيه. حشر نفسه في زاوية الأريكة، وأرخى رأسه على الوسادة الخلفية، وفاهه مفتوح. كان تنفسه يجري وفق إيقاع ثابت.

صمتت في مكانها وهي تمسك بكأس الماء، تفكر في نفسها، أوه، هذا ما كان ينقصني ماذا أفعل الآن؟.

أرادت أن توقظه لكنه لم يكن صاحياً بما فيه الكفاية لقيادة السيارة. لم تشعر بالارتياح لبقائه، لكنه كان مستغرقاً في النوم، وإذا أيقظته ثانية ربما يعاود الحديث مجدداً. بالرغم أنها كانت على استعداد لسماعه لو احتاج إليها، لكنها أحست بالإرهاق.

همست له:"ريتشارد. هل أنت مستيقظ؟".

ما من مجيب.

بعد مرور لحظة، حاولت إيقاظه مجدداً دون جدوى. فكرت في الأمر، ربما بوسعها أن تصرخ أو تحثه أكثر على الإيقاظ، ولكن بعد دراسة

الخيارات وجدت أنها ليست قضية كبرى، ولا مشكلة في بقائه.

أطفأت الأنوار، وتركته في مكانه، واتجهت رأساً نحو غرفة النوم، أغلقت الباب خلفها ثم أقفلته..

كان سنغر مستلقياً على السرير. رفع رأسه وراقبها وهي ترتدي بيجامتها.

قالت، وكأنها تحاول إقناع نفسها بأنها تتصرف بشكل صحيح:"سأبقيه الليلة فقط. سأفعل هذا ليس لأني غيرت رأيي به. إنني أشعر بإرهاق شديد أتعلم هذا؟".

استيقظت جولي فجراً، وبعد أن اختلست النظر إلى الساعة، تأوهت وتقلبت في الفراش، محاولة أن تتفادى مواجهة نهار جديد كانت بطيئة الحركة وكأنها تعاني من تهديد بخطر ما.

بعد أن نهضت من فراشها، شقت الباب قليلاً واختلست النظر، كان ريتشارد لا يزال نائماً. قفزت إلى الحمام وارتدت ملابس العمل، لم ترغب أن يراها في ملابس النوم. بعد قليل عندما دخلت إلى غرفة الجلوس - وسنغر إلى جانبها يسير مرهقاً - جلس ريتشارد على الأريكة، وهو يفرك وجهه. كانت مفاتيحه موضوعة فوق محفظته على الطاولة أمامه.

قال وقد بدا مرتبكاً:"أوه، مرحباً. أظن أنني كنت مرهقاً البارحة، هاه؟ أعتذر لذلك".

قالت:" كان يوماً طويلاً".

أجاب:" أجل كان يوماً طويلاً". استغرق لحظة حتى أخذ محفظته وهو ينهض. ومضت ابتسامة خفيفة على وجهه." أشكرك لأنك سمحت لي بالبقاء ليلة أمس. أقدِّر لك هذا".

قالت:"لا مشكلة. هل تشعر بتحسن؟".

"أظن أنه علي أن أشعر بالتحسن. الحياة مستمرة، صحيح؟". كان قميصه مجعداً، فسواه بيديه وأضاف:"أعتذر مرة ثانية بسبب تصرفي الطائش ليلة أمس. لا أعرف ماذا أصابني".

لم يكن شعر جولي قد جفَّ بشكل كامل، أحسَّت بقطرات ماء تتسرب من خلال بلوزتها.

قالت:" حصل خيرٌ. وأعرف أن ما حدث كان صدمة بالنسبة لك، ولكن...".

هزَّ برأسه. "لا - إنني بخير، ولست في حاجة أن تشرحي الأمر - أفهمك. مايك شاب لطيف".

تردّدت، هم قالت أخيراً:" إنه كذلك، ولكن أشكرك".

"أتمنى لك السعادة. هذا كل ما أتمناه لك. أنت فتاة عظيمة وتستحقين كل خير ولاسيما عندما أصغيت لي ليلة أمس. تعلمين ماذا يعني أن تشاركيني آلامي. ستظل قلوبنا صافية أليس كذلك؟".

كرَّرت جولي:"ستظل قلوبنا صافية".

"مازلنا أصدقاء؟".

أجابها"بالتأكيد".

"أشكرك". بعد قليل التقط مفاتيحه، واتجه نحو الباب. وهو يفتح باب السيارة.

نظر من فوق كتفه وصرخ:"مايك شاب محظوظ لا تنسي ذلك". ابتسم، لكنها ابتسامة اقترنت بالبؤس."الوداع يا جولي".

عندما صعد إلى سيارته أخيراً، تنفست جولي الصعداء، شاكرة الله أن

الأمر انتهى على خير. بعد ذلك تجهمَّت وغيرت رأيها . حسناً، كانت ليلة في منتهى السوء. كل شيء أفضل من تلك الليلة. ولكن على الأقل انتهى الآن كل شيء.

الفصل الثامن عشر

داخل المبنى الفيكتوري الضخم، شق ريتشارد طريقه إلى أعلى الدرج المؤدي إلى الغرفة التي تقع في الزاوية. كان قد طلي الجدران باللون الأسود وغطى النوافذ بشريط على شكل قناة وقطع فاتحة اللون من الأقمشة، وقد تدلى لون أحمر فوق الطاولة على طول الجدار البعيد. كانت .... الصور الفوتوغرافية مركونة في الزاوية: أربع كاميرات مختلفة، ودزينة من العدسات وصندوق أفلام. أضاء المصباح ووجَّه الظل بشكل زاوية بحيث يسقط الضوء بشكل أفضل.

بالقرب من العبوات الكيميائية الضحلة التي استعملها ليحسِّن الفيلم وضع كدسة من الصور الفوتوغرافية التي التقطها عندما كان يلتقي بـ جولي.

أخذ يتحسس الصور، يتوقف بين الحين والآخر لكي يحدِّق إليها، بدت السعادة تغمرها في تلك الصورة التي التقطها لها نهاية عطلة الأسبوع، وكأنها عرفت بأن حياتها تغيرت فجأة إلى الأفضل. كان يدرس ملامح وجهها بكل حب، ولم يستطع أن يلاحظ أية تعابير تفسر ما حدث ليلة أمس.

هزَّ رأسه. لا، لن يحملّها الخطأ. أي شخص تتبدل مشاعره في حالة الغضب إلى التعاطف مع الآخر دون تكلّف هو شخص نفيس، وهو محظوظ للغاية لأنه تعرَّف عليها.

الآن لايعرف سوى القليل عن جولي بارنسون. كانت والدتها مدمنة على شرب الفودكا حتى تصل إلى مرحلة السكر والتي عاشت في عربة مقطورة آيلة للسقوط في ضواحي ديتونا. عاش والدها في مينيسوتا، مع امرأة أخرى وبقي على قيد الحياة محاولاً أن يضبط بلا جدوى حظه العاثر الذي أصابه بعد انهيار عمله. تزوجا قبل عامين من مغادرته البلدة فجأة، كانت جولي في الثالثة من عمرها في ذلك الوقت ستة من الرجال عاشوا مع جولي وأمها من وقت لآخر، حيث كانت أقصرها مدة شهر، وأطولها عامين.

كل عام كانت تدرس في مدرسة مختلفة حتى أصبحت في المدرسة الثانوية. التقت بأول صديق في عمر الرابع عشر، كان يلعب كرة القدم وكرة المضرب، حيث ظهرت صورة لهما في ألبوم السنة وظهرت صورة أخرى كشخصية ثانوية في مسرحيتين مدرسيتين. توقفت في المشاركة في المسرحيات قبل التخرج ثم توارت عن الأنظار لعدة أشهر قبل المجيء إلى هنا.

ليست لديه أية فكرة عما فعله جيم حتى أغراها بالسكن في مكان مثل سوانزبورو.

زواج سعيد، وزوج ساخر. لطيف لكنه ساخر.

كان قد سمع أيضاً عن مايك من أحد السكان المحليين بعد أن قابله في الكليبر. وكان مندهشاً كيف يشتري عدة أنواع من المشروبات من بار بوسعه أن يقدم له الكثير منها.

مايك يقع في غرام جولي، لكن ريتشارد كان على علم بذلك مسبقاً، لم يعرف أسباب انتهاء علاقته السابقة، وأن سارة خدعته. لكنه وضع في الحسبان جميع الاحتمالات المطروحة.

كان على علم بأن مايك هو أفضل صديق بالنسبة إلى جولي، وبدأت علاقته تؤثر عليه. كان مايك شخصاً مريحاً بالنسبة إليها لأنه على صلة بماضيها وكذلك بـ جيم أدرك مدى تعلق جولي به لهذه الأسباب، لكن إحساساً بالخوف كان ينتابها، الخوف أن تلاقي مصيراً كمصير والدتها، الخوف من فقدان كل ما عملت جاهدة لأجله، الخوف من المجهول، لم يكن مندهشاً لأن سنغر ينام في غرفتها، حتى أنه شك في أنها ربما تقفل باب غرفة نومها.

فكر بها بتمعن. ربما كانت تتصرف مثل الطفلة، بما أنها تتذكر الرجال الذين عاشرتهم والدتها. ولكن ليس هنالك أي مبرر لكي تعيش بتلك الطريقة. وبغض النظر عن كل ما حدث استطاعت أن تستمر في حياتها مثلما فعل هو.

ربما كانت طفولتهما متشابهتين بعد كل هذا. حياة مليئة بالسكر والعنف.

كانت الصراصير تغزو المطبخ بكثرة،، وتفوح رائحة العفن والجدران المتفسخة والماء المتساقط من الصنبور جعله يحس بألم في معدته. لم يكن

أمامه مهربٌ سوى اللجوء إلى التنقيب في الصور الفوتوغرافية في كتاب لمؤلفة أنسيل آدمز، صور فوتوغرافية جعلته ينتقل إلى أماكن أخرى. أماكن أفضل. عثر على كتب في المكتبة المدرسية وأمضى ساعات طوال في دراستها، ونسي نفسه وهو يتأمل المناظر الطبيعية السريالية الجميلة، كانت والدته قد لاحظت اهتمامه بالصور الفوتوغرافية، وبالرغم أن عيد الميلاد كان كالمعتاد مسألة كئيبة بالنسبة له، لكنها أقنعت والده إلى حد ما بأن يشتري له كاميرا صغيرة وعلبتين من الأفلام عندما كان ريتشارد في العاشرة من عمره. كانت تلك المرة الوحيدة في حياته التي يذكر فيها بأنه ذرف دموع السعادة.

أمضى عدة ساعات وهو يلتقط صوراً لأغراض المنزل والعصافير في الحديقة. التقط الصور في وقت الغروب والفجر لأنه عشق منظر الضوء في تلك الأوقات، واكتسب خبرة في التنقل بصمت لالتقاط صور لمناظر من المستحيل الحصول عليها. عندما انتهى الفيلم التصويري، كان يركض إلى الداخل متوسلاً إلى والده كي يحمض له الصور، كلما كانت الصور جاهزة، يحدق إليها بإمعان في غرفة نومه، محاولاً أن يحدّد وجهة الصواب أو الخطأ فيها.

في بادئ الأمر، بدا والده مستمتعاً باهتمام ابنه بالصور، حتى أنه تأمل أول صورتين التقطهما. بعد ذلك بدأت التعليمات. كان يقول نـ ساخراً "أوه، انظر، عصفور آخر، هيا، هنا واحد آخر." وبشكل نهائي بدأ يظهر استياءه لأنه أنفق أمواله على هواية ابنه الجديدة. كان يزمجر قائلاً: "إنك تبدّد النقود، أليس كذلك؟"، وبدلاً من أن يقترح على ريتشارد أداء بعض الأعمال البسيطة لكي يطور نفسه، فرر والده أن يلقنّه درساً.

في تلك الليلة عاود السكر من جديد، وريتشارد وأمه حاولا تفاديه، وبذلا قصارى جهديهما حتى لا يلاحظهما، عندما جلس ريتشارد في المطبخ، استطاع سماع والده يصرخ بعنف وهو يشاهد مباراة كرة قدم على التلفاز. لقد راهن على فوز فريقه المفضل لديه. لكنه خسر الرهان، فسمع ريتشارد والده يصيح بغضب.

بعد قليل تمشى والده نحو المطبخ ومعه الكاميرا، ووضعها على الطاولة. أمسك بيده الأخرى مطرقة. بعد أن تأكد أن ابنه يراقبه، حطّم الكاميرا بضربة واحدة.

"أعمل طوال الأسبوع لكي نكسب قوت عيشنا وأنت كل ما ترغب به تبديد الأموال! والآن لن تعاني من هذه المشكلة بعد الآن!".

بعد مرور عام على تلك الحادثة مات والده. ضجت ذاكرته حيويةً: سطعت الشمس صباحاً على طاولة المطبخ، وكان وجه والدته يخلو من أي تعبير، وصنبور الماء ينقط قطرات الماء على وتيرة ثابتة بينما تمضي الساعات حتى حلول الظهيرة. كان الموظفون يتكلمون بنبرات هادئة وهم يدخلون ثم يخرجون، والمحقق فحص الجثة ثم نقلوها.

بعد ذلك، تعالى نحيب أمه، حالما بقيا وحدهما. كانت تبكي وتقول وهي تهزه من كتفيه" ماذا سنفعل الآن بدونه؟ كيف حدثّت هذه الكارثة؟".

هذه الكارثة حدثت كالتالي: كان والده يحتسي مشروبه في أوبريين، وهو بار قذر في بوسطن لا يبعد كثيراً عن المنزل. حسب ما ذكره زبائن البار، أنه لعب القمار وخسر ثم جلس بقية الليل في البار، وأخذ يشرب حتى الثمالة. خلال آخر شهرين صرف العمال من مصنعه، وكان يمضي بقية لياليه في البار، رجل غاضب يبحث عن الشفقة والسلوان بصحبة المدمنين.

طوال ذلك الوقت، كان فيرنون يضربهما بشكل مستمر، ولا سيما في تلك الليلة التي سبقت قوته.

غادر البار قبل العاشرة والنصف بقليل، وتوقف عند زاوية المحل ليشتري علبة سجائر، ثم قاد سيارته متوجهاً إلى الجوار حيث يعيش. أحد الجيران كان يجر كلبه فرآه وهو قرب المنزل، ترك الكراج مفتوحاً، ثم قاد فيرنون السيارة إلى مكان صغير. كانت الصناديق مكدسة على طول الجدران.

على كل حال، هنا بدأ التخمين بالأحداث. بعد أن أغلق باب الكراج، لم يكن هناك شك بوجود نسب مرتفعة من غاز أحادي الكربون. ولكن لماذا، تساءل المحقق، لم يطفئ المحرك أولاً؟ ولماذا عاد أدراجه إلى السيارة بعد أن أغلق باب الكراج؟ الحادثة برمتها بدت إنتحاراً بالرغم أن أصدقاءه في بار أوبرين أصرّوا أنه لم تكن لديه فرصة لاقتراف أثم كهذا لأنه كان ميالاً إلى الشجار، ولم يكن حادثاً حسب زعمهم. لن يجرؤ على قتل نفسه بعد مرور يومين رجع الموظفون إلى المنزل، وطرحوا أسئلة مفتوحة لها نهاية .... وبدؤوا يبحثون عن أجوبة. الأم كانت منهارة تنتحب، والغلام الذي لم يبلغ العاشرة من عمره اكتفى فقط بالتحديق إليها. بعد ذلك بدأت آثار الصدمة تزول على وجهي الأم والابن، فبدا مظهرهما مثل شبحين غادرهما الموظفون بدون أي أثر.

في نهاية الأمر، طويت صفحة الأحداث، ونسب سبب الوفاة إلى الإدمان على الكحول. قلةٌ قليلة من الناس حضرت الجنازة، أرتدت والدته اللباس الأسود وكانت تبكي وبيدها منديل أبيض، وهو واقف إلى جانبها. ثلاثةٌ من الناس بدؤوا يتبادلون الحديث إلى جانب القبر، مدحوا رجلاً لم يحالفه

الحظ في حياته لكن كان مخلوقاً طيب القلب، يؤازر أسرته ويعيلها بشكل جيد، وهو زوج وأب محب حسب اعتقادهم.

أدى الغلام دوره بشكل جيد. بقي منكساً رأسه ومركزاً نظره إلى الأسفل، وبين وقت وآخر كان يمسح خده بإصبعه دمعة تائهة. طوق والدته بذراعه، وكان يومئ للمعزين بوجه عابس شاكراً مواساتهم.

على كل حال، في اليوم التالي عندما تفرق الحشد المزدحم، عاد إلى القبر ووقف قبالة أرض رطبة.

ثم بصق عليه.

وسط ظلمة الغرفة، غرز ريتشارد أحد الصور الفوتوغرافية على الجدار، وتذكر أن الماضي ملقى بظلال طويلة المدى. فكر في نفسه، من السهل جداً أن يصاب بالاضطراب. عرف أنه ليس بوسعها أن تقدم له أية مساعدة، وفهم هذا الأمر جيداً. سامحها على ما فعلته.

حدّق إلى صورتها. كيف بوسعه أن لا يسامحها؟

الفصل التاسع عشر

كانت جولي قد جهزت نفسها مسبقاً قبل مغادرة ريتشارد، لذلك وجدت متسعاً كافياً من الوقت لقراءة الجريدة قبل ذهابها إلى عملها. جلست إلى طاولة صغيرة ترتشف قهوتها وتقرأ بينما يتسكع سنغر عند قدمها.

وضعت الجريدة جانباً، وبدأت تتأمل أسفل البلدة التي كانت تستقبل شمس الحياة.

بعد قليل، كانت النوافذ والأبواب تفتح استعداداً لدخول نسمات الصباح الباكر. كانت السماء خالية من الغيوم، وظهرت آثار الندى على رفوف السيارات التي اصطفت في الشارع طوال الليل.

نهضت جولي، واضعة جريدتها على الطاولة المجاورة، ورمت فنجانها

الفارغ في الحاوية، وخرجت إلى الشارع صوب الصالون. كان الكراج مفتوحاً قبل ذلك بساعة، وجولي لا يزال لديها بضع دقائق قبل الشروع بعملها فقررت الذهاب إلى هناك، لم لا؟ إنني واثقة أنه لم ينشغل بعمله بعد. بالإضافة إلى أنها أرادت أن تتأكد من حقيقة مشاعرها في تلك الليلة التي سبقت تخيلاتها.

لم يكن في نيتها أن تخبر مايك بأن ريتشارد أمضى ليلته عندها. حاولت أن لا تدخل الشك إلى عقله، ولاسيما بعد ما حدث مع سارة. لو أخبرته بصراحة بكل ما جرى، سيبقى دائماً في حالة ريبة وشك. بكل الأحوال، لم يكن ما حدث جديراً بالاهتمام. لقد انتهى الآن كل شيء .... وهذا هو الأهم.

عبرت الشارع وأخذ سنغر يتهادى أمامها. وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى مكان اصطفاف السيارات التي تنتظر إصلاحها، كان مايك يشق طريقه نحوها وقد بدا وكأنه ربح ورقة يا نصيب. قال لها:" مرحباً جولي. ما هذه المفاجأة الرائعة!".

بالرغم من وجود آثار شحم على خده وجبهته التي كانت تلتمع بالعرق، ما لم يكن بوسعها إلا أن تبدي إعجابها به.

أضاف مايك وهو يقترب من سنغر." أجل إنني سعيد برؤيتك أيضاً أيها الشاب الضخم". بينما كان يداعب سنغر لاحظت جولي آثار جروح على أصابعه التي لفها بالضمادات.

"هيه، ماذا حدث لأصابعك؟".

نظر مايك إلى يده." أوه، لم يحدث شيء. جرحت قليلاً هذا الصباح".

" لماذا؟".

" أظن أنني فركت أصابعي بقسوة ليلة أمس بعد عودتي إلى المنزل" .

تجهم وجهها :" بسبب ماقلته لك عندما كنا على الشاطئ" .

أجابها :" لا " .

ثم هزَّ كتفيه وأضاف،" حسناً، أظن أن ماقالته جزء من السبب " .

" كنت فقط أمازحك" .

" أعرف، لكنني حاولت إزالة آثار الشحم بنوع جديد من الصابون" .

" إذاً ماذا استعملت؟ أجاكس؟" .

" استعملت أجاكس، 409، حاولت كثيراً بكل الأنواع" .

وضعت يدها على خصرها وتأملته. " تعلم، أحياناً لا استطيع أن أمنع نفسي من التساؤل متى ستكبر وتنضج" .

" لا أعتقد أن هناك أية فرصة تمكنني من إخبارك الحقيقة" .

ضحكت جولي وهي تفكر كم تكن المحبة لهذا الشاب. " حسناً، أردت فقط أن أخبرك كم شعرت بسعادة عارمة ليلة أمس" .

قال:" وأنا أيضاً. وإنني أتطلع إلى أن نمضي الليلة معاً" .

"لابد أن نستمتع" .

تلاقت نظراتهما قبل أن تنظر جولي إلى ساعتها." ولكن اسمع، على المغادرة لدي مواعيد طوال فترة الصباح، ومن المفترض أن أتناول الغداء مع إما لذلك لا استطيع النكوث بوعدي" .

" إذا سلمي لي على إيما، هل سمحت؟" .

"بالتأكيد. استمتع بيومك" .

" وكذلك أنت" .

غمزته:" واهتم بهذه الأصابع، هل سمعت؟ أكره أن أرى الجروح على اصابعك وأنت تصلح المحركات طوال الوقت" .

" هاه، هاه" .

بالرغم أنه أحس بأنها تحاول إغاظته، لكنه أدرك أيضاً أن تلك كانت طريقتها في مغازلته. إنها مغازلة الحبيب. وليس لصديق. وهو بحق الله كم يحب هذا النوع من المغازلة! يحبها كثيراً!.

ودعا بعضهما، وبعد مرور لحظة كانت جولي تقطع الشارع بخطوات رشيقة.

❖❖❖

قال هنري وهو يحمل قطعة سكاكر أكل نصفها: " هكذا إذاً كان موعدكما رائعاً، هاه؟" .

دسَّ مايك أصبعه داخل أفروله وتنشق. " أوه أجل. كان موعداً رائعاً حقاً" .

"لوح هنري بقطعة السكاكر وهز رأسه. "هلاَّ توقفت عن المراوغة ي أخي الصغير؟ إنك لست كذلك. ولا تستطيع أن تخفي مظهر الحماقة المرسومة في عينيك إيضاً" .

"أنا لا أبدو أحمق" .

"أحمق. مصدوماً بالحب لا يهم" .

"هيه، لا استطيع منعها من أن تحبني" .

"أعرف أنك لاتستطيع. فأنت لاتقاوم، أليس كذلك" .

"أعتقد أنه من المفروض أن تفرح لأجلي" .

"إنني سعيد لأجلك. وكذلك أنا فخور بك" .

"لماذا؟" .

"لأنه أياً كانت خطتك، يبدو أن الأمور تسير في صالحك" .

❖❖❖

سألت إيما :"إذاً ما الذي حدث مع ريتشارد؟. في تلك الليلة في البار كنتما ثنائياً رائعاً".

"أوه، تعلمين كيف سارت الأمور ...... إنه شاب لطيف، لكنني لا أحمل له أية مشاعر خاصة".

"أظن أن مشاعره نحوك كانت واضحة، هاه؟".

"أعترف لك بذلك لم يبدُ سيئاً للغاية". ضحكت إيما.

كانتا تتناولان الصلصات في المطعم. نشرت الشمس أشعتها على الطاولة المركونة في الزاوية، وتجمعت الأشعة داخل كأسي الشاي فبدا لونهما كهرمانياً.

"قلت الشيء ذاته لـ هنري عندما وصلنا إلى المنزل. سألته مراراً لماذا لم يكن يظهر لي مشاعره قبل زواجنا".

"وماذا قال؟".

جلست إيما في مقعدها و أخفضت صوتها، مقلدة هنري.قال.... "لا أعرف عما تتحدثين، ولكنني لم أكن متأكدة بعد من مشاعرك نحوي، اعتقد أنك توجهين لي الإهانة فحسب".

ضحكت جولي:"تبدين مثله تماماً".

"حبيبتي، بعد أن تتزوجي سوف تكتشفين أنه ليس من الصعب إظهار مشاعرك. إن الشيء الوحيد الذي افتقدته بعد الزواج هو المغازلة المؤثرة". ضحكت جولي ضحكة قصيرة وهي تمعن في كأس الشاي، وأراقت قليلاً منه على الطاولة:"ولكن لا يزال يشعرك بالسعادة، صحيح؟ حتى بعد مرور كل هذا الوقت على زواجكما؟".

"إنه في معظم الأوقات شاب رائع طيب القلب. أحياناً أرغب في الشجار معه، لكنني أعتقد أن الأمر عادي، صحيح؟".

اتكأت جولي إلى الوراء في مقعدها ولمعت عيناها بوميض شقي."هل سبق أن أخبرتك أنني تشاجرت مرة مع جيم؟".

"هل تشاجرت معه؟ متى حدث ذلك؟".

"لا أذكر. لا أذكر لماذا كنا نتشاجر، لكنني أنا من بدأت الشجار. انتهى شجارنا لكنني أثرت انتباهه بعد ذلك".

نظرت إليها إيما بدهشة."الحياة خلف الأبواب المغلقة هي دائماً سر غامض أليس كذلك؟".

أخذت إيما رشفة شاي، ثم تناولت الصلصة ثانية."ما هذا الذي أسمع عن مايك؟".

أدركت جولي أنها ستتطرق للحديث عن مايك. بدلاً من الاهتمام بالمسائل السياسية أو بأخبار الرياضة أو آخر المستجدات الرئيسية، يكرس الناس اهتمامهم في بلدة صغيرة كهذه بالكلام عن حياة المواطنين الخاصة."هذا يعتمد على ما سمعته".

"سمعت أنه طلب منك الخروج بصحبته لتناول العشاء".

"شيء من هذا القبيل. في الواقع، أنا من طلبت منه ذلك".

"ألم يكن بوسعه فعل ذلك؟".

نظرت إليها من فوق كأسها."ماذا تظنين؟".

"مم...... أظن أنه ربما تجمد في مكانه مثل بركة ضحلة في الشتاء".

ضحكت جولي."تشبيه جميل جداً".

"إذاً كيف حدث هذا؟ ماذا فعلت؟".

حدثتها جولي عن لقائهما، وعندما انتهت، اتكأت إيما على مقعدها.

" هكذا إذاً سارت الأمور".

"أجل".

تفحَّصت ملامح جولي لحظة."و، ماذا عن .... تعلمين... هل تعتقدين أن.... ".

تلكأت قليلاً بينما جولي تصغي إليها..

سألت جولي:" تقصدين جيم ".

أومأت جولي موافقةً، وقالت جولي التي استوعبت السؤال:"لم يحدث أي شيء بالقدر الذي توقعته. كما أن علاقتنا لا تضايقني على الإطلاق. مايك وأنا .... صديقان منذ مدة. إنه يفرحني بوجوده. يجعلني أشعر بقيمة نفسي. مضى وقت طويل لم ينتابني هذا الشعور".

"تبدين متفاجئة بمشاعرك".

" لم أكن متأكدة كيف تحولت مشاعري تجاهه".

قالت إيما برقة." هذا ليس مفاجئاً. كنت أنت وجيم ثنائياً رائعاً حقاً. كنا دائماً معتادين على تبادل الفكاهات كلما رأيناكما تتبادلان النظرات".

"أجل. كنا ثنائياً رائعاً". طغت على صوتها نبرة كئيبة.

صمتت إيما ثم قالت:"كيف يبدو مايك معك؟".

"أظن أنه رائع. بدا متوتراً قليلاً، لكنني لا أعتقد أن ذلك له علاقة بـ جيم، بل باللقاء بحد ذاته".

"أوه، حقاً؟".

ابتسمت جولي."حقاً. لكنني أمضيت معه وقتاً رائعاً".

"إذاً..... هل تحبينه؟".

"بالطبع أحبه".

"لا، أقصد، هل تحبينه؟".

في نهاية الأمر لم ترغب جولي بأن تجيب، تعابير وجهها نطقت كلاماً كثيراً، وإيما مررت يدها عبر الطاولة وقرصت يد جولي.

"إنني سعيدة بذلك، كنت أتوقع دائماً أن هذا الوقت سيحين".

"كنت تتوقعين؟".

"أظن أن الجميع يتوقع ذلك، باستثنائك أنت ومايك. إنها مجرد مسألة وقت".

"لكنك لم تقولي أي شيء".

"لم يكن علي قول شيء. توقعت أنك ستشعرين بأحاسيس مايك عندما تصبحان على استعداد للقاء".

"أشعر بماذا؟".

"بأنه لن يتخلى عنك أبداً. ذلك الولد يحبك. هذا أمر مهم. استفيدي من نصيحة إنسان خبير بهذه المسائل. كانت ماما تقول لي دائماً، تزوجي من شخص يحبك أكثر مما تحبينه".

"لا لم تقل ذلك".

"بالطبع قالت. وأخذت بنصيحتها. لماذا تعتقدين بأنني وهنري منسجمان منذ فترة طويلة؟ لا أقول بأنني لا أحبه، بل على العكس. ولكنني لو فكرت لا سمح الله، بأن أتخلى عنه. أوه، ...... لا أعتقد أنه سيكون قادراً على الاستمرار في الحياة بعدي سوف يغامر بحياته لأجلي".

"وهل تعتقدين أن مايك يفعل الشيء ذاته؟".

"حبيبتي، بوسعك أن تراهني بدولار على ذلك".

كانت جولي لا تزال تفكر بما قالته إيما على الغداء عندما غادرت الصالون في نهاية النهار. في الواقع، راودتها الكثير من الأفكار. فكرت بـ جيم على وجه الخصوص.

بلا شك لم يكن في نية إيما أن تجعلها تشعر بالحيرة، وحتى جولي نفسها لم تستطع أن تتفهم حقيقة مشاعرها، لكنها فكرت بما قالته إيما عن تعليق والدتها وبالطبع فكرت بتلميح إيما عن هنري الذي سيجد صعوبة في مواصلة الحياة فيما لو حدث أمر فرقه عن إيما.

في تلك الظهيرة، أحست أنها تفتقد إلى جيم أكثر من أي وقت مضى. افترضت أن ذلك سببه اللقاء مع مايك، إنها مستمرة في حياتها، لكنها تساءلت ما الذي كان سيحدث لو تبادلا الأدوار هي وجيم. ربما كان سيواصل حياته، وإن لم يستطع، فهل يعني هذا أنه أحبها أكثر مما أحبته؟ تساءلت أيضاً، ما الذي سيحدث لو وقعت في غرام مايك، ما مصير مشاعرها تجاه جيم؟ ذكرياتها مع جيم؟ تعاقبت سلسلة الأفكار على ذهنها بعد الغداء وكثرت الأسئلة التي لم ترغب بأن بجيب عليها. هل ستنسى ذكرياتها بالتدريج، هل ستتلاشى مثل الصور الفوتوغرافية؟.

لم تعرف إجابة على أسئلتها المطروحة. ولم تدر لماذا جعلها التفكير برؤية مايك الليلة أكثر توتراً مما كانت عليه البارحة. أحسَّت أنها متوترة أكثر من كل لقاءاتها الأخرى. لماذا تشعر بالتوتر الآن؟.

فكرت جولي أن مرد ذلك إلى أنها تعلم بأن هذا اللقاء مختلف عن غيره..

وصلت جولي إلى سيارة الجيب وصعدت إليها، أما سنغر فدس نفسه في الخلف، وأشعلت جولي المحرك. لم تتوجه إلى المنزل. وبدلاً من ذلك، سلكت الطرق الرئيسية واجتازت بعض الحواجز ثم انعطفت إلى اليسار، متوجهة نحو ضواحي البلدة. بعد مرور بضع دقائق، وبعد منعطف آخر، وصلت إلى مقبرة نروكثيو.

استغرق الوصول إلى قبر جيم مسافة مشوار قصير، بعد الانطلاق من

الطرق الرئيسية، في ظل شجرة الجوز. شقت جولي طريقها إلى هناك. عندما اقتربت جولي، توقف سنغر في مكانه رافضاً الاقتراب أكثر من ذلك. في بادئ الأمر لم تعرف سبب عدم اقترابه كلما جاءت إلى زيارة القبر، ولكنها أدركت بعد ذلك أنه ربما أحسَّ بأنها ترغب بالبقاء ولحدها هنا.

وصلت إلى جانب القبر، ووقفت هناك، دون أن تعرف بما كانت تشعر في ذلك اليوم. أخذت نفساً عميقاً، منتظرة تدفق دموعها التي خانتها وبقيت محبوسةً. لم تحس بذلك الثقل يحتم فوق صدرها كما كانت تشعر في الماضي. تخيلت صورة جيم أمامها، واستعادت تلك الأوقات السعيدة، وبالرغم من إحساسها بالحزن والفقدان والاشتياق إلى تلك الذكريات، كان إحساساً شبيهاً بدقات ساعة برج على مسافة بعيدة، يصل إلى مسامعها برقة مثل الصدى قبل أن يتلاشى نهائياً. هناك في ذلك المكان شعرت وكأنها مخدرة، لم تدرك سبب ذلك حتى شاهدت ملاكاً ..... مرسوماً فوق اسمه، والذي كان يذكرها دائماً على الرسالة التي وصلتها برئقة سنغر.

العثور على شخص ما يمنحك السعادة .... إن العالم يصبح أجمل عندما تبتسمين.

بينما كانت واقفة بجانب القبر، أدركت فجأة أن عثورها على الشخص المناسب ربما ما كان يقصده من خلال هذه الكلمات. عرفت فجأة أن جيم سيكون سعيداً لأجلها.

فكرت جولي، لا، لن أنساك أبداً. حتى وإن كنت بصحبة مايك.

ذلك ما يجعله مميزاً أيضاً.

بقيت هكذا حتى بدأت البعوضات تحوم حولها. حطَّت واحدة على ذراعها فسحقتها بعيداً، شعرت بالسعادة لأنها جاءت إلى زيارته لكنها

عرفت أنه عليها المضي. مايك بانتظارها وسيلتقي بها خلال أقل من ساعة، وعليها أن تكون مستعدة.

هبَّت نسمة فحركت الأوراق فوقها، مصدرة صوت خشخشة خفيفة تشبه صوت حصاة تهتز في جرة. بعد لحظة اختفى الصوت، وكأن شخصاً ما كتم الصوت.

ولكن بعد قليل سمعت صوت سيارة تجتاز الطريق، ارتفع صوت المحرك ثم انخفض قبل أن يختفي. تردد إلى مسامعها صوت ولد قادم من بين المنازل البعيدة.

ثم سمعت صوت خربشة في الشجرة المجاورة.

ظهر كارديتال من الأغصان، حدّقت إليه من فوق كتفيها، فشاهدت جولي سنغر يهز رأسه، وينفض أذنيه. على كل حال، ظل متجمداً في مكانه فلم ترَ جولي أي شيء. تجهم وجهها قليلاً شبكت ذراعيها فوق بعضهما. استدارت بعيداً عن القبر، وأخفضت رأسها واتجهت نحو السيارة، وتاركة شعرها ينسدل فوق ذراعيها.

الفصل العشرون

ظهر مايك في وقته المناسب، بينما خرجت جولي وأغلقت الباب خلفها قبل أن يتسنى لـ سنغر الخروج بعد أن لاحظت أنه كان يرتدي جاكيتاً وبنطالاً فضفاضاً، ابتسمت له وقالت:"واو، مرَّت ليلتان وأنت تبدو بمظهر أنيق جذاب. أحتاج لفترة من الزمن حتى أعتاد عليك هكذا".

استطاعت جولي أن تعبر عن نفسها . مثل ليلة أمس ارتدت الليلة ملابس شمسية أبرزت قامتها بوضوح. تدلى من أذنيها قرطين ذهبيين صغيرين، واستطاع مايك أن يشم رائحة عطرها الخفيفة.

سألها :"هل أغالي في لباسي؟".

قالت له مؤكدة:"لا على الإطلاق". لمست طية صدر معطفه."هذا يعجبني - هل هو جديد؟".

"لا، إنه عندي منذ مدة. لكنني لا ألبسه في أغلب الأوقات".

"عليك أن تلبسه. تبدو أنيقاً به".

تمايل مايك، واستدار نحو السيارة قبل أن تتمكن جولي من إضافة المزيد.

"إذاً – هل أنت مستعدة للخروج؟".

"أينما ذهبت أذهب معك".

عندما همَّ بالانطلاق نحو السيارة، أمسكت جولي ذراعه وسألته:"أين الضمادات ؟".

"نزعتها، لقد تحسنت أصابعي الآن".

"بهذه السرعة؟".

"ماذا بوسعي أن أقول؟ إنني معالج سريع".

بينما كانت واقفة على الشرفة مدت يدها مثل معلم يستجوب تلميذاً مذنباً، ومايك بدوره مدّ يده لها.

صمتت قبل أن ترفع نظرها بملامح فضولية:"لا تزال أصابعك محمرّة، كيف فركتها؟ يبدو اثنين من أصابعك ينزفان".

قال:"لقد توقف النزف".

قالت:"جيد. لو علمت ماذا فعلت لأصابعك، لما تفوهت بكلمة. ولكنني أعتقد أن لدي شيء يجعلها تتحسن".

"مثل ماذا؟".

تأملته جولي ورفعت يده إلى ثغرها وقبلت أطراف أصابعه.

سألته مبتسمة:"والآن كيف تشعر؟".

صفى مايك حنجرته. أحس وكأن تياراً كهربائياً سرى في جسده، أو

كأنه يقف داخل نفق هوائي، أو كأنه ينزلق من أعلى جبل على مزلاج.

تدبَّر أمره أخيراً وأجاب: "أشعر بالتحسن".

تناولا العشاء في لاندنغ، وهو مطعم له واجهة مائية ويقع في أسفل بلدة بيوفورت. مثل ليلة أمس، تدبرا أمرهما وجلسا إلى طاولة على الشرفة. التي تمكنهما من مشاهدة القوارب وهي تندفع وتتحسر. فوق المشى الخشبي الخارجي، كان الأزواج والعائلات يتناولون البوظة أو يحملون حقائب مليئة بتذكارات سياحية.

وضعت جولي منديلها في حضنها، واستندت إلى الأمام.

قالت:"اختيار موفق يا مايك. إنني أحب هذا المكان".

أحس مايك بالارتياح:"إنني سعيد. أحب هذا المكان أيضاً، لكنني أحضر عادة إلى هنا لتناول الغداء. لم أتناول العشاء هنا مسبقاً. سأستمتع عندما أفكر بالقدوم إلى هنا لتناول العشاء وحدي".

"بمقدورك دائماً اصطحاب هنري".

"أمضى طوال النهار بصحبته. رفقتي له مثل رفقتك لـ مابل".

"لكنني أحب الخروج برفقة مابل".

"مابل لا تهينك".

ضحكت جولي، ووضع مايك منديله في حضنه. بدت جولي مسترخية ومتألقة، ومرتاحة للجو المحيط بها.

سألها:" كيف كان غدائك مع إيما؟".

"أوه، كان رائعاً. الحديث معها مستساغ".

"مثلي؟".

"لا، ليست مثلك. الحديث معك مستساغ ولكن بطريقة مختلفة.

استطيع أن أتحدث معها عن أمور لا نتحدثها معاً".

قال ثانية:"مثلي؟".

غمزته بخبث."بالطبع. من محاسن الخروج مع شخص ما أنه باستطاعتك البوح بأشياء لا تستطيع أن تخبر الناس عنها".

"عن ماذا تكلمتما؟ أمل أن تكون المناقشة إيجابية".

"لا تقلق. كانت إيجابية".

ابتسم مايك وهو يمسك بالقائمة." هل ترغبين أن نبدأ جلستنا بزجاجة من النبيذ؟

أو ربما نحتسي تشاردوني؟ كنت أفكر أن مشروب كيندول-جاكسون من الممكن أن يكون جيداً. إنه مشروب ليس ثقيلاً جداً، وأعتقد أن نكهة السنديان مميزة فيه".

"واو، هذا مؤثر. لا أعرف أنك خبير بالمشروبات".

"إنني رجل متعدد المواهب". قال مايك، بينما ضحكت جولي وهي تمسك بالقائمة.

احتسيا مشروبهما، وتناولا العشاء على مهل، وهما يتحدثان ويضحكان، ولم يلحظا النادل وهو يتفحص الطاولة، ويجمع صحونهما. بعد ذلك استعدا للخروج، حيث تلألأت السماء بالنجوم.

كان الممشى الخارجي لا يزال يضج بحركة سريعة ونشيطة، ولكن الحشد هذه المرة كان أكثر شباباً، أناس في العشرينيات والثلاثينيات من عمرهم استندوا إلى الحواجز الخشبية المطلة على المياه. على بعد بضع خطوات إلى الأسفل من الممشى، كانا هنالك مطعمان بشرفتين، وفي كل منهما، جلس أحد الأشخاص لوضع اللمسات الأخيرة على غيتاره. ازدحمت

معظم القوارب هناك، وفي غمرة الفرح التي سادت أجواء ليلة الجمعة، وصلت أفواج متأخرة وتمسكت بالقارب الأقرب إليها حتى اجتمعت مجموعة من الأشخاص من أشكال وأحجام مختلفة بدت مثل بلدة فقيرة عائمة وسط الماء. كانوا يتبادلون الجعة والسجائر بكل حرية، مستعملين القوارب بأدوات للتسلية والتأرجح، وكان الغرباء مضطرين لتبادل الأحاديث مع أناس ربما لن يروهم ثانية، كل هذا بحجة المتعة وقضاء وقت طيب عندما غادرا المطعم، قدم مايك لها يده أمسكتها جولي وبدأا يتبختران على الممشى،كانت أحذيتهما تطقطق فوق الخشب مصدرة صوتاً كصوت حوافر أحصنة العربة، أحس مايك بدفء يدها يسري في ذراعه، ويصل حتى وسط صدره.

أمضيا ساعة أخرى في بيوفورت، وهما يتفرجان ويتحدثان حتى شعرت جولي أن كل أثار التوتر زالت بشكل كامل. كان مايك لا يزال ممسكاً بيدها، يداعب أحياناً أطراف أصابعها. توقفا قليلاً لتناول الحلوى وتمشيا حافيي القدمين على المنتزه المعشوشب قبل أن يجدا مكاناً مناسباً للجلوس. كان القمر قد أشرق واختفت بعض النجوم بالوقت الذي عادا فيه إلى الممشى الذي لا يزال يضج حركة ونشاطاً. أنزلقت أمواج متكاسلة نحو الشاطئ، وانعكس ضوء القمر المتوهج على سطح الماء. توقفا لكي يجلسا إلى طاولة جلدية تحت شفرات مدورة لمروحة سقفية تصدر صريراً. أومأ المغني في المطعم لـ مايك- بدا واضحاً إنهما تعرّفا على بعضهما - طلب مايك كأساً آخر من البيرة بينما رشفت جولي دايت كولا.

بينما هما يصغيان إلى المغني، أحست جولي بنظرات مايك مركزة عليها، وكانت مندهشة لهذا التعبير في غضون آخر يومين. لقد تغيرت كثيراً.

من المضحك حقاً أن يعرف المرء شخصاً ما لعدة سنوات ومع ذلك لا يزال يكتشف أشياء جديدة لم يلحظها فيه من قبل. بالرغم من الضوء الخافت، استطاعت أن ترى آثار الشيب في الشعر القريب من أذني مايك، واستطاعت أن ترى ندبةً صغيرة تحت ثنية جبهته. من انقضاء يومين، كانت تقول بأنه يبدو في أواخر العشرينيات من عمره، والآن اكتشفت خطوطاً مبتسمة على خده ومجموعة تجاعيد حول زاويتي عينيه.

بدأت الموسيقا تعزف أغنية أخرى، واتكأ مايك نحو جولي.

قال:"اعتدنا أنا وجيم المجيء إلى هنا كثيراً قبل أن تنتقلا إلى البلدة. هل تعلمين ذلك؟".

"أخبرني. قال إنكما اعتدتما على المجيء إلى هنا لمقابلة النساء".

"هل تعلمين أننا كنا هنا عندما حدثني عنك لأول مرة؟".

"هنا؟".

"أجل. كنا نحضر إلى هنا في عطلة نهاية الأسبوع بعد أن يعود من ديتوانا. حدثني عن الفتاة التي قابلها".

"ماذا أخبرك عنها؟".

" قال إنه اشترى العطور لها عدة مرات. وبأنك كنت جميلة".

"كنت أبدوا فظيعة".

"لم يكن رأيه لك هكذا. قال أيضاً بأنه وعدك بتأمين عمل لك ومكان تعيشين فيه".

"هل اعتقدت أنه كان مجنوناً بي".

"دون شك. لاسيم لأنه كان يتحدث عنك طوال الوقت".

"إذاً ما الذي ظننته عندما رضيت باقتراحه؟".

"ظننت أنك محنونة أيضاً. ولكن بعد ذلك اكتشفت أنك شجاعة".

"لم يكن هذا رأيك بي".

"دائماً لديك الخيار. ولكن ما يحدث غالباً أن الناس ينتقون الخيار الخاطئ".

"إننا نناقش أموراً فلسفية الليلة".

"يحدث هذا أحياناً عندما أحتسي كأسين من المشروبات".

بعد ذلك توقفت أصداح الموسيقا، وقطع المغني عليهما حديثهما عندما وضع الغيتار جانباً وأقبل إليهما ليهمس بكلام ما في أذن مايك.

استندت جولي إلى الأمام وسألت:"ما الذي يجري؟".

نظر إليها المغني وقال:"أوه، مرحباً. آسف لمقاطعتكما. لكنني أخذت استراحة وأود أن أعرف فيما لو كان مايك يرغب في أداء أغنية أو اثنتين".

استدار مايك نحو المنصة وحدَّق بها قبل أن يهز رأسه أخيراً وقال:"أرغب بذلك، لكنني ملتزم بموعد".

قالت جولي مشجعة:"أوه، هيا اذهب".

"هل أنت واثقة أنك لن تتضايقي".

"لا على الإطلاق. بالإضافة إلى أنه من الواضح أنك ترغب بالغناء".

ابتسم مايك ابتسامة عريضة ووضع زجاجته على الطاولة، وبمرور دقيقة، كان الغيتار معلقاً على إحدى كتفيه، وكاني يدندن على اثنين من الأوتار. نظر إلى جولي، غمز قبل أن يبدأ العزف بشكل ارتجالي ويدندن على الأوتار الأولى. اسغرق ذلك لحظة فقط قبل أن يميز الجميع الأغنية التي يريد أداءها. في بادئ الأمر كانوا يصفقون، ويهتفون، وبدأ مجموعة من الأشخاص يصفرون، وبعد ذلك أصيبت جولي بالدهشة عندما بدأ الناس يلوحون بكؤوس النبيذ، ويشاركون الغناء.

اختار أغنية ممتعة تبعث السرور في نفوس الحشد في ليالي الشكر، إنها أغنية "الشطيرة الأمريكية".

لاحظت جولي أن صوته لم يكن منسجماً بشكل نموذجي مع اللحن، ولكنها مسألة غير مهمة في ليلة كهذه. فالجمهوة كان يغني ويترنح طرباً طوال الوقت.

بعد أن انتهى مايك من الغناء، وضع الغيتار جانباً وسط حلقة رائعة من التصفيق وعاد إلى طاولته، شاكراً الجمهور الذي كان يربت على كتفيه. راقبته جولي وقد ارتسمت على وجهها تعابير هي عبارة عن مزيج من الإعجاب والسرور.

فكرت جولي، بالفعل جعل مايك الليلة أكثر بهجة.

بعد لحظة، عندما كانا يغادران المكان، أخبرهما النادل بأن فاتورتهما قد سدِّدت.

قال مايك:"أظن أن أحد معجبيك سدّد الفاتورة".

أثناء العودة إلى المنزل، أحسّت جولي بسعادة عارمة في تلك الليلة الممتعة. مشى مالك مع جولي حتى الباب، وعندما استدارت إليه وجهاً لوجه، رأت في عينيه رغبة تفصح أنه كان يفكر بتقبيلها ولكن بعد ما حدث ليلة أمس، لم يعرف كيف يبادر بتقبيلها. رفعت جولي نظرها إليه، لكي تمنحه الفرصة لكنه بدلاً من أن يقبلها اقترب منها وقال:"اسمعي، أمضيت برفقتك وقتاً رائعاً".

قاطعته جولي:"هل ترغب بالدخول لعدة دقائق؟ سيعرضون فيلماً قديماً باستطاعتنا مشاهدته لفترة قصيرة".

"هل أنت واثقة أن الوقت غير متأخر؟".

"بالنسبة لي لا، ولكن إن لم تكن ترغب بالدخول....." .

"لا، أود الدخول" .

فتحت الباب ودعته للدخول. كان سنغر بانتظارهما عند الباب فحياهما قبل أن يتوجه إلى الخارج. استنشق الهواء ونبح لمرة واحدة، ثم أخفض رأسه وهو يشم الباحة وكأنه مقتنع أنه لا يوجد أي مخلوق جدير بالمطاردة. بعد دقيقة، توارى عن الأنظار خلف ظلال الأشجار.

في الداخل خلع مايك سترته وقذف بها على الأريكة بينما اتجهت جولي للمطبخ وأحضرت معها كأسين من الماء. كان مايك لا يزال واقفاً، فتحركت هي نحو الأريكة.

جلسا قريباً من بعضهما لكنهما لم يتلامسا، التقطت جولي جهاز التحكم وبدأت تقلب بين القنوات. بالرغم أنهما لم يجدا فيلماً يستحق المتابعة، لكنهما قررا متابعة سلسلة أحداث قديمة بعنوان"أنا أحب لوسي" . وهي سلسلة مضحكة. بعد ذلك شاهدا معرض ديك فان دايك.

في الوقت الذي انتهى فيه العرض، عاد سنغر، ودخل من الباب الأمامي وهو ينبح ثانية. بالوقت نفسه كانت جولي تتثاءب.

قال مايك وهو يقف:" أعتقد أنه حان الوقت للذهاب: تبدين مرهقة" .

أومأت له:"دعني أوصلك" .

عند الباب، أدار مايك القبضة وسحبها، اصطدم بهما سنغر وهو في طريقه إلى غرفة الجلوس وكأنه هو أيضاً، أدرك بأن الوقت حان للخلود إلى النوم بينما كانت تراقب مايك وهو يتجه نحو الممر المفتوح ليرتدي معطفه، لمعت في ذهنها فكرة مفادها أنه صديقها لعدة سنوات وأن الغوص في هذه العلاقة تعني نهاية الصداقة بينهما . ترى هل كان يستحق المغامرة؟

وهل ستقبل مايك كما تقبل أخاها؟ لم تعرف الجواب.

لكنها كانت مثل المقامر قرب آلة البيع، تأمل أن تغير الجولة القادمة جانبها إلى الأفضل، اقتربت معه قبل أن تفقد أعصابها. بعد أن أخذت يده، شدته إلى صدرها بما في الكفاية بحيث تحسسست جسده. حدّقت إليه، وأمالت برأسها قليلاً وهي تتكئ عليه. أحس مايك بما كان يجري لكنه كان لا يزال عاجزاً عن تصديق ما يحدث، أمال رأسه وأغلق عينيه، فتقاربت وجوههما من بعضهما على الشرفة، كانت الفراشات ترفرف حول الضوء، تتحرك بسرعة وبعنف وكأنها تحاول أن تخترق الزجاج. كانت هنالك بومة تنعق من وراء الأشجار القريبة.

على كل حال، لم يسمع مايك أي شيء على الإطلاق. تاه مايك وسط أنفاسها التي لامسته، لم يدرك سوى إحساسٌ واحدٌ: تلاقت شفاهما أولاً، وشعر بوخزة كهربائية جعلته يعتقد أنها ستدوم إلى الأبد.

بدا إحساساً رائعاً. في الواقع كانت قبلة أفضل مما توقعت جولي. وأخيراً لم تشعر وكأنه أخوها.

كانت لا تزال تفكر بالقبلة بعد أن سمعته يشغل محرك سيارته ويتوارى خلف ...... عن الأنظار أسفل الشارع. كانت تبتسم وعندما أطفأت النور لمحت سنغر يرافقها ..... كان يحدّق إليها، وقد أمال برأسه إلى زاوية واحدة ورفع أذنيه، وكأنه يسألها، هل كان حقيقة ما رأيته للتو؟.

قالت جولي:"ماذا؟ أجل قبلنا بعضنا" .جمعت الكؤوس على الطاولة، وهي تحس بأن نظرات سنغر تلاحقها. لسبب ما، شعرت وكأنها مراهقة ضبطها والداها وهي تقترف ذنباً. تابعت جولي:"وكأنك لم ترني أبداً وأنا أقبل شخصاً ما".

بقي سنغر محدّقاً إليها.

قالت وهي تتجه رأساً نحو المطبخ:"ليست قضية كبرى".

وضعت الكؤوس في الجلاية، و أشعلت الضوء فوق المغسلة. عندما استدارت، لاح أمامها ظل ضخم قفزت عائدة قبل أن تميز الشيء الذي لمحته.

كان سنغر قد دخل المطبخ. كان جالساً بالقرب من الطاولة، يراقبها بالتعابير ذاتها المرسومة على وجهه. وضعت جولي يديها على خصرها.

"هلاّ توقفت عن التحديق إليّ بهذا الشكل؟ كف عن ملاحقتي لأنك ترعبني".

وبذلك أشاح سنغر بنظرة أخيراً بعيداً عنها.

أحست جولي بالارتياح. التقطت قماشة تنظيف ومسحت الطاولة قبل أن تقرر مغادرة المطبخ حتى يوم غد، قذفت بالقماشة في حوض الغسيل واتجهت رأساً نحو غرفة النوم، وهي لا تزال تستعيد في ذاكرتها مشاهد في ذلك المساء. أحست أنها توردّت قليلاً.

حسب رأيها كان مايك يجيد فن التقبيل كثيراً .

تاهت في أفكارها، إذ كانت نادراً تراقب أضواء سيارة تكتسح شارعها الهادي وتلاحقها بنظراتها ببطء وهي تتجاوز منزلها.

"أنت مستيقظ!" سألت جولي على الهاتف صباح اليوم التالي.

أزاح مايك الغطاء عنه بعناء ونهض من فراشه وقد ميزّ صوتها. "هاأنذا استيقظت".

قالت: "إذاً هيا تعال. الطقس رائع. هيا انهض واستمتع بالجو".

فرك مايك عينيه، وقد أحس من نبرة صوتها أنها مستيقظة من عدة ساعات، "عمّا تتحدثين؟".

"إنها عطلة نهاية الأسبوع. ماذا خططت لها؟".

"لاشيء. لماذا؟".

"حسناً، انهض وارتد ملابسك، كنت أفكر أنه بوسعنا الذهاب إلى الشاطئ معاً. من المفروض أن نقضي يوماً رائعاً. أظن أنه باستطاعتنا اصطحاب سنغر معنا لكي نفسح له المجال بأن يلهو حولنا برهة قصيرة. هل يناسبك هذا؟"،

أمضيا النهار بطوله وهما يتمشيان حافيي القدمين على الرمال البيضاء ويرميان بالصحن الطائر إلى سنغر، ويجلسان على المناشف وهما يراقبان زبد البحر وهو يلتف فوق الأمواج. تناولا البيتزا على الغداء، وظلا هكذا حتى تلونت السماء بلون أرجواني مع بداية الغسق، كما تناولا العشاء معاً. من هناك انطلقا لمشاهدة فيلم، سمح مايك لـ جولي بأن تختار الفيلم الذي تريده، ولم يعترض عندما اختارت فيلم "ضربة كتكوت". وعندما وجدت الدموع طريقاً إلى عينها والتصقت به طالبة الحماية والدعم خلال الساعات المتبقية، أحسَّ مايك أن عليه كتم الكلمات اللاذعة والانتقادات التي كان يحضرها في ذهنه. كان الوقت متأخراً عندما عادا إلى المنزل، وقبلا بعضهما من جديد على الشرفة. كانت القبلة أطول من السابقة بقليل بالنسبة إلى جولي، أحس أنها أفضل حالاً مما سبق، وبالنسبة إلى مايك، أي تحسن يشعر به لم يكن ضرورياً ولا ممكناً.

أمضيا يوم الأحد في منزل جولي. مايك قطع العشب في المرج، وسوّى أطراف السياج، وساعدها في زراعة الورود في أصايص. من هناك، تحرّك إلى الداخل وبدأ يصلح الأشياء الصغيرة القديمة في المنزل - يستبدل المسامير الناتئة في الألواح الخشبية، ينزع الأقفال، ويعلق التركيبات

الكهربائية الجديدة التي اشترتها جولي من شهر لأجل الحمام. كانت جولي تراقبه وهو يعمل، معجبة به وهو يرتدي بنطاله الجينز ويبدو واثقاً من نفسه أثناء قيامه بإصلاح تلك الأشياء. عندما قبلته مرة وهو يستعمل المطرقة، ارتسمت على وجهه تعابير أفصحت لها بالضبط عن أحساسه تجاهها، وأدركت أن شعورها الذي لم يكن مريحاً مرة أصبح الآن يجسد ردة الفعل التي طالما تاقت إليها.

عندما غادرها، دخلت منزلها وأغمضت عينيها، وهي تستند إلى الباب، أحسَّت جولي بالمشاعر ذاتها التي أظهرها لها مايك من ليلتين.

الفصل الحادي والعشرون

بعد أن أمضت جولي نهاراً مرهقاً يوم الثلاثاء- حيث وقع عبء العمل كله على كاهلها، بما أن أندريا تغيبت وطلب منها اثنين من زبائن أندريا الاهتمام بأمرهما- انطلقت جولي وهي تدفع عربة ببطء إلى أسفل الممشى من مخزن البقال، حيث كانت تضع فيها ما تحتاجه لأجل الغداء. كان مايك قد وعدها بأن يطهو لها الطعام، وبالرغم أنها لم تكن ترغب شراء كل تلك الحاجات المسجلة في القائمة، لكنها أحبت أن تقدم أفضل ما عندها . وعلى الرغم أنه تعهد بأن يعد وجبة شهية، لكنها لم تستطع أن تتصور أية وجبة شهية تتضمن بطاطا الشيبس ومخللات حلوة. ولكن يبدو أنه متحمس للأمر، وهي بدورها لم تشأ أن تجرح مشاعره.

كانت على وشك الانتهاء من شراء حاجياتها قبل أن تدرك بأنها قد نسيت شيئاً ما. كانت تلقي نظرة على قسم التوابل، محاولة أن تتذكر فيما إذا كان مايك بحاجة إلى بصل مفروم أو مبهَّر، عندما توقفت العربة فجأة بعد أن اعترضها شخص ما.

قالت بشكل أتوماتيكي: "أوه.. اعذرني. لم أنتبه إليك....." .

"لا بأس....إنني بخير"، أجاب وهو يلتفت حوله، بينما نظرت إليه جولي بدهشة.

سألت: "ريتشارد؟" .

أجاب بصوت رقيق: "أوه، مرحباً جولي. كيف حالك؟" .

"بخير. ماذا تفعل هنا؟"، لم تره جولي منذ صباح ذلك اليوم الذي غادر فيه منزلها، وقد بدا متوعكاً قليلاً.

"إنه عمل شاق. لدي الكثير لأقوم به. ولكنك تعلمين كيف تسير الأمور" .

"أجل أعرف. بالمناسبة كيف حال يدك؟" .

"أفضل. لا تزال مرضوضة، ولكن ليس هنالك ما يدعو إلى القلق". بعد ذلك أخفض بصره، وهو يشدُ على أصابعه المغلقة وكأنه يسترجع ذكريات تلك الليلة. "اسمعي، أريد الاعتذار لك ثانية عما حصل الأسبوع الماضي، لقد فقدت أعصابي وغضبت دون وجه حق"،

"حصل خيراً" .

"ثم أود أن أشكرك من جديد لأنك منحتني فرصة وأصغيت إلى همومي. كثير من الناس لا يفعلون ما فعلته" .

"لم أفعل شيئاً يستحق الشكر" .

قال مصراً: "أجل فعلت. لا أعرف ماذا كنت سأفعل دونك، كنت في حالة مأساوية في تلك الليلة" .

هزت كتفيها باستهجان.

قال وكأنه يحاول التفكير فيما سيقوله: "حسناً".

سوى سلة البقالة المعلقة على ذراعه." أرجوك لا تفهميني بشكل خاطئ، لكنك تبدين رائعة الجمال".

قالها كما يقولها صديق دون أية دلالات، فابتسمت له."أشكرك".

في المشى، كانت امرأة تتجه صوبهما، وهي تجر عربة ممتلئة. ابتعد ريتشارد وجولي جانباً ليفسحا لها المجال بالمرور.

أضاف ريتشارد :"اسمعي، هنالك شيء آخر بخصوص تلك الليلة. أشعر أنني مدين لك بالفضل لأنك استوعبتني بشك جيد".

"أنت لست مديناً لي بأي شيء".

"لا أزال راغباً بالتعبير عن تقديري لك. أقصد أود تقديم الشكر لك. ربما أستطيع أن أدعوك إلى الغداء؟".

لم تتفوه جولي بكلمة، وريتشارد الذي لاحظ ترددها تابع كلامه:"نتناول الغداء فقط – لا شيء سوى الغداء. حتى أنه لن يكون اللقاء رسمياً. أعدك بذلك".

أزاحت بصرها جانباً، ثم عادت النظر إليه."لا أظن أن باستطاعتي قبول دعوتك. آسفة".

قال:"حسناً، فكرت فقط برد الجميل لي". ابتسم وقال:"إذاً لا تحملي أية مشاعر قاسية بخصوص تلك الليلة".

كررت قوله:"لا ما من مشاعر قاسية".

تراجع خطوة بعيداً عنها :"حسناً، هناك بعض الحاجيات سوف أشتريها. أنت متواجدة في المنزل؟".

"بالتأكيد".

قال:"إلى اللقاء".

"إلى اللقاء ريتشارد".

❖❖❖

سألت جولي:"إذاً ماذا تسمي هذه الوجبة بالضبط؟".

كان مايك منكباً فوق الفرن في شقته، ولحم البقر موضوع في المقلاة مصدراً أزيزاً."همبرغر كزيول".

"إذاً هي من منطقة من ولاية لويزيانا؟".

"قلبي. لماذا تعتقدين بأنني طلبت إحضار هاتين العلبتين من الحساء؟ هذا يعطيها نكهة أصلية".

فكرت جولي،"إن مايك هو الوحيد الذي يعد حساء الباميا بالدجاج بطريقة تخص شعب ما".

بعد أن أصبحت اللحمة جاهزة، سكبها في الحساء، ثم أضاف إليها القليل من الكتشب والخردل قبل البدء بالتحريك. اتكأت جولي عليه لتراقب اختراعه في فن الطبخ، وقد ارتسمت على وجهها تعابير الاشمئزاز.

"ذكرني بأن لا أعيش حياة عزوبية أبداً ".

"أجل، أجل. إنك تسخرين الآن، ولكن بعد قليل سوف تشعرين أنك تتناولين الطعام في غرفة في الفردوس".

"إنني واثقة من هذا".

قابلها وجهاً لوجه وهو يتظاهر بالاحتجاج على كلامها وأحست أنها تتحرك معه.

سألها:"هل سبق أن أخبرك أي إنسان بأن لديك ميولاً عفوياً للسخرية من الآخرين؟".

"أعتقد أن أحداً ما قالها لي مرتين. وأنت هو ذلك الشخص".

"طالما عرفت بأنني شاب ذكي".

قالت:"وكذلك أنا أعرف بأنك شاب ذكي، ولكن فيما يتعلق بطهي الطعام، أشعر بالقلق لأن ذكاءك يخونك".

بعد ربع ساعة جلسا إلى مائدة الطعام، وكانت جولي تحدق في صحنها.

قالت جولي:"هذا الطعام يدعى سلوبي جو".

قال وهو يمسك بالسندويشة:"لا، إنها همبرغر كريول. سلوبي جو تكون بطعم البندورة ".

"بينما أنت تفضل أن تكون نكهة لويزيانا واضحة؟".

"بالضبط. ولا تنسي أن تأكلي مرق المخلل. فهذه إضافات ضرورية للوجبة".

تفحصت جولي الشقة الصغيرة لفترة من الوقت، بالرغم من أن القطع الرئيسية للأثاث كانت حسنة الذوق ومألوفة، غير أنه بدا واضحاً من المكان أن من ستعملها رجل عازب. فالأحذية كانت مركونة، في زاوية غرفة الجلوس بالقرب من غيتاره. وفوق فراشه تكدست كومة من الملابس غير المطوية. وشاشة التلفزيون الضخمة، وضعت فرقها مجموعة من زجاجات البيرة المستوردة. ولوحة رمي السهام المريشة منصوبة فوق الباب الأمامي.

أتكأت على الطاولة، لتلفت انتباه مايك لها".

"الجو الذي صنعته الليلة يبدو حميمياً. كل ما تحتاج إليه شمعة حتى أشعر أنني في باريس".

قال:"حقاً؟ أظن أنه بوسعنا إحضار واحد".

نهض وفتح الدرج، وبعد لحظة، تلألأ وميض صغير بينهما. جلس في مقعده ثانية.

"هكذا أفضل؟".

"تماماً وكأننا في سكن جامعي".

"في باريس؟".

"مم ...... ربما كانت مخطئة. إن هذا الجو يذكرني بـ.... أوموها".

ضحك مايك."إذاً هل ستحاولين أن تأكليها، أم أنك تشعرين بالذعر؟".

"لا. سأحاول. إنني فقط استمتع بالتوقعات".

أومأ نحو صحنها."جيد.إذاً بوسعك أن تتصوري طريقة لطيفة للاعتذار من كبير الطباخين".

أخذت جولي عضة من السندويشة. راقبها مايك وهي تدرس المذاق.

قالت بعد ابتلاعها اللقمة:"ليست سيئة".

"ليست سيئة؟".

حدقت إلى السندويشة، وقد ارتسمت على وجهها تعابير دهشة خفيفة."في الواقع لها مذاق خاص".

قال:"قلت لك هذا. إنه حساء الدجاج الذي يمنحها هذا المذاق".

أخذت المخلل وغمزت:"سأحاول أن أتذكر ذلك".

يوم الأربعاء جاء دور جولي لإعداد طعام الغداء، جهزت سمكة محشية مع لحمة سرطان البحر وخضراوات مقلية، وزجاجة من الخمر.(شعر مايك بالغيظ فهذه الوجبة ليست همبرغر كرويل، ولكن أظن أنها لذيذة). يوم الخميس تناولا العشاء معاً في جزيرة إيميرالد. بعد ذلك وبينما كانا يتمشيان على الرمل الناعم، لكمها سنغر في ساقها بعصا كان قد عثر عليها. أسقطها أمامها، وعندما تجاهلاه، اختطف العصا ثانية، واعترض سيرهما بجسده. حدق إلى مايك. بدا وكأنه كان يقول له،"هيا إنك تعرف التمرين".

قالت جولي:"أعتقد أنه يريد منك قذف العصا. يظن أنني لا أستطيع رميها بعيداً بما فيه الكفاية".

"ذلك لأنك فتاة".

وخزته من مرفقه."انتبه إلى كلامك أيها الرجل. يوجد أنثى تترصد لك في مكان ما هنا حتى أنها تستاء من تعليقات كهذه".

"الإناث يستأن من كل شيء يفعله الرجال أفضل منهن".

انسحب بعيداً عنها قبل أن تتمكن من وخزه من مرفقه ثانية وأمسك بالعصا. خلع حذاءه وجراباته، ثم طوى سرواله حتى الركبتين بقليل. وضع العصا قبالته. وحدق إليها سنغر كما لو كانت شريحة لحم.

سأله مايك:"هل أنت مستعد؟".

رفع ذراعه وألقى بالعصا أبعد مسافة استطاعها. أخذ سنغر يصارع الأمواج.

اتخذت جولي مقعداً لها على الرمال، وطوت ركبتيها ولفت ذراعيها حولهما. كان الطقس بارداً إلى حد ما، وتخللت السماء غيوم بيضاء، وتسللت السماء من خلالها بشكل متباعد. انطلقت طيور البحر على طول الشاطئ، تبحث عن طعامها، وترف رؤوسها وتخفضها بتواتر منتظم مثل إبر الحياكة التي ترتق الثياب.

عاد سنغر حاملاً معه العصا وهز مايك من سترته طالباً منه المزيد. انتزع مايك العصا منه ثم رماها ثانية قبل أن يلتفت صوب جولي، كان قميصه قد التصق بجلده. استطاعت جولي من مكانها أن ترى عضلات ذراعيه ومسلك صدره حتى وركيه. قالت في نفسها :"جميل، يبدو جميلاً".

ناداها مايك:"لنستمتع بوقتنا ليلة الغد، أوكي؟".

أومأت له جولي موافقة - عندما عاد سنغر ثانية، سحبت جولي ساقيها وشدتهما إلى صدرها قليلاً وهي تراقب لعبتهما. على مسافة بعيدة، كان سمك القريدس يشق طريقه عبر الماء، وشباك طويلة انتشرت خلفه. وهناك على مسافة بعيدة أيضاً نشرت المراكب أضواءها. أحست جولي بنسمات حقيقية تداعب وجهها وهي تراقبهما، متسائلة عن سبب القلق الذي انتابها.

❖❖❖

مساء اليوم التالي سألت جولي بينما كانا يستعدان للعب:"رمية ثقيلة؟. كانت ترتدي الجينز وكذلك مايك، الذي طلب منها البارحة أن لا تكلف نفسها عناء التأنق بملابسها والآن فهمت السبب. "هذا ما رغبت بعمله الليلة؟".

"ليس هذا بالضبط هنالك أشياء كثيرة بوسعنا القيام بها. هنالك ألعاب ال..... أيضاً. ولعبة المضرب".

قالت:"أووه. أشعر برعشة تسري في جسدي".

قال مايك وهو يتنشق:"ها! هذا لأنك لا تستطيعين هزيمتي".

"ولكنني أستطيع أن أهزمك. إنني مثل نمر الغابات".

"إذاً أثبتي ذلك".

أومأت له، وشع وميض من التحدي في عينها "هيا استعد"

خرجا من السيارة وشقا طريقهما نحو الكشك ثم إلى النادي. قال :"**ما** بك؟" مشيراً إلى كرات الغولف "الوردية والزرقاء" لك ولي ،لنلعب **كرجل** وامرأة

سألته وهي تلعب ببراءة "أيهما تفضل؟

زمجر:هيا ابدئي المبارزة وسوف أثبت لك أنه لا فرق بين الاثنين

الشيء نفسه مكرر

بعد دقيقتين وصل إلى الحفرة الأولى

قالت وهي تشير إليه: النضج أهم أم الجمال؟

تظاهر مايك بالاستياء قبل أن يضع الكرة في مكانها كان على الكرة أن تجتاز الحوامة الدائرية قبل أن تنزل إلى مستوى أخفض، وتصل إلى مكان الحفرة.

ركز مايك انتباهه، وثبت الكرة قال "هيا راقبي، وتعلمي" وحاول إشغالها وحسب

ضرب الكرة بشكل مستقيم فاجتازت الفتحة داخل الحوامة ،وبعد أن ترك الأنبوب، وصلت الكرة على بعد أقل من قدم عن الحفرة ."أرأيت؟ إنها سهلة".

" تنحى جانباً. دعني أرك كيف أجربها".

وضعت كرتها في الأسفل وضربتها.قفزت الكرة على شفرات الحوامة وارتدت إليها.

قال مايك وهو يهز رأسه:"مم-آسف جداً. إنها ضربة سيئة للغاية".

"إنني بحاجة إلى سلسلة من التمرينات قبل المسابقة".

استغرقت وقتاً أطول قبل أن ترجع إلى الوراء وتضرب الكرة ثانية. هذه المرة نجحت وعندما التفتت عليه لترى ما آلت إليه الكرة، شاهدتها وهي تتدحرج باتجاه الحفرة قبل أن تتوارى عن الأنظار.

اعترف مايك:" إنها ضربة موفقة. ومع ذلك.إنها لعبة حظ".

لكزته بالعصا:" هذا كله جزء من الخطة".

في غرفة النوم المظلمة في المبنى الفيكتوري، جلس ريتشارد في فراشه، مديراً ظهره إلى لوحة رأسية علقت على الجدار. كانت الستائر مغسولة، والغرفة مضاءة بشمعة صغيرة وضعت على الرف،

وبينما كان يدحرج قطعة من الشمع بين أصابعه، كان مشغول الفكر بجولي.

بدت رائعة الجمال في مخزن البقالة، وأحسّ بأنها شعرت بالندم بسبب اصطدامها به.

هز رأسه، متسائلاً لماذا كانت تحاول إخفاء مشاعرها. لقد كان يفهمها جيداً، بمعنى أدق، عرفها أكثر مما عرفت نفسها. على سبيل المثال، لم يعلم أنها برفقة مايك الليلة وأنها ترى فيه الدعم الذي قدمه لها زوجها، وبدأت تبحث عنه منذ وفاته على أمل أن تجده في شخص ما ثانيةً.

أدرك أنها كانت تخشى كل جديد، وتمنى لو استطاعت أن تتصور مستقبلاً أفضل يخصهما معاً ألم تلحظ أنها إذا بقيت على هذا المنوال، سوف يجرها مايك إلى مستواه؟ وبأن أصدقاءها سيسببون لها الأذية بشكل نهائي؟ هذا ما يحدث دائماً عندما يستبد الخوف بقرارات المرء.

التجربة علمته كل هذا. لقد احتقر والده، كما احتقرت جولي أولئك الرجال الذين كانوا يقتحمون حياتها الخاصة. كره والدته بسبب ضعفها، تماماً كما كرهت جولي ضعف أمها، لكن جولي كانت تحاول أن تعيش بسلام مع ماضيها بأن تخفف من وطأته عليها. جعلها الخوف من الماضي تتوهم أنها ستجد الدعم في شخص ما، على الرغم أنها ستظل تعيش في الوهم في نهاية الأمر. لم تشأ أن ينتهي مصيرها كمصير والدتها، ولم ترغب

أن تعيش حياتها على نمط حياة والدتها. ربما تستطيع صياغة حياتها كيفما نشاء، كما فعل هو بحياته.

صرخ مايك ثانيةً: "يا لها من ضربة حظ!". في منتصف التمرين سجلت نقاطاً متعادلة حتى ارتدت آخر ضربة رمتها جولي على الجدار وسقطت في الثقب، تبخترت جولي لكي تسترجع كرتها.

تساءلت جولي :" هل يحالفني الحظ دائماً عندما أوفق في الضربة بينما تكون رميتك نتيجة المهارة التي تتحلى بها؟".

كان مايك لا يزال يراقب الكرة وهي تتدحرج ."لأن اليس هناك طريقة محددة لذلك".

"إنك تتحدث بعصبية".

"لست عصبياً".

قلدت جولي طريقته في الرد، وقالت وهي تمرر أصابعها فوق صدرها وتتنشق:" أنت تكره أن تهزمك فتاة".

"لن تتمكني من هزيمتي".

:إذاً ما هي النتيجة؟".

أخرج البطاقة وسجل النتيجة ثم وضعها في جيبه الخلفية:" لا يهم، ما يهم النتيجة النهائية".

استعد مايك ليضرب صوب الحفرة التالية، بينما وقفت جولي تضحك خلفه.

تنفس ريتشارد ببطء وهو يمعن النظر في صورة جولي' بالرغم من الاضطراب الذي ارتسم على وجهها، عرف بأنها كانت مختلفة عن الآخرين. تميزت بشخصية خاصة مثله.

هنالك سرّ يتعلق بتميزه عن الآخرين. حدث ذلك في منزل الرعاية. بغض النظر عن بعض الملابس التي كان يملكها، الشيء الوحيد الذي أحضره معه كانت كاميرا سرقها من أحد جيرانه السابقين وصندوق الصور الفوتوغرافية.

الأشخاص الذين اهتموا به، ورعوه لطيفون بما فيه الكفاية، لكنه تجاهلهم معظم الوقت، كان يتردد على المكان بسعادة، وهو لايطلب أي شيء سوى مكان ينام فيه وطعام يأكله. كما في كثير من بيوت الرعاية، لم يكن الولد الوحيد، فقد شاركه الغرفة ولدان أكبر منه سناً. هذان الولدان سرقا كاميرته بعد شهرين من دخوله منزل الرعاية، وباعاها إلى مكتب الرهائن ليشتريا سجائر.

عندما عثر عليهما ريتشارد، كانا يلعبان في فناء المنزل. وجد على الأرض مضرب كرة بيسبول، فالتقطه. في بادئ الأمر سخرا منه، بما أنهما أكثر طولاً ووزناً منه. ولكن في نهاية الأمر نقلا إلى المستشفى بسيارتين إسعاف، لأن وجهيهما متهشمان على غفلة منهما، أرادت عاملة مركز الرعاية إرسال ريتشارد إلى مركز اعتقال الأحداث، جاءت إلى المنزل بصحبة الشرطة بعد يوم من الحادثة، وبعد أن نقله والداه بالتبني من مركز الرعاية، قيد ريتشارد بالأصفاد، وقادوه إلى مركز الشرطة، وهناك جلس على كرسي خشبي قاسٍ وإلى جانبه شرطي يدعى دوغان في غرفة صغيرة مليئة بالمرايا.

دوغان الذي كثرت على خديه البثور، وكان أنفه بصلي الشكل، تكلم بطريقة تثير الأعصاب، اتكأ إلى الأمام، وأخبر ريتشارد مقدار الأذية التي ألحقها بالولدين لذلك كان عليه أن يقضي عدة سنوات في سجن الأحداث.

لكن ريتشارد لم يظهر أي وجل، تماماً كما لم يظهر أي خوف عندما جاءت الشرطة ليستجوبوه أخفض نظره، ثم بدأ بالبكاء.

قال بهدوء:"لم أشأ أن أخبرهما. لكنهما سرقا كاميرتي، وهددتهما بأنني سأشكوهما إلى عاملة المركز. كانا على وشك أن يقتلاني. شعرت بالذعر. هاجمني أحدهما- وكان يحمل سكيناً".

فتح ريتشارد سترته فرأى دوغان الدم.

أسعف ريتشارد إلى المشفى، كان قد تعرض لضربة في أسفل معدته. السبب الوحيد في أن جرحه لم يكن بليغاً وخطيراً على حد قول ريتشارد هو أنه استطاع أن يفر من قبضتهما في الدقيقة الأخيرة. وجد دوغان السكين على سطح المخزن، تماماً في المكان الذي حدده له ريتشارد عندما قال له بأنه شاهد أحد الولدين يرميها هناك.

أرسل الولدان إلى مركز اعتقال الأحداث، بالرغم من توسلاتهما أنهما لم يلمسا السكين، ولم يضربا ريتشارد بها. لكن الرجل في مكتب الرهائن اعترف بأنه اشترى الكاميرا منهما، ولم يصدق أحد احتجاجاتهما. بعد كل ذلك أصبح لكل منهما سجل في مركز الأحداث. بعد مرور عدة سنوات، شاهد ريتشارد أحد الولدين في الجوار، يمشي على الجانب المقابل من الطريق. كان قد أصبح رجلاً، لكنه عندما رأى ريتشارد تجمَّد في مكانه، ابتسم ريتشارد ببساطة، وتابع سيره، متذكراً باحتقار الجرح الذي ابتلى نفسه به ..... فتح ريتشارد عينيه. أجل عرف من خبرته أن كل الحواجز والعقبات يمكن التغلب عليها إن جولي تحتاج ببساطة إلى الشخص المناسب ليساعدها. إذا تساندا، سوف يتمكنا من إنجاز أي عمل، ولكن عليها أن ترغب به حتى تعطيه فرصة لدعمها. إنه بحاجة إلى أن تقبل عرضه بمساعدتها.

هل كان يطلب الكثير منها؟.

❖❖❖

سألت جولي:"ما هي نتيجة النقاط الآن؟".

وصلا إلى الحفرة النهائية، وقد بدا مايك الآن أكثر جديةً.

عرف مايك بأنه الخاسر، انزاحت ضربته الأولى عن مسارها فتوقف خلف صخرة ناتئة، يستعد للضربة التالية. مسح مرفقه، متجاهلاً الابتسامة التي طغت على وجه جولي.

قال:"أعتقد أنك متقدمة علي، ولكن لا تغتاظي في الضربة النهائية".

قالت:"أوكي".

"لأنك ربما تخسرين".

"أوكي".

"أقصد، إنك لا تجيدين رميها بعيداً في نهاية الأمر".

"أوكي".

"إذاً مهما فعلت، تأكدي أنك لم ترتكبي حتى أقل خطأ ممكن".

"مم... أنت على حق أيها المدرب. أشكرك على نصائحك".

وضعت كرتها في مكانها ووقفت فوقها، ومضت عيناها وهي تراقب مسار الكرة حتى الحفرة ثم تعود بنظرها ثانية إلى الكرة، ضربتها، فتدحرجت الكرة بثبات، واستقرت على بعد إنش من الحفرة. فكرت جولي في نفسها عندما نظرت إلى مايك:"كم تمنيت لو عندي كاميرا حتى أصور تعابير وجه مايك التي لا تقدر بثمن".

علقت جولي:"أظن أن عليك أن تركز نظرك، وتخفضه لكي تثبت ضربتك، ومن مكانك، باستطاعتك أن ترميها".

كان مايك يحدق إلى كرتها قبل أن ينظر إليها أخيراً، ويهز كتفيه معلقاً :"أنت على حق. انتهت اللعبة".

"ها!".

هز رأسه وقال:"أكره الاعتراف بالهزيمة، لكنني بالفعل لم أبذل كل جهدي الليلة، سمحت لك بالفوز علي".

ترددت جولي قليلاً قبل أن ترفع عصاها وتهوي بها عليه متحدية إياه، بينما مايك استعد للهروب. أمسكت بك وشدته إليها قائلة:"هيا اعترف بأنك الخاسر. اعترف".

قال وهو يتأملها :"لا. إنك مخطئة. ربما خسرت اللعبة، لكنني على ما أظن ربحت المبارزة".

"كيف؟".

ابتسم، ومال إليها ليقبلها.

❖❖❖

نهض ريتشارد من فراشه وسار باتجاه النافذة. اختلس النظر إلى الخارج، فشاهد ظلالاً تمتد عبر الأراضي، وتلف الأرض في ظلام دامس.

في وقت ما سيخبر جولي كل شيء عن حياته. سيحدثها عن أمه وأبيه، وعن الصبية في منزل الرعاية، وقد عرف بأنها ستفهم أنه لم يكن يملك أية فرصة سوى القيام بما فعل. سيكلمها عن السيدة هيغنز، مستشارة المدرسة التي أولته رعاية خاصة في المدرسة الثانوية، حالما اكتشفت أنه يتيم.

تذكر أن يتكلم معها حالما جلست على الأريكة في مكتبها. ربما كانت جميلة في وقت ما، لكن أي وميض شع منها في الماضي تلاشى الآن مع

مرور الزمن. كان لون شعرها مزيجاً من الأشقر المتسخ والرمادي، وعندما كانت تبتسم، تجعل التجاعيد وجهها يبدو جافاً ومتصدعاً، لكنه كان بحاجة إلى من يخفف ألمه. كان بحاجة إلى شخص ما يقوي شخصيته، والسيدة هيغنز كانت مكتملة الشخصية. في المكتب، بدا كل تصرف لها معبراً عن أنها متعاطفة معه- الطريقة التي مالت بها إلى الأمام وهي تنصت إليه بعينين حزينتين، بينما كان يروي لها قصة مريعة تلو الأخرى عن طفولته. أكثر من مرة امتلأت عينا السيدة هيغنز بالدموع.

ظلت تتردد على زيارته لبضعة أشهر كأنه ابن لها، وهو بدوره عاملها مثل أمه. كشف لها عن كل أوراقه ولم يخبئ شيئاً، واشترت له كاميرا أخرى، بقياس 35 ملم وعدسات ذات ميزات عالية، أحد الكاميرات لا تزال بحوزته حتى الآن.

تميز ريتشارد بمادتي الرياضيات والعلوم، لكنها تحدثت مع معلميه المختصين بمادتي التاريخ والانكليزية بدأ الاهتمام به أكثر. حقق قفزة نوعية في معدل التخرج.

أطلعت مدير المدرسة على أنه اجتاز اختبار أسئلة الذكاء IQ على مستوى عالٍ وطلبت منه إدخال اسم ريتشارد في البرامج المخصصة للتلاميذ الموهوبين.

اقترحت عليه بأن ينشئ حقيبة سندات لصوره الفوتوغرافية لكي يعرض مواهبه ويدفع كل تكاليف دراسته، كتبت رسالة توصية إلى جامعة مساشوستس، لكي يثبت أنه شاب موهوب لكنه مضطهد.

قامت بزيارة المدرسة وقابلت لجنة القبول، التي بدأت تمنحه الفرصة لكي يظهر سنداته. عملت كل ما في وسعها، وبالرغم أنها تركت إحساساً

عميقاً بالرضا عندما علمت أن كل عملها الشاق لم يذهب سدى، لكن لم يكن ريتشارد من بلّغها بالأمر.

منذ تم قبوله في الجامعة، لم يتصل بها أبداً. كانت تفي بالغرض لكنه لم يفعل أي شيء لأجلها.

وبالأسلوب نفسه، كان مايك يلبي كل طلبات جولي. لكن الآن انتهى كل شيء كان مايك صديقاً ودوداً، لكن حان الوقت لأن يبعده عن طريقه. لقد كان مايك يقيد جولي ويحتجزها، يمنعها من أن تختار مستقبلها الخاص. مستقبلهما.

الفصل الثاني والعشرون

بالنسبة إلى جولي بدأت الأيام تكسب إيقاعاً جديداً. بدءاً من أوقات الصباح عندما كان مايك يغادر الكراج لكي يلقي عليها التحية من بعيد، وحتى أوقات الغداء التي أمضياها معاً في الأماكن العامة، والأمسيات الهادئة التي استمتعا بها من خلال محادثات مطولة بينهما، لدرجة أصبح فيها مايك جزءاً ممتعاً ومهماً في حياتها.

كانت علاقتهما الجديدة لا تزال تتقدم ببطء وكأن كليهما اعتقدا بأن إيماءة عرضية باليد يمكن أن تجعل العلاقة تتلاشى مثل الدخان. لم يكن مايك يقضي ليلة في منزل جولي، والتي هي الأخرى لم تقض ليلتها في منزله، لكنهما على الرغم من ذلك كانا يلتقيان ليلاً كلما سنحت لهما الفرصة المناسبة وبشكل تلقائي دون أن يكونا مستعدين للقاء.

بينما كانت جولي تتمشى بصحبة سنغر في أحد الأيام بعد العمل، اعترفت أن علاقتها بـ مايك مجرد مسألة بحاجة إلى وقت، كان ذلك يوم الخميس بعد مرور أسبوعين على لقائهما الأول، والأكثر أهمية بعد مرور أسبوع ونصف على لقائهما الثالث، الذي كان حسب رأي المجلات، لقاء سحرياً من نوعه. تجاوزا هذا المؤشر دون أن يعترفا به، لكن ماكتب عنهما لم يكن مفاجئاً بالنسبة إلى جولي. شهدت تلك اللحظات منذ بضع سنين مرت بعد وفاة جيم، كانت لديها رغبة بأن تسترجعها. لحظات كانت تشعر فيها إلى حد ما.... بالشهوانية، لكن مضى وقت طويل جداً نذ شاركت رجلاً الفراش حتى أنها بدأت تعتاد حياة العزوبية. لقد نسيت تماماً الإحساس الذي كان ينتابها قبل أن تصبح أرملة، ولكن من غرائب المصادفات، أن الهرمونات القديمة ماتت نتيجة مرور وقت طويل عليها وهي لا تزال هادئة لا يثيرها أحد والآن شهدت لحظات وجدت نفسها مسحورة بـ مايك.

بالرغم أنها مستعدة للانقضاض عليه دون سابق إنذار. ولكن لا، من المحتمل أن تجعله يدخل في نوبة تقلص عضلي. بكل الأحوال، لم ينتبها أدنى شك بأن الأمر مروع.

إذا كانت في أول مرة قبلته فيها أحست بقوة الألم، فكيف ستكون الخطوة المقبلة؟ أوه، تخيلت جولي نفسها واقفة أمامه في غرفة النوم وتقول:"آسفة، تعلم أنه صار لنا مدة ونحن نتناول طعامنا في الخارج في وقت متأخر جداً، فقط أخفض النور قليلاً يا حبيبي.

كان من المحتمل أن يؤول الأمر برمته إلى إخفاق تام، مرفق بلكزة المرافق واصطدام الرأسين ببعضهما وفي نهاية الأمر يجدا خيبة الأمل. ثم ماذا

سيحدث بعد كل هذا؟ العلاقة الجنسية لم تكن أهم شيء في حياتها، لكنها بالتأكيد لم تكن في المرتبة الثالثة أو الرابعة. تصورت أنها عندما تصل إلى تلك المرحلة، سيكون من المستحيل عليها أن تشعر بالمتعة معه في ظل هذا التوتر الذي يراودها. هل ينبغي علي فعل هذا؟ هل أهمس له بالموافقة؟ أحست وكأنها في لعبة تطرح أسئلة مستحيلة، حيث لا يطلب من المتنافسين سوى أن يكونوا عراة الأجساد. أوكي، وبخت نفسها قائلة:"إذاً ربما علي أن أشعر بالقلق كثيراً حيال هذا الأمر. لكن هذا ما يحدث عندما تعيش برفقة شخص واحد طوال حياتك. وذلك هو الشاب الذي ستتزوجه. افترضت جولي أن تلك العلاقة هي ردة فعل من أجل مواكبة حياة هادئة إلى حد ما، وللأمانة، لم تكن لديها أية رغبة للتفكير أكثر بهذا الموضوع. المشوار برفقة سنغر من المفروض أن يشعرها بالاسترخاء، وليس بالتوتر. هنالك في الأعلى، كان سنغر يتجول داخل الغابات الكثيفة الممتدة على طول الممر المائي الساحلي، وجولي تسلك الطريق الذي وطئه معظم السماسرة منذ شهر، ظهرت مؤشرات على طوال الطريق. في غضون عامين، تشكل حولها الجيران، وبالرغم أنهم جاؤوا بعد شراء الأملاك، لكن الأمر بدا بالنسبة لها سيئاً أيضاً. إذ إنها تفضل الشعور بالعزلة التي رافقتها طويلاً، كما أنها خشيت على سنغر. لم تشأ حقاً أن تبدأ ملاحقته في الجوار، وهو يعبث داخل المروج المفروشة حديثاً بالتراب. الفكرة بحد ذاتها تشعر بالاشمئزاز ولم تستطع أن تواجه النظرات التي كان يرمقها بها. لم يكن لديها شك بأنه قد فهم ما كان يجري حوله. بعد مرور الدقائق القليلة الأولى، حدق إليها قبل أن يدير أنفه مفكراً بشيء ما يترجم هذه المعاني، فعلت ما بوسعي بخصوص الأشجار بحيث لا أتلفها - ولكن هلا صنعت معروفاً ورتبت الأمور لأجلي؟

فكرت جولي، ليس أمامها فرصة سوى أن تتحمل عواقب ذلك الجوار.

سارت مسافة استغرقت ربع ساعة قبل أن تصل إلى الشاطئ، وجلست على جذع شجرة فترة قصيرة، وبدأت تراقب القوارب العائمة على سطح الماء. لم يكن باستطاعتها أن ترى سنغر لكنها عرفت بأنه على مقربة منها، إذ كان يعود إليها كل فترة ليتأكد أنها كانت تتبعه كان مصدر حماية لها. تماماً كما يفعل مايك. أجل مايك.

مايك وهي. إنهما معاً بالفعل. بعد مرور لحظة وجدت نفسها تسترجع أفكارها السابقة. التي بدأت بها وهي تتصور نفسها بصحبة مايك.

بعد مرور لحظة عندما اقتربت من المنزل، سمعت صوت رنين الهاتف. ركضت مسرعة إلى الداخل، وأغلقت الباب خلفها بقوة. ربما تكون إيما التي كانت تكثر من اتصالاتها بـ جولي مؤخراً - كانت تحب سماع أخبارها مع مايك ولم تنتظر لمعرفة المستجدات حتى تلتقي بـ جولي، وللأمانة كانت جولي أيضاً مستمتعة بالحديث عن لقاءاتها أيضاً.

وضعت السماعة على أذنها. "مرحباً؟".

لم يكن هنالك من مجيب بالرغم أنها شعرت بأن الخط لا يزال مفتوحاً.

قالت ثانية:"مرحباً؟".

ما من مجيب. أرجعت السماعة إلى مهدها وذهبت لكي تفسح المجال لسنغر بالدخول. على عجل أطبقت الباب في وجهه. ولكنها حالما وصلت إلى الباب رن الهاتف ثانية، فعاودت الرد.

من جديد لم يكن هنالك من مجيب. لكن هذه المرة قبل أن تهم بإغلاق السماعة، سمعت صوت طقطقة عندما أغلق المتصل سماعته.

❖❖❖

سأل هنري:"إذاً كيف تسير أمورك مع جولي؟".

أجاب مايك وهو يدفن رأسه داخل قلنسوة:"على ما يرام".

طوال فترة الأسبوع، لم يخبر أخاه عن المستجدات لأنه ببساطة كان مشغولاً مع قدوم موسم الصيف، كانت مكيفات الهواء تشتغل بأقصى سرعة لها بينما يتزاحم الناس إلى داخل الكراج وحواف قبات قمصانهم متسخة نتيجة تصببهم بالعرق. بالإضافة أنه استمتع باحتفاظه بمعلومات كان هنري تواقاً لمعرفتها... وهذا يشعر مايك بالتفوق على أخيه ولو لمرة في العمر.

قال هنري:"هذا يعتمد على عدد المرات التي تراها فيها، آمل أن تكون الأمور تسير على أحسن ما يرام".

"تعلم كيف تسير الأمور". أجاب مايك وهو يكمل عمله. أمسك بمفاتيح الإبريز وشرع بمحاولة لكي يرخي المزالج التي أبقت الضاغط في مكانه.

"في الواقع، لا أدري".

قال مايك في نفسه:"أجل، أعرف!".

"كما قلت لك، الأمور جيدة، هل يمكنك أن تحضر لي منشفة؟ أصبحت يداي رطبتين".

أعطاه هنري المنشفة."لقد سمعت أنك دعوتها إلى تناول الغداء في منزلك منذ فترة قصيرة".

قال مايك:"أجل".

"وماذا بعد؟".

"ماذا بعد؟".

"ماذا حدث؟".

"أحبت الطعام".

"هذا كل ما حدث؟".

"ما الذي تريد معرفته يا هنري؟".

"مامشاعرها نحوك؟".

"أعتقد أنها تحبني".

شبك هنري يديه ببعضهما. والآن يبدو أنهما يتمتعان في الحديث أكثر."تعتقد أنها تحبك، هاه؟".

استغرق مايك بضع ثوان قبل أن يجيب، وهو يدرك أن هنري يرغب في معرفة التفاصيل.

".....".

من داخل القلنسوة ابتسم مايك مفكراً، هذا رائع!.

"مم"، قال هنري وهو يفكر في نفسه، إن هذا الشاب يعتقد نفسه ذكياً ولكن هنالك أكثر من طريقة لاستجوابه. "حسناً، اسمع، كنت أتساءل إن كنتما ترغبان أنتما الاثنان برفقتنا في نزهة القارب خلال عطلة الأسبوع القادم".

"عطلة الأسبوع القادم؟".

"أجل، أتصور أننا سنقوم بإصطياد السمك، ولدينا بعض زجاجات البيرة، ستكون نزهة ممتعة".

"أعتقد أنه علينا دراسة الموضوع".

رفع هنري حاجبيه، وفكر في نفسه، يعتقد أخي الصغير أنه ضرب ضربته الآن يبدو من المضحك ما آل إليه حاله بعد صحبته هذه الفتاة.

زمجر هنري:"حاول أن لا تبدو مرتعشاً كثيراً".

"هيه، لا تهتج، أقصد فقط أن علي مناقشة المسألة مع جولي".

وقف هنري إلى جانب مايك دقيقة أخرى، لكن مايك لم يزعج نفسه بإخراج رأسه من السيارة. أخيراً استدار هنري وتوجه رأساً إلى مكتبه مفكراً في نفسه، حسناً مايك أنت سيد الموقف الآن. كل ما أرغب به هو الحصول على معلومات، لكنك تلعب الآن دور الشاب القوي والكتوم.

حتى بعد مرور عشرين دقيقة استمرت المشكلة ذاتها مع هنري وهي أنه لم يستطع أن يركز تفكيره على شيء، لكنه مع ذلك لن يفسد على أخيه الصغير مشاريعه فكر هنري، ربما أكون رجلاً ضعيفاً لكنني لست رجلاً وضيعاً.

❖❖❖

قالت مابل: "إنك تتألقين بشكل عملي هذه الأيام".

"لست كذلك، فقد تعرضت مؤخراً للشمس كثيراً هذا كل ما في الأمر".

كانتا تتبادلان الحديث وسط الزبائن. كانت أنرديا تقص شعر الزبائن في القسم الخاص بها، وتجري محادثات تتعلق بالسياسة والتي ما لبثت أصبحت كئيبة حالما ذكرت إندريا أنها تحب مظهر الحاكم الحالي لأن" شعره بدا أكثر جمالاً من شعر الشاب الآخر". كانت تقصد أندريا "الشاب الآخر". زبونها الذي التزم الصمت بعد مداخلتها تلك.

"لا أتحدث عن تأثير الشمس عليك، وتعلمين هذا".

أمسكت جولي بالمكنسة، وبدأت تكنس المكان حول كرسيها.

"أجل مابل أعلم، لكنك لست بالضبط المرأة الوحيدة التي تتسم بدقة الملاحظة والتي سبق أن قابلتها".

"لماذا تتكلمين عن دقة الملاحظة؟ من السهولة تماماً أن يلاحظ أي مرأ هذا التغيير".

"هذا ما يبدو ربما بالنسبة إليك. نحن بني البشر الهالكون نبتلى أحياناً بسمات تجعلنا مؤثرين في نفوس الآخرين".

"حبيبتي، لا يمكنك أن تقلقي بشأن أمر كهذا. الحياة قصيرة جداً. بالإضافة إلى أنك تحبينني. أليس كذلك؟".

"بالتأكيد إنك في غاية اللطف معي".

مالت مابل نحوها. "إذاً، هيا افرغي ما في جعبتك".

بعد مرور ساعة، كانت أندريا قد انتهت من قص شعر أخر زبون لها، والذي ترك لها بقشيشاً يكفي لتغطية مساحة صدريتها الجديدة التي عاينتها. منذ أسبوعين، اعتقدت أندريا أن مشكلتها كانت في أن صدرها لم يكن كبيراً بما فيه الكفاية لكي يلفت انتباه هذا النوع من الشبان، لكن الحلة الجديدة لصدرها ستساعدها في جذب انتباههم.

بالإضافة إلى هذه الحلة الجديدة ستزيد قليلاً من شعورها بالرضا عن ذاتها.

خلال فترة الأسبوع الماضي، ولاسيما فترة الصباح، كانت كل من مابل وجولي تتهامسان إلى بعضهما وكأنهما كانتا تخططان لسرقة المصرف في أسفل الشارع، ولكن حتى أندريا فهمت أنهما تتحدثان عن علاقة جولي بـ مايك. بالرغم أنهما تشتركا في كل شيء ما عدا الأساسيات.

إذاً لقد قبلته؟ وما هذه القضية الكبرى؟ فاندريا صار لها تقبل الصبيان منذ كانت في المرحلة الثانوية، ولكن يبدو أن جولي تنظر إلى المسألة بمنظار رومانسي، وكأنها تشاهد فيلم"المرأة الجميلة".

فكرت أندريا، بالإضافة إلى أن العلاقة بـ مايك كانت مثيرة للضحك بشكل كامل، مايك أم ريتشارد؟ هيا يبدو الخيار واضحاً حتى للأبله. مايك

شاب جميل، لكنه ليس مثل ريتشارد- حتى أنه لا يقارن بـ ريتشارد. ريتشارد يمتلك مواصفات مميزة، ومايك؟ ريتشارد جذاب للغاية، لكن جولي كانت عمياء مثل خفاش أحمق يعترض طريق الرجال دون أن يميز الجذاب منهم.

فكرت أندريا، لو تحدثني جولي عن علاقاتها، ربما أسديت لها نصيحة وأثرت انتباهها إلى أمور مهمة وعلمتها كيف تنسق أمورها مع ريتشارد.

عندما اهتز جرس، الباب، أدارت أندريا رأسها، وهي تفكر، حسناً إنه مجرد هراء...

ساد الصمت في الصالون لفترة طويلة. خرجت مابل لبضع دقائق، وزبون جولي خرج أيضاً. أمسك ريتشارد الباب ليسمح لها بالمغادرة. كان يرتدي نظارات شمسية، وعندما استدار انعكست ملامحها بعد أن قابلها وجهاً لوجه مما جعل جولي تشعر بألم غريب في معدتها. أما سنغر فجلس فوق البطانية.

قالت جولي:"ريتشارد". نطقت الكلمة بأسلوب يفصح أنها تود متابعة الحديث.

"مرحباً جولي، كيف حالك؟".

لم يكن هنالك أي مبرر لكي تتعامل معه بفظاظة، لكنها أيضاً لم تشعر أن شيئاً من الدعابة يسود الجو المحيط. بالرغم أنها لم تفكر بأن تصادف ريتشارد بين حين وآخر، باعتبارهما يعيشان في بلدة صغيرة، لكنها لم تكن متأكدة أنها ترغب بمجيئه إلى هنا. فمن ناحية كان لقاؤهما يحدث بالمصادفة، ومن ناحية أخرى عرفت جولي أنها ستراه بشكل منتظم، لكنها لا ترغب بالقيام بأي تصرف يشجعه على مقابلتها.

بدلاً من أن تجيب على سؤاله قالت:" ما الأمر؟".

أزاح ريتشارد نظارته، وابتسم لها. قال بنبرة رقيقة" كنت آمل أن يكون لديك متسع من الوقت لكي تقصي لي شعري. حان الوقت كي أقصه من جديد".

تساءلت جولي إن كان ذلك السبب الوحيد لمجيئه، وهي تتفحص جدول المواعيد، وتعلم مسبقاً ماكتب فيه، بدأت تهز رأسها.

"آسفة. لا أظن أن لدي الوقت الكافي - إنني مشغولة قليلاً اليوم. لدي زبون قادم في غضون بضع دقائق، وبعد ذلك عليّ أن أصبغ شعر زبون آخر وهذا سيستغرق وقتاً طويلاً".

قال :" أعتقد أنه كان عليّ أخذ موعد، هاه".

" أحياناً أستطيع استقبال زبائن إضافية، ولكن لا مجال عندي اليوم".

أشاح بنظره بعيداً:" أفهم. حسناً، بما أنني جئت إلى هنا، ولا أستطيع أخذ موعد. ماذا عن يوم الاثنين؟".

قلبت صفحات كتاب المواعيد، وهي تعلم أيضاً ماذا لديها.

"اعتذر أيضاً، إنني مشغولة أيام الاثنين دائماً".

" أيام الثلاثاء؟"

هذه المرة، لم تكن في حاجة إلى أن تنظر إلى جدول المواعيد:" أعمل نصف اليوم فقط. لدي أعمال أخرى أقوم بها في الظهيرة".

أطبق ريتشارد عينيه ببطء، ثم فتحها ثانية وكأنه يريد أن يسأل ،إذاً هذا ما تريدينه، هاه؟ على كل حال، لم يستدر لكي يهم بالمغادرة. بعد أن أحست أندريا بالجو المتوتر الذي ساد بينهما، نهضت من كرسيها وقالت: "يمكنني أن أقصّ لك شعرك يا سكر، لدي متسع من الوقت".

بعد لحظة، تراجع ريتشارد خطوة صغيرة إلى الوراء وهو لا يزال محدقاً إلى جولي .

" أجل سيناسبني هذا" .

شدت أندريا تنورتها القصيرة بقوة، وهي تنظر إلى نفسها في المرآة، ثم تابعت طريقها .

"هيا يا سكر، دعنا نذهب إلى الخلف. لابد أن أغسل لك شعرك أولاً" .

" بالتأكيد، أشكرك، أندريا" .

نظرت إليه من فوق كتفها، وهي تمنحه أفضل ابتسامة لها، وقد شعرت برعشة وهو يلفظ اسمها .

سأل مايك:" ماذا كان يفعل هناك؟" . حالما شاهد ريتشارد غادر الصالون كان لدى مايك ميول إلى التحديق باتجاه الصالون كلما توفر له الوقت، فقط لكي يعرف ما الذي كانت تفعله جولي في تلك اللحظة- أسرع إلى هناك، وفرحت جولي لملاقاته.

" جاء ليقص شعره" .

"لماذا؟" .

"حسناً، هذا عملنا في الصالون" .

نظر أليها بصبر نافذ، وتابعت هي كلامها ." أوه، لا تضخم الأمر، لم أتحدث أليه. أندريا من قصت له شعره، ولست أنا" .

" ولكنه طلب منك أنت أن قص شعره، صحيح؟ بالرغم أنك لم تلبي رغبته؟" .

" لا أفكر بذلك، لكنني أظن بأنه تولد عنده انطباع جعله يتفهم بأنني لا افضل رؤيته بعد ذلك، حتى أثناء العمل، لم أقصد قول هذا، لكنني متأكدة أن الرسالة وصلته" .

قال:"حسناً.. جيد". صمت قليلاً ثم قال:" هو يدرك بأنك - كما تعلمين- شاهدني هنا، صحيح؟".

بدلاً من أن تجيبه، أمسكت بيده وقالت :" تعلم أنك تبدو ذكياً عندما تظهر أنك غيور".

" لست غيوراً".

" بالطبع أنت غيور، ولكن لا تقلق، أعتقد أنك تبدو ذكياً طوال الوقت، هل أراك الليلة؟".

لأول مرة منذ تعقب أثر ريتشارد، أحسّ مايك بالاسترخاء قليلاً وقال :" سأكون هناك".

عندما عادت جولي إلى العمل بعد بضع دقائق، كانت أندريا منهمكة بعملها، بالرغم أن وجهها تورّد عندما رأت جولي، كونها برفقة ريتشارد، كانت تلك المرة الأولى التي ترى فيها جولي أندريا مرتبكة بصحبة رجل، أندريا تستحق شخصاً ما يوليها اهتمامه، بالرغم أنها لم تستطع أن تتصورها متعلقة بشخص ما لفترة طويلة، انتاب جولي شك غريب أن أندريا ستشعر بالسأم بسرعة.

بعد مرور خمس دقائق أنهت جولي عملها وبدأت ترتب أغراضها. كانت أندريا قد أنهت عملها منذ نصف ساعة وغادرت. أما مابل فكانت تنظف الأرض في الخلف.

بينما اهتمت جولي بقسم الاستقبال، لاحظت وجود نظارات على طاولة الحساب، بالقرب من أصيص أزهار.

تذكرت في الحال أن النظارات لريتشارد، ولثانية فكرت في أن تتصل به وتعلمه بوجودهما، لكنها قررت بعد ذلك أن لا تتصل. وأن تقوم مايل أو أندريا بهذه المهمة .

هذه الطريقة أفضل.

اتجهت جولي إلى مخزن البقالة لتشتري بعض الحاجيات اللازمة للغداء وبينما كانت تمشي قبالة الباب سمعت صوت رنين هاتفها..وضعت حقيبة البقالة على الطاولة وأجابت،"مرحباً؟".

قال ريتشارد "مرحباً جولي "، كانت نبرته ودودة ولامبالية، وكأنه يتكلم يومياً على الهاتف،" لم أكن متأكداً أنني سأراك في الصالون، لكنني شعرت بالسعادة لرؤيتك. لم أستطع التحدث معك اليوم".

أغلقت جولي عينيها وهي تفكر ،ليس ثانية، ما حصل مسبقاً كان كافياً.

قالت بفتور:" مرحباً، ريتشارد".

" كيف حالك؟".

" أنا بخير، أشكرك".

بعد أن سمع نبرتها، صمت قليلاً." ربما تتساءلين عن سبب اتصالي بك".

قالت:" شيء من هذا القبيل".

"حسناً، كنت أتساءل إن كنت صادفت في طريقك مظارات، أظن أنني نسيتها في الصالون.

"بلى، إنها هناك، تركتها على المقعد، بإمكانك أن تأخذها يوم الاثنين".

" ألا تفتحي المحل يوم السبت؟"..

" لا، حسب رأي مايل لا ينبغي على الناس العمل خلال نهايات الأسبوع".

"أوه". صمت ثم قال: "حسناً، كيف سأخرج من البلدة، وأظن أنه من الأفضل إحضار النظارات قبل أن أذهب، هل يمكنك ترك باب منزلك مفتوحاً الليلة؟ لن آخذ من وقتك سوى بضع دقائق. حالما أحضر النظارات سأخرج فوراً".

أبقت جولي السماعة على أذنها دون أن تجيب، وهي تفكر بنفسها، إنك تتصرف مثل الصغار أعرف أنك تركت النظارات لكي تجد مبرراً للاتصال بي.

"جولي؟ أنت معي؟".

زفرت، وهي تدرك بأنه يسمعها، لكنها لم تهتم لأمره، قالت بنبرة تخلو من أي تعاطف أو لطف "أعتقد أن هذا يكفي، أوكي؟ أعرف ماذا تفعل، وقد حاولت مراراً أن أعاملك بلطف لكن أظن أن الوقت حان كي أضع حداً لهذه المهزلة، أوكي؟".

"عمّاذا تتحدثين؟ أريد نظاراتي فقط".

"ريتشارد. أنا جادة. إنني أقابل شخصاً آخر الآن. انتهى كل شيء بيننا بإمكانك إحضار النظارات يوم الإثنين".

"جولي..... انتظري....".

قطعت الاتصال.

الفصل الثالث والعشرون

بعد مرور ساعة، فتح مايك الباب الأمامي لمنزل جولي ودسَّ رأسه إلى الداخل. ناداها : "هيه، أنا هنا" .

كانت جولي في الحمام تنشف شعرها بالسيشوار، وحالما سمع سنغر صوت مايك،هرول إلى الخارج لكي يلقي عليه التحية. ناداه مايك."إنك مخلوق مهذب؟" . سمع صوت السيشوار.

أجابت جولي من الداخل:"ياه، ادخل" .

مشى مايك من خلال غرفة النوم واختلس النظر إلى باب الحمام."هل استحمت؟" .

"أجل. كنت أشعر أن مظهري ليس على ما يرام". فصلت شريط السيشوار ووضعته في الخزانة.

"أمضيت يوماً حافلاً بالعمل، لذلك أشعر وكأنني مغطاة بشعر الزبائن. سأجهز نفسي خلال بضع دقائق".

"هل تمانعين إن بقيت هنا؟".

"لا على الإطلاق".

استند مايك على الطاولة بينما تضع جولي مكياجها، وكان يراقبها وهي تضع اللمسات الخفيفة على عينها.

بعد ذلك مشطت رموشها بالمسكرا، حيث بدأت بالأهداب العلوية أولاً ثم انتقلت إلى الأهداب السفلية، وكانت متكئة نحو المرآة وهي تقوم بعملها.

فكر مايك وهو يراقبها، هنالك شيء ما مغرٍ في المرأة وهي تضع مكياجها، شيء ما يعبر عن رغبتها بأن تكون جذابة، لاحظ الاختلافات الرقيقة التي ظهرت على عينيها. لأنهما كانا في الداخل، فإن إحساساً غريباً تولد في داخله في تلك الأمسية، فكرة الشهوة الجنسية اجتاحته دون أن يفكر بذلك أدرك بأنه واقع في غرام جولي. بدا ذلك واضحاً من خلال آخر أسبوعين أمضاهما معاً، مشاعره كانت مختلفة عن المشاعر التي كانت تنتابه قبل أن يبدأا لقاءاتهما، لم تعد جولي مجرد وهم، إنها حقيقة، حقيقة لم يستطع أن يتخيل العيش دونها، لقد شبك مايك ذراعيه فوق بعضهما، وكأنه يحاول إنعاش ذاكرته وإقناع نفسه بأن كل ما كان يطمح إليه بات وشيك المنال.

لبست قرطين في أذنيها، وهي تبتسم ابتسامة خفيفة، مستغربة من سبب المتعة التي وجدها مايك أثناء مراقبتها،ومع ذلك أحسَّت بالدفء نتيجة هذا الاهتمام. أمسكت بزجاجة العطر ووضعت القليل منه على رقبتها ومعصميها، ثم فركتهما معاً، لكنها هذه المرة انتبهت إليه وهو يمعن النظر فيها. سألته: "هكذا أفضل؟".

قال: " تبدين فاتنة الجمال. كما أنت دائماً" .

وهي في طريقها للخروج لامس جسدها صدر مايك، الذي لحق بها، وعيناه مترنحتان نحو وركيها اللذين كانا يتمايلان والانحناء الرقيق في مؤخرتها. بدت في غاية الجمال والرشاقة وهي تمشي حافية القدمين وترتدي بنطالها الجينز، بالرغم أن مايك عرف بأنها تتصرف بشكل لا يختلف عما عرفها كعادتها.

قالت: "أعتقد أننا سنشوي شرائح اللحم الليلة. هل يناسبك هذا؟" .

"يناسبني جداً، لكنني لا أشعر بالجوع بعد، تناولت غدائي في وقت متأخر في الكراج. لكن كأساً من البيرة جيد في هذا الوقت" .

أحضرت جولي زجاجة النبيذ من الخزانة. عندما نهضت على رؤوس أصابعها، ارتفعت بلوزتها كفاية بحيث كشفت عن بطنها، فاستدار مايك بعيداً، مجبراً نفسه على التفكير بلعبة البيسبول بعد لحظة وقفت قبالته، ممسكة بالكأس الذي سكب منه مايك الخمرة،ثم أمسك الزجاجة وأخذ رشفة طويلة. ثم أخذ رشفة أخرى.

سألته:"هل ترغب بالجلوس قليلاً في الخارج؟" .

"بالتأكيد" .

خرجا إلى الشرفة، وفتحت جولي الباب لكي تسمح لـ سنغر بالخروج إلى الباحة. كانت تلبس بلوزة بلا أكمام، لاحظ مايك بروز دقيق لعضلات ذراعها العلوية وانتفاخ صدرها ولم يكن في وسعه إلا أن يتخيل صورتها وهي عارية.

أغلق عينيه وأخذ نفساً عميقاً. وقال في نفسه:"رباه، ساعدني كي لا أجعل من نفسي أبلهَ" .

أخذ رشفة طويلة أخرى، كاد أن ينهي ما تبقى في الزجاجة.

فكر مايك يا لهذا الجحميم الذي سيعانيه في هذه الليلة الطويلة!.

لم تجري الأمور بشكل سيء على نحو ما توقع. كالمعتاد، انشغلا في حديث مرح بينما كانت نسائم الليل تلسعهما، تحمس بعد انقضاء ساعة وجهز المشواة لشوي شرائح اللحم بينما انطلقت جولي إلى الداخل لكي تعد الصلصة.

هنالك في المطبخ بدأت جولي تفكر بأن مظهر مايك يدل على أنه يعاني من شبق عاطفي عميق، وكأنه صار له منعزلاً على جزيرة مقفرة لعدة سنين. الشاب المسكين صار له يحدق إليها طوال الليل، وبالرغم أنه حاول أن يأخذ حذره منها، لكنها عرفت تماماً بماذا كان يدور في ذهنه، لأنها بصراحة كانت تفكر بالشيء نفسه. كانت يداها متعرقتين، ولم تكد تستطيع الإمساك بالخضراوات.

قطعت الخيار والبندورة ووضعتهما في إناء، ثم جلست إلى الطاولة وأمامها الأواني الخزفية والفضية رجعت قليلاً إلى الخلف، فأدركت أن هنالك شيئاً ما ناقصاً. أحضرت شمعتين ووضعتهما في الوسط وأضاءتهما بعد أن أطفأت الضوء، أومأت لنفسها وهي تشعر بالرضا.

ذهبت إلى غرفة الجلوس وأدخلت CD (إيلا فيتزجيرلاد) في الجهاز. ثم وضعت الخمر على الطاولة في الوقت الذي دخل فيه مايك ممسكاً بشرائح اللحم المشوية. توقف عند الباب عندما رآها تفعل ذلك.

سألته:"هل يعجبك هذا؟".

لاحظت أنه كان يحدق إليها بشكل مباشر، وظلا لفترة طويلة يتبادلان النظرات أخيراً، أشاح مايك بنظره بعيداً ووضع شرائح اللحم المشوية على

الطاولة. وبدلاً من أن يجلس اتجه نحو جولي التي أحست بانقباض في معدتها. فكرت جولي في نفسها، "أوه يا سيدي، هل أنا مستعدة للقيام بهذا؟".

وقف مايك أمامها، وضع يده على وجهها، وكأنه يطلب الإذن بالاستمرار بالمغازلة.

كانت الموسيقا تصدح برقة في الجانب الآخر، ورائحة الطعام تعبق في المطبخ الصغير.

بشكل غامض كانت جولي واعية لما يدور حولها. بدا مايك يشغل أجواء الغرفة بأكملها. في تلك اللحظة أدركت جولي أنها وقعت في حبه.

حدق مايك إليها وكأنه يقرأ أفكارها، وجولي استسلمت له. ضغطت بوجهها على يده، وهي تطبق عينيها لكي تشعر بلمسته. اقترب مايك منها حتى استطاعت أن تشعر بلمسة صدره على صدرها وبقوة ذراعيه اللتين طوقها بهما.

بعد ذلك قبّلها مايك. كانت قبلة ناعمة، مثل حركة نسمة الهواء تحت جناحي الطائر الطنان، ومع ذلك استمرا في تقبيل بعضهما عدة مرات، بدا هذا أكثر واقعية من السابق. قبلها ثانية، وعندما تلاقى لساناهما، عانقته جولي وقد تأكدت أن سنوات صداقتهما الطويلة قادتهما إلى هذه اللحظة.

عندما ابتعدا عن بعضهما، أمسك مايك بيدها، وأخذها إلى غرفة النوم. يتبادلان القبل ثانية بينما كان مايك يفك أزرار بلوزتها. أحست بأصابعه تلامس جسدها ثم شعرت بيده تتحرك نحو بنطالها الجينز.

طبع قبلةً على عنقها، ودس يديه في شعرها.

همس لها: "أحبك".

بدت الغرفة فارغة من كل شيء إلى من ظلال وأصداء كلمات مايك. تنهدت جولي.

قالت جولي، وهي تحس بأنفاسه فوق جسدها :"أوه مايك. أحبك أيضاً" .

❖❖❖

مارسا الحب، وبالرغم أنه لم يكن مربكاً بالنسبة لهما كما خشيت جولي، فهما لم يلهبا عواطفهما إلى الحد الأقصى. والأهم من كل شيء أن مايك كان لديه رغبة بأن يدخل السعادة إلى قلب جولي التي بدورها أرادت أن تسعد مايك وكانت هنالك طريقة فكر بها كلاهما لكي يستمتعا ببساطة بما يجري بعد أن انتهيا، استلقيا في السرير بجانب بعضهما، وهما يتنفسان بصعوبة، ويحدقان إلى السقف، وكل من هما تراوده الأفكار ذاتها، إنني حقاً لم أمتلك زمام السيطرة على نفسي. آمل أن لا تكون جولي (يكون مايك) قد لاحظت (لاحظ) ذلك.

خلافاً لبعض الأزواج، شعرا بالارتياح، وأحسا أن مشاعرهما مازالت متدفقة، لكن المشاعر الحماسية الأولية استبدلت الآن بمشاعر الحنان. من جديد، اعترف مايك بحبه لـ جولي وكرر الكلمات ذاتها. بعد مرور ساعة، عندما مارسا الحب للمرة الثانية، انتهى الأمر.

دقت الساعة منتصف الليل وهما لا يزالان في السرير. كانت جولي تراقب مايك وهو يقوم بحركات دائرية يرسمها حول بطنها بأصابعه. عندما لم تستطع أن تقاوم بعد حركاته، تلوت وضحكت، وهي تمسك بيده لمنعه من الاستمرار.

قالت باحتجاج:"إنك تدغدغني" .

قبّل يدها ونظر إليها. "بالمناسبة، كنت رائعة" .

"أوه، هل انحدرنا إلى ذلك المستوى الآن؟ وكأنني امرأة مختلفة الآن وأنت

بدورك هل تحاول أن تعزز الأنا لدي بحيث لا تشعر بالذنب لأنك استفدت مني؟".

"لا، إنني أعني بالفعل ما أقول. كنت رائعة. أفضل ما رأيت منك كان الليلة. لم أعرف أبداً أن الأمر سيؤول إلى هذا الحد".

ضحكت. "إنها الكليشات، الكليشات المعروفة".

"أنت لا تصدقينني؟".

"بالطبع أصدقك. كنت رائعة. الأفضل الليلة. لم تعرف أبداً......".

حدق إليها مايك وهو يدغدغها قبل أن تتمكن من إنهاء عبارتها، فصرخت جولي، وتملصت من قبضته. بعد ذلك استلقى مايك على مرفقيه.

قال:"بالمناسبة أنا لم استفد منك".

استدارت جولي إلى الجانب الآخر ليتسنى لها رؤيته بشكل أفضل، ثم شدت الملاءة بعنف:"أوه، حقاً؟ كل ما أعرفه أنني كنت أستعد لتناول العشاء في تلك الدقيقة، لكنني وجدت في الدقيقة التالية ملابسي تتطاير في كل أرجاء غرفة النوم".

"كنت مغرياً، أليس كذلك؟".

مررت أصبعها فوق خده وقالت:"كنت مغرياً للغاية. كما تعلم إنني أحبك".

"أجل، أعرف".

أبعدته جانباً وقالت:" كنت أحاول إحداث تغيير ما في علاقتنا. وهذا أقل ما يمكنك فعله".

"ثانية؟ كم مرة تريدين مني أن أقول لك أحبك؟".

"كم مرة تريد أنت أن تقولها؟".

نظر إليها مايك، ثم أمسك بيدها ثانية وقبل أطراف أصابعها وقال:"لو كان الأمر يعود إلي، أود أن أعبر لك عن حبي كل يوم حتى آخر لحظة في حياتي".

"أوه، يا له من كلام مؤثر!".

"حسناً، بما أنك تحبني إلى هذه الدرجة، هلا تسمح بأن تنهض لنتناول شيئاً ما؟ إنني أتضور جوعاً".

"بالتأكيد".

انحنى لكي يرتدي سرواله، في حين بدأ الهاتف يرن على الطاولة التي بجانبه.

رن مرة مرتين. في الرنة الثالثة أجاب مايك.

"مرحباً؟ مرحباً؟"

أغلقت جولي عينيها متمنيةً أن لا يضيف أية كلمة أخرى.

"مرحباً؟".

أغلق السماعة وقال :" ما من مجيب. أعتقد أن المتصل أخطأ في الرقم".

حدق إليها وقال:"هل أنت بخير؟".

أجبرت نفسها على الابتسام وقالت:"أجل، إنني بخير".

رن الهاتف ثانية، في هذه المرة، حدق إليها مايك بحيرة قبل أن يجيب.

أيضاً لم يجب أحد.

شبكت ذراعيها بالرغم أنها حاول إقناع نفسها بأنه قد أخطأ حقاً في الرقم، لكنها لم تستطع أن تتفادى إحساساً غريباً انتابها، إحساس يشبه ذلك الذي تولد بداخلها عندما كانت تزور قبر جيم.

شعرت بأن شخصاً ما كان يراقبها.

الفصل الرابع والعشرين

بدأت التغييرات في حياة جولي في تلك الليلة. معظم التغييرات التي طرأت كانت مدهشة. أمضى مايك يوم السبت بصحبة جولي ومارسا الحب في الصباح ومرة أخرى قبل أن يخلدا إلى النوم. يوم الأحد، ذهبت برفقة مايك إلى سوق تجاري في جاكسونفيل واشترت بدلة سباحة جديدة، بالإضافة إلى بعض القمصان والأحذية الصيفية. عندما جربت ملابس السباحة لكي تريها لـ مايك بعد عودتها إلى المنزل، حدق إليها مايك بعينين حائرتين، ثم انطلق من على الأريكة لكي يطاردها. ركضت في المنزل، وهي تضحك وتصرخ قبل أن يمسك مايك بها في غرفة النوم. متشقلباً على

السرير وهما يقهقهان، إلى أن دفنا نفسيهما داخل الملاءات بعد مرور دقائق.

باستثناء كونهما أصبحا عاريين، كانت جولي مندهشة - وشاكرة - أن ممارستهما الحب لم يغير من الصداقة التي جمعتهما سنين طويلة. إذ لا يزال مايك يمازحها، ويدخل الفرح إلى قلبها، وهي لا تزال تغيظه بتصرفاتها، ومايك لا يزال يمسك بيدها إذا كانا يشاهدان فيلماً وهما جالسان على الأريكة.

بالرغم أنها حاولت قدر الإمكان أن تتجاهل ما حدث في ذلك الأسبوع بخصوص المكالمات التي وصلتها، وبذلت جهداً لكي تمنع نفسها في التفكير بالموضوع، لكن ذلك حدث بلا جدوى. ليلة الجمعة جاءتها مكالمتان في وقت متأخر. يوم السبت، وصلتها أيضاً مكالمتان. يوم الأحد رن الهاتف أربع مرات، ويوم الاثنين خمس مرات، ولكن في ذلك اليومين، خرج مايك من المنزل لحظة لكي يعطيها فرصة لترد على الهاتف بحرية. يوم الثلاثاء، بعد أن ذهبت إلى فراشها - وعاد مايك إلى منزله - رن الهاتف أربع مرات قبل أن تفصله أخيراً. ويوم الأربعاء، عندما دخلت المطبخ بعد يوم حافل بالعمل، لاحظت أن جهاز تسجيل المكالمات ممتلئ، تذكرت أن تنقر زر المكاملة الأولى، ثم قرأت الرسالة التالية، ثم الرسالة التي تليها. هكذا إلى أن قرأت كل الرسائل والمكالمات. أظهر المسجل توقيت المكالمات، كانت المكالمات متعاقبة زمنياً. لدى قراءتها الرسالة الرابعة، تسارعت أنفاسها،

وعند الرسالة التاسعة، بدأت عينها تمتلئان دموعاً. وعندما رأت الرسالة الثانية عشرة ضغطت زر الحذف بسرعة تقريباً التي ضغطت بها زر الاستقبال، وفي محاولة مسعورة لإيقاف ما يحدث.

بعد أن انتهت من قراءة المكالمات، جلست إلى الطاولة

عشرون مكالمة كانت قد سجلت على جهاز سجل مكالماتها، وكل منها دامت دقيقتين. في كل المكالمات لم يقل المتصل أية كلمة.

وفي يومي الخميس والجمعة لم تظهر مكالمات على الإطلاق.

الفصل الخامس والعشرين

يوم السبت قالت إيما : " أشعر أن كل الأمور تسير على أحسن ما يرام" .

في وقت مبكر من ذلك اليوم، تقابل مايك وجولي مع هنري وإيما على قارب في جزيرة هادكر. وضعوا في القارب مبردات من الأطعمة والبيرة، وواقي شمس ومناشف وقبعات وقطع من الثلج، وترس صيد يكفي لاصطياد أي مخلوق يعبر من مؤخرة السفينة.

عند منتصف الصباح، بالقرب من نقطة مراقبة الجزيرة، وقف هنري ومايك بجانب بعضهما، يحملان بكرات الصيد، وقد انشغلا في حملة تنافسية بدت مثل تنافس الصبيان. في كل حين كان أحدهما يصطاد

سمكة، يتناول بعد ذلك زجاجة البيرة ويعطيها للآخر. كان أحد الأحواض قد امتلأ بالسمك بما يكفي لإطعام جيش يتهادى من الفقمات التي تتضور جوعاً، وكان كلاهما قد خلعا قمصانهما التي انتقعت بالبيرة وعلقاهما على السياج لكي يجففهما. كانت إيما وجولي جالستين على كرسيين صغيرين بالقرب من صخرة صغيرة في المركب، وتتصرفان بأسلوب أكثر نضجاً من رفيقيهما. عكست الشمس أشعتها عليهما بشكل مباشر. لأن الصيف لم يحل بعد، كان من الممكن تحمل الرطوبة، بالرغم أن زجاجتي البيرة كانت رطبتين.

قالت جولي موافقة إيما الرأي:"حقاً الطقس رائع في الواقع. ما حدث هذا الأسبوع الأخير جعلني أتساءل عن السبب الذي يثير الخوف في نفسي طوال الوقت".

الطريقة التي تكلمت بها جولي جعلت إيما تلتزم الصمت قليلاً.

"لكن؟".

"لكن ماذا؟".

"هنالِك شيء ما يزعجك، أليس كذلك؟".

"هل يبدو ذلك واضحاً عليّ؟".

"لا، ولكن ليست هنالك حاجة لأن يكون واضحاً. أعرفك منذ وقت طويل بحيث أستطيع أن أفهمك بشكل جيد .إذاً ما الأمر؟ هل الأمر يتعلق بـ مايك؟".

"لا. لا على الإطلاق".

"هل تحبينه؟".

"أجل،أحبه".

"إذاً ما الأمر؟".

وضعت جولي البيرة على الرف. "منذ فترة أتلقى مؤخراً بعض المكالمات الغريبة".

"من المتصل؟".

"لا أعرف. يرن الهاتف ولكن ما من مجيب".

"هل يصدر عن المتصل أنفاساً عميقة؟".

"لا، ليس هنالك شيء من هذا القبيل. ليست هنالك أية أصوات".

"ولا تعرفين من أين يأتي مصدر الاتصالات؟".

"لا. عندما اتصلت بمركز ستار 69، قالوا لي بأن الرقم خاص، لذلك اتصلت بشركة الاتصالات. كل ما استطاعوا إخباري به هو أن الاتصالات تأتي من هاتف خليوي. لكن الرقم لم يسجل عندهم، لذلك لم يستطيعوا تعقب أثره".

"كيف يحدث هذا؟".

"ليست لدي أية فكرة. شرحوا لي الأمر هكذا، لكنني في الواقع لم أصغ إليهم. بعد أن أخبروني بأنهم عاجزون عن مساعدتي، أصبت بالإحباط".

"هل لديك أية فكرة من احتمال من يكون المتصل؟".

استدارت جولي وهي تراقب مايك بينما كان يلقي بصنارته ثانية: "أعتقد أنه ربما يكون ريتشارد. لا أستطيع إثبات ذلك، ولكنه مجرد إحساس".

"لماذا؟".

"التوقيت على ما أظن. أقصد، لا أستطيع أن أتوقع أي شخص آخر غيره. لم أقابل أي شخص جديد سواه و..... لا أعرف....... أظن أنه

الوحيد الذي يقوم بعمل كهذا. ما جعلني أشك فيه الأسلوب الذي تصرف به عندما أخبرته بأن العلاقة التي بيننا انتهت، والطريقة التي يقحم بها نفسه في حياتي".

"ماذا تقصدين؟".

"إنها مجرد مسائل بسيطة. اصطدمت به في مخزن البقالة، بعد ذلك جاء إلى الصالون لكي يقص شعره. وكلما تقابلنا، كان يحاول إيجاد طريقة حتى تتوفر له الفرصة المناسبة للقائي مرة أخرى".

حدقت إليها إيما: "ما رأي مايك بذلك؟".

"لا أعرف. لم أخبره بعد".

"لماذا؟".

هزت جولي كتفيها: "ماذا سيفعل إن علم بالأمر؟ هل سيلاحق الشاب؟ كما أخبرتك، لست متأكدة تماماً أن المتصل هو ريتشارد".

"حسناً، كم عدد المكالمات؟".

أغلقت جولي عينيها فجأة. "يوم الأربعاء، كان هنالك عشرون رسالة على المسجل".

نهضت إيما. "أوه، يا إلهي. هل أخبرت الشرطة؟".

قالت جولي: "لا. منذ فترة قصيرة أدركت خطورة ما يحدث. كنت آمل أن يكون المتصل قد أخطأ بالرقم، أو أن خطأ ما حدث في شركة الاتصالات. كنت أتمنى أن ينتهي الأمر بأقصى سرعة. وربما يكون بالفعل قد انتهى. خلال اليومين الأخيرين لم يرن هاتفي على الإطلاق".

أمسكت إيما بيد جولي: "أناس كهؤلاء لا يتوقفون عن القيام بتصرفات كهذه. تقرئين عن هذا النوع من الهراء في الجرائد طوال الوقت: صديق ما يتجول ويحاول اقتفاء أثر فريسته. ألا تدركين هذا الأمر؟".

"بالطبع أدرك. وفكرت به. ولكن ماذا هل أخبر البوليس؟ لا أستطيع أن أثبت أن ريتشارد هو المتصل، وكذلك شركة الاتصالات لا يمكنها إثبات هذا. هو لم يهددني. لم ألمح سيارته بالقرب من شارعي أو بالقرب من الصالون، لم يتصرف بشكل غير مهذب عندما كنا نلتقي، وحتى خلال لقاءاتنا، كان الناس يحيطون بنا من كل جانب، إن أخبرت عنه سينكر كل ذلك".

شرحت التفاصيل مثل محام يلخص قضية ما. أضافت:"بالإضافة، كما أخبرتك مسبقاً، لست متأكدة أنه هو. ربما يكون شخص ما لا أعرفه من قبل".

أمعنت إيما النظر فيها قبل أن تمسك يدها، وتضغط عليها:"ولكنك متأكدة أن المتصل هو ريتشارد 99٪".

بعد لحظة أومأت جولي برأسها.

"ما من اتصالات جاءتك ليلة أمس؟ أو الليلة التي سبقتها؟ عندما كان مايك هناك؟".

"لا. كان الجو هادئاً. أظن أنه توقف عن اتصالاته".

تجهمت إيما وهي تفكر بالموضوع.

"أم أنه رغب بأن يوهمك بأنه توقف عن اتصالاته؟".

لم تقل تلك العبارة. قالت بدلاً من ذلك:"غريب! إنه لأمر مثير للذعر. هذا الموضوع يقشعر له بدني".

"وأنا أيضاً".

"إذاً ماذا ستفعلين؟".

هزت جولي رأسها:"ليست لدي أية فكرة".

بعد مرور ساعة، كانت جولي واقفة في مقدمة السفينة عندما أحست بذراعي مايك تطوقانها وأنفه يفرك رقبتها. مالت نحو قبضته، وقد شعرت بارتياح غريب وهو يقف إلى جانبها.

قالت:"هيه".

"مرحباً. يبدو أنك تشعرين بالوحدة هنا".

"لا. إنني أستمتع فقط بالنسمات. تضايقت قليلاً من حرارة الشمس".

"وأنا أيضاً. أظن أن أشعة الشمس أحرقتني. لا بد أن البيرة أزالت واقي الشمس".

"إذاً هل ربحت السباق في الصيد؟".

"لا أريد أن أتفاخر بنفسي، ولكن لنقل أنه تعرض أكثر لأشعة الشمس".

ابتسمت، وقالت: "إذاً ماذا يفعل هنري الآن؟".

"ربما يكون مكشراً".

نظرت خلفها. كان هنري مستنداً إلى جانب واحد وبيده علبة البيرة، الممتلئة بماء البحر. عندما انتبه إلى جولي تنظر إليه، وقف واضعاً إصبعه فوق شفتيه، متوسلاً إليها أن تلتزم الصمت.

سألت جولي:"إذاً، هل أنت مستعد الليلة؟ للذهاب إلى الكليبر؟".

"أجل. أعرف معظم الأغاني بشكل مسبق".

"ماذا ستلبس؟".

"ربما علي أن ألبس الجينز هذه المرة. أعتقد أنني تقدمت في العمر ولا ينبغي ارتداء ملابس كالصبيان".

"وهل أدركت هذا الآن؟".

"أحياناً تستغرق هذه الأمور فترة حتى ندركها".

استندت عليه:"مثل الأمور التي تتعلق بي؟".

"أجل، مثل الأمور المتعلقة بك إيضاً".

على مسافة بعيدة، كانت القوارب المنسقة تلقي مراسيها بالقرب من شاطئ في كيب لوك أوت في أول عطلة دافئة من نهاية الأسبوع لهذا العام. كان الشاطئ مزدحماً بالعائلات. الأولاد يتراشقون بالماء ويلعبون، والآباء ممدين على المناشف. خلف ذلك الحشد، ارتفعت المنارة مسافة ثمانين قدماً، وتألقت بلونها الأبيض مع الماسات سوداء، فبدت مثل رقعة لعبة الداما المنتصبة بشكل قائم.

قال مايك وهي يصفها:"تبدين هادئة اليوم".

"إنني مستغرقة في التفكير"

"هل تفكرين بشيء ما قالته لك إيما؟".

"لا. شيء معاكس تماماً. أفكر بما قلته أنا لها".

استطاع مايك أن يشعر بخصلات شعرها تلامس وجهه."هل ترغبين ب التحدث بالموضوع".

أخذت جولي نفساً عميقاً قبل أن تستعيد ما قالته لـ إيما. بينما كان يصغي إليها، تغيرت التعابير المرسومة على وجه مايك من الاضطراب إلى الشعور بالاهتمام، ثم تحولت أخيراً إلى مشاعر غضب بعد أن انتهت، أمسك بيدها وضمها إليه.

"إذاً تعتقدين أن كان هو المتصل عندما أجبت على الهاتف في تلك الليلة؟".

"لا أعرف".

"لماذا لم تخبريني بالأمر من قبل؟".

"لم يكن هنالك أي أمر أخبرك به. بكل الأحوال حدث هذا من يومين".

أشاح مايك بنظره بعيداً وهو عابس الوجه، ثم عاود النظر إلى جولي.

"حسناً، عندما يحدث هذا ثانية، سأضع حداً له".

كانت جولي تتفحصه بإمعان، بعد ذلك رسمت ببطء ابتسامةً.

"إن عينيك تشعان ثانية بنظرة مغرية".

"لا تحاولي تغيير الموضوع. إنه أمر خطير. هل تذكرين الحديث الذي دار بيننا في مطعم تيزي؟".

قالت بصوت واضح:"أجل أتذكر. إنها الطريقة التي استعملها عندما أتضايق. أحاول أن أتعامل مع الأمور بأسلوب هزلي. إنها العادة القديمة كما تعلم، أليس كذلك؟".

بعد لحظة طويلة، طوقها مايك بذراعيه ثانية وقال:"لا تقلقي. لن أسمح لأي مخلوق بأن يضايقك".

لم تكن وجبة الغداء رسمية - إنها عبارة عن سندويشات وشيبس ومعلبات من صلصة البطاطا - بعد أن أفرغت جولي ما في جعبتها لـ مايك وإيما، وبعد أن ملأت معدتها، أحست بالتحسن قليلاً. شعرت بأنهما يؤازرانها لأنهما تعاملا مع المسألة بالجدية ذاتها التي تعاملت معها.

حتى أنها بدأت تسترخي وتسمح لنفسها بمشاركتهما الضحك. بالرغم أنها لاحظت من خلال تعابير وجه مايك أنه لم ينس ما قالته، لكن مايك هو مايك، استطاع أن يبقى جاداً لفترة طويلة، ولاسيما عندما كان هنري يشجعه على متابعة الحديث. في لحظة ما، قدم هنري البيرة التي عبأها بماء البحر لـ مايك الذي أخذ رشفة منها قبل أن يختنق باللقمة ويرميها بعيداً. زمجر هنري، وأخذت إيما تضحك، وبعد أن مسح مايك ذقنه،

شاركهما الضحك. لكنه لم ينس الأمر فيما بعد أخذ علبة البهار ورش على أحدى سندويشات هنري.

تلون هنري وهو يسد جوعه، ثم رمى بالسندويشة إلى مايك الذي ثأر لنفسه وأخذ ملعقة من صلصة البطاطا ودسها بفم أخيه.

في هذه الأثناء كانت إيما مستندة على جولي. همست في أذن جوي: "يا لهما من أبلهين! تذكري دائماً أن الرجال بلهاء".

بسبب انشغالها بالتفكير في تلك المكالمات، شربت جولي على غير عادتها أكثر من علبة بيرة. كان ذلك حسب اعتقادها ما هي بحاجة إليه بالضبط، وبمنطق غامض حاولت إبعاد المخاوف عن ذهنها.

ربما كانت اتصالات ريتشارد ترجمة لنوبة غضب مزاجية. ربما أحس بالجنون بسبب الطريقة التي خاطبته بها عندما اتصل بها ليسأل عن نظارته. تذكرت أنها عاملته بقسوة بما فيه الكفاية. ربما لم يستطع أن يتحمل لهجتها في مخاطبته على ذلك المنوال. ولكن لأنه لم يحضر ليأخذ نظارته من الصالون، ظنت جولي بأن لديها الحق في أن تشك بأن الأمر برمته مخطط له مسبقاً ومحاولة منه لكي يجد فرصة مواتية لكي يقابلها ثانية. المكالمات كانت الطريقة التي استعملها لكي تشعر بأنه متضايق لأن خطته لم تؤت ثمارها المرجوة.

تذكر ثانية أن المكالمات توقفت منذ يومين. ليست بالفترة الطويلة، لكن المكالمات لم تستمر لوقت طويل كما كانت في السابق. ربما انتهى الأمر، فكرت جولي، وكأنها تحاول استعادة الثقة بنفسها بالرغم مما كانت تفكر به إيما، تعاملت جولي مع المسألة بجدية. باختصار، كونها لا تملك منزلاً مثل أي مراهقة، جعلها هذا تشعر بالجنون. ولكن لا ينبغي عليها القيام

بأي تصرف أحمق قبل أن تتأكد من مصدر المكالمات: لم تعد تتمشى مساءً وحدها في وقت متأخر، أغلقت الأبواب جميعها، وأدخلت سنغر معها إلى غرفة النوم في الليالي التي لم يتواجد فيها مايك في منزلها. تصرفت بحرص. شبكت جولي ذراعيها وأصغت إلى خرير المياه وهي تندفع من تحت مقدمة القارب.

لا، لن تسوء الأمور أكثر من ذلك، فكرت جولي. ليست هنالك فرصة على الإطلاق. عند منتصف الظهيرة، أدخلت إيما CD لـ جيمي بافيت وصدحت الموسيقا عالياً، رفعوا المرساة وعبروا كيب لو آوت وهم عائدون من جزيرة هاركر. كان القارب يسير على إيقاع متواتر مع انتفاخات لطيفة، وكانت إيما جالسة قرب هنري الذي يقود الدفة وقضم أذنه بشكل عرضي.

كان مايك ينظف مؤخرة السفينة، ويضع حبال الشارعة خلفاً داخل الصندوق ويتأكد من سلامة البكرات. وقفت جولي ثانية بالقرب من مقدمة السفينة، والرياح تتلاعب بشعرها مثل مايك، أحرقت الشمس جسدها قليلاً، وبدت بشرة كتفيها ناعمة الملمس. هكذا بدأت تضع واقي الشمس على أجزاء مختلفة من جسدها. قمة أذنها اليسرى، جبهتها بالقرب من مستى الشعر، الانحناء على طول فخذها، وعلى عظم الساق. فكرت جولي كيف استطاعت الشمس أن تجد طريقها إلى هذه النواحي من جسدها وتنتقم منها. إنني أبدو مثل مهد وردي فقط.

بالرغم أن الطقس لا يزال رائعاً لكن حان موعد العودة إلى المنزل. واجه كل من إيما وهنري موجة من العصيان في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم، موجة ترافقت بالدموع والصراخ لأن أطفالهما لم يفهما سبب عدم اصطحابهم إلى النزهة. بعد أن أحسا بالذنب، وعدا أطفالهما بمرافقتهما

ﻓﻲ مشوار لمشاهدة فيلم وشراء البيتزا. أما مايك فكان عليه أن يحضر إلى الكليبر عند الساعة الثامنة ليبدأ التحضيرات مع الفرقة. لم تخطط جولي لمشاهدته هناك وهو يعزف حتى العاشرة تقريباً، حيث رغبت بأن تأخذ غفوة قبل ذلك، كانت مرهقة. بسبب البيرة والشمس أحست بالغثيان.

أحضرت جولي حقيبتها وارتدت قميصاً. بينما كانت تلبس شورتها وتحدّق باتجاه الشاطئ تراءى لها شيء ما من بعيد. حتى النظر بإمعان وعن كثب لم يسمح لها بأن تميز بوضوح ما تراه.

شيء ما كان هناك. ﻓﻲ مكان ما.

لم تستطع أن ترى بوضوح ﻓﻲ ذلك اليوم المشمس.

تجهمت جولي وهي لا تزال تمعن النظر. أخفضت يدها وهي تشعر بالحيرة.

شخص ما يلبس الجينز وقميصاً أزرق اللون كان واقفاً بالقرب من كثيب رملي، ممسكاً بـ...... ماذا؟ منظار؟ تلسكوب؟ لم تستطع أن تميزه، ولكن اياً كان، بدا أنه يركز على القارب.

يركز نظره عليها.

أحسَّت جولي فجأة بثقل يخيم فوق صدرها عندما بدأ الرجل يخفض ما كان ممسكاً به، أياً كان، وللحظة، أقنعت نفسها أنها كانت مخطئة. ولكن بعد ذلك، وكأن الشخص كان على علم بما تفكر به، بدأ يلوح بيده، تحركت ذراعه ببطء، إلى الأمام وإلى الخلف مثل .... ساعة الجد. بدا وكأنه يقول، إنني هنا، إنني هنا دائماً. ريتشارد.

أحست وكأن الدم يتدفق من عروق وجهها، واستنشقت الهواء بحدة، وكتمت جزءاً منه بداخلها بمؤخرة يدها.

ولكن عندما رمشت عيناها، كان ريتشارد قد ولى بعيداً. تحركت نحو مقدمة السفينة واتكأت إلى الأمام. لا شيء. ليس هنالك أية دلالة على أنه موجود في أي مكان. بدا وكأنه لم يكن هنالك أبداً.

سمعها مايك وهي تتجه إلى الأمام بعد مرور لحظة سألها."مالأمر؟".

كانت جولي لا تزال تحدّق إلى الشاطئ. كانت عينا مايك تراقبانها، وبعد أن تأكدت أنه ما من أثر يدل على وجود ريتشارد، ما من إشارة تدل على وجود أي شيء غريب، لفت جولي نفسها تحت ذراعه وقالت:"لا أعرف".

لابد أنه مجرد وهم. لا يمكن أن يكون حقيقياً، لا يمكن لأي إنسان أن يتحرك بهذه السرعة ويختفي فجأة عن الأنظار.

لا يمكن لأي إنسان.

أوصلها مايك إلى المنزل، وكان لا يزال واقفاً في الممر يحمل لها أغراضها عندما دخلت هي. لحقها سنغر، وعندما وضعت محفظتها على طاولة المطبخ، توازن على ساقيه الخلفيتين لكي يحبها. كانت تحاول أن تدفعه عنها وهو يلعقها بلسانه عندما لاحظت أن آلة تسجيل المكالمات مضاءة وتشير إلى وجود رسالة واحدة.

دفعت سنغر جانباً فلاقت قدماه الأرض، تهاوى نحو غرفة الجلوس وخرج من الباب، .... ليقابل مايك. في المطبخ، سمع صوت البراد. كانت ذبابة ترتطم بزجاج النافذة، وتصدر طنيناً بطريقة غاضبة. لم تسمع جولي أي صوت. لم تستطع حتى أن تسمع مايك أو سنغر، أو حتى أصوات أنفاسها. بدلاً من ذلك وكان الشيء الوحيد الذي لاحظته آلة التسجيل التي تومض بوضوح وتجعل الشخص منجذباً إليها وكأنها تقول اضغطني أرجوك، اضغطني..........

للحظة من الزمن، بدت الأرض مقلقة من تحتها، وشعرت جولي أنها تقل القارب من جديد، وتحدّق نحو الشاطئ. فكرت جولي، لقد أومأ إليها. كان يراقبها والآن اتصل بها لكي يعلمها بما حصل.

هزَّت رأسها. لا، لم يكن الأمر كذلك. لم يكن هناك. لم يقف هناك أبداً. ما رأته كان مجرد سراب. كانت تتوهم أنها رأته، وهذا كله نتيجة شربها الكثير من البيرة وحالة الاهتياج العصبي التي انتابتها.

هالك في المطبخ، كانت آلة التسجيل لا تزال تومض.

فكرت جولي، هيا، تماسكي. أي شخص يمكنه ترك رسالة، ماالقضية الكبرى، هذا هو السبب الذي جعلني أحتفظ بآلة التسجيل في المقام الأول، إذاً ما علي إلا أن أتوجه إليها وأضغط على الزر. حالما أفعل هذا، سأكتشف أن الرسالة من مابل أو ربما من صديقة أخرى، أو أي شخصٍ ما اتصل ليأخذ موعد عمل، أو أحد ما رغب بالمشاركة في ... مجلة........ ما علي أن أضغط الزر لأكتشف كم إن الرسالة هزلية.

مع ذلك بدا التحرك باتجاه الهاتف أمراً مستحيلاً. أحست بارتباك في معدتها، وتسمَّرت ساقاها في مكانهما. اقتربت من آلة التسجيل ورفعت يدها، ثم ترددت، حتى استقر إصبعها على الزر.

هيا، اضغطي......

أغلقت عينيها، وهي تفكر، أستطيع فعل هذا.

وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة، لم تستطع أن تفكر أنها بقدر ما كانت تحاول أن تكون شجاعة ومنطقية، بقدر ما حاولت إقناع نفسها بأنها تنفذ المهمة بشكل غير مناسب، حتى بدأ الخوف يخكم بها. فكرت في نفسها، اتمنى أن لا أجد رسائل فارغة. أريد أن أسمع صوتاً. أي صوت إلا صوته.

بيد مرتعشة، ضغطت الزر.

في بادئ الأمر ساد الصمت، وبعد ذلك شعرت أنها تكبت أنفاسها. ثم جاء صوت شخص ما يهمس، همس من المستحيل تمييزه، مالت نحو آلة التسجيل حتى تتمكن من اكتشاف صاحب الصوت. أصغت وهي تركز بصعوبة بالغة، وفي الوقت الذي قررت أن تضغط على زر الحذف لمحو الرسالة، تعرفت عليها. اتسعت عيناها عندما سمعت صوت فرقة غنائية، إنها نغمة حفظتها عن ظهر قلب.

نغمة سمعتها عندما كانت برفقة مايك في بيوفورت من مضي أسبوعين.

"وداعاً، وداعاً، آنسة أميركان باي........".

الفصل السادس والعشرون

صرخات جولي جعلت مايك يهرع مسرعاً إلى الداخل. وقفت بجانب آلة التسجيل، وجهها شاحب وهي لا تزال تضغط على زر الحذف.

سألها مايك:"ماذا حدث؟. هل أنت بخير؟" .

لم تكد جولي تسمع كلماته. كانت ترتعش بينما الصور تتسابق متلاحقة في ذهنها، الواحدة تلو الأخرى، تاركة إياها بحالة غثيان. إذاً كان ريتشارد على الشاطئ اليوم- إنها واثقة من ذلك الآن. ريتشادر هو الذي كان يتصل- ليس هنالك أدنى شك بهذا. عرفت فجأة أن ريتشارد لم يكتف بهذا فقط، بل كان يراقبها في مطعم بيوفورت. مكث هناك بحيث يظل متوارياً عن

أنظارهما بينما كانا يتناولان الغداء. لا بد أنه شاهدهما وهما يتمشيان في المنتزه، وكان قريباً منهما بما في الكفاية ليسمع الأغنية التي غناها مايك لأجلها. أدركت أيضاً أنه هو الذي اشترى لهما المشروب فيما بعد. هو الذي اتصل بها عندما كان مايك في منزلها في تلك الليلة. وكما أدركت وهي بحالة مكتئبة أنه كان يراقبها عندما كانت في المقبرة.

إنه موجود في كل مكان.

فكرت بصوت مخنوق، لا يمكن أن يحدث أمر كهذا، ولكنه حدث... بدا كل شيء فجأة ....

كانت الأضواء ساطعة في المطبخ، والستائر مفتوحة، والنوافذ تغلقها .أباجورات خشبية بحيث بمقدور أي شخص أن يتوارى عن الأنظار. بوسعه الاختباء هناك. امتدت الظلال داخل الاظلام، وبدأت الغيوم تتدحرج في الأعلى، وارتدى العالم ثوباً رمادياً، فبدا مثل فيلم رعب قديم بالأبيض والأسود. إذا كان يراقبها اليوم، وإن كان يراقبها بشكل دائم، من المحتمل أن يكون يراقبها الآن.

في الباحة، كان سنغر رافعاً أنفه وينبح.

قفزت جولي، وقد شعرت أن قلبها يدق بين جوارحها، واستدارت نحو مايك، ودفنت وجهها في صدره لتجد الدموع طريقاً إلى عينيها.

قالت لي إيما، أن أناساً كهؤلاء لا يتوقفون عن القيام بتصرفات كتلك.

توسل إليها مايك:"جولي؟ هيا ..... أخبرني ماذا حدث. ما الذي يجري هنا؟".

❖❖❖

كانت جولي لا تزال ترتعد عندما صعدت إلى السيارة برفقة مايك بعد عدة دقائق. المسألة الآن لا تحتمل أية غلطة بالطبع، ليست هنالك فرصة للنوم. لم يكن هنالك أقل احتمال إنها تفضل البقاء في المنزل بينما يذهب مايك إلى الكليبر. أراد مايك أن يتنازل عن تقديم العرض ويبقى إلى جانبها لكنها رفضت، بالتأكيد لا ينبغي عليها استعادة مخاوف تلك الليلة ومعاناتها.

لا، كانت بحاجة إلى الهروب من ذلك الذعر الذي أحاط بها. قضاء ليلة في البلدة وسماع موسيقا صاخبة وارتشاف بعض البيرة كفيلة بأن يجعلها تتحسن. فكرت جولي، إذا عدت إلى المنزل ستراودني المخاوف ذاتها صوت ما بداخلها قال لها إن المخاوف تلاحقها إلى هنا.

تجهمت. أوكي، ربما لن يحدث أي أمر مخيف، ولكن القلق بالتأكيد لن يمنع أي أمر من الحدوث. وهي بدورها لن تمكث في المنزل. ستحاول أن لا تفكر بالموضوع، هكذا أقنعت نفسها، لن تفكر إلا في اللحظة الآتية طالما تولدت لديها قناعة بأن الناس منقسمون إلى طبقتين مختلفتين: أولئك الذين يحترسون من الوقوع في المطبات وأولئك الذين يواجهون المشكلة بكل جرأة. هي من النوع الأول: لذلك لا بد من التركيز على لحظة المستقبل، وليس التفكير بالماضي، لأن المستقبل هو الجزء الوحيد الذي لا يزال متاحاً. ماما تخلت عني؟ عليَّ الحصول على لقمة عيشي وإيجاد مكان آوي إليها. الزوج مات؟ علي تأمين عمل ما مناسب يحفظ لي كرامتي، وإلا سينتهي بي الحال إلى الجنون. هنالك شاب ما يقتفي أثري؟

علي إيجاد طريقة ما لردعه.

عندما كانت برفقة مايك في السيارة حاولت ضبط نفسها. فكرت، يجب على جولي بارنسون أن تدير زمام الأمور بنفسها.

أخذ الغرور منها مأخذاً للحظة قصيرة قبل أن تستعيد توازنها. فكرت، أجل، صحيح. هذه المرة لن تجري الأمور بهذه السهولة. لأن هذا السيناريو البسيط لم ينته بعد، ويجب التفكير بالمستقبل بشكل أكثر تركيزاً عندما لا ينفع التفكير بالماضي. صحيح أنها تعيش الآن لحظة الحاضر، لكنها لا تشعر بارتياح البال على الإطلاق. بالرغم أنها قررت أن تتصرف بشجاعة، لكنها لا تزال تشعر بالخوف، أحست بخوف شديد أكثر من ذلك الذي شعرت به عندما كانت تعيش بالشارع. هناك في الشارع كان بمقدورها إيجاد مكان ما تختفي به عن الأنظار- الاختباء ينقذها لكن في هذه الحالة لم يكن مجدياً مع ما يحدث مع ريتشارد. المشكلة الآن تكمن في أنها مرئية، وليس بوسعها فعل أي شيء حيال ذلك.

عندما صف مايك السيارة في الشارع، وجدت نفسها تنظر من فوق كتفها محاولة أن تسمع أي صوت غريب. لم تشعر بالتوتر بسبب الظلمة التي لفت المنازل، ولم تهتز مشاعرها عندما شاهدت قطة ضالة تتجه نحو الكراج.

تلك المشاهد لم تسبب لها أي انزعاج. ولكن ماذا كان يريد منها؟ ما هي الخطوة القادمة التي سيقدم على فعلها؟ تخيلت نفسها للحظة مستلقية في السرير ليلاً والغرفة مظلمة، وعندما فتحت عينيها شاهدته هناك، معها في الغرفة. كان واقفاً بالقرب من السرير، وسط ذلك القناع لم تكن سوى عينيه مرئيتين، شيء ما حمله بيده وهو يقترب منها.......

أبعدت جولي تلك الصورة عن ذهنها. لا ينبغي علي التمادي كثيراً في

خيالي. لن يحدث شيء كهذا. لن يسمح له مايك بأن يتمادى. ليس هنالك سبيل لذلك. ليست هنالك فرصة.

ولكن ماذا تفعل؟

تمنت لو تحذف الرسالة. في الواقع، تمنت لو لم تحذف أية رسالة، لأنها الدليل الوحيد الذي يثبت أن شيئاً ما حدث بالفعل. ربما يكون بمقدور الشرطة التصرف بشكل أفضل لو أطلعتهم على الرسائل. ولكن بكل الأحوال بمقدور الشرطة مساعدتها. أليس كذلك؟.

فكرت جولي بذلك، ووصلت إلى الخلاصة ذاتها التي اتفقت عليها هي وإيما. أوه، بالطبع إنها تستطيع المحاولة ولكنها تحتاج إلى دليل وإلا لا جدوى من إخبار البوليس. ربما ينتهي بها الأمر إلى أن تجلس قبالة شرطي ..... يرهق نفسه بالعمل ويمسك بقلم رصاص منتظراً أن يكتب ما تمليه عليه وما يستحق أن يكون دليلاً على صحة شكواها.

ماذا قال في الرسالة الأولى؟ لا شيء.

هل سبق أن هددك؟ لا.

هل سبق لك أن رأيته يلاحقك؟لا، فقط على الشاطئ.

ولكنك لا تستطيعين أن تؤكدي أنه كان هو. المسافة بعيدة جداً.

إذا كان الشخص الذي تتحدثين عنه يهمس في الرسالة الأخيرة، كيف عرفت أنه كان ريتشارد؟

لا يمكنني إثبات ذلك، لكنني أعرف أنه هو.

ساد صمت لفترة طويلة. آه-هاه. حسناً، هل هنالك شيء آخر؟لا.

باستثناء أنني أعيش في حالة اهتياج عصبي وأود لو باستطاعتي أن أعيش حياتي دون أن أتخيل نورمان بيتس واقفاً يترصدني على الطرف الآخر من وراء الستار.

كتب شيئاً آخر بقلمه الرصاص. آه - هاه.

حتى بالنسبة لها بدا الأمر صعب التحقيق. أن تعتقد بأنه هو من يراقبها لا يؤكد صحة ما يحدث بالفعل. ولكنه ريتشارد! كانت واثقة من ذلك بشكل مطلق. أليس كذلك؟.

في الكليبر، أخذت جولي مقعداً لها في البار على طول صف جلس عليه بضع من الرجال جاؤوا في وقت مبكر لمشاهدة لعبة البيبسبول.

طلبت جولي كأساً من البيرة وبدأت ..... ببطء حتى تجاوزت الساعة الثامنة. أطفأ التلفاز وغادر الناس البار، بعد أن ضبطت الفرقة الموسيقية أجهزة الصوت، وجربت آلاتها، تراجع.... إلى خلف الخشبة قسط من الراحة. انضم مايك إلى جولي. فكرت جولي، كلاهما حاولا أن يتطرقا إلى الموضوع ذاته، لكن تكتمانهما على الأمر بدا وكأنهما يتحدثان عنه بالفعل. استطاعت جولي أن ترى الغضب في عيني مايك عندما أخبرها أخيراً أنه سيصعد إلى الخشبة.

قال:"سأكون حريصاً" .

في تلك الأثناء، بدأ البعض يتجول في أنحاء البار، والبعض الآخر جلس إلى الطاولات، وتجمد آخرون بشكل مجموعات صغيرة. وصل عدد الحشد إلى حوالي تسعة وثلاثين شخصاً، وقد استمرت موجة من الأشخاص تتدفق بشكل متواتر عبر الباب. احتشد الناس في البار طالبين مشروبهم، لكن جولي تجاهلتهم، شاعرة بالارتياح بسبب الضجة العارمة التي ملأت الجو المحيط. كانت لا تزال تستدير باتجاه الباب كلما فتح، خشية أن ترى ريتشارد. دخل الكثير من الناس، لكن ريتشارد لم يدخل.

مرت الساعات بتواتر ثابت- العاشرة أولاً، ثم الحادية عشرة، ثم

منتصف الليل- ولأول مرة منذ تلك الظهيرة أحست جولي أنها تستعيد السيطرة على نفسها. ومثل مايك انتابها شعور بالغضب كانت تواقة أكثر من كل شيء أن تصفع ريتشارد أمام ذلك الجمهور، رغبت أن تسمعه خطبة مسهبة عالية اللهجة وهي تشير بإصبعها نحو صدره. من تظن نفسك؟ تخيلت نفسها وهي تصرخ في وجهه.

هل تعتقد حقاً أنني سأتحمل منك هذه المهزلة لوقت طويل؟ يا للسخرية! لقد تحملت الكثير في حياتي- لاأزال قادرة على مواجهة المصائب- ولن أدعك تهزأ بي. لن أسمح لك بأن تخرب حياتي.(اللعنة، اللعنة)، هل تظن أنني أضحوكة؟ (اللعنة). هل تظن بأنني سأجلس على الأريكة. بانتظار مشاهدة الفيلم القادم الذي ستعدله لي؟ ياللجحيم، لا! (اللعنة، اللعنة)؟ حان الوقت لكي تنظم حياتك يا سيد ريتشارد فرانكلين. الرجل الأفضل هو الذي كسب، لذلك آسفة جداً، لأنك الخاسر. في الواقع، لن تحل أبداً محله. (اللعنة، اللعنة، اللعنة).

أعقب الخطاب موجة من الهتاف من قبل النساء قفزن بشكل عفوي وهن يصفقن).

بينما تتصور نفسها تلقي تلك الخطبة الانتقامية، حشر مجموعة من الرجال أنفسهم إلى جانبها وطلبوا مشروباً لهم وللآخرين الموجودين ضمن المجموعة الذين لم يستطيعوا الاقتراب كفاية.

استغرقت طلباتهم عدة دقائق حتى حصلوا عليها، وعندما غادروا، حدقت إلى الجانب الآخر إلى أسفل البار، شاهدت شخصية معروفة تستند باتجاه ساقي البار لكي تطلب مشروباً. إنه ريتشارد.

بدت صورته مثل شعاع شمسي جاء أسقط عليها ومحا كل تلك التخيلات المدثرة كان هو. لقد لحق بها. ثانية

أحس مايك أن نسبة الادرينالين ترتفع عنده. حركة واحدة خاطئة وسوف يهشم هذا الغيتار، استطاعت جولي أن تراه بوضوح، أحست به، كأن أنفاسه الثقيلة كانت داخل مصعد مزدحم لم يقم بأي تصرف. لم ينظر صوبها ولم يبادر بأية حركة اتجاهها. بدلاً من ذلك، وقف مديراً ظهره للبار، وهو يتفحص الحشد الذي أمامه والمشروب بيده، متظاهراً أنه مثل أي شخص آخر موجود في البار، كأنه اعتقد بصدق أنها ظنت بأن الأمر كله حدث مصادفة.

فكرت جولي، يا لك من مراوغ، لا يمكنك إخافتي.

عزفت الفرقة الموسيقية أغنية أخرى، وكانت هي تحدق إلى مايك. ارتسمت تعابير الغضب على وجهه، ومضت عيناه بشرارة خطيرة. كأن الكلمات انسابت من فمه، إنني جاهز تقريباً للانتقام منه، وجولي أومأت له موافقة، وهي ترشق رشفة تنذر بشؤم. رشفة حقيقية ابتلعتها بحركة واحدة.

وسط ضوء خافت، كان المظهر الجانبي لـ ريتشارد. أسند إحدى ساقيه على الأخرى،"للحظة تراءى لها أنها لمحت ابتسامة عميقة مرسومة على ثغره، وكأنه عرف بأنها كانت تراقبه. أحست أن فمها أصبح جافاً.

فكرت فجأة، هل أنا مجرد طفلة؟. إنه يجعلني أفقد صوابي.

ولكن حان الوقت لإنهاء هذه المهزلة.

دون أن تدرك أين تجد مخرجاً من أجل الخطوة القادمة، نهضت جولي وحدقت إليه. استدار ريتشارد نحوها عندما اقتربت منه، أظهرت تعابير وجهه كأنه مندهش حقاً برؤيتها.

قال:"جولي!. لم أكن أعلم أنك هنا. كيف حالك؟"

"ماذا تفعل هنا ريتشارد؟".

هز كتفيه: "إنني أشرب كأساً".

"كُفَّ عن هذا، إذا سمحت؟".

قالتها بصوت مرتفع جعل المحيطين بها يستديرون نحوها.

سألها: "اعذريني؟".

"تعلم ما الذي سأقوله بالضبط!".

"لا، لا أعرف......".

"إنك تلاحقني إلى هنا!".

"ماذا؟".

في تلك اللحظة، كثر عدد الناس الذين استداروا لمراقبة المشهد، وأحست جولي أن صدى الكلمات يرجع إليها. هناك من على الخشبة، كان مايك يراقبها بعصبية مسعورة، وفي اللحظة التي انتهت فيها الأغنية، حدق فيها، تاركاً غيتاره يسقط على الخشبة.

قالت جولي بصوت مرتفع: "هل تظن أنه بمقدورك ملاحقتي وأنا بدوري سأقبل هذا؟".

رفع ريتشارد عينيه: "جولي.... كفي عن هذا. كفي عن هذا. لا أعرف عما تتحدثين".

"لقد اخترت الفتاة الخطأ والتي تحاول أن تبث الخوف في قلبها، فإذا تابعت هذا التصرف، سأتصل بالبوليس وأطلب اعتقالك. تظن أنه بمقدورك الاتصال بي وترك الرسائل كيفما تشاء....".

"لم أترك لك أية رسائل.....".

بدأت جولي تصرخ الآن، والناس من حولهما يراقبانهما بينما يتبادلان

حديثاً ساخناً. في هذه الأثناء تجمهر الحشد على شكل نصف دائرة حولهما وتراجعوا خطوة إلى الوراء. كما لو أنهم يتوقعون تبادل الكلمات.

شعرت جولي أنها تعيش لحظة نجاح كبيرة. أدركت أنها عندما تعيش لحظة كتلك أفضل بكثير من أن تتخيلها (هذا صحيح! استمري يافتاة!).

"..... هل تظن أنك تستطيع الهروب بفعلتك؟ هل تعتقد أنني لم أنتبه إلى أنك كنت تراقبني اليوم؟".

تراجع ريتشارد خطوة إلى الوراء."هذه هي المرة الأولى التي شاهدتك فيها وأنت تراقبينني كنت لك بالمرصاد طوال اليوم".

بينما كانت تائهة في بحر عواطفها الغاضبة، لم تكترث أبداً إلى ادعاءاته.

"لن أصبر على تصرفاتك بعد الآن!".

"تصبرين على ماذا؟".

"فقط كف عن هذا! أريدك أن تصمت!".

نظر ريتشارد نحو الوجوه المحيطة بهما، وهز كتفيه وكأنه يحاول كسب تعاطفهم.

"اسمعي... لا أعرف ما الذي يحصل هنا، ولكن ربما علي أن أغادر...".

"انتهى الأمر. هل تفهم ذلك!".

شق مايك طريقه من خلال الحشد في تلك اللحظة. تورَّد وجه جولي، ولكنها بدت مذعورة، وللحظة تبادل مايك وريتشارد النظرات. بلمح البصر ميَّز مايك الابتسامة المتكلفة دائماً التي رسمت على وجه ريتشارد عندما رآه أول مرة في البار-رأى في عينيه نظرة تحدٍ ودفاع، وكأنه يستجر مايك لفعل شيء ما.

ذلك الغضب العارم المكتوم منذ فترة الظهيرة انفجر الآن. كان ريتشارد واقفاً عندما اصطدم مايك به دافعاً صدر ريشارد برأسه وكأنه لاعب كرة قدم يتحين فرصة ضرب الكرة. تلك الضربة العنيفة رفعت ريتشارد عن الأرض وجعلت جذعه العلوي يندفع داخل الحاجز. فبعثرت الزجاجات والكؤوس على الأرض، وتعالى الصراخ وسط الحشد.

أمسك مايك ريتشارد من ياقته وطوى ذراعه، وعلى الرغم أن يدي ريتشارد ارتفعتا للأعلى، فقد توازنه، مما سمح لـ قبضة مايك أن تلطمه على خده. اندفع ريتشارد ثانية نحو البار وأمسك به ليحمي نفسه من السقوط. عندما رفع رأسه- ببطء هذه المرة - ظهر جرح بليغ تحت عينه. ضربه مايك ثانية. انزلق رأس ريتشارد نحو جانب واحد. بدا تقريباً وكأن جملة من الحوادث كانت تقع بحركة بطيئة عندما ارتطم ريتشارد بكرسي صغير وقفز عنه، متعثراً حتى اصطدم بالأرض. بعد أن تدحرج، سال الدم من فمه. كان مايك يستعد ثانية للانقضاض عليه عندما اندفع بعض الرجال وقيدوه من الخلف.

دام العراك أقل من خمس عشرة ثانية. تملص مايك لكي يحرر نفسه قبل أن يدرك أن مجموعة من الأشخاص خلفه يمسكون به ليس لكي ينتهز ريتشارد فرصة ويدافع عن نفسه، بل لأنهم كانوا يخشون أن يلحق مايك به مزيداً من الأذى. حالما تركوه، أمسكته جولي من يده ودفعته نحو الباب. حتى الفرقة الموسيقية فهمت كفاية أنه ليس عليها أن تحاول فك نزاعهما.

الفصل السابع والعشرون

حالما خرجا، استند مايك على الباب الخلفي للسيارة لكي يلتقط أنفاسه.

قال:"امنحيني دقيقة فقط".

سألت:"هل أنت بخير؟".

وضع مايك يديه على وجهه واستنشق الهواء، وبدأ يتكلم من خلال أصابعه:"إنني بخير. لكنني منهك قليلاً".

اقتربت منه جولي، تشده من قميصه:"لم أركَ من قبل وأنت في تلك الحالة. لكن عليك أن تعلم أنني كنت أعالج الأمر بنفسي".

"لاحظت ذلك. ولكن النظرة التي رمقني بها أثارتني حقاً".

"أية نظرة؟" .

وصف لها مايك تلك النظرة، فارتعشت جولي، وقالت:"لم ألحظ ذلك" .

"لا أظن أنك المعنية بالأمر. ولكنني أخمن أن كل شيء انتهى أخيراً" .

ساد الصمت لفترة طويلة. من خلفهما كان بعض الأشخاص يخرجون من البار ويحدقون نحوهما. على كل حال كانت جولي شاردة الذهن في مكان آخر. ما الذي قاله ريتشارد؟

قال إنه منشغل بالعمل؟ وأنه كان في مكان عمله طوال اليوم؟ لم تستمع إليه عندما قال هذه العبارات، لكنها استرجعت وقع الكلمات عليها الآن.

قالت:"آمل ذلك" .

قال مايك ثانية:"انتهى الأمر" .

ابتسمت جولي، ولكن بدا واضحاً أنها تائهة في أفكارها. قالت:"قال بأنه لم يكن يراقبني اليوم. وليس هو الذي يتصل بي. قال بأنه لا يعرف عما أتكلم" .

"بالطبع لن تتوقعي منه الاعتراف بخطئه. أليس كذلك؟" .

"لا أعرف. أظن أنني لم أتوقع منه التفوه بأي كلام" .

"مع ذلك أنت ماتزالين واثقة من أنه هو من قام بكل ذلك، أليس كذلك؟" .

"أجل، واثقة" .صمتت ثم قالت:" على الأقل أشعر أنني واثقة" .

أمسك بيدها :"إنه هو. رأيت ذلك في وجهه" . حدقت جولي نحو الأرض وقالت: "أوكي" .

ضغط مايك على يدها ."هيا، جولي. أنت لا ترغبين بأن تثيري في مشاعر الندم لأنني عاركت ريتشارد، أليس كذلك؟ إنه هو من فعل كل هذا.

صدقيني. وإذا تجرأ على القيام بعمل آخر. سنذهب إلى البوليس ونفضح أمره. سنطلب منهم اعتقاله. ثم إن كان لم يفعل شيء فما الذي جعله يحضر إلى هنا ليلاً؟ ولماذا اقترب كثيراً دون أن يسلم؟ كنت على بعد بضع خطوات منه".

أغلقت جولي عينها. وفكرت. إنه على حق. إنه محق بشكل مطلق. ريتشارد لا يذهب هناك. ألم يقل إنه لا يحب ذلك المكان؟ لا، كان هنالك لأنه شاهدهما يدخلان. إنه يعرف بأنهما هناك لأنه كان يراقبهما. وبالطبع سينكر ذلك بدوره. إذا كان هو من فعل كل هذا الأخطاء، لماذا عليها أن تتوقع منه الاعتراف بالحقيقة؟.

لكن لماذا جعلها تراه هذه المرة؟ وما الذي يقصده بذلك؟".

على الرغم من دفء الطقس، أحست جولي برعشة تسري في جسدها.

"بكل الأحوال ربما علي إخبار الشرطة بالأمر. فقط لـ...... تقرير ضده".

"إنها ليست فكرة سيئة".

"هل سترافقني؟".

نهض مايك ولامس وجهها: "بالطبع. إذاً، هل تشعرين بتحسن؟".

"قليلاً. لا أزال خائفة، ولكنني الآن أفضل".

مرر مايك أصابعه فوق خدها قبل أن يميل عليها ويقبلها.

"قلت لك أنني لن أسمح أبداً لأي مخلوق أن يؤذيك. أوكي؟" جعلتها لمسته تشعر بوخزة ... "أوكي".

داخل البار، استطاع ريتشارد أخيراً أن ينهض على قدمه. أول من وصلت إليه كانت أندريا. كانت قد رأت مايك يقفز من الخشبة ويشق طريقه وسط

الزحام صوب ريتشارد. اعترفت بأن الشاب الذي كانت ترقص معه بدا جذاباً بالرغم من وجود ندبة على عنقه - أمسك يدها وقال:"هيا بنا ...... يبدو أنه هنالك عراكاً". تعقبا الطريق الذي كان يسلكه مايك، وعلى الرغم أنهما وصلا متأخرين جداً بعد أن كان العراك قد انتهى، رأت جولي وهي تدفع مايك بعيداً بينما حولي ريتشارد الاستناد على الكرسي الصغير ليساعده في النهوض. ساعده الآخرون في النهوض، وبينما كان المتفرجون .... فهمت فحوى ما جرى هناك.

"لقد هاجم لتوه ذلك الشاب...."

"هذا الشاب كان منشغلاً بعمله عندما حدقت إليه هذه السيدة، وبدأت تصرخ في وجهه، ثم جاء صديقها وهاجمه....."

"لم يفعل لها شيئاً....".

شاهدت أندريا أثر جرح بليغ على خده، والدم يسيل من زواية فمه، فتوقفت عن مضغ علكتها. لم تصدق ما حدث. لم يسبق لها أن سمعت مايك يرفع صوته بهذا الشكل، ويهاجم شخصاً. ربما كان يكشر، ويغضب، ولكنه لم يبد أبداً العنف الذي أبداه اليوم. لكن الدليل كان حياً أمامه. كان ريتشارد يقف قبالتها، وعندما تعثر انتبهت إليه في الحال. لقد أصيب بأذى! إنه بحاجتي! تركت الشاب الذي تراقصه واتجهت نحو ريتشارد.

"أوه، يا إلهي.... هل أنت بخير؟".

نظر إليها ريتشارد بدون أن يجيب، وعندما تمايل متأرجحاً، وضعت أندريا ذراعها حوله. لاحظت نحافة جسده الذي يخلو من الشحوم. سألت وهي تشعر بأن وجهها متورد:"ماذا حدث؟".

قال ريتشارد:"جاء وضربني".

"ولكن لماذا؟".

"لا أعرف".

ترنح ثانية، فشعرت به أندريا وهو يستند عليها. وضع ذراعه فوق كتفها.

لاحظت أيضاً بروز عضلاته."إنك بحاجة للجلوس دقيقة. هنا- دعني أساعدك".

مشى بحذر وكان الحشد قد بدأ يتفرق. سعدت أندريا لأنهم انصرفوا.

بدا وكأنهما وحيدان في المشهد الأخير في الفيلم، قبل أن ينتهي العمل. لم تكد ترمش عينيها لإحداث أقل تأثير في نفس ريتشارد حتى شاهدت لينيغ هو يستند على ساقه الاصطناعية، عارضاً فجأة أن يقدم مساعدته لـ ريتشارد أيضاً.

زمجر:"هيا. إنني هنا، إننا بحاجة إلى أن نتحدث".

بدأ يساعد ريتشارد في الوصول إلى الطاولة، وعندما غير وجهته فجأة، تنحت أندريا جانباً وأجبرت أن تدعه يذهب وشأنه. بعد دقيقة، كان لينينغ جو وريتشارد جالسين إلى طاولة صغيرة يتحدثان.

لم تكتمل فرصتها، كشرت أندريا وهي تراقبهما. بالوقت الذي أحست به أنها تسترجع أملاً للقائه، كانت قد مررت مسبقاً ما عليها فعله.

بعد أن شعرت جولي أنها منهكة القوى، جاء اليوم الذي لا ينبغي عليها فيه أن تنعش ذاكرتها بأحداث ما جرى.

بالتأكيد كان من المفيد أن تختبر قدرة احتمالها. منذ نهضت من فراشها صباحاً سبرت مشوار عاطفتها في كل لحظة. فوق كل هذا، لو رغبت أن تنسق أيامها، لكان ذلك اليوم هو الرقم الأول في الذعر مروراً بالليلة الأولى

التي أمضتها في شوارع ديتونا)، رقم ثلاثة في الكآبة(يوم مات جيم والجنازة لا تزال تشغل حيزاً من ذلك الفصل المأساوي)، ورقم واحد في كل الإرهاق الذي تعرضت له. تاهت في مشاعر مبعثرة من الحب والغضب والدموع والضحك والدهشة والراحة، ويوم طويل من القلق عندما كانت تترقب ما سيحدث، وبشكل نهائي يوم طويل تذكر منذ فترة طويلة.

في المطبخ، كان مايك يعد القهوة، بقي هادئاً وهو في السيارة ولا يزال يحتفظ بهدوئه. ...... طلب أسبرين حالما وصلا المنزل وابتلع أربع حبات قبل أن يملأ كأساً من الماء لابتلاعها. جلست جولي إلى الطاولة. في تلك اللحظة اختار سنغر أن يتكئ عليها عساها تعيره شيئاً من اهتمامها، فقد شعر بلا شك أنها لا تكترث به مؤخراً.

كان مايك على حق. الأمر برمته كان مخططاً له، وليس هذا فحسب، بل توقع ريتشارد كيف ستكون ردة فعلها. لقد حضر مسبقاً أجوبته الكاذبة، حتى أنه نطقها بسرعة فائقة وبشكل طبيعي وبانسياب مدهش.

لكن ريتشارد لم يبد مقاومة على الإطلاق. وهذا ما حيرها ولاسيما أنه هي التي بدأت الشجار.

هنالك حلقة مفقودة. حتى وإن شعرت أن مايك دهش لذلك. لكنه لم يظهر تلك الدهشة. رأت مايك وهو ينطلق نحو ريتشارد الذي كان بمقدوره الدفاع عن نفسه لأنه كان هنالك متسع من الوقت. لكنه لم يدافع عن نفسه فحسب، بل لم يتحرك على الإطلاق.

لو كان ريتشارد على علم بما ستفعله جولي، ألم يكن أيضاً على دراية بردة فعل مايك نحوه؟ أو على الأقل ألم تكن عنده أدنى فكرة عما سيقوم به؟ ولماذا لم يبد اهتماماً؟ ولماذا انتابها إحساس أنه خطط لذلك أيضاً؟.

❖❖❖

قال لينينغ جو:"هل أنت واثق أنك لا تشعر بالدوار؟ إنها صدمة قوية".

كأنه هو وريتشارد واقفان داخل باب الكليبر تماماً. هز ريتشارد رأسه. "أريد فقط العودة إلى المنزل".

قال:"من دواعي سروري أن أطلب لك سيارة إسعاف".

أحس ريتشارد وكأنه يقول له حقيقة، أرجوك لا تطلب مني.

أجابه وقد شعر بالسأم من ذلك العجوز."إنني بخير". دفع الباب ومشى وسط الظلمة. بعد أن تفحص المنتزه، لاحظ أن الشرطة قد غادرته مسبقاً. بدا المنتزه هادئاً، فشق طريقه نحو سيارته.

عندما اقترب، أحس أن شخصاً ما كان يستند عليها.

قالت:"مرحباً، ريتشارد".

تردد ريتشارد قبل أن يجيب:"مرحباً، أندريا".

رفعت أندريا ذقنها قليلاً فتلاقت عيونهما :"هل تشعر بأي تحسن؟".

هز ريتشارد كتفيه. بعد لحظة، نقّت أندريا حنجرتها :"أعلم أن ما حدث الليلة يبدو غريباً، ولكن هل تمانع بأن أرافقك إلى المنزل؟".

حدَّق حوله. لم يرَ أحداً."ولكن ماذا عن موعدك؟".

أومأت باتجاه الكليبر."إنه لا يزال في الداخل. أخبرته أنني سأذهب إلى الحمام".

رفع ريتشارد جبينه ولم يقل شيئاً.

وسط هذا الصمت، اتجهت أندريا خطوة نحوه. عندما اقتربت منه، رفعت يدها ببطء، ولامست الجرح فوق خده، وعيناها مستقرتان عليه.

همست:"أرجوك؟".

"هل يمكننا الذهاب إلى مكان آخر بدلاً عن ذلك؟".

أمالت رأسها، وكأنها تتساءل عما قصده. ابتسم."ثقي بي".

❖❖❖

في مطبخ جولي، كانت غلاية القهوة تغلي بينما جلس مايك إلى الطاولة.

سأل:"بماذا تفكرين؟".

فكرت جولي، كل ما حدث الليلة يبدو أنه كان خاطئاً. بعد أن أدركت أن مايك سيبذل كل ما في وسعه ليقنعها بأنها تسيء فهم الموقف. لذلك احتفظت بالجواب لنفسها."أفكر فقط بما جرى. هل تعلم أنني أستعيد كل ماحدث بالتفصيل؟".

"أجل، وأنا أيضاً".

كانت القهوة جاهزة، فنهض مايك، وسكب فنجانين. رفع سنغر أذنيه، وكانت جولي تراقبه، وهو يشق طريقه من خلال غرفة الجلوس. في غمرة عجلتها للمغادرة باكراً. لم تلحظ جولي الظلام خارجاً، لكنها عرفت بأن سيارة تجتاز الشارع. لم يكن هنالك زحمة سير في ذلك الوقت من الليل.

فاعتقدت أن أحد الجيران عائد إلى منزله بعد قضاء أمسية في البلدة....

اتجه سنغر نحو النافذة عندما بدأ الضوء يشتد كثافة. ولكن بدلاً من مراقبة الضوء الذي بدأ يخفت ثانية عندما اصطفت السيارة، شاهدت أشعة تتخلل الأنوار الأمامية للسيارة حركة الفراشات والحشرات المتجهة نحو الوهج،جعل الأشعة تبدو وكأنها مؤلفة من أصابع ملتوية. نبح سنغر وبدأ يزمجر، ظلت الأنوار الأمامية للسيارة تتوهج.

استطاعت أن تشعر بأن السيارة تتباطأ على الطريق، نهضت من كرسيها. سمعت صوت محرك السيارة، وفجأة انطفأت الأنوار. وأغلق باب السيارة.

فكرت جولي، إنه هنا. جاء ريتشارد إلى المنزل.

نظر مايك نحو النافذة.

تعالى نباح سنغر، ووقف شعر رقبته. وضع مايك يده على كتف جولي واتجه بحرص نحو الباب. كان سنغر ينبح باستمرار بينما تقدم مايك إلى الأمام.

بعد ذلك بدا سنغر متوحشاً، بسبب الفوضى التي أنبأت عن حدوث شيء غير متوقع. في الحال بدا الصوت مألوفاً. وصمت مايك، وكأنه يحاول أن يصدق ما يسمعه.

سمع الصوت ثانية. أدركوا أن شخصاً ما كان يطرق الباب. استدار مايك نحو جولي وكأنه يسألها، هاه؟.

اختلس النظر من النافذة، ولاحظت جولي أن كتفيه يتراخيان، عندما حدقت إليه ثانية، وكانت هنالك نظرة ارتياح رسمت على وجهه. ربت على ظهر سنغر وقال:"اش، كل شيء على ما يرام".

فتوقف سنغر عن النباح. على كل حال تبع مايك الذي أدار قبضة الباب.

بعد مرور لحظة، شاهدت جولي شرطيين يقفان على الشرفة.

الشرطية جينفر رومانيلو عينت حديثاً في البلدة، لا تزال جديدة في عملها، وتتطلع إلى اليوم الذي تملك فيه سيارة مريحة خاصة بها، فقط لكي تستقل عن الشاب الذي يعمل معها. بعد أن قامت بأغلب التدريبات العملية في جاكسونفيل، انتقلت إلى سوانز بورو في غضون أقل من شهر. صارت ترافق بيتي غاندي مدة أسبوعين وبقي لها أربعة أسابيع لمغادرته-إذ كان على جميع المتدربين العمل برفقة شرطي خبير خلال أسابيع السنة الأولى من العمل حتى اكتمال التدريب- وإذا سمعته يذكر ثانية كلمة"سير العمل"، ستخنقه.

أدار بيتي غاندي المفتاح، وأطفأ الأنوار، وحدق إليها.

قال:"اسمحي لي أن أعاين هذا. أنت لاتزالين تتعلمين سير العمل".

فكرت:"في الواقع أود لو أقتله".

"هل علي الانتظار في السيارة؟".

بالرغم أنها قالت عبارتها بشكل مازح، حافظ بيتي على نبرته، ولاحظته وهو يمرن ذراعه. لمس بيتي عضلته بشكل جدي. هو أيضاً يجب أن ينظر إلى نفسه في المرآة قبل أن يقوم بعمله.

"لا. رافقيني. ولكن دعيني أجرِ الحوار بنفسي. وابق متيقظة، يا طفلتي".

قال هذا حتى وإن كان في عمر والدها. في الحقيقة، صار له في هذا النوع من المهمات مدة عامين فقط، وبالرغم أن سوانزبورو لم تكن موطناً للنشاط الإجرامي الخارجي، لكن بيتي طوَّر نظرية مفادها أن المافيا بدأت تدب أوصالها نحو البلدة وهو بدوره سيكون منقذها. الفيلم المفضل لدى بيتي في كل الأوقات كان فيلم "سيربيكو"

لهذا السبب انضم إلى هذا النوع من المهمات.

أغلقت جينفر عينيها. لماذا من بين كل البلهاء اخترت هذا الأبله حتى ألازمه طوال الوقت في العمل؟.

قال الشرطي غاندي:"مايك هاريس؟".

تكلم بيتي بطريقة رسمية، بينما قاومت جينفر رغبتها بسحق رأسه من الوراء عرفت بأن بيني صار له على معرفة بـ مايك وجولي منذ سنوات- في السيارة ذكر لها بأن مايك أصلح له سيارته، وبأنه ذهب إلى صالون جولي لقص شعره عندها. لم يكن في حاجة حتى إلى أن يدقق في عنوان منزل جولي. تنهدت، إنها مجرد حياة في بلدة صغيرة. بالنسبة إلى فتاة نشأت في برونكس، بدا المكان جديداً كلياً بالنسبة لها، وكانت لا تزال تحاول التأقلم معه.

قال مايك:"أوه، مرحباً بيتي- بماذا استطيع أن أخدمك؟".

"هلا سمحت لنا بالدخول دقيقة؟ يجب أن نتحدث" .

قال مايك:"بالتأكيد؟" .

دخلا مترددين، بينما حدق مايك إلى سنغر."لا تقلق. سيكون بخير" .

دخل الشرطيان إلى غرفة الجلوس، وأومأ مايك من فوق كتفيه."هل أحضر لك بعض القهوة؟ إنها جاهزة" .

"لا، أشكرك. لا يسمح لنا بشرب شيء أثناء العمل" .

قلبت جينفر عينيها وهي تفكر،لا يسمح لنا شرب ما يجعلنا ثملين، يا لك من أحمق!

بعد لحظة، خرجت جولي من المطبخ، وتسمرت في مكانها، وذراعاها متشابكتان. اتجه سنغر نحوها وجلس.

سألت:"ماذا يحدث هنا، بيتي؟" .

لم يرغب بيتي أن يناديه أحد باسمه وهي تلبس بزته الرسمية، وللحظة، لم يكن واثقاً كيف سيكون ردة فعله حيال هذه المعاملة العفوية. صفى حنجرته"هل كنت هذا المساء في سيلنغ كليبر يا مايك؟" .

"أجل، كنت أعزف مع الفرقة.

نظر بيتي إلى جنيفر، وكأنه يلقنها درساً في كيفية الاستجواب. فكرت هي في نفسها، أووه، ياله من سبق صحفي!. هذه الحقيقة لا يعلمها إلى مليون شخص.

"وهل تشاجرت مع شخص يدعى السيد ريتشارد فرانكلين؟" .

قبل أن يتمكن مايك من الإجابة، اتجهت جولي نحو غرفة الجلوس. وسألت:"ماذا يحدث انتظر بيتي غاندي هذه اللحظة طويلاً. كان على وشك أن يسحب بندقيته، هذا العمل كان المحبب لديه أكثر من أي عمل آخر،

حتى وإن كان ذلك يتعلق بشخص ما يعرفه. فبالرغم من كل شيء يبقى الواجب واجباً، وإذا سمح للأمور الصغيرة أن تفلت من يديه، قبل أن يمسك بزمام الأمور، ستصبح سوانزبورو مركزاً للمجرمين من أنحاء العالم. خلال المشهد الأخير فقط، كان قد أصدر اثنتي عشرة تذكرة لقطاع الطرق والمجرمين.

"حسناً سيدي، أكره القيام بهذا العمل، ولكن لدي عدد من الشهود الذين ربما شاهدوك وأنت تهاجم السيد فرانكلين دون أن يستفزك. ذلك اعتداء، وهو مناف للقانون".

بعد دقيقتين، سحب مايك إلى سيارة المهمات.

الفصل الثامن والعشرون

سألت مابل غير مصدقة ما حدث:"أخذوه إلى السجن؟" .

كانت صبيحة يوم الاثنين، والآن مابل كانت تقوم بزيارة أخيها في أطلنطا، لم تسمع أي شيء عما حدث حتى انطلقت في تلك الصبيحة خارجاً. في غضون عشر دقائق، وضعتها جولي في صورة الأمر، وسردت كل ما جرى. كانت أندريا مشغولة بتصفيف شعر أحد السادة عندما أدارت لهما أذنها لتصغي للحديث لم تبتسم منذ بدأت جولي حديثها، وكلما استطردت جولي الكلام تمنت أندريا لم تخبرها بأنها تجهل ما يجري، ولا تعرف عما تتكلم.

لم يكن ريتشارد شاباً خطيراً! مايك هو الذي هاجمه! بالإضافة إلى أن ريتشارد لم يعد مكترثاً لأن جولي كانت واثقة أن ريتشارد شاهد النور الحقيقي أخيراً. وذلك الحديث الرومانسي! لقد اصطحبها معه إلى الشاطئ وتبادلا الحديث! لمدة عدة ساعات! ولم يتطرق حتى للحديث عنها ولو بالتلميح! لم ترَ من قبل أي شاب عاملها بذلك اللطف والاحترام، كان رقيقاً للغاية. طلب منها أن لا تخبر جولي بلقائهما لأنه لم يشأ جرح مشاعرها. هل تدل هذه الصفات على إنسان نذل؟ بالطبع لا! بالرغم أنه رفض دعوتها بالدخول إلى منزلها عندما أوصلها إلى هناك، لكنها ظلت متقدة منذ استيقظت صباح أمس.

هزت جولي كتفيها. بدا وجهها شاحباً ومرهقاً، وكأنها لم تأخذ ما يكفيها من النوم.

"استجوبه بيتي غاندي مدة ساعة، وظل هناك حتى أخرجه هنري بكفالة".

بدت الحيرة على مابل:"بيتي غاندي؟ ماالذي كان يدور في ذهنه؟ ألم يصغِ إلى أقوال مايك؟".

"استجوبه كأي شرطي غيور على القانون. ظل مصراً أن يعرف السبب الحقيقي الذي دعا مايك لمهاجمة ريتشارد".

"هل أخبرته عما كان يجري معك؟".

"حاولت، لكنه لم يقتنع. حسب اعتقاده كل ما حصل لا يدعو إلى شجار عنيف".

قذفت مابل محفظتها على الطاولة التي غطتها المجلة. "إنه أبله. ولكنه طالما كان أبله. كيف انتهى به الأمر وتطوع في الشرطة، لا أفهم أبداً".

"ربما هذا صحيح، هذا لا يفيد مايك في شيء. ولن يساعدني أنا أيضاً".

"وماذا بخصوص مايك؟ هل سيبقى متهماً؟".

ليست لدي فكرة. أظن أننا سنعرف ذلك هذا اليوم. لديه موعد مع ستيف سايدز".

ستيف سايدز كان محامي دفاع محلي، ومابل تعرف عائلته منذ سنوات.

"إنه اختيار ذكي. هل سبق لك أن قابلته؟".

"لا، هنري قابله. نأمل أن يكون قادراً على عمل شيء مع المدعي".

"إذاً ماذا ستفعلين؟ بخصوص ريتشارد؟".

"غيرت رقم هاتفي اليوم".

"هكذا إذاً؟".

"هذا ما خطر ببالي فعله. بيتي لن يصغي إلي، إلا إذا تكرر الأمر أكثر من مرة، ورفعت تقريراً".

"هل اتصل ثانية يوم السبت؟".

"لا، الحمد لله".

"ولا تريه؟".

"لا".

عبر الصالون، تجهمت أندريا وهي تفكر في نفسها، هذا لأنه لا يزال يفكر بي. والآن كفي عن الإساءة إليه.

"إذاً حسب اعتقادك أنه لم ينته عند هذا الحد،أليس كذلك؟".

"أعتقد أنه يخطط لكل شيء، بما في ذلك ليلة السبت. أعتقد أنه يتعامل مع الأمر وكأنه لعبة".

حدقت إليها مابل وقالت:"إنها ليست لعبة يا جولي".

استغرقت فترة حتى أجابت جولي وقالت:"أعرف".

❖❖❖

سأل هنري:"كيف تعامل معك خلال المقابلة؟".

جلسا في مكتب هنري، وأغلقا الباب خلفهما. استنشق مايك الهواء بازدراء."من الصعب شرح الأمر".

"ماذا تقصد؟".

"وكأنه يعلم مسبقاً بما جرى، وكل كلمة قلتها لم تغير رأيه".

"ألم يهتم بالمكالمات التلفونية؟ أو بأنه يراقب الآخرين في وقت مبكر؟".

"لا. قال بأنها تصف ما حدث بشكل غير مناسب. قال بأن الصالون مخصص لقص الشعر وهذه ليست بالقضية الكبرى".

"وماذا عن الشرطي الآخر؟ السيدة؟".

"لم يسمح لها بيتي بالتدخل في الحوار، لذلك لا أعرف ما رأيها".

أمسك هنري بقهوته وأخذ رشفةً. "حسناً، لقد فعلت ما بوسعك. مع ذلك فأنا لا ألومك. كنت سأتصرف مثلك لو كنت هناك".

"إذاً ما الذي سيحدث حسب اعتقادك؟".

"حسناً، لا أظن أن الأمر سينتهي بك في السجن، إن كان هذا ما تسأل عنه".

"لست أتكلم عن السجن".

نظر إليه هنري:"تقصد بخصوص ريتشارد؟".

أومأ له مايك.

أعاد هنري فنجانه إلى مقعده."أتمنى لو أستطيع إخبارك يا أخي الصغير".

❖❖❖

كانت الشرطية جنيفر على وشك الانتهاء من عملها مع الشرطي بيتي، هما يعملان لمدة ساعة فقط في ذلك الصباح. كان عليها أن تنتهي باكراً في التقارير التي حصل عليها بيتي منذ يوم الأحد، لأنه على حد زعمه،"إنني مشغول بحماية الشوارع من المجرمين. بالإضافة إلى ذلك ستكون فرصتك لكي تتعلمي مسار العمل".

طوال فترة الأسبوعين اللذين أمضيتهما برفقته، لم تكن قد تعلمت أي شيء بخصوص العمل، باستثناء حقيقة مفاده أن بيتي كان يشعر بالسعادة أكثر عندما يتراخى في عمله بحيث تتسنى له الفرص باستعراض عضلاته أمام المرآة. قررت أنه رجل أبله بشكل مطلق لاسيما عندما يتعلق الأمر بمقابلة الناس.

ما حدث في تلك الليلة كان مثالاً رئيسياً.

لم تكن في حاجة إلى أن تفوز بجائزة نوبل حتى تلاحظ أن الذعر بدا واضحاً على كل من مايك وجولي، وذلك ليس بسبب استجواب مايك في وقت متأخر من الليل. لا، بل كانا خائفين من ريتشارد فرانكلين، وإذا كان كل ما ذكرهما صحيحاً، فكل الحق معهما بأن يخافا حسب اعتقاد جنيفر، ربما امتلك بيتي غرائز الشرطي الخبير، لكن خبرتها أيضاً لا يمكن الاستخفاف بها بالرغم أنها أنهت تدريبها للتو. لكنها نشأت، وقد تعودت على سماع هذا النوع من الترهات.

انحدرت جنيفر من سلسلة طويلة من الشرطة، والدها شرطي، وجدها شرطي، وأخواها شرطيان، بالرغم أنهم جميعهم لا يزالون يعيشون في نيويورك. كيف حدث أن انتهى بها المطاف في شمال كارولينا فهذه قصة طويلة، تتضمن الكلية، اختيار للصديق المناسب، الحاجة إلى أن تترك بصمة

ﻓﻲ هذا العالم، والرغبة بالتعرف على جزء آخر من البلاد. حدث كل هذا منذ ستة أشهر، عندما التحقت بأكاديمية الشرطة نتيجة رغبة عابرة وتفاجأت عندما تمَّ قبولها بالعمل لمجال مفتوح ﻓﻲ سوانزبورو، والدها الذي أحس بالفخر بأنها انضمت إلى فرقة مع الشبان الطيبين، كان مذعوراً لأنها تعمل ﻓﻲ شمال كارولينا."جميعهم يتعاطون التبغ ويتسمون بالشجاعة ويخاطبون كل امرأة بـ"عزيزتي". إذ كيف يمكن لفتاة إيطالية جميلة مثلك أن تتأقلم مع العمل هناك؟".

لكنها انسجمت مع أناس تلك المنطقة بما فيه الكفاية. بدا الجو السائد أفضل بكثير مما توقعت ولاسيما الناس الذين كانوا ودودين للغاية حتى أنهم يسلمون على الغرباء وهم يقودون سياراتهم، بدا كل شيء رائعاً، باستثناء بيتي غاندي. من طرف عينها، لمحته وهو يعاين تلك الذراع ثانية، ويجعل عضلاته منتفخة، وكلما مرت بجانبه سيارة أخرى، أومأ للسائق، وكأنه يطلب منه تخفيف السرعة.

سألت جنيفر أخيراً: "إذاً ما تفسيرك لقصة مايك هاريس ﻓﻲ تلك الليلة؟".

بما أنه كان منشغلاً بعضلاته. استغرق لحظة حتى انتبه إلى أنها تتكلم معه.

قال:"أوه، حسناً، آن.... كان يختلق الأعذار. هذه الحالات جربتها مئة مرة. كل شخص يوجه اللوم إلى الشخص الآخر. لم يسبق أن شعر مجرم بأنه مذنب، وإن حصل، فهنالك مبرر معقول جداً لتصرفه. حالما تكتسبين خبرة طويلة ﻓﻲ سير العمل، ستعتادين على هذه الأمور بسرعة".

"ولكن ألم تقل بأنك عرفت الشاب وأنه شاب ملتزم؟".

"لا يهم. القانون هو القانون، ويطبق على الجميع".

عرفت جنيفر أنه يحاول أن يبدو حكيماً وعملياً وفوق كل الإغراءات، ولكن في غضون الأسبوعين اللذين قضتهما مع بيتي، لم تظهر عليه أية من هذه الصفات. حكيماً وعملياً؟.

اعتبر الرجل الكفاح المهني رياضة حقيقية، والمجاملة كلمة لم تدخل في قاموسه أبداً، بحق السماء، في تلك الليلة عندما فتحت فمها لتسأل مايك هاريس سؤالاً. أومأ لها بيتي بأن تلتزم الصمت معلقاً "السيدة الصغيرة لاتزال في مرحلة التدريب بخصوص طرح الأسئلة، لا تأبه لأمرها".

سوف تنتقم منه وستضع حداً له. تعهدت على نفسها بذلك. سيدة صغيرة؟ حالما تنهي فترة تدريبها، ستجعل بيتي غاندي يدفع ثمن أفعاله. سيدفع الثمن بطريقة ما. بكل الأحوال، بما أنها لا تزال في مرحلة تدريب بشكل مهني، وإن تكن في مراحلها الأخيرة، ماذا بوسعها أن تفعل سوى أن تغلي من الغضب؟ بالإضافة إلى أنها لم تركز اهتمامها على هذه النقطة. ما يهم الآن قضية مايك هارس وريتشارد فرانكلين. وبالطبع جولي بارتسون. بسبب ما ذكره كل من مايك وجولي عن تصرف ريتشارد وتخفيه لمراقبتهما ،لم تستطع النوم بشكل جيد بعد أن بدلت ملابسها.

كان لديها إحساس بأن ريتشارد لم يكن الضحية البريئة في هذه القضية. كما أنها صدقت أقوال مايك وجولي.

"ألا تعتقد أنه من واجبنا التحقق من الأمر على الأقل؟ ماذا لو كانا يقولان الحقيقة؟".

تنهد بيتي وكأن الموضوع بث في نفسه السأم."فوق كل هذا كان عليهما النزول إلى المحطة لملء التقرير. لكنهما لم يفعلان. ثم إنهما اعترفا بأنهما لا

يملكان دليلاً على أقوالهما. حتى أنها ليست متأكدة إن كان ريتشارد هو ذلك الشخص الذي يتصل بها. إذا ماذا يعني لك كل هذا؟".

"ولكن......".

"يعني أنهما ربما يدبران القصة بأكملها. اسمعي، بدت حلقة جيدة، نحن لا نملك خياراً بالتصرف".

حاولت جنيفر ثانية. "وماذا عنها؟ جولي بارتسون. بدت مذعورة، ألا تعتقد ذلك؟".

"بالطبع كانت مذعورة. حبيبها الصغير اعتقل. ربما كنت ستشعرين مثلها بالذعر أيضاً لو كنت مكانها. أي شخص سيشعر بما شعرت به".

"في نيويورك. الشرطة....".

رفع بيتي غاندي يده."لا أريد سماع المزيد من القصص عن نيويورك، أوكي؟ الأمور مختلفة هنا. حيث تسيل الدماء الحارة قليلاً في هذه النواحي. حالما تتعلمين سير العمل، ستدركين أن كل مشاجراتنا تحصل هنا لها علاقة بنزاع ما أو ثأر من نوع ما، والقانون لا يجيد التدخل في مسائل كتلك إلا إذا تجاوزوا حدودهم، مثل هذه الحالة. بالإضافة إلى أنني، مثل مجيئك إلى هنا هذا الصباح، كنت أتحدث مع رئيس الشرطة، وقال أنه تلقى مكالمة من المحامي وأنهم يحاولون حل المشكلة بطريقة ما، لذلك أعتقد ......، أن هذه القضية ستنتهي. على الأقل ستنتهي حسب ما نريد. إلا إذا تحولت إلى المحكمة".

حدقت إليه جيفر:"عما تتحدث؟".

هز بيتي كتفيه." ذلك كل ما قاله؟".

أمر آخر لم تستطع تحمله من الشرطي بيتي وهو أنه يخفي عنها

معلومات تتعلق بالقضية التي يشتغل عليها. بيتي غاندي كانت عنده ميول للسيطرة والتحكم بالمسائل، وكانت هذه طريقته البسيطة لكي يوهمها بأنه شخص مسؤول.

عندما التزمت جنيفر الصمت، عاد بيتي إلى روتينه المبتذل ثانية.

هزت جنيفر رأسها. يا لك من أبله!.

وسط ذلك الصمت، سرحت أفكارها نحو مايك وجولي، وتساءلت إن كان بمقدورها إجراء حوار معهما ثانية، ولكن يفضل في حال غياب بيتي.

❖❖❖

كان هنري واقفاً إلى جانب مايك في المكتب، يصغي إلى مكالمة هاتفية مع محاميه.

"أنت تمازحني، لست جدياً فيما تقول، لا يمكنني تصديق ذلك!". تمشى مايك في المكتب الصغير، وكانت خطواته الثقيلة تتخللها نظرات شك، وكان يكرر تلك العبارات ذاتها. أخيراً، بدأ يجيب يجيب بشكل أحادي المقطع ثم أغلق السماعة بشكل نهائي.

لم يبرح مكانه ولم ينطق بكلمة. وبدلاً من ذلك حدق إلى الهاتف، وهو يمرر لسانه فوق أسنانه. سأل هنري:"ماذا حدث؟".

أحس هنري وكأن سؤاله تدفق من خلال مصفاة معقدة، وترجم من الانكليزية إلى لغة أخرى ثم عاد صداه إليه ثانية. بدت تعابير وجهه أكثر سوءاً.

قال مايك:" يقول أنه سمع للتو من محامي ريتشارد فرانكلين".

"ماذا سمع؟".

لم يستطع مايك رفع بصره نحو هنري. كان متجهاً نحو الباب، بالرغم

أنه بدا أنه لا يركز نظره على شيء."قال أنهم ينوون ملء أمر باعتقالي بشكل مؤقت حتى يتم .... القضية. يقول بأن ريتشارد يعتبرني مصدر تهديد له".

"أنت؟".

"يقول أيضاً أن من ..... ملأ إضبارة قضية ور..... هنري".

"إنك تمزح".

"ذلك ما قلته. وحسب رأي المحامي الآخر لا يزال ريتشارد يشعر بالدوار من تلك الليلة. أعتقد أنه من المفترض أن يشعر بالتحسن بعد عودته إلى المنزل ليلة السبت. لكن صباح يوم الأحد، شعر بغشاوة تغلق عينيه وبدوار شديد حتى أنه اضطر لطلب سيارة أجرة تقله إلى المستشفى. يدعي محاميه أنني تسببت له بارتجاج".

تأرجح هنري إلى الوراء قليلاً."هل أخبرته بأن ريتشارد يكذب؟ أقصد أنه لا يوجد دليل ضدك، إنني واثق أنها كانت ضربة موفقة، ولكن، ارتجاج؟".

هز مايك كتفيه وهو لا يزال يحاول أن يستوعب الأمر وكيف وصل به الحال وفقد زمام السيطرة. من يومين فقط أراد أن يضع حداً لمضايقات ريتشارد لـ جولي.

ومن ثلاثة أيام لم يفكر بذلك الشاب. والآن أصبح مجرماً لأنه فعل ما كان ينبغي عليه فعله.

قرر مايك أنه في حال كانت لديه حفلة عيد ميلاد فلن يدرج اسب بيتي غاندي في القائمة. ليست لديه حفلة عيد ميلاد، ولكن إن حصل واحتفل فلن يدعو بيتي غاندي إليها. إنه لم يصغِ إليه، ولم يحاول أن يفهم مبررات مايك، ولا يحدث أي شيء من هذا القبيل والآن.

نهض مايك من كرسيه."علي أن أتكلم مع جولي". أعلن نيته وأغلق الباب خلفه بشدة في الوقت الذي وصل فيه مايك إلى الصالون، لم تكن جولي في حاجة سوى إلى نظرة سريعة حتى ترى القلق الواضح الذي لم يسبق لها أن شاهدته على وجه مايك.

قال:"يا للسخرية! أقصد، ما فائدة الشرطة إن لم تضع حداً له؟ لست السبب في المشكلة، بل هو".

حاولت جولي تهدئته،"أعرف".

"ألا يعرفون أنني لم أختلق سبباً للشجار معه؟ ألا يدركون أنني ما كنت أتعرض له لولا أنه يستحق ذلك؟ ما فائدة أن يحتمي بالقانون إن كانت الشرطة لا تصدق ما تقول أصبحت الآن الشخص المدان وعلي الدفاع عن نفسي. أنا الشخص الذي يجب أن يحتجز. أنا من عليه توكيل محامٍ. ماذا عن نظام العدالة بحق المجرمين؟ هذا الشاب يستطيع أن يفعل ما يشاء، بينما أعامل على أنني المذنب".

لم تجب جولي على الفور، وحتى مايك بدا أنه ليس في حاجة للرد. أخيراً أمسكت بيده وشدتها حتى دق قلبه.قالت:"أنت محق، هذا ليس عدلاً، إنني آسفة".

بالرغم أن لمستها بعثت الهدوء في نفس مايك، غير أنه لم يستطع أن ينظر إلى عينيها."أنا آسف أيضاً".

"لماذا تتأسف؟".

"لأنني تعاملت مع المسائل بعنف حتى وصلت إلى الشرطة. إنني قلق بشأن القضية. أستطيع تحمل كل ما يحدث لي، ولكن ماذا عنك؟ بسببي لا يصدق البوليس قصتك. وماذا لو لم يصدقوا لا أنا ولا أنت مستقبلاً؟".

لم تشأ جولي أن تفكر بالأمر أكثر من ذلك. لم تفكر بالموضوع طوال فترة الصباح. حدث كل شيء مثلما خطط له ريتشارد. كانت متأكدة أكثر من أي وقت مضى أنه هو الذي خطط لكل ما حصل.

قال مايك:"لا يبدو هذا عادلاً".

"هل قال المحامي شيئاً آخر؟".

هز مايك كتفيه:"كرر الكلام المعتاد: ليس هنالك مبرر للقلق بالرغم من كل ذلك".

"الكلام سهل عليه".

أفلت مايك من قبضة جولي وأخذ نفساً عميقاً."أجل". بدا مرهقاً ومهزوماً، وكانت جولي تحدق إليه."هل ستأتي الليلة؟".

"إن كنت ترغبين بمجيئي. ربما تكونين متضايقة مني جداً".

"لست متضايقة منك. لكنني سأتضايق إن لم تأتِ. إنني حقاً لا أريد البقاء وحدي الليلة".

كان مكتب ستيفن سايدز بالقرب من مبنى المحكمة. حالما دخل، اقتيد مايك إلى غرفة ذات جدران خشبية فيها طاولة كبيرة مستطيلة الشكل ورفوف تكدست فوقها كتب القانون. اتخذ لنفسه مقعداً عندما فتح المحامي الباب.

ستيفن سايدز في الخمسين من عمره، له وجه مستدير وشعر أسود اللون بدأ يشيب عند الصدغين. البذلة التي لبسها كانت باهظة الثمن - صنعت من الحرير المستورد من إيطاليا - لكنها بدت غير مكوية بإحكام، وكأنه لم يعلقها بعد آخر مرة لبسها. كان هنالك انتفاخ في جلده وعند ذروة أنفه وكان يكثر من شراب الكوكتيل، ولكن ملامحه وجديته في مسعاه منع

مايك شعوراً بالثقة بالنفس، تكلم سايدز ببطء وحرصٍ، حيث كان لكل كلمة نطقها تأثيرها الخاص. سمح لـ مايك بأن يتجول لمدة بضع دقائق، قبل أن يطلعه على قصة بكاملها وينهال عليه بفيض من الأسئلة. لم يستغرق ذلك وقتاً طويلاً بحيث لم يتسن لـ مايك إخباره كل شيء.

بعد أن انتهى من الكلام، وضع سايدز قلمه الرصاص على مسنده القانوني واتكأ إلى الوراء."كما قلت لك على الهاتف، لست قلقاً بشأن المشاجرة التي حدثت ليلة السبت. من جهة، لست واثقاً من أن المدعي العام للمقاطعة سيتخذ الإجراءات القانونية، لعدة أسباب، بدأ يلفظ كلماته بحدة الواحدة تلو الأخرى. سجلك النظيف، ومكانتك الجيدة في المقاطعة، وحقيقة مفادها أنه يدرك جيداً بأنك قادر على إحضار دزينة من الشهود مما يجعل الأمر صعباً عليه بأن يدينك. وحالما أخبره عن السبب الذي جعلك تقوم بما قمت به ستكون الإجراءات القانونية مشكوك بها أكثر، حتى لو لم يكن هنالك دليل يثبت أنه كان يترصد المنزل. يعلم جيداً أن هنالك دور لهيئة المحلفين" .

"ولكن ماذا عن القضية المدنية؟" .

"تلك مسألة مختلفة، ومن المحتمل أن لا تنفذ في الوقت الحالي، هذا إن لم يتم تنفيذها على الإطلاق. في حال لم يتخذ المدعي العام للمنطقة الإجراءات القانونية، فلن يكون هذا من مصلحة فرانكلين، وكذلك حتى لو اتخذها وخسر القضية. فلن ينفع هذا أيضاً الطرف الآخر. في كل الاحتمالات، لن يذهبوا إلى المحكمة ما لم يربح المحاكمة، وكما قلت لك، لا أعتقد أن هذا الأمر سيحدث. حسب اعتقادك كانت جولي في خطر وأنت بدورك تصرفت، بأفضل الأحوال وأسوئها، سيجد الناس أن ذلك الأمر مقبولٌ بشكل تام. وأمر الاعتقال هو أمر شكلي فقط.

أفترض أنه لا مشكلة لديك بالبقاء بعيداً عن ريتشارد فرانكلين،

"لا على الإطلاق. لا أرغب أبداً بأن أجتمع بذلك الشاب في مكان واحد".

"جيد. ولكن دعني أتعامل مع المدعي العام، أوكي؟ ولا تتطرق للحديث ثانية مع الشرطة. أوكل الأمر إلي وأنا سأتدبر الأمر".

أومأ مايك."إذاً هل تعتقد حقاً أنه لا ينبغي علي القلق بهذا الشأن؟".

"ليس بعد، بكل الأحوال. دعني أتحدث مع بعض معارفي، وسأطلعك على مستجدات الأحداث في غضون يومين. إذا كنت ستشعر بالقلق على أحد ما، عليك أن تقلق على ريتشارد فرانكلين".

اتكأ سايدز إلى الوراء، وارتسمت تعابير الجدية على وجهه."ما أخبرك إياه هو لمصلحتك. أوكي؟ وإنني أقوم بهذا فقط لأنك تبدوا شاباً مهذباً. عندما تقول بأنني الشخص الذي أخبرتك بما سيحدث، سأنكر ذلك".

بعد لحظة، أومأ مايك.

انتظر المحامي، حتى تأكد أن لفت انتباه مايك بشكل كامل.

"هنالك أمر يجب أن تفهمه فيما يتعلق بالشرطة. لرجال الشرطة خدمة جليلة عندما يتعلق الأمر بالنهب أو بجريمة ما. لأجل هذا وجد النظام - للإمساك بالمجرمين والسارقين. حتى بخصوص قوانين التجسس، ليس هنالك ما تستطيع الشرطة القيام به حيال شخص ما يهدف إلى النيل منك ومراقبتك ويبدي حرصاً شديداً بأن لا يترك دليلاً يدينه. أما إذا تصرف الشخص بشكل طائش وسبب لك الأذى دون أن يكترث للعواقب المحتملة، عندئذ عليك أن تطمئن بشأن حقوقك. سيتوجب عليك التعامل مع الموضوع بنفسك".

"إذاً هل تعتقد بأن ريتشارد فرانكلين كان يريد إيذاء جولي؟".

"ليس هذا السؤال الصحيح الذي يفترض طرحه. السؤال هو، هل تعتقد أنه يريد إيذاءها؟ إن كانت تعتقد حقاً، فعليك أن تكون مستعداً للتعامل معه. لأنه عندما تسوء الأمور أكثر، فلن تجد أحداً قادراً على مساعدتك".

سببت المحادثة الحيرة لـ مايك. من الواضح أن سايدز رجل ذكي، وبالرغم من إحساسه بالتحسن بخصوص دلائله القانونية، لم يكتمل شعوره بالارتياح بعد تحذير سايدز له.

هل انتهى الأمر الآن بينما يتعلق بـ ريتشارد؟.

وقف مايك خارج سيارته صامتاً يفكر بالأمر. تخيل وجه ريتشارد ثانية في البار. رأى تلك الابتسامة المتكلفة، وفي هذه اللحظة، أدرك أمراً ما.

أدرك أن القضية لم تنته. كانت تلك لحظة البداية بالنسبة إلى رييتشارد. وبينما يهم لدخول سيارته، تذكر ثانية سايدز وهو يحذره.

ما من شخص سيكون قادراً على مساعدتك.

في ذلك المساء، بذل كل من مايك وجولي كل ما في وسعهما لقضاء ليلتهما بشكل طبيعي قدر الإمكان تناولا البيتزا وهما في طريقهما إلى المنزل، ثم شاهدا فيلماً، ولم يخفيا مشاعرهما كلما مرت سيارة عبر الشارع، حيث كان كلاهما يحبسان أنفاسهما حتى تمر السيارة.

أسدلا الستائر وأبقيا سنغر في الداخل. حتى سنغر التقط منهما المشاعر المتوترة. كان يتمشى في المنزل وكأنه في جولة حراسة، لم يكن ينبح ولا يزمجر. عندما أغلق عينيه ليغفو قليلاً، أبقى إحدى أذنيه مفتوحةً لتلقي أية ذبذبات.

الأمر الوحيد الذي بدا غير عادي في تلك الليلة هو ذلك الهدوء الشديد. كانت جولي قد غيَّرت رقم هاتفها حديثاً لذلك لم تسمع رنته في ذلك

الوقت. قررت إعطاء الرقم لعدد محدود جداً من الأشخاص، وطلبت من مابل أن لا تعطيه للزبائن. فكرت في نفسها، إن كان ريتشارد غير قادر على الاتصال ربما سيترك رسالة.

انتقلت جولي لتجلس على الأريكة، ربما.

بعد العشاء، سألت مايك عن لقائه بالمحامي، وأخبرها مايك بأن سايدز طلب منه بأن لايقلق بهذا الخصوص. لكن جولي بنظرتها الثاقبة، أدركت أن مايك يحاول إخفاء أمرٍ ما.

❖❖❖

عبر البلدة، وقف ريتشارد في غرفته المظلمة، كان وجهه متورداً، وأخذ يراقب الصورة المعلقة ويزيحها من مكانها ببطء. لا يزال يتأثر بها يشعر أن فيها شيئاً من الغموض - فيها أشباح وظلال، وظلمة أصبحت حقيقية. أصبحت تجسد صورة جولي.

تلألأت عيناها وسط تلك الظلمة، وأضاءت كل ما حولي.

عاد ليراقب الصورة، الشيء الوحيد المستمر في حياته. حدق إلى جمال وتألق الضوء والظلال المنعكسة على الصورة، أحس بقيمة الحياة، وتذكر أن يسيطر على قدره. لا يزال مرهقاً مما حصل في تلك الليلة. بلا شك أن تخيلات جولي كانت تتدهور إلى مستوى خطير. بالرغم أنه ما كان يفكر به فيما بعد أنها لا تزال تتساءل وهي في حيرة من أمرها عن سبب ما حدث، عاملته وكأنه وحش، أو شبح يثير الرعب في نفوس الأطفال عندما ينامون، أحس برغبة بأن يضحك.

أنى له أن يشعر بالتحسن وسط جو مرعب كهذا؟.

ومايك، يحاربه مثل الفارس في البار، أمر يمكن التنبؤ به، يرغب تقريباً

بأن يجعل الأمر ساخراً أيضاً. لا سبيل لتحدي شخص مثل. جولي، بالرغم أنها ...

عاطفية للغاية. وشجاعة جداً. وتضج حيوية.

بينما كان يتفحص الصورة أمامه، بدأ يلاحظ وجه التشابه بين جولي وجيسيكا. العينان ذاتهما. والشعر ذاته. لمحة البراءة ذاتها. منذ اللحظة الأولى التي قابلها فيها في الصالون، اعتقد بأنهما أختان.

في تلك اللحظة هز ريتشارد رأسه، وقد استرجع كل ذكريات جيسيكا.

كانا قد استأجرا منزلاً في برمودا لقضاء شهر العسل، لا يبعد كثيراً عن المنتجعات الكبيرة كان منزلا هادئاً ورومانسياً، فيه مراوح سقفية وأثاث أبيض اللون صنع من خشب الخيزران وشرفة مطلة على المحيط. كان هنالك شاطئ له جوه الخاص بحيث استطاعا قضاء ساعات وحدهما تحت أشعة الشمس، هما الاثنان فقط.

أوه، كم كان تواقاً للاستمتاع بجو كذلك! في غضون أول يومين التقط لها دزينة من الصور كم أعجب ببشرتها، كانت ناعمة الملمس وصافية، وملتمعة، ثم أخذت تتلون بشرتها بلون برونزي، وكانت تبهر الأنظار عندما تلبس فستانها القطني الأبيض اللون. في تلك الليلة، لم يكن يرغب بأي شيء سوى أن احتضانها بين ذراعيه ويزيل الفستان عن جسدها ويمارس معها الحب تحت مظلة السماء.

لكنها كانت ترغب بالذهاب إلى المرقص. هنالك في المنتجع.

لا، قال لها، لنبقَ هنا، إننا نمضي شهر عسلنا

قالت له، أرجوك. اقبل لأجلي. هلا فعلت هذا لأجلي؟.

انطلقا، وكان الجو صاخباً ومليئاً بالمسكرات، وكانت جيسيكا تمرح

بصخب وتشرب. بدأت تدمغ كلماتها ببعضها، وفيما بعد ترنحت وهي تشق طريقها حتى بقية الغرفة. تمايلت نحو شاب وسكبت له مشروبه. لامس الشاب ذراعها وضحك. فشاركته جيسيكا الضحك. كان ريتشارد يغلي غضباً وهو يراقب ما يحدث. لقد شعر بالارتباك والغضب. لكنه قال لنفسه أنه سيسامحها. كانت لا تزال شابة ومراهقة. سيسامحها، لأنه زوجها ويحبها. ولكن عليها أن تعاهده بأن لا تفعلها ثانية.

ولكن في تلك الليلة، بعد أن غادرا المنزل، حاول أن يتحدث معها لكنها لم تصغِ إليه. قالت له، كنت أحاول فقط أن أمرح، بمقدورك أيضاً أن تمرح معي.

كيف أقوم بهذا، وزوجتي تغازل الغرباء؟.

لم أكن أغازل الغرباء.

لقد رأيتك.

كف عن هذا الجنون.

لماذا تقولين هذا لي؟ لماذا تقولين؟.

واو.... دعني أنصرف.... إنك تجرحني.......

ماذا تقولين؟

واو....... رجاء..... واو!

ماذا تقولين؟

فكر ريتشارد، في نهاية الأمر خيبت آماله. وجولي أيضاً خيبت آماله. خابت آماله في مخزن البقالة وفي الصالون وصدم بالطريقة التي حدثته فيها على الهاتف.

كان قد بدأ يفقد إيمانه، لكنها أعادت حساباتها في البار. لم تستطع أن

تتجاهله، لم يكن في وسعها أن تبتعد عن طريقه ببساطة. فكرت في نفسه، لا، كان عليها أن تتحدث معه، وبالرغم أن كلماتها ترجمت حقدها عليه، عرف تماماً بما كانت تحس به. عرف أنا تهتم لأمره، لماذا إذاً كان الغضب والحب وجهان لعملة واحدة؟ لم يكن بوسع الغضب العارم أن يتأرجح لولا وجود حب عظيم..... وهي كانت غاضبة للغاية.

الفكرة جعلته يشعر بالاسترخاء.

غادر ريتشارد الغرفة المظلمة وشق طريقه إلى غرفة النوم هنالك على السرير، وسط مجموعة من الكاميرات والعدسات، أمسك بسماعة الهاتف. غرف بأن رقم هاتفه سيظهر على الكاشف، ولكنه كان في حاجة إلى سماع صوتها الليلة، حتى لم يظهر إلا رقمه. عندما سمع صوتها، تخيلها على المسرح ثانية، فامتلأت عيناه بالدموع، استطاع سماع أنفاسها تتسارع وكأن طيفاً يفكر فيما إذا كان عليه أن يسمح لحبيبه بالتخلي عنه أو أنه يجب على كليهما أن يفارقا الحياة.

رفع السماعة، ثم أغلق عينيه متوقعاً سماع صوتها. ولكن بدلاً من أن يسمع صوت جولي المألوف، سمع تسجيلاً من شركة الاتصالات. أنهي المكالمة ثم طلب الرقم ثانية، لكن بحرص شديد هذه المرة، وتلقى الرسالة المسجلة ذاتها.

حدق ريتشارد إلى الهاتف. أوه، جولي، تساءل، لماذا؟ لماذا؟.

❖❖❖

الفصل التاسع والعشرون

بعد ضوضاء الشهر الماضي، مرَّ الأسبوع التالي على حياة جولي بهدوء وعاد الاستقرار إليها من جديد. لم تقابل ريتشارد في أي مكان أثناء الأسبوع أو في نهاية عطلة الأسبوع التالي، ومضى يوم الاثنين بسلام دون أية حوادث تستحق الذكر، وكانت تأمل أن يكون ذلك اليوم مماثلاً لغيره.

بدا أن اليوم هادئ حقاً. من الواضح أن قائمة هاتفها لم يسجل عليها اي رقم، ومع ذلك كان من المرحب أن تريح نفسها ولا تقلق بهذا الشأن، وقد بدأت تفكر أنها ربما من الأفضل لها أن تحشر الهاتف في الباحة الخلفية، بما أنه من الواضح أنها لن تتلقى أي اتصال، بقية حياتها.

أربعة أشخاص فقط-مابل، مايك، هنري وإيما- عرفوا رقم هاتفها، وبما أنها كانت تقضي طوال النهار بصحبة مابل والليل بصحبة مايك، لم يكن هنالك أي مبرر لأي منهما كي يتصل. هنري لم يتصل بها طوال عدة سنوات التي عرفته من خلالهم، مما يعني أن إيما هي الشخص الوحيد الذي من المحتمل أن تتصل بها. ولكن بعد أن سمعت إيما مدى تأثير المكالمات على أعصاب جولي، كان واضحاً أنها ستمنحها استراحة، لأنها لا ترغب بأن تكون السبب في تهييج أعصابها من جديد.

اعترفت جولي في بادئ الأمر أن فكرة تغيير الرقم لم تكن سيئة، بإمكانها الآن أن تطهو طعامها أو أن تأخذ حماماً أو تقرأ المجلة أو تعانق مايك بدون أن تشعر بالقلق والاضطراب، لكن بعد مرور أسبوع، بدا الأمر مزعجاً. بالتأكيد باستطاعتها أن تتصل بمن تريد، غير أن الأمر بالنسبة لها على حد سواء لأنه لم يتصل بها أي شخص، ولم يكن بمقدور أحد الاتصال بها، بدأت تشعر وكأنها انتقلت إلى العصور البدائية.

من المضحك حقاً كيف يغير المرء حساباته وآراءه بعد أن تقضي أسبوعاً هادئاً. لكنها فترة هادئة بالفعل! هادئة حقاً! هادئة بشكل طبيعي! لم تقابل ريتشارد، حتى عن مسافة بعيدة، وكانت تراقب الأجواء كل دقيقة لربما تراه يلاحقها، وبالطبع فعل الأمر ذاته كل من هنري ومابل ومايك، كانت تختلس النظر من وراء نوافذ الصالون في جميع الاتجاهات اثنتي عشرة مرة يومياً. عندما كانت تقود سيارتها، كانت تستدير فجأة نحو الطريق، وتتوقف وتحدق في المرآة الخلفية للسيارة للتأكد إن كان هنالك أي شخص يتبعها. كانت تتفحص المنتزه الممتد أمام منزلها، كان سينغر يتجه رأساً نحو الغابات فتناديه كي يستكشف المنزل قبل دخولها. تنتظره خارجاً، واضعة

يدها على علبة الفلفل الرذاذ والتي اشترتها، بينما يتفحص سنغر الغرف لكن سينغر يقفل راجعاً في غضون دقائق، وهو يهز ذيله، وينسكب ريقه. وقد بدا سعيداً مثل طفل في حفلة عيد ميلاد.

بدا وكأنه يريد أن يطرح سؤالاً مفاده، لماذا لا تزالين جاثمة في مكانك على الشرفة؟ ألا تريدين الدخول؟

حتى الكلب لاحظ أنها كانت تتصرف بشكل هستيري. والنغمة ذاتها استمرت بشكل آمن أكثر مما كانت مؤسفة.

ثم أن مايك لم يدعها تغيب عن ناظريه لمدة لا تتجاوز بضع دقائق إلا عندما تكون في عملها. بالرغم أنها ارتاحت لوجوده حولها، لكن مرت عليها لحظات أحست فيها بالاختناق. فكرت جولي أن هنالك أموراً تتحقق بشكل افضل دون وجود مايك.

من الناحية القانونية، كان هنالك نشاط مزدوج حيث حضرت الشرطة ومانيلو منذ الأسبوع السابق وتحدثت إليهما، سمعت قصتهما وطلبت منهما بأن لا يترددا بالاتصال بها في حال حدث ثانية أمر غير عادي. هذا ما جعل جولي تشعر بالتحسن، وكذلك مايك، ولكن لم يكن عندهما مبرراً للاتصال. من ناحية أخرى، المدعي العام للمنطقة امتنع عن توجيه أية اتهامات، رغم أنه ترك الباب مفتوحاً لأية احتمالات ممكنة في تاريخ قادم، قال بأن لديه إحساساً بأن مايك عنده ما يبرر تصرفاته وليس هنالك دليل رسمي يؤكد صحة كلامه. وبالتالي لم يكن بوسع مايك وجولي الاتصال معه. عندما سمعت جولي بهذا الكلام، فكرت كم كان الأمر غريباً.

مرت ثمانية أيام دون أي جديد يذكر، لم يحدث أي شيء على الإطلاق سبب المضايقة لـ جولي.

بالرغم من أن جولي أبكمتها الصدمة بما فيه الكفاية لتنسى المغامرة المحتملة- قالت لنفسها، لن أكون أبداً واحدة من أولئك اللواتي يسئن الظن بالآخرين فيعتبرهن الجميع حمقاوات لكن تغييراً طارئاً حدث، بدون أن تدرك ذلك بشكل عملي. الأسبوع السابق، توقعت أن تقابل ريتشارد. توقعت أن تراه يتمشى في كل مكان، واستعدت لمثل هذا التوقع. ما هي مقدمة على فعله يعتمد بالضبط على الظروف بالطبع، ولا تملك أية شكوك تجعلها تصرخ أو تركض أو تجعل سنغر ينقض على الشاب. قالت لنفسها مراراً، إنني على استعداد لأي طارئ، فقط اتخذ خطوتك وسترى. أي مطب توقعني به سيجعلك نادماً على ما اقترفت يداك يا سيد فرانكلين.

مرت آلاف اللحظات من البحث والإصغاء وتقفي أثره في كل مكان والآن، على الرغم أنها لا تزال تشعر بقلق شديد، وصلت إلى درجة فقدت الأمل برؤيته لذلك عندما أخبرها مايك بأن ستيفن سايدز قد ترك له رسالة، يطلب منه الحضور للاجتماع به فترة قصيرة، قالت له جولي أنها شعرت بالسأم وستتوجه رأساً إلى المنزل وحدها.

قالت:"بعد أن تنتهي من لقائك عرِّج علي. وإذا كنت ستتأخر، اتصل بي، أوكي؟".

قفز سنغر من سيارة الجيب حالما وضعتها في الكراج ودار حول الباحة، مبتعداً عنها أكثر فأكثر، وهو يشم الأرض بينما هي تناديه، رفع رأسه، وهو يحدق إليها عبر الباحة.

بدا وكأنه يقول، أو، هيا، منذ دهر لم تأخذيني مشواراً.

نزلت جولي من سيارة وقالت:"لا، لا يمكننا الذهاب الآن. ربما نذهب فيما بعد، عندما يصل مايك إلى هنا".

جثم سنغر في مكانه

"آسفة، أنا بالفعل لا أرغب الخروج، هل تفهمينني؟".

من مسافة بعيدة، شاهدت أذنيه تتدليان. أو، هيا.

شبكت جولي ذراعيها ونظرت جولي حولها. لم تر سيارة ريتشارد، ولم تلمحها بينما كان تقود. لم يكن هناك، إلا إذا كان يخطط للاختباء على مسافة ميلين. السيارة الوحيدة التي اصطفت على شارعها حملت اسم شركة كانت تقدم الكثير من المبيعات، وتترافق مع اسم سيدة تبيع بضائع الشركة تدعى،إدنافارلي.

كانت إدنا تتردد على المحل. بالرغم أن مابل هي التي تقص شعرها، كانت جولي على معرفة بها منذ سنوات. إنها فتاة ممتلئة الجسم، متوسطة العمر، جميلة ومرحة ومتحمسة وعندها ميول لأن تترك بطاقات عملها في أرجاء الصالون - لكنها أيضاً مشتتة الذهن قليلاً، عندما تشعر بالمتعة، وهذا غالباً ما تشعر فيه في معظم الأوقات، كانت تبدو أنها تفقد بوضوح مواكبة الحديث وتتأخر خطوة عن الذي تسمعه. بينما كان الآخرون يتنقلون لمناقشة مواضيع أخرى، كانت إدنا تتابع مناقشة الموضوع السابق. كانت جولي تتضايق منها لهذا السبب، لكنها تسامحها، وتقول لنفسها، "إنني سعيدة أن مابل هي التي تقص شعرها ولست أنا".

أخذ سنغر يحرك ذيله صعوداً وهبوطاً مثل موجة. أرجوووك؟

لم ترغب جولي بالخروج، لكنها بالفعل منذ مدة طويلة لم تصطحب سنغر في مشوار.

نظرت ثانية حول الشارع. لا يوجد أحد.

هل ستجده يتمشى على بعد ميلين إذا أخذت سنغر في نزهة؟.

فكرت في نفسها. لا، لن تكون هناك. إن الغابات تثير في نفسها الآن الرعب. فهنالك أماكن كثيرة يمكن الاختباء فيها. أماكن كثيرة يمكنه من خلالها التخفي والمراقبة. هنالك فرص كثيرة أمام ريتشارد للاختباء خلف شجرة والتسلل وراءها.

أحست جولي بالذعر من جديد، وحاولت إبعاد الفكرة من رأسها. قالت لنفسها أكثر من مرة لن يحدث شيء. سنغر إلى جانبها، وإدنا تطوف في المكان. وسيارته غير موجودة. ريتشارد ليس هنا.

إذاً لماذا لا تأخذ الكلب في نزهة؟

نبح سنغر وكأنه يريد إثارة انتباهها. حسناً؟

قالت أخيراً: "أوكي. لكننا لا نستطيع أن نتأخر. يبدو وكأن عاصفة وشيكة الحدوث حتى قبل أن تنهي كلامها، انطلق سنغر واستدار نحو الغابات، واختفى خلف تلة من الأشجار.

استغرق ذلك بضع دقائق قبل أن تدرك أنها كانت تهمس لنفسها.

كانت تقول:"لن يحدث شيء. المكان آمن تماماً".

فكرت جولي، ولكن لتفهم الأسباب من جديد. أليس كذلك؟ لا أشعر أن هنالك مبرراً لحدوث أي أمر. إذاً وصلت ثانية إلى نتيجة منطقية مفادها أن ريتشارد لم يكن على مقربة منها.

ولكن نتيجة لم تسعفها كثيراً. إذاً بدأت تطرح أسئلة للنقاش وتبالغ في التفاؤل إذاً لا بد من الاسترخاء من خلال نزهة في الغابات.

زحفت جولي على طول الحاجز، ودفعت جانباً الشجيرات الكثيفة.

كانت أوراق النباتات قد ازدادت نمواً منذ آخر مرة شاهدتها فيها، أو على الأقل هكذا رأتها. في الماضي، استطاعت أن ترى خيوطاً من الضوء

تخترق ذلك الغطاء النباتي، ولكن بسبب غروب الشمس وتكاثف الغيوم الرمادية، بدت الغابة مظلمة بشدة على غير عادتها.

هذا تصرف أحمق، أحمق، أحمق، أحمق. لو كانوا يعرفون وقم هاتفها لاتصلوا بها، ربما. اتصلوا غداً.

"لكن لماذا لا تتصرفين بحرص؟ ربما يسأل ضيف ما.

يتكون إجابتها وهي تمسح عينها بعفوية، لأنني حمقاء.

هدأت لكي تصغي إلى ما حولها، لم تسمع شيئاً سوى صوت المحقق من بعيد.

تلفتت حولها، نظرت أعلى وأسفل السياج، ولم تلحظ أية حركة غير عادية. لا أحد. همست،"بالطبع الجو آمن".

فكرت في نفسها، أوكي يا فتاة، ها قد تأكدت، فلتحافظي على هدوئك. لا أرى سنغر، لكنه في الجوار، سأدع سنغر يتجول قليلاً، وسنعود في غضون دقائق إلى المنزل، وسيعود كل شيء طبيعياً. ربما تأخذ كأساً من النبيذ لكي تستعيد توازنها، ولكن هيه،إنني المخلوق البشري الوحيد هنا. وسنغر يحب النزهة، وبعد كل هذا ....

على مسافة بعيدة سمعت نباح سنغر، فبدأ قلبها يخفق بين جوارحها. إذاً كل شيء يسير على ما يرام، غيرت رأيها، أظن أنها رسالة واضحة كفاية صرخت:"سنغر! هيا. لنرجع إلى البيت! حان الوقت للعودة!"

انتظرت وأصغت، لكن سنغر لم يعد. بدلاً من ذلك عاود النباح، لكنه لم يكن ينبح بغضب. بدا وكأنه ينبح لكي يحيي أحداً ما، إنه نباح ودود. مشت جولي خطوة باتجاه مصدر النباح وتوقفت. فكرت في نفسها، لا تذهبي، حتى تميزي صوتاً آخر. صوت ما. شخص ما يتحدث مع سنغر وعندما تعرفت على مصدر الصوت، تنهدت بارتياح. إدنا فارلي.......

بعد ذلك مشت بسرعة، وسلكت الطريق المتعرجة حتى ميزت مياه الساحل. هنا توضحت معالم الغابة. ورأت إدنا وهي تربت على رأس سنغر الذي كان جالساً على وركيها، فاتحاً فمه. عندما سمع صوت جولي، أدار رأسه.

بدا وكأنه يقول، هذه هي الحياة. مشوار قصير، حب قليل.... هل يمكن أن يكون هنالك الأفضل؟.

إدنا استدارت أيضاً.

نادت."جولي! توقعت أن تسلكي هذه الطريق. كيف حالك؟".

اتجهت جولي نحوها ."مرحباً إدنا . إنني بخير. أتنزه هنا فحسب".

"إنه يوم جميل مناسب للنزهة. أو بالأحرى كان مناسباً عندما خرجنا، ولكن يبدو الآن أنها توشك أن تمطر خلال برهة قصيرة".

بعد قليل اقتربت جولي وسألت:"نحن ؟".

"أجل، عندي زبون يبحث عن قطعتين من الأرض صار لهما فترة معروضتين للبيع لكنه يبدو مهتماً، لذلك تمنى لي النجاح".

أثناء حديثهما نهض سنغر فجأة واتجه صوب جولي، وكان شعر رقبته قد انتصب للأعلى. بدأ ينبح، أحست جولي أن قلبها بدأ يخفق وهي تستدير بالاتجاه الذي كان سنغر يحدق نحوه. بدا أنها استغرقت لحظة حتى أدركت ما تراه، فأخذت نفساً مرهقاً. تابعت إدنا وقالت:"أوه، إنه هنا".

قبل أن تتمكن جولي من الإتيان بأية حركة، أو التفكير بالنظر لترى من يكون ذلك الشخص، كان ريتشارد واقفاً إلى جانب إدنا. مسح جبينه وابتسم لها، ابتسامة جعلت إدنا تتورد قليلاً.

قال ريتشارد:"كنت على حق. تلك القطع من الأراضي جميلة للغاية، لكنني على ما أعتقد أفضل تلك الممتدة على هذا الجانب".

قالت إدنا :"أوه، أجل. إنك محق بشكل مطلق. ومشهد الماء على هذا الجانب منعش دون أن تدفع ثمنه. كما تعلم ليست هنالك واجهة مائية سواها . إنه استثمار مذهل" . ضحكت، ولا أحد فيهما كان يصغي إلى ما تقوله إدنا الآن." أوه، يا لفظاظتي؟ أود أن أعرفك على صديقتي....." .

قال ريتشارد :"مرحباً، جولي. يا لها من مفاجأة سارة!" .

لم تتفوه جولي بكلمة. كل مااستطاعت أن تفعله هو أن تبقى واقفة. استمر سنغر بالنباح، وكشر عن شفتيه حتى بانت أسنانه. وإدنا لم تكمل عبارتها وتساءلت:"أوه، هل تعرفان بعضكما؟" .

قال ريتشارد :"بمقدورك قول ذلك. أليس هذا صحيحاً يا جولي؟" .

حاولت جولي أن تتماسك. قالت جولي في نفسها . يا لك من ابن حرام! كيف عرفت أنني سأكون هنا؟ كيف عرفت؟" .

سألت إدنا :"هيه جولي. ماذا به سنغر؟ لماذا يتصرف وكأنه مضطرب؟" .

قبل أن تجيبها جولي، حدق ريتشارد إلى إدنا .

"إدنا - هل أحضرت معلومات عن مقاييس مساحة الأراضي كما طلبت منك؟ وعن الأسعار؟ أظن أنه علي الاطلاع على نشرة موضحة على الأراضي" .

عندما سمعت كلمة الأسعار ومضت عينا إدنا .

"بالطبع سأطلعك. كل المعلومات موجودة في السيارة. أسمح لي بإحضارها . سأعود خلال بضع دقائق.

قال وهو يهز كتفيه."خذي وقتك. لست على عجلة من أمري" .

بعد لحظة كانت تتهادى نحو الطريق، مثل قارورة ممتلئة توشك على السقوط. عندما غابت عن الأنظار، استدار ريتشارد نحو جولي مبتسماً .

قال:"تبدين رائعة الجمال. لقد افتقدتك. كيف أحوالك؟".

أدركت جولي فجأة أنهما وحدهما، وهو إدراك كاف ليهز أحاسيسها من الداخل. تراجعت خطوة إلى الوراء، شاكرة الله أن سنغر كان يقف بينهما.

"ماذا تفعل هنا ريتشارد؟".

هز ريتشارد كتفيه وكأنه يعلم مسبقاً أنها ستطرح عليه هذا السؤال."إنه استثمار عظيم. أفكر أنه مكان رائع يشجع المرء على شراء أرض حتى يصبح بمقدوره امتلاك منزل هنا وبهذه الطريقة يضع جدراناً".

شحب لون جولي.

ابتسم."هل تحبين ذلك جولي؟ هل تحبين أن أكون جارك؟.... لا؟ إذاً ربما عليَّ أن أتحدث معك. غيرت رقم هاتفك، لا يمكنك أن تبقي وحيدة. ماذا بوسعي أن أفعل أكثر من ذلك؟".

تراجعت خطوة أخرى إلى الوراء، وجثم سنغر في مكانه، وكأنه يحذر ريتشارد من الاقتراب منها، هز ساقيه الخلفيتين وكأنه يستعد للانقضاض عليه.

قالت جولي وهي تبغض نبرتها الكئيبة:"لا أريد التحدث معك. لماذا لا تستطيع أن تفهم ذلك؟".

قال ريتشارد بنبرة لطيفة. بدا كئيباً، وتأثرت جولي بالمشهد فجأة:"ألا تذكرين لقاءنا؟ عندما أمضينا وقتاً مميزاً. لماذا ترفضين الاعتراف بذلك؟".

تراجعت خطوة أخرى للوراء."ليس هنالك ما أعترف به".

قال بارتباك:"لماذا تتصرفين معي بهذه الطريقة؟ مايك ليس هنا الآن - نحن وحدنا".

تلفتت جولي حولها، ونظرت إلى الطريق. حان الوقت للهروب من هنا.

"إذا اقتربت مني خطوة واحدة، سأصرخ – وحان الوقت لكي أدع سنغر يتصرف على حريته".

رسم ابتسامة لطيفة، وكأنه يحاول بتهذيب أن يشرح أمراً ما لطفل.

"ليس هنالك مبرر للخوف. تعلمين أنني لن أؤذيك. إنني أحبك".

ومضت عيناها. "تحبني؟!".

قالت أخيراً:"ما هذا الهراء الذي تتكلم عنه؟" تدفقت الكلمات منها بقوة أكثر مما توقعت.

قال لها ثانية:"أحبك. بوسعنا أن نبدأ من جديد. سنذهب ثانية إلى المسرح- أعلم أنك لا تمانعين. إذا كنت لا ترغبين بالذهاب، بإمكاننا الذهاب إلى أي مكان آخر. لا يهم. وسنعتبر أن افتتان مايك بك مجرد نزوة، أوكي؟ إنني أسامحك".

وهو يتكلم معها، كانت جولي تتابع ترجعها إلى الوراء، كانت مندهشة مما يقول. ولكن ليست الكلمات ببساطة هي التي أدهشتها، بل نظرة الإخلاص المطلق التي ارتسمت على وجهه.

ابتسم ابتسامة ماكرة. "أراهنك أنك حتى لم تخبريه أنني أمضيت ليلة في منزلك. كيف تعتقدين ستكون ردة فعله حيال هذا الأمر؟".

كلماته هزتها من الداخل. لاحظ ريتشارد مدى تأثيره عليها، وأحس أنه محق، مَدّ يده قائلاً:"والآن هيا، لنذهب إلى مكان هادئ ونتناول شيئاً".

تراجعت جولي، وتعثرت بجذر شجرة مكشوف فاختل توازنها تقريباً."لن أذهب معك إلى أي مكان".

"أرجوك لا تتكلمي بهذه الطريقة. أرجوك سأمنحك السعادة يا جيسيكا".

مرت ثانية، فكرت جولي إن كانت تسمع ريتشارد بشكل صحيح، لكنها أدركت أن سمعها جيد. صرخت:"أنت ..... أنت ..... مجنون".

هذه المرة أذهلته كلماتها.

قال ريتشارد بفظاظة:"لا ينبغي عليك التفوه بمثل هذه الكلمات. لايمكنك قول أشياء لا تقصدينها".

من طرف عينها، لمحت إدنا وهي تعود ثانية.

هتفت إدنا بمرح:"إنني قادمة... إنني قادمة....".

كان ريتشارد لا يزال يحدق إلى جولي عندما اقتربت إدنا منهما، تلفتت من جانب إلى آخر.

سألت:"هل حدث خطب؟".

أجابها ريتشارد بعد أن أشاح بنظره أخيراً عن جولي:"لا، على الإطلاق. كنا فقط نحاول أن نتخيل كم من المنازل. يمكن أن تبنى هنا. أعتقد أن جولي تحب عزلتها".

لم تكد جولي تسمع ... .قالت فجأة وهي تنظر وراءها ثانية:"علي الذهاب".

ابتسم ريتشارد:"وداعاً جولي. أراك لاحقاً".

استدارت جولي وخرجت من الغابة. بقي سنغر في مكانه لحظة قصيرة وكأنه يريد أن يتأكد أن ريتشارد لن يلحق بها، ثم تبعها بعد ذلك.

حالما توارت عن أنظارهما، بدأت تركض، ثم تركض بسرعة أكبر. هشمت أغصان الأشجار الممتدة على طول الطريق، كانت أنفاسها ثقيلة وسريعة. سقطت مرة ونهضت بسرعة، متجاهلة الألم الذي أحست به في ركبتها. عندما سمعت ضجة، نظرت خلفها، لم تكن هنالك أية مؤشرات أن

ريتشارد يتبعها. استأنفت الركض ثانية، وهي تجبر ساقيها على التحرك باستمرار، شاعرة بأن الأغصان تلسع وجهها وتخترق رأسها. تضرعت إلى الله أن تصل بسرعة..........

بعد مرور دقائق، كانت تخنق دموعها عندما دخل مايك المنزل. أمسك بها بينما كانت تبكي. بعد أن حدثته بما جرى، استجمعت قواها أخيراً وسألته عن السبب الذي جعله يعود إلى المنزل في الحال.

شحب وجه مايك. عندما تكلم، كان صوته هامساً.

"محامي ليس هو الذي ترك الرسالة".

الفصل الثلاثون

بعد نصف ساعة كانت الشرطية جنيفر رومانيلو جالسة إلى الطاولة في المطبخ، تركز نظرها على جولي وهي تسرد قصتها. لم تستغرق جولي وقتاً طويلاً حتى أخبرتها بكل ما حدث. بالرغم من أهمية الكلمات، بدا من ملامح وجه جولي أنها كانت تقول الحقيقة. على الرغم من الهدوء الخارجي الذي حاولت أن تحافظ عليه، بدا واضحاً أنها منهارة تماماً. حتى جنيفر تأثرت بكلامها عندما قالت لها جولي بأن ريتشارد نادها بـ جيسيكا.

قالت بعد أن انتهت جولي من كلامها: "لا أحبذ هذا أبداً".

بالرغم من معرفتها بأن شخصاً مثل بيتي غاندي لن يولي هذه القضية

الأهمية التي تستحق، لكن ماذا كان بوسعها أن تقول؟ هل تطلب منها شراء بندقية وإقفال الأبواب؟ هذا الشاب المجنون! ومايك وجولي مضطربان وبحاجة إلى من يهدئ من روعهما. بالإضافة إلى ذلك تذكرت نصيحة والدها لها. كان والدها المسؤول عن ضبط الأمن والمواقع المتوترة. طالما كان يقول لها إن الأمر الوحيد والأكثر أهمية الذي بوسع الشرطي فعله هو الحفاظ على الأمن إن رغب العيش حياة طويلة بما فيه الكفاية حتى يحال إلى التقاعد.

سأل مايك:"ماذا تفعل؟".

قالت جنيفر:"لست متأكدة بعد مما عليكما أن تفعلان. ولكن هل أستطيع سماع بعض الإفادات ثانية، فقط لكي أتأكد بأنني حصلت على المعلومات بدقة؟".

كانت جولي تقضم أظافرها، وهي تفكر بالجزء الوحيد الذي لم تذكره أثناء روايتها القصة.

أراهن حتى أنك لم تخبريه بأنك سمحت لي بقضاء ليلة في منزلك. حسب اعتقادك ماشعوره حيال ذلك؟

ربما مايك لم يكترث للأمر. باعتبار لم يحدث شيئاً بينهما. لم تقترف ذنباً مثل الذي فعلته سارا بحقه. ولم يكن الأمر مهماً للسرد. صحيح؟ إذاً لماذا لم تستطع الإدلاء به؟

تاهت في أفكارها، في بادئ الأمر لم تدرك أن جنيفر قد طرحت للتو سؤالاً عليها. كررت جنيفر:"هل لديك فكرة كيف علم بمكان تواجدك هناك؟".

"لا".

"ولكنه كان هناك مسبقاً، أليس كذلك؟".

"أظن أنه كان برفقة إدنا بالسيارة. لا أعرف كم بقي هناك. لكنه وصل إلى هناك قبلي شاهدت سيارة إدنا بالقرب من جانب الطريق، ولم أرهما وهما يتمشيان في داخل الغابة.

استدارت جنيفر نحو مايك. سألته:"هل التقيت بمحاميك؟".

"كانت هنالك رسالة في الكراج تعلمني أن من المفروض أن أقابله عند الخامسة. أحد الشبان في الكراج أخذ الرسالة، وعندما قابلت المحامي في مكتبه، بدا أنه لا يعلم أي شيء عن اللقاء، لذلك عدت رأساً إلى منزل جولي".

بدا مايك تقريباً مريضاً وغاضباً.

استدارت جنيفر ثانية نحو جولي. "هل أستطيع أن أسألك لماذا خرجت في المقام الأول".

تلعثمت جولي:"كنت مضطربة".

"عفواً؟".

أخذت جولي نفساً عميقاً:"لا شيء. لم أكن قد رأيت ريتشارد منذ اسبوع ولم أسمع عنه شيئاً، وكنت آمل أن الأمر انتهى بخير".

"لا أظن أن عليك فعل ذلك في المستقبل. الأماكن العامة جميلة، حاولي تجنب الأماكن التي يمكن أن يجدك فيها وحدك، أوكي؟".

زمجرت جولي:"لا أعتقد أنك ستقلقين علي بخصوص هذا الأمر بعد الآن".

"وماذا تعرفين عن جيسيكا؟".

"في الحقيقة لا شيء... قال بأنه تزوجها لعدة سنوات ولم يستمر زواجهما. وهذا لم يدلّ على أي شيء. لم نتحدث بخصوصها أبداً".

"هل هو من دينفر؟" .

"هذا ما أخبرني به" .

"ومرة ثانية، لم يوجه إليك التهديد بشكل خاص؟" .

"لا . لكن لم يكن في حوزته أي كلام يقوله . إنه مجنون" .

فكرت جنيفر."لا يمكن الجدال بخصوص هذا . فهو يبدو لي مجنوناً" .

سألت جنيفر:"ولم يقترح عليك ماالخطوة المقبلة؟" .

هزت جولي رأسها . فكرت في نفسها،" في ذهني كل أنواع التخيلات، ولكن هل أرغب بسماعها؟" .

بدلاً من ذلك أغلقت عينيها وهمست."ما أريده أن أنتهي من هذه المسألة فحسب" .

سأل مايك:"هل ستعتقلينه؟ أم ستستجوبينه؟" .

استغرقت جنيفر لحظة حتى أجابت. "سأفعل ما بوسعي" .

لم تكن في حاجة إلى إضافة المزيد . أما مايك وجولي فاستدارات سألت جولي:"ماذا نفعل حيال هذا الأمر؟" .

"اسمعي، أعلم أنك تشعرين بالقلق. أعرف أنك مصابة بالذعر. صدقيني إنني في صفك، لذلك لا تتصوري أنني سأتخلى عنك أو سأنسى متابعة القضية. سأدرس ماضي ريتشارد فرانكلين لأرى ماذا بوسعي أن أفعل، وإنني على ثقة أنني سأناقشه بهذا الخصوص. تذكري، علي أن أشارك الشرطي غاندي في هذه......" .

"أوه، رائع" .

اقتربت جنيفر من الطاولة وأمسكت بيد جولي. "أعدك أننا سنولي القضية كل اهتمامنا . وسنفعل كل ما بوسعنا لمساعدتك. ثقي بي، أوكي؟" .

كان ذلك الوقت مناسباً للخطاب الذي يود أي شخص سماعه في هذا الظرف السيئ، لم يكن من المدهش أن ينتهي المشهد بإحداث تلك الجلبة.

❖❖❖

كانت أندريا تشاهد معرض جيري سبرنغر عندما سمعت رنين الهاتف. امسكت في الحال بالسماعة وهي لا تزال مركزة ناظريها على الشاشة وقالت مرحباً وهي تتلعثم.

بعد لحظة ومضت عيناها. "أوه، هيه! كنت أنتظر مكالمتك......".

لم تستطع جنيفر أن تركز انتباهها جيداً أثناء قيادة السيارة. بدلاً من ذلك، كل ما استطاعت أن تركز انتباهها عليه كان ذلك الإحساس بالغثيان في معدتها وصوت طنين المحرك الذي على ما يبدو لن يعمل طويلاً، الأمر برمته جعلها تصاب بالذعر. بما أنها شرطية، عرفت خطورة هذه المواقف. على كل حال، كامرأة أحست بالتعاطف مع جولي من الناحية الشخصية. كل ما كان بوسعها فعله هو أن تغلق عينيها، وأن تحس بعجزها. لم يكن هنالك أسوأ من تلك الحالة. يعيش معظم الناس في ظل الوهم الذي يجعلهم يتصورون أنهم يمتلكون زمام السيطرة على حياتهم، لكن هذا ليس حقيقياً بشكل كامل. أجل، بمقدورك أن تقرر ماذا ستتناول على وجبة الفطور، وماذا ستلبس وكل باقي الأمور الصغيرة، ولكنك حالما تنخرط في عالم البشر، ستكون تحت رحمة كل شخص آخر حولك، وكل ما تستطيع أن تأمله هو أنهم في حال كانوا يشهدون يوماً سيئاً، بأن لا يقرروا مشاركتك فيه.

أدركت أن الموقف في منتهى الكآبة، لكنها الآن تشهد أحداثه. أوهام جولي بأن تعيش في أمن وطمأنينة تبعثرت في الهواء، وهي الآن تريد من

جنيفر - أو من أي إنسان في الحقيقة - أن يضع حداً لمخاوفها. ماذا كان بوسعها القول؟ إنني بالفعل أرغب بإنهاء الأمر. أجل، ومن ذا الذي لا يريد وضع حد لهذه المهزلة؟ ما كانت تريده حقاً هو أن تعود الأمور إلى سابق عهدها. أن تعود إلى عالم تشعر به بالأمان.

لن يكون هذا سهلاً. جزء من المشكلة هو أن جنيفر كانت تشعر بالعجز. فبعد كل هذا استدعوها طلباً للمساعدة، لكنها لم تستطع حتى أن تتحدث مع ريتشارد بصفة رسمية بعد. وبيتي غاندي بالرغم أنه من المحتمل أن يلبي كل ما تطلبه منه في حال التزمت بواجبها، فهي أيضاً ربما تقلب الأشياء رأساً على عقب حالما يفتح فمه متشدقاً بالترهات. ولكن باستطاعتها التحقيق مع الشاب بطريقتها الخاصة. بما أنها وعدت مايك وجولي بذلك، فهذا بالضبط ما تنوي فعله.

بعد ساعة على مغادرة جنيفر، كان مايك وجولي لا يزالان جالسين إلى الطاولة. مايك يرتشف البيرة. لكن جولي لم تشاركه الشرب. لم تستطع أن ..... كأس النبيذ الذي سكبته لنفسها فأراقته في المغسلة. ظلت شاردة الذهن، لا تنطق إلا بالقليل، وبالرغم أنها بدت مرهقة، ومن المفروض على مايك أن يطلب منها الذهاب إلى فراشها كي تخلد إلى الراحة لكن بدلاً من ذلك سألها :"هل أنت جائعة؟" .

"لا" .

"هل ترغبين بمشاهدة فيلم؟" .

"ليس تماماً" .

"حسناً، عندي فكرة. لنجلس، ونحدِّق إلى بعضنا برهة من الزمن. ربما نشعر بالقلق وعلينا أن نكسر هذه الرتابة. أقصد إننا بحاجة إلى إيجاد تسلية ما نمضي بها وقتنا" .

ابتسمت جولي أخيراً.

قالت وهي تمسك بكأس البيرة خاصته، وتأخذ رشفة. "إنك على حق. بكل الأحوال أشعر بالسأم من هذا الموضوع. وهذا يجعلني أبدو في حالة سيئة".

"إذاً ماالذي ترغبين فعله؟".

سألته وهي تنهض، وتتمشى صوبه."هلا أمهلتني لحظة؟".

نهض مايك وطوقها بذراعيه. جذبها نحوه، وهو يتشرب الدفء الذي يسري من جسدها وضعت جولي رأسها على صدره.

همست له:"إنني سعيدة بوجودك هنا. لا أعرف ماذا كنت سأفعل بدونك".

قبل أن يجيبها مايك، رن الهاتف. ركز كل منهما انتباهه على الصوت. ظلا متعانقين وهما يراقبان الهاتف عندما رنّ للمرة الثانية. ثم الثالثة. تركها مايك. صرخت جولي مذعورة."لا ترد". رن للمرة الرابعة. تجاهلها مايك. اتجه نحو غرفة الجلوس ورفع السماعة. أمسك بها ورفعها حتى أسفل الوجه، ثم رفعها ببطء نحو أذنه."مرحباً؟".

"أوه، مرحباً. ظننت للحظة أنكما لستما في المنزل". أجاب الصوت من الناحية الأخرى فشعر مايك بالاسترخاء.

قال مايك مبتسماً: "أوه مرحباً إيما. كيف حالك؟".

قالت إيما بصوت يضج حيوية. "إنني بخير. ولكن اسمع، أنا في مدينة مورهيد، ولن تصدق إن أخبرتك من شاهدت للتو".

دخلت جولي غرفة الجلوس، واقتربت من مايك، فأبعد مايك السماعة عن أذنه بحيث تتمكن جولي من الاستماع إيضاً.

"من رأيت؟".

"أندريا. ولن تصدق بصحبة من كانت".

"بصحبة من؟".

"كانت برفقة ريتشارد. شاهدته وهو يقبلها".

قالت جولي:"لا أفهم ما يجري. أقصد، لا يهمني هذا الأمر".

أعاد مايك السماعة وجلسا على الأريكة، ولمبة واحدة تضيء الجو خلفهما. كان سنغر مستلقياً بجانب الباب الأمامي.

"هل ذكرت أي شيء بهذا الخصوص في المحل خلال هذا الأسبوع؟ أقصد، هل حدثتك عن لقائها بـ ريتشارد؟".

هزت جولي رأسها. "لا. لم تقل ولا كلمة. أعرف بأنها تقص شعره، هذا كل ما أعرفه".

"هل سمعتك عندما كنت تتحدثين عنه؟".

"لا بد أن تكون سمعت".

"لم تبد اهتماماً".

"لماذا لا تصدق ما تقوليه؟".

"من يدري. سأتحدث معها غداً. ربما أستطيع التأثير عليها بشيء ما".

❖❖❖

فيما بعد رافقت أندريا ريتشارد إلى منزله ووقفا على الشرفة، محدقين نحو السماء. جذبها نحوه ولف ذراعيه حول بطنها، وحرك يديه نحو صدرها. أسندت أندريا رأسها عليه وتنهدت.

"ظننت للحظة أنك لن تتصل".

قبل ريتشارد عنقها، فجعلها دفء شفتيه ترتعش. ألقى القمر بأشعته الفضية على الأشجار. قالت:" الجو هنا رائع، هادئ للغاية".

"أش، لا تقولي ولا كلمة. استمتعي فقط".

لم يرغب بسماع صوتها، لأنه يتذكر أنها ليست جولي التي أمامه. كان برفقة امرأة لا تعني له شيئاً، لكن جسدها ناعم ودافئ، وهي بدورها ترغب به.

"والقمر.........".

قال لها ثانية: "اشش". بعد مرور ساعة، عندما اجتمعا معاً على السرير، كانت أندريا تئن و تمرر بأصابعها على ظهره، لكن ريتشارد طلب منها أن لا تحدث أي صوت. ما من همسات، ما من كلام كانت الغرفة أيضاً شديدة الظلمة كما رغب أن تكون.

تحرك فوقها، وهو يحس بأنفاسها فوق جسده. كم كان يرغب أن يهمس باسم جولي ويعاقبها لا يمكنك الابتعاد عني يا جولي. ألا ترين أننا معاً؟ ألست متلهفة إلى أن نتحد معاً؟.

لكنه بعد ذلك تذكر لقاءهما في الغابة، ونظرة الرعب التي ملأت عينيها. شاهد نظرة الاشمئزاز التي وجهتها إليه، وسمع كلمات الرفض. أحس بكراهيتها له. الذكرى جرحت كرامته وكانت إهانة لأحاسيسه. كم رغب أن يهمس، جولي، كنت قاسية معي اليوم كثيراً، تجاهلت اعترافي لك بحبي. تعاملت معي وكأنني لا أعني شيئاً بالنسبة لك...؟

وسط الظلمة سمع صوتاً، "واو، ليس بهذه القسوة... إنك تؤذيني ..... واو!".

جعله الصوت يسترد وعيه ويعود إلى حاضره مع أندريا.

"اشش"، همس، لكنه لم يرخِ يديه. في ظل ضوء باهت انبثق من النافذة، استطاع أن يرى الخوف في عيني أندريا، أحس برغبة جامحة".

الفصل الواحد والثلاثون

بالرغم أن فترة مناوبتها تبدأ عند الساعة الثامنة، كانت جينفر جالسة إلى الكمبيوتر عند الساعة السادسة من صباح يوم الأربعاء، وتقرير الشرطي الذي اعتقل مايك هاريس كان إلى جانبها في مقدمة التقرير كتبت (الأساسيات / اسم ريتشارد فرانكلن وعنوانه ورقم هاتفه، مكان عمله وما إلى هنالك، تصفَّحت ذاك الجزء قبل أن تقرأ وصف المشادة بحد ذاتها عندما اشتبهت بالأمر، لم تجد أمامها أية معلومة تساعدها في كشف الخلفيات التي يقف وراءها ريتشارد لكن إحساسها قال لها إن الأمور الصحيحة يجب أن تقوم بها إنها بحاجة إلى شيء ما يساعدها كي تصبح الكرة في ملعبها .

حمدت الله أن والدها ليلة البارحة كان يشكل دعما لها وبعد وصولها إلى المنزل، اتصلت به لتتعرف على انطباعاته، وعندما انتهت، أكد لها والدها صحة أفكارها، فبالرغم أنها غامضة لكنها المدخل لما سيحدث في المستقبل. قال لها والدها عليك أن تكتشفي فيما إذا كان بالفعل مجنوناً أم أنه يدعي ذلك.

لا تزال غير متأكدة من أين عليها أن تبدأ التحقيق، بما أن المعلومات عن ريتشارد لم تكن كافية وأكيدة بعد، والساعات التي ستقضيها في الحديث معه لم تكن بالضبط من ضمن ساعات العمل النظامية. الإدارة الشخصية في مشروع الجسر لم تكن بعد هي المدخل للقضية وبالرغم من أن ذلك المكان الأكثر وضوحاً للبدء بالتحقيق، اقترح عليها والدها أن تبدأ بدلاً من ذلك بالتحقيق مع مالك الأرض، إنهم معتادون على الاتصالات الليلية، لذلك بإمكانك الاتصال خارج الأوقات النظامية، ربما بوسعك أخذ رقم الضمان الاجتماعي و رخصة السائق بالإضافة إلى المراجع. عادة ما يعتبرون ذلك طلبات مأجورة.

وذلك مافعلته الضبط بعد أن حصلت على اسم مالك العقار من خلال أحد المعارف الذين يعملون لمصلحة المقاطعة، تكلمت مع المالك الذي لا يتجاوز عمره الثلاثين عاماً. علمت أن المنزل كان ملكاً لجدّيه، كان الأجار يسدد دائماً في وقته عن طريق جمعيته، وريتشارد فرانكلين كان يودع الأمانة. مالك العقار نفسه يقابل ريتشارد أبداً وحتى أنه لم يزر العقار منذ أكثر من عام شركة محلية كانت المسؤولة عن تدبير أمور التسديد، وهو

الذي أعطاها الرقم في اليوم التالي، اتصلت بالمدير وبعد قليل من التملق، حصلت على ما تريد كان مستخدمه قد دون مراجعه ومعلومات شخصية يقول بأنه لا يوجد عنده أحد من أوهيو أو من كلرادو. تدبرت أمرها وحصلت على رقمي الضمان الاجتماعي ورخصة القيادة وعندما جلست إلى مقعد بيتي غاندي، دونت هذه المعلومات على الكمبيوتر.

أمضت الساعة التالية وهي تبحث عن معلومات، وبدأت من شمال كارولينا. بدا واضحاً أن ريتشارد فرانكلين ليس له سجل إجرامي في الولاية، ولم يتم اعتقاله .

بالرغم أن رخصة قيادته صودرت في أوهيو، كان من المبكر جداً التحقق من الأمر من خلال إدارة الشركة هناك.

بعد ذلك، فتحت كمبيوترها المحمول، ودخلت على الانترنت. بعد أن استعملت محركات بحث نظامية، عثرت على الكثير من المراجع التي دونت اسمه وبعض صفحات الانترنت الشخصية عن ريتشارد فرانلكين، لكنه ليس ريتشارد فرانكلين الذي تريد معلومات عنه.

فيما بعد، بدأت تدخل إلى مواقع سرية للحصول على معلومات في كلرادو وأوهيو تتعلق بسجل محتمل أن يستغرق يومياً على الأقل بما أن مسجلات الشرطة كانت محفوظة محلياً. بدا الأمر صعباً عليها ليس لأنها شرطية ولكن لأنها لا تزال متدربة، بالإضافة إلى أنهم سيعاودون الاتصال بها إذا لم تجب وهذا ما كانوا سيفعلونه دون شك، بما أنها كانت بصحبة بيتي غاندي اليوم.

عندئذ عليها أن تشرح للرئيس سبب اتصالها بإدارات الشرطة د .نيفير وكولومبس وربما سيعفونها من القضية، هذا إن لم تخسر عملها بالكامل .

تساءلت ثانية فيما إذا كان ما تحدث عنه بخصوص ماضيه كان صحيحاً. هل هو من د. جنيفر حقاً؟ هذا ما اعتقدته جولي ولكن من يعرف الحقيقة؟ لقد قال لها والدها ليلة أمس: شاب جديد في البلدة ويعاني من وضع نفسي؟ لا أعرف إن كان علي أن أصدق كل ما قاله لهذه السيدة. إن كان حاذقاً من تحوير القانون إلى هذه الدرجة. فأنا ماهر في تشويه حقائق ماضية.

بالرغم من عدم شرعية القضية، قررت جنيفر أن تتأكد من صحة سجلاته. عرفت أنه توجد ثلاث وكالات رئيسية للتأكد من صحة السجلات ومعظمها تقدم تقريراً مجانياً بشكل سنوي: بعد أن استعملت طلب التسجيل كدليل، دونت المعلومات المطلوبة بلا شك كانت المعلومات ذاتها التي استخدمتها شركة الإدارة عندما أجرته المنزل. الاسم ورقم الضمان الاجتماعي، وأحدث عنوان له، والعنوان السابق، ورقم الحساب المصرفي سلّمت هذه المعلومات.

كانت سجلات ريتشارد فرانكلين مدونة في تفاصيل مبسطة على عدد من الصفحات التحقيق الوحيد الذي أجرته إدارة الشركة كان بخصوص المنزل المستأجر لم تكترث لأي من المسجلات. ولا سيما بالنسبة إلى مهندس ناجح .

لم يكن هنالك أية بطاقات ائتمان مسجلة حالياً أو قيد الاستعمال

وليس هنالك أي قرض ولا ديون شخصية لمحة سريعة على السجل أظهرت أن كل حساب مدون على مسجل الائتمان كان مغلقاً.

بعد أن درست السجل بمزيد من التفصيل لاحظت وجود خطأ رئيسي وحيد من البنك في دينفر منذ أربع سنوات سجل تحت ملكية العقار الحقيقي ومن حجمه افترضت أنه كان هنالك رهن على المنزل كانت هناك سلسلة من دفعات أخرى مسجلة. الفيزا، ماستركارد أمريكان إكسبريس فاتورة للهاتف فاتورة كهربا فاتورة ماء. بطاقات الطوارئ كلها سلمت لمدة عام ولكنها سددت بشكل نهائي.

فيما بعّد كان قد أغلق حسابات الفيزا وماستركارد بالإضافة إلى حسابات الطوارئ وأمريكان اكسبريس.

استندت جنيفر إلى الوراء وهي تفكر بالأمر. أوكي عرفت أنه عاش في دنيفر في فترة ما وعلى مايبدو أنه تعرض لأزمة مالية منذ أربع سنوات كثير من الناس لم يكونوا ذوي خبرة جيدة في إدارة الأموال وهو أخبر جولي بأنه مطلق وربما كانت للأزمة المالية علاقة بالطلاق.

حدقت إلى الشاشة، لماذا لا توجد أية مداخل حديثة إضافية؟

ربما كان يستعمل المؤسسة لتسديد فواتيره، تماماً كما كان يفعل فيما يتعلق بالأجور كتبت ملاحظة عن ذلك ودونتها.

ماذا أيضاً؟ بلا شك كانت ترغب أيضاً بأن تكشف معلومات إضافية عن جيسكا ولكن بدون معلومات إضافية لم تكن هناك أي شيء على الإطلاق مستقر بالبحث عنه.

فصلت جنيفر كمبيوترها المحمول، وهي تتساءل عن الخطوة القادمة التي عليها اتخاذها هذا قررت أنه من الأفضل لها الانتظار حتى يفتح مكتب الموظفين وبذلك تستطيع أن تتحدث مع الناس هناك. كان ريتشارد مهندس استشارة في المشروع الرئيسي ويعمل مع الشركة الرئيسية لذلك لابد أن لديهم مراجع أخرى. ربما كان بمقدور أحدهم أن يريني الضوء على ما حدث خلال أربع سنوات الماضية. ولكن هذا يعني أنها ستنتظر ساعة إضافية.

لم تعرف ماذا تفعل خلال هذه الأثناء لذلك بدأت تدرس بعناية تقرير الاعتقال قبل أن تركز انتباهها أخيراً على عنوانه. لم تكن تعلم بعد عما تبحث بالضبط أرادت فقط أن تعرف عن المكان الذي عاش فيه على أمل إضافة معلومات إلى مخزونها وضعت كمبيوترها تحت ذراعها وانتزعت فنجاناً من القهوة وهي في طريقها للخروج ثم صعدت السيارة لأنها كانت لا تزال تشق طريقها إلى مكان تجهله استعانت بالخريطة قبل أن تتبع الطريق الرئيسية للبلدة إلى داخل المنطقة الريفية للمقاطعة.

بعد مرور عشر دقائق استدارت جنيفر نحو الطريق المعبدة حيث يسكن هنا ريتشارد فرانكلين. أبطأت في قيادتها وهي تقترب من صندوق البريد باحثة عن رقم وبمحاولة لن تقدر مكان تواجدها بعد العثور على الرقم زادت من سرعتها ثانية حيث وجدت سبيلها للانطلاق.

أصابتها الصدمة عندما شاهدت تلك المنازل البعيدة التي كان معظمها ممتداً على طول فدانين وتساءلت ماالذي يجعل مهندساً قادماً من مدينة

كبيرة يرغب بالعيش على هذه الطريقة لم يكن هذا مناسباً للبلدة ولالعمله ولأي شيء آخر ناهيك من أن الطريق كانت في غاية السوء تابعت طريقها، بدت المنازل أكثر قدماً وانحداراً بدا أكثر من منزل وكأنه كان مهجوراً، اجتازت ركام مستودع قديم للتبغ. كانت الجوانب قد تداعت بينما تقوّس السطح وغطّى المبنى بأكمله. استقرت خلفه بقايا حطام جراد صدئ على الأعشاب البرية.

بعد عدة دقائق أخرى، شاهدت رقم صندوق بريد آخر. لقد اقتربت الآن من المكان المطلوب أبطات جنيفر من سرعتها . افترضت أن يكون منزله إلى اليمين، فشقت طريقها عبر الأشجار ابتعدت عن الطريق، لم يبد الإهمال على المنزل مثل بقية المنازل الأخرى. لكن باحة المنزل كانت مليئة بالنباتات الكثيفة.

إن الأشخاص الذين عاشوا بهذه الطريقة وربما يفعلون ذلك لأنه كان ملكية أو لأنهم لم يجدوا خياراً آخر. لماذا اختار مكاناً كهذا ؟لأنه أراد أن يتوارى عن الأنظار أم أنه أراد إخفاء شيئاً ما؟

لم تتوقف السيارة وبدلاً من ذلك رجعت إلى الوراء واستدارت نصف ميل إلى أعلى الطريق الأسئلة ذاتها رجعت إلى ذاكرتها وهي تجتاز المنزل ثانية وتشق طريقها عائدة إلى المحطة.

تراجع ريتشارد فرانكلين إلى الوراء وهو ينظر من خلف الستائر متجهماً قليلاً .

لديه زائر لكنه لم يميز السيارة لم تكن مايك ولا جولي لا أحد منهما

يملك سيارة هوندا وكان متأكداً أنهما لن يحضرا إلى هنا بحثاً عنه يبعد الطريق مسافة ميلين صعوداً أحد من جيرانه يملك هوندا.

لكنْ أحد ما قادم راقبهم، وهم يتسللون إلى أعلى الطريق يقودون ببطء شديد عرف أنهم يبحثون عن شيء ما ودوران السيارة أكدت صحة شكوكه لو كانت السيارة تستدير بالخطأ أو بسبب ضياع شخص ما، ماكانوا يتوجهون ببطء نحو منزله ومنزله فقط ثم يسرعون ثانية لا لقد جاء شخص ما ليرى أين يعيش

سألت أندريا : إلى ماذا تحدق؟

أسدل ريتشارد الستار معيداً إياه إلى ما كان عليه وقال: لا شيء انزلقت الملاءة كاشفة عن صدرها أي السرير وجلس قربها استطاع أن يره على ذراعيها بعض الكدمات فمرر إصبعه فوقها بلطف

قال: صباح الخير هل نمت جيداً؟

في ظل ضوء الصباح، بدا وهو يرتدي بنطاله الجينز فقط، مغرياً. إذا ماذا لو عاملها بخشونة قليلاً أمس؟ دفعت أنديا جانباً خصلة شعر انسابت على خدها بعد أن انتهينا أخيراً، نمت جيداً هل أنت جائعة؟

قليلاً ولكن علي الذهاب أولاً إلى الحمام لم احفظ مكانه أين هو؟ كنت ثملة إلى حد ما ليلة أمس "

الباب الأخير إلى اليمين "

قفزت أندريا من السرير آخذة معها الملاءة كانت ساقاها تتمايلان وهي تخرج من الغرفة راقبها ريتشارد وهي تخرج متمنياً لو أنها غادرت ليلة أمس ثم استدار نحو النافذة ثانية جاء شخص ما ليرى أين يعيش.

لم يكن هنري ولا مايل لقد عرّف شكل سيارتهما من كان إذاً؟ حكّ جبهته البوليسية؟ أجل تصور أن جولي استدعت الشرطة.

كانت مضطربة للغاية البارحة كانت مذعورة وغاضبة والآن كانت تحاول أن تملك زمام السيطرة على الأمور بتغير قواعد اللعبة.

ولكن من هو الشرطي الذي استدعته؟ إنه ليس بيتي غاندي كان واثقاً أنه ليس هو ولكن ماذا عن الشرطية المرافقة له؟ ماذا قال غاندي عنها؟ كان والدها ضابطا شرطيان بنيويورك؟ فكر بالأمر.

الشرطية رومانيلو لم تصدق ما سمعته عن الشجار الذي حدث في البار استطاع أن يقرأ هذا من عينيها أو يفهم ذلك من خلال أسلوبها وهي تراقبه.

أجل، لابدّ أنها هي، ولكن هل يؤيدها غاندي في ذلك؟ لا، ليس بعد ما عليه الآن أن يتأكد فيما إذا كان غاندي يؤيدها الشرطي غاندي كان أبلهاً من السهولة التعامل معه.

جزء من المشكلة تم حلها والآن بالنسبة إلى جولي

صرخة أطلقتها أندريا قطعت سلسلة أفكار ريتشارد. عندما ذهب نحو الممر كانت أندريا لا تزال جاثمة في مكانها، تحدّق بعينين مفتوحتين، واضعة يدها على ثغرها.

لم تفتح الباب الذي يقع إلى اليمين الباب المؤدي إلى الحمام كانت تحدق نحو الغرفة اليسارية. الغرفة المظلمة استدارت نحو ريتشارد وكأنها تراه للمرة الأولى.

قالت: أوه يا إلهي أوه يا إلهي......

وضع ريتشارد إصبعه على شفتيه وركز ناظريه عليها أش.....

عندما شاهدت تلك النظرة على وجهه تراجعت أندريا خطوة إلى الوراء.

قال ريتشارد : لم يكن عليك أن تفتحي ذلك الباب. أخبرتك أين يكون الحمام لكنك لم تصغي إلي.

ريتشارد؟ الصور ....

تراجع خطوة عنها "هذا .... مخيب للآمال "

ريتشارد؟ همست ثانية وهي تبتعد عنه. تراجعت جنيفر وفكرت لبضع دقائق، الحمد لله أن بيتي غاندي لم يصل بعد، اتجهت نحو مقعده، وهي تدرك أنه ليس عندها متسع من الوقت دونت على عجل رقم المكتب الرئيسي لمشروع الجسر على قطعة ورقية، ثم وضعت سجل الاعتقال في الملف لا داعي أن يطلع بيتي على ما توصلت إليه اتصلت بالرقم فأجابت السكرتيرة وبعد أن عرفت جنيفر بنفسها طلبت أن نتحدث مع جبك بلانس إنه الرجل الذي تحدث عنه مايك من قبل.

بينما كانت بانتظار أن نتحدث مع بلانس ذكرت جنيفر نفسها بضرورة أن تتعامل معه بحرص، حتى لا يكتشف ريتشارد ما كانت تخطط له لم تشأ أن يتصل بلانس برئيسها، ويشكوها إليه أو يخبرها بأنها بحاجة إلى طلب رسمي حتى تحصل على هذا النمط من المعلومات تلك الخيارات لم تكن ممكنة لذلك بدلاً من ذلك قررت أن تكتشف جزءاً من الحقيقة، تحت حيلة التأكد من تقارير الاعتقال.

ردّ جيك بلانس على الهاتف كان صوته أجشّ وكأنه صار يدخن سجائر بدون فلتر من خمسين سنة. عرّفت جنيفر بنفسها على أنها شرطية في سوانزيورو. وخاضت في حديث قصير مألوف، ثم وصفت الحادث بشكل مختصر. لاأستطيع تصديق أنني فقدت المعلومات المتعلقة بالاعتقال وبما أنني بدأت للتو دراسة القضية، لا أريد الدخول في مشاكل أكثر من ذلك، ولا أرغب أن يعتقد السيد فرانكلين بأننا لا نشكل فريق عمل واحد لابدّ من الحصول على السجل كاملاً، في حال عاد إلينا.

لعبت دور الشرطية الخجولة، وبالرغم أن صوتها بدا متردداً، لم يلحظ السيد بلانس ولم يكترث.

قال بلا تردد، حيث أنسابت الكلمات ببطء لا أعرف كيف يمكنني مساعدتك إنني مجرد رئيس عمال ربما عليك أن تكلمي الشركة. الموظفون هناك لديهم هذا النوع من المعلومات المتعلقة بالاستشارات. إنهم في أوهيو. ولكن يمكن للسكرتيرة أن تحصل لك على الرقم.

أوه، فهمت حسناً ربما تستطيع مساعدتي.

كيف

أنت عملت مع ريتشارد فرانكلين أليس كذلك؟ ما مواصفاته؟

ظل جيك بلانس صامتاً فترة طويلة ثم قال: هل هذا حقيقي؟

عفواً؟

أنت فقدت تقرير الحادث كونك شرطية هذا كل ما في الأمر، أجل بالطبع إن ترغب أعطيك معلومات إضافية عني وبوسعك أن تتأكد.

أخذ جيك بلانس نفساً عميقاً وقال بصوت منخفض إنه رجل خطير: استأجرته الشركة لأن يخفض من قيمة النفقات، لكنه يعمل ذلك على حساب سلامة العمال. أعرف الكثير من الرجال الذين أصيبوا بالأذى بسببه.

كيف ذلك؟

أجل أعمال الصيانة تسبب الأذى للكثيرين، في الأسبوع الأول انقطعت إحدى الرافعات في الأسبوع التالي تعطل مرجل في أحد المراكب المخصصة لنقل البضائع حتى أنني أبلغت المؤسسة ووعدتني بالنظر في الأمر لكنني أظن أنه اكتشف ما حدث وبدأ يتعقب أثري.

هل هاجمك ؟.

لا لكنه هددني بطريقة غير مباشرة هل تعلمين أنه بدأ الأمر معي وكأننا صديقان سألني عن أحوال زوجتي والصغار، وأشياء أخرى من هذا القبيل ثم قال لي إنه شعر بخيبة أمل لأنني لم أمنحه ثقتي ولو أنني لم أكن أكثر حرصاً لما سمح لي بالذهاب أوقع باللائمة عليّ وحملني فضلاً أنه يسعى إلى حمايتي. وضع ذراعه فوق كتفي وقال إنه لمن المخزي لو حصلت حوادث أكثر من ذلك الطريقة التي تكلم بها جعلتني أشعر أنه كان يقصدني وعائلتي على وجه الخصوص فشعر بدني وأنا أصغي إليه، وصدقاً شعرت برعشة عندما رأيته يغادر أمضيت بقية نهاري خائفاً وكذلك أحسّ كل شخص آخر في المشروع.

"انتظر هل ترك العمل؟".

أجل لقد خرج كانت عنده حالة طارئة في البلدة وعندما عاد إلى البلدة أخبرنا أنه بحاجة إلى بعض الوقت لأسباب شخصية منذ ذلك الوقت لم أره بعد مرور دقيقة وبعد أن عادت السكرتيرة وحصلت على الرقم في أوهيو.

رفعت جنيفر السماعة واتصلت بمركز القيادة الرئيسية للمؤسسة انتقلت من شخص إلى آخر قبل أن يعلموها أخيراً أن الشخص الذي يستطيع مساعدتها خارج الدوام لأنه سيعود في فترة ما بعد الظهيرة.

كتبت جنيفر بسرعة اسم الرجل الذي ستتصل به - كيزي فيرغسن - واتكأت إلى الوراء في كرسيها.

لقد قال لها أن ريتشارد شخص خطير، حسناً، لكنها تعلم هذا مسبقاً وماذا أيضاً؟ لقد ترك ريتشارد عمله من شهر مضى هكذا أخبرها إنه أمر لا يهم لكن التوقيت لم يدركها بعد. ترك العمل بعد أن عاد من حالة الطوارئ تركه بعد أن أخبرته جولي بأنها لا ترغب برؤيته عبر أرجاء الغرفة شاهدت بيتي غاندي يدخل من الباب لم يرها وهي جالسة إلى مقعده وكانت سعيدة بذلك لم تكن بحاجة سوى لدقيقة أخرى.

فكرت جنيفر أنها حقاً لمصادفة ولاسيما بعد أن اكتشفت معلومات عن ماضيه هذا الصباح لكن جولي اعترفت أنها شاهدت ريتشارد لبضع مرات فقط وبالرغم أنه اتصل بها في مناسبات عدة ولكنه لم يطل البقاء على الهاتف أبدا.

صدمت جنيفر من النافذة متسائلة ما الذي فعله طوال تلك الفترة إذاً؟

أوقف مايك سيارته في الكراج ،بدأ الضباب ينقشع أخيراً ،كانت جولي

تحدق نحو أرض السيارة، ومايك يحدّث إليها حتى استقر نظرة على أطراف أصابع قدمها. كانت أصابعها مغلفة بطبقة من الندى بعد أن مشت على المرج الأخضر، وعندما أدركت دولي إلى ما كانت تنظر إليه هزت كتفيها بفتور وكأنها تريد القول أننا سنشهد ما يحدث اليوم.

كل منهما لم ينم جيداً وأيضاً الصباح وهما يتنقلان بتكاسل ليلة أمس، لم يبدُ الارتياح على مايك الذي نهض أربع مرات ليأخذ كأساً من الماء وعندما استيقظ، وجد نفسه متجهاً نحو النافذة الأمامية حيث وقف فترة طويلة وهو يتأمل للنظر خارجاً من ناحية أخرى أمضت جولي ليلتها وهي تحلم بالرغم من أنها لم تستطع أن تتذكر أحلامها بالتفصيل، استيقظت وهي تشعر بالخوف ذلك الإحساس تهادى وقل بالتدريج بعد أن ارتدت ملابسها وتناولت فطورها.

عندما خرجت جولي من السيارة لم تشعر بتحسن أكثر مما شعرت به سابقاً عانقها مايك وقبلها وهما يتمشيان في طريقها نحو الصالون، لكن جولي أرادت الانطلاق إلى عملها، في حين قفز سنغر وتوجه رأساً نحو الصالون بحثاً عن البسكوت. أكدت له جولي ثانية " أنني بخير "

قال وهو غير واثق إنها بخير، أعلم، سأعرج عليك بعد قليل لأطمئن على صحتك، أوكي؟ أوكي.

بعد أن توجه مايك نحو الكراج، أخذت جولي نفساً عميقاً، واجتازت الشارع، لم تكن البلدة قد ضجّت بعد بالسكان، بدا الضباب كثيفاً فألقى غشاوة كل ساعة كل شخص في البلدة ولكنها تخيلت وهي في منتصف

الطريق أن سيارة كانت تتوجه نحوها فجأة استدارت لتتأكد . لم يكن هناك أحد .

حالما وصلت إلى جانب الطريق، عدلت محفظتها ونظرت حولها ثانية محاولة أن تحمي نفسها فكرت في نفسها، فنجان من القهوة وسأكون على ما يرام.

ترنّحت بنشاط لكي تتناول الغداء. ملأت لها النادلة فنجانها من القدر الموضوع على مرجل يغلي، أضافت الكريما والسكر، وبعثرت قليلاً منهما على الطاولة، وعندما أمسكت بالمنديل لتمسحه أنتابها إحساس غريب أن شخصاً ما كان يراقبها في الزاوية أحسن بانقباض في معدتها فاستدارت في ذلك الاتجاه، متفحصة المكان، ولم تر سوى بقايا من طعام فطور أعد باكراً، ولكن ما من شخص هناك.

أغلقت عينيها، وقد تجمعت فيها الدموع، تركت الغداء بدون أن تودع أحداً كان الوقت مبكراً ولن يفتح الصالون لساعة أخرى أو ما يقارب، لكنها كانت واثقة أن مايل ستكون مسبقاً في الداخل خلال الأيام الأربعاء تقوم بجرد محتويات الصالون وإجراء بعض الترتيبات عندما دفعت جولي الباب، شاهدت مابل وهي تتفحص رفوف علب الشامبو ومجففات الشعر، عندما حدّقت مايبل إلى جولي من فوق كتفها، كانت نظرة الاهتمام واضحة على وجهها وضعت المثبت المعدني جانباً أول ما نطقت به كان، ماذا حدث؟

"أبدو في حالة مزرية، هاه؟"

كان جواب جولي واضحاً عندما عضّت شفتها، فاجتازت مايل الغرفة في الحال وطوقتها بذراعيها، وشدتها نحوها بعنف.

"ريتشارد ثانية؟"

استنشقت جولي الهواء بحدة محاولة ضبط نفسها لم ترغب أن تنهار قواها، فبعيداً عن إحساسها بالخوف، كان البكاء الحل الوحيد الذي انتهجته مؤخراً..

كانت منهكة القوى وبالرغم من جهودها لكبح سيل الدموع التي تجمعت داخل عينيها، وجدت نفسها بعد لحظة تنشج بين أحضان مايل، وجسدها يرتعش وذراعاها،

وساقاها أصابها الوهن الشديد حتى أنها شعرت بأنها توشك على السقوط في حال تركتها مابل تمتعت مايل، "أوكي..... ستكونين بخير يا أمي...؟

لم تعلم جولي كم من الوقت استغرقت وهي تبكي، ولكن أنفها في نهاية الأمر أصبح أحمر اللون وانسابت المسكرة عندما تركتها مابك أخيراً تنشقت جولي وأمسكت بمنديلها سردت قصتها لـ مابل وكيف شاهدت ريتشارد بالقرب من منزلها حكت لها كل شيء والطريقة التي كان ينظر بها إليها، وحدثتها عن اتصالها بالشرطية رومانيلو ومحادثتهما في المطبخ. ترجمت ملامح وجه مابل كل التعاطف والتأثر بكلام جولي، لكنها لم تقل كلمة. عندما أخبرتها جولي عن اتصال إيما، ارتعشت مابل من الصدمة.

قالت بسرعة سأتصل ب أندريا .

راقبت جولي مايل وهي تمشي بالغرفة لكي تتصل بأندريا ورسمت ابتسامة متكلفة بدأت تتلاشى بالتدريج وتتحول إلى نظرة اهتمام عندما

بدا واضحاً أن أندريا لم تجب. فقالت مابل: " أنا واثقة أنها في طريقها إلى هنا. ربما تصل في غضون دقيقتين. أو أنها قررت أن تأخذ استراحة تعلمين كيف تفكر، بكل الأحوال عادة ما يكون العمل قليلاً أثناء أيام الأربعاء" أحست جولي وكأن مابل تحاول إقناع نفسها.

أمضت جنيفر فترة الصباح التي من المفروض أن تنهى خلالها قراءة تقارير بيتي وهي تجري اتصالات سرية مع شركات الفائدة تأكدت من كل شكوكها حيث تم دفع كل الفواتير عن طريق مؤسسة ريتشارد RPE الصناعية وكل الفواتير تم تسديدها في الوقت المناسب.

من هناك اتصلت سكرتيرة المكتب الخارج في دينفير وكلرادو، وعلمت بأنه لا وجود لشركة حالية مدمجة تحت ذلك الاسم، بالرغم من وجود شركات صناعية تحت اسم RPF لقد توقفت عن العمل من مضي أكثر من ثلاث سنوات بقليل، بعد اتصالها بالمكتب الخارجي من كولومبس أوهيو علمت أن مؤسسة ريتشارد التجارية في أوهيو تم إدماجها منذ شهر قبل أن يبدأ العمل مع شركة J.P بلا نشارد للهندسة وبعد أسبوع فقط من توقف صناعات RPF عن العمل في كلرادو.

وبعد الاتصالات بالبنك الذي تودع فيه شركته التجارية حساباتها المصرفية في كولومبس زودوها بمعلومات قليلة، باستثناء أن ريتشارد فرانلكين لم يكن عنده دفتر الشيكات شخصي أو حساب ادخار مسجل هناك.

دونت جينيفر هذه المعلومة الجديدة، بالنسبة إليها بدا واضحاً أن

ريتشارد فرانلكين تخلى عن عمل لكي يبدأ بعمل آخر باسم مشابه في ولاية أخرى وبأنه بعد كل ذلك قرر أن يعيش حياته بأقل لمحة جانبية ممكنة قدر المستطاع قراراته اتخذها قبل ثلاث سنوات على الأقل فكرت جينيفر بنفسها إنه شاب غريب الأطوار، ليس مجرماً لكنه غريب الأطوار.

بالرغم أنها افترضت في بادئ الأمر أن قراراته كانت بسبب وقوعه في مشاكل مع القانون، فلجأ إلى هذا النمط من المشاكل الذي أول ماستعمله مع جولي ولكن بدأ واضحاً أنها أبعدت هذه الفكرة فيما بعد عن ذهنها، لمحة جانبية مختصر عن حياته أمر والتخفي أمر أخرك كما أنه بالإمكان لكل شخص العثور على ريتشارد فرانلكين بسهولة إذا أراد البحث عنه بما في ذلك الشرطة، ببساطة أظهر البحث أن التقرير وعنوان ائتمانه كان صحيحاً هنالك، ولكن لماذا كل هذه السرية؟

نظر جينيفر إلى الساعة، وكانت تأمل أن اتصالها بشركة GD بلارتشارد سيلقي الضوء قليلاً على الموضوع؟

لسوء الحظ، كان عليها أن تنتظر ساعتين أيضاً.

عندما دخل بيتي غاندي قاعة الألعاب في فترة الغداء شاهد ريتشارد فرانلكين جالساً على مقعد خشبي طويل،كان عمل ستة سلاسل معدنية قوية - لم تكن بالوزن الذي يستطيع بيتي غاندي حملة ولكن لبس وزناً خفيفاً عندما رآه ريتشارد وضع السلاسل على المقعد.

بعد أن نهض ريتشارد أستغرق لحظة حتى تعرف على بيتي غاندي؟

مرحباً أيها الشرطي. كيف حالك؟ أنا ريتشارد فرانلكين.

أقترب منه بيتي غاندي إنني بخير. كيف تشعر؟

وابتسم ريتشارد أشعر بتحسن لم أكن أعلم أنك تتدرب هنا.

صار لي أتدرب هنا منذ سنوات....

كنت أفكر الانضمام إلى هذا النادي، حصلت على عضوية تجريبية اليوم. صمت، ثم قال وهل ترغب بالتدريب بعد أن أنتهي؟

إن كنت لا تمانع؟

لا على الإطلاق..

أعقبه ذلك حديث قصير بعد بضع دقائق: هيه أيها الشرطي غاندي......

ناديني بيتي... قال ريتشارد: "بيتي تذكرت شيئاً نسيت أن أخبرك إياه في تلك الليلة،وربما أنت على علم به، شيء يخص القضية.

"ماهو؟" شرح ريتشارد الأمر بعد ذلك عندما أوشك على الانتهاء، قال (كما قلت لك رغبت فقط أن أطلعك على الأمر)

عندما نمشي بعيداً عنه تذكر الشرطي دوغان والملامح التي ظهرت على وجهه عندما فتح ريتشارد شدته يا له من أبله.......؟

الفصل الثاني والثلاثون

ستتذكر جولي آخر يوم عادي شهدته في حياتها وكان ذلك بكل ما تعنيه الكلمة من معنى بما أنها شهدت أسابيع لم يحدث فيها أي أمر بشكل طبيعي، كان سنغر يتصرف بعصبية في المحل كان يتهادى بقلق بين الكراسي بينما مايل وجولي تعملان دخل الزبائن لكن لم يبد أن أي منهن دخل في حديث معهم افترضت جولي أن هذه الرغبة بالصمت تغزى إلي أنها لم تشأ التواجد في ذلك المكان (لم ترغب بالتواجد في أي مكان آخر كانت تودّ لو تبقى وحيدة في مكان بعيد بعيداً جداً) وأحست أن الزبائن شعروا برغبتها تلك لذلك فضلوا الصمت ولاسيما النساء منهم.

بعد تكاثف الضباب الذي زاد من ارتفاع درجة الحرارة ازداد الأمر سوءاً أكثر، فخلال منتصف الفترة الصباحية تعطلت المكيفات، مما جعل المكان يبدو أكثر اختناقاً، فتحت مايل الباب لكي تنعش الجو لكن النسمات كانت خفيفة للغاية فلم يسهم ذلك إلا في دخول الحرارة إلى المكان كانت المروحة السقفية غير متناسبة، ولم تأت فترة الظهيرة حتى تصبب جولي عرقاً توهج وجهها لمعاناً، كانت تشد مقدمة بلوزتها بغضب واحتياج لكي تسمح لها بترطيب جلدها.

لم تكن قد ذرفت دموعها منذ أخر مرة احتضنها فيها مابل، وفي الوقت الذي كان فيه مايك يزورها لفترة قصيرة، كانت تحاول أن تضبط نفسها وتخفي حقيقة أنها على وشك الانهيار ثانية، كانت تكره أن تخضع للاستسلام هذا الصباح، وكم تمنت أن تتعامل مع مشكلاتها بهدوء أرادت حقيقة أن تفصح عن مشاعرها الحقيقية أمام مايك وأن تبوح بكل أحاسيسها بحضور أي شخص تعرفه حتى لو كانوا أصدقاءها، خلال ذلك الصباح كانت مابل تسترق النظر إليها بين حين وآخر استعداد لأن تفتح لها ذراعيها ولتبكي بين أحضانها في حال كانت بحاجة إلى الإفصاح عن مشاعره ثانية، بدا الأمر إنسانياً لكنها في النهاية تساءلت ما الذي يجعلها تشعر بالتعب إلى هذه الدرجة.

وأندريا لم تحضر بعد. بعد التدقيق في دفتر المواعيد لاحظت مايل أنه ليس عندها مواعيد حتى ما بعد الفترة الصباحية وهكذا كان أمامها ساعتان بعد ريثما تقنع نفسها بأن أندريا ستتأخر لكن الساعتين مرتا وبدأ

الزبائن بالتوافد فازداد قلق جولي.

بالرغم أنه مامن صداقة تربطها بأندريا لكن جولي أملت أن تكون أندريا بخير وكانت تصلّي أن لا تكون أندريا بصحبة ريتشارد فكرت بالاتصال بالشرطة ولكن ماذا عساها تقول؟ هل تقول بأن أندريا تأخرت بالحضور إلى الصالون؟ عرفت بأن أول سؤال سيطرحونه عليها فيما إذا كاتن غيابها غير عادي وأندريا في أي وقت ربما تأتي.

بكل الأحوال متى تعرف ريتشارد وأندريا على بعضهما؟ أثناء قص الشعر؟ بدا واضحا أن أندريا تهتم بـ ريتشارد ولكن حسب ملاحظة جولي، لم يكن ريتشارد يظهر استجابةً، لا فكرت جولي، كان ينظر إلي من طرف عينه أثناء عملي كان يحدق إلي بالطريقة نفسها التي نظرها فيها إلي عندما غادرت إدنا.

لكن إيما أخرت مابل بأنها شاهدت أندريا برفقة ريتشارد "رأته يقبلها " الفترة التي اتصلت فيها أيما كانت بعد بضع ساعات من رؤيتها ريتشارد في الغابة وفوق كل هذا لو كانا معاً في مدينة مورهيد لا يتعدى مسافة نصف ساعة من سوانزيورو، فلابد أنه قد ذهب إليهما تماماً بعد أن أخبرها بأنه يحبها.

هذا لا يهم على الإطلاق.

ولكن ريتشارد على علم بأن أيما في الجوار؟ بالرغم أنهما لم يتقابلا سوى مرة واحدة لم كانت جولي واثقة بأن ريتشارد سيتعرف على إيما فوراً كما تساءلت إن كان تصرفه رسالة أراد إيصالها إليها عن طريق أيما ولكن

حتى لو كانت رسالة لم تستطع تصور أهدافها إن كان هدفه أن يثير إحساساً وهمياً بالأمان في نفسها فقد أخطأ مساعيه لن تقع ثانية ضحية حيلة.

ليس هناك أي سبيل ولا طريقة يمكنه أن يفاجئها بها بعد الآن.

على الأقل هذا ما اعتقدته.

بعد اتصالها بـ كيري فيرغسن مدير شركة JD بلاتشارد أمسكت جنيفر بقلمها لتدون ما تسمعه.

قال فيرغسن أجل بالطبع، ولكن ليس من المفترض تحرير هذه المعلومات. فالملفات الشخصية تكون سرية .

قالت جنيفر، وهي تتحرك من كرسيها، وتبذل كل ما في وسعها لتتكلم بجدية قدر الإمكان "فهمت ذلك ولكن كما قلت لك إننا لا نزال في منتصف التحقيق "

لدينا اتفاقيات سرية دقيقة بهذا الشأن المراكز تزودنا بها عندما نتعاقد معهم.

قالت جنيفر ثانية فهمت ولكن إن لم يكن أمامنا خيار فسنحصل على مذكرة رسمية للحصول على الملفات ما أريده فقط هو أن لا تتهم شركتنا بإعاقة سير التحقيق"

هل هذا تهديد؟

بالطبع لا، قالت جنيفر، وقد أدركت أن عليها أن تتمادى في حيلها في حال اعترض فيرغسن ثانية.

قال فيرغسن أخيراً: آسف لأنني لا أستطيع مساعدتك إذا قدمت مذكرة رسمية عندئذ سنتعاون بالطبع.

بعد لحظة أغلق السماعة فأخذت جنيفر تتعرق وهي تلهث بعد أن أغلقت سماعتها متسائلة ما الذي عليها أن تفعله في المرحلة القادمة.

في تلك الليلة في منزل جولي أمسك مايك بيد جولي وأخذها إلى غرفة النوم لم يمارسا الحب منذ الليلة التي سبقت عراكهما مع ريتشارد في البار مع ذلك لم يشعر كل منهما بالحماسة كانت ممارستهما بطيئة وعاطفية وغمرا بعضهما بقبلات لطيفة بعد ذلك عانق مايك جولي لفترة طويلة وكان يمرر شفتيه على كتفها أفاقت جولي من نومها إثر حركة مايك تلك كان الجو مظلماً ومبكراً و لم تحن بعد العاشرة وبدأ يرتدي سرواله الجنز.

"أين تذهب"

على أن أخرج مع سنفر أظن أنه سيذهب

تمددت جولي كم من الوقت استغرقت من النوم؟

ليس كثيراً ساعة أو ما يقارب

أشعة

لم يزعجني هذا كنت أستمتع وأنا أراقبك كيف تتنفس لابد أنك متعبة بالفعل ابتسمت جولي "مازلت اشعر بالتعب لكنني سأتناول شيئاً ما هل تريد أي شيء

تفاحة فقط.

هذا كل شيء؟ ألا تريد جبنة أو بسكويت جافاً أو أي شيء آخر؟

لا لا أشعر بالجوع الليلة فقط أشعر بالإحباط.

خرج من الغرفة بينما نهضت جولي وأشعلت اللمبة، رمشت عينها بشكل نصف مغمضتين ريثما تتأقلم مع النور اتجهت نحو الجرار وأخرجت قميصاً طويلاً ودسّت القميص فوق رأسها ومشت نحو القاعة.

كان مايك واقفاً بالممر ينتظر سنقر، فحدق إليها وهي تمر من جانبه نحو المطبخ.

فتحت البراد وأخرجت زبدية لبن وطبق من رقائق الشوكولا، ثم اختطفت تفاحة في طريق عودتها.

بينما كانت تجتاز الممر عبر غرفة الملابس شاهدت العلبة الذهبية فتجمدت كانت موضوعة على المقعد بالقرب من روزنامتها، متخفية جزئياً بكدسةً من الجداول وبمجرد أن رأتها شعرت فجأة بالقلق جعلها مشهد لعلبة تستحضر في ذاكرتها صور ريتشارد تخيلت عندما قدمها لها وعندما دفع بالباب فجأة في وجهها عندما دخل ريتشارد الغابة وكان ينتظرها، لم ترغب أن تجدها في المنزل ولكن مع تراكم الأحداث نسيت وجودها في المنزل.

والآن أنها على المقعد لمحتها بسهولة، بدون أن يكون لديها رغبة بمشاهدتها لماذا لم ترها قبل الآن؟

سمعت صوت تكتكات الساعة من خلفها من طرف عينها رأت مايك يتكئ إلى الباب. كانت العلبة الذهبية الصغيرة تعكس ضوء المصباح الموضوع على طرف الطاولة بدا وهجها منذراً بالشؤم أحست بيدها ترتعشان.

فكرت فجأة البريد أجل إنه هو عندما وضعت كدسة البريد على المقعد لابد أنها تحركت بطريقة ما فبانت للعيان ابتعلت ريقها صحيح؟

كانت حائرة ﻓﻲ أمرها كل ماعرفته هو أنها لاتريد رؤيتها ﻓﻲ المنزل بعد الآن. ومن السخرية أنها عرفت بوجودها، والآن شعرت أنها تشكل مصدر شؤم لها وكأنها ﻓﻲ حال لمستها سيظهر ريتشارد أمامها ولكن لم يكن أمامها خيار.

أجبرت نفسها على التحرك صوبها وضعت يدها عليها وسحبتها من تحت الجداول إنها مجرد علبة صغيرة قالت لنفسها ليست أكثر من ذلك فكرت ﻓﻲ رميها ﻓﻲ الحاوية ولكن بدلاً من ذلك قررت أن تخبأها ﻓﻲ دروجها ثم تبيعها لمحلات الرهن فيما بعد بعد أن تستقر الأحوال.

إنها ليست ذات قيمة بالنسبة لها ستضع النقود بعد أن تبيعها ﻓﻲ صندوق الكنيسة يوم الأحد لم تفكر بالاستفادة منها والنقود التي ستحصل عليها بعد بيعها ستنفقها لمنفعة الغير.

حملتها معي إلى غرفة النوم وهي تحدق إليها بينما فتحت الجرار. بدت التصاميم التي أخذت شكل أزهار على خارج العلبة وكأن شخصاً ما أمضى اسابيع ﻓﻲ نحتها ومن الواضح أنه اهتم بعمله لدرجة كبيرة.

فكرت إنه لأمر غاية ﻓﻲ السوء كم ستكون محظوظة لو حصلت مقابل بيعها على 50 دولاراً.

عندما بدأت ترتب ملابسها جانباً، لم تشعر إلا وعيناها تراقبان العلبة ثانية. العلبة لم تتغير ولكن بدا فيها شيئاً مختلفاً شيء ما ...

حبست أنفاسها في حلقها فكرت جولي لا رجاء ...... لا

فكت السلسلة وهي تشعر أنها الطريقة الوحيدة لتتأكد إن كان هنالك اختلاف.

اتجهت نحو المرآة في الحمام سحبت طرف السلة حول مؤخرة عنقها، أمسكتها بحيث تتمكن من قفلها. بعد ذلك نظرت إلى نفسها في المرآة، محاولة أن تتماسك بعد أن رأت الفرق واضحاً العلبة التي كانت تتدلى فوق الجزء العلوي من صدرها، استقرت في مكان أعلى بمقدار إنشين فوق صدرها.

لقد قال لها مرة، سأقصر لك السلسلة، بذلك تستطيعين لبسها متى تشائين.

أحست جولي فجأة بالدوار، فابتعدت عن المرأة، تاركة السلسلة وكأنها كانت تحرق يديها سقطت العلبة أسفل بلوزتها قبل أن تقفز إلى البلاط مصدرة صوت فرقعة معدنية.

حتى الآن لم تصرخ. لا، لم تنطلق الصرخة إلا بعد ثانيتين، عندما حدثت إلى الأسفل نحو العلبة. لقد فتحت إثر سقوطها. شاهدت على جانبيها الصورتين اللتين اختارهما ريتشارد خصيصاً لها، كان ريتشارد يبتسم لها في الصورة.

هذه المرة عندما ذهبت جنيفر رومانيلو إلى منزل جولي لم تكن وحيدة. كان الشرطي بيتي غاندي جالساً إلى طاولة المطبخ، يحدق إليهما، دون أن يزعج نفسه بإخفاء تعابير الشك التي ارتسمت على وجهه، كانت العلبة

موضوعة على الطاولة، فمد بيتي يده والتقطها.

قال وهو يفتح العلبة: اسمحي لي برؤيتها. على ما يبدو أنك أوسعت ذلك الشاب ضرباً وكردّ على ذلك أهدى جولي صورتين له. لم أرها من قبل.

شبك مايك بديه بقوة ببعضهما تحت الطاولة لكي يكبح جماح غضبه.

أخبرتك مسبقاً أنه كان يستفزها.

أومأ بيتي لكنه ظل محدقاً إلى الصورتين. أجل، أعلم. إنك تواظب على هذه الحجة، لكنني أحاول أن اكتشف ثغرات محتملة هنا.

سأل مايك: ثغرات محتملة؟ هل يمكنك أن تلاحظ أن هذا دليل كافٍ؟ أنه كان هنا في المنزل؟ انتهك حرمة المنزل ودخل.

ولكن لم يفقد أي شيء. ليست هنالك أية دلائل تشير إلى حدوث كسر. كانت جميع الأبواب مقفلة عندما دخلتما المنزل والنوافذ كانت مغلقة. أنت قلت هذا بنفسك.

نحن لا نقول بأنه سرق أي شيء. ! ولا أعرف كيف فعل هذا، لكنه فعلها. كل ما عليك أن تفعله هو أن تفتح عينيك أكثر!

رفع بيتي يديه. والآن يا مايك خذ الأمر ببساطة. لا مبرر للقلق. إنني أحاول فقط الاستفسار بشكل معمق.

كانت كل من جولي وجنيفر تحسان بالغضب مثل مايك، ولكن بيتي أخبر جنييفر بأنه سيعالج القضية في الحال وليس عليها التفوه بكلمة. ترجمت تعابير وجهها الرعب والتخيلات الفظيعة، لا سيما بعد التحقيق الذي قامت

به هذا الصباح. هل من الممكن أن يتعامى إلى هذه الدرجة عن الحقيقة.

الاستفسار بشكل معمق؟

قال بيتي وهو يتكئ إلى الأمام، ويضع العلبة على الطاولة ثانية: أجل والآن إنني لا أقول بأن القضية لا تثير الشكوك، لأنها كذلك.

وإذا كانت جولي تقول الحقيقة، عندئذ ستكون لدى ريتشارد فرانكلين مشكلة صغيرة فتطلب مني زيارته.

تجهم وجه مايك: إنها تقول الحقيقة، قال وهو يصر بأسنانه.

تجاهل بيتي التعليق ونظر إلى جولي عبر الطاولة. هل أنت واثقة من كل ما قلته؟ هل أنت متأكدة أن الطريقة الوحيدة التي بوسع ريتشارد أن يضع هذه الصور هنا هي من خلال اقتحام منزلك؟

أومأت له موافقة.

وقد ذكرت سابقاً أنك لم تلمسي هذا العقد خلال الأسابيع القليلة الأخيرة؟

لا. كانت موضوعة تحت بعض المجلات على المعقد.

قاطعها مايك: هيا بيتي، هل ينفع هذا في شيء؟

تجاهل بيتي التعليق، وهو لا يزال يحدق إلى جولي بنظرة فيها ريبة.

تابع: أليس هنالك مجال من الوقت من الممكن أن يضع ريتشارد خلاله تلك الصور هنا؟ ألا توجد فرصة أخرى على الإطلاق؟

على إثر أسئلته، ساد الصمت في المطبخ بشكل غريب.استمر بيتي بالتحديق نحو جولي، وفي ظل نظرته المعرفية، أدركت جولي أخيراً ما كان يعرفه عنها. أحست بانقباض في معدتها. سألت: متى أخبرك؟

سأل مايك: أخبره بماذا؟ عندما أجابت جولي أخيراً كان صوتها هادئاً لكنه دل على الاشمئزاز الشديد.

سألت: هل اتصل بك وأخبرك بأنه قد نسي أن يطلعك على أمر ما؟

هل هذا ما حصل؟ أم أنه اصطحبك إلى مكان ما وأطلعك على الأمر؟

لم يجب بيتي، ولكن ما كان عليه أن يجيب. بعد أن هز رأسه بشكل مفاجئ وبدون أن يشعر تأكدت جولي من صحة ظنونها. فكرت جولي، لقد رغب ريتشارد بأن يراه شخصياً، إذا استطاع بيتي أن يطلع على الأمر. إذاً خدع بيتي.

كان مايك في هذه الأثناء ينقل ناظريه بين جولي وبيتي، محاولاً أن يفهم عما كانت جولي تتكلم، كان اتصال خفي يجري بينهما مما جعل مايك يشعر بأن الوضع بأكمله أصبح خارجاً عن السيطرة قال بيتي بإصراره: هل يمكنك رجاء أن تجيبي على السؤال فحسب؟

لكن جولي لم تجب على الفور. كانت لا تزال تحدق إلى بيتي.

قاطعهما مايك أخيراً: تجب على السؤال لا، لا مجال...

لم تكد جولي تسمعه. بدلاً من أن تستجيب له، استدارت نحو النافذة، وأخذت تحدق بحيرة إلى الستائر المرفوعة.

قالت بأريحية مطلقة: أجل. هناك فرصة تمكن فيها من القيام بما يريد.

اتكأ بيتي في كرسيه إلى الوراء، ورفع حاجبيه وقال: تقصدين عندما امضى تلك الليلة في منزلك.

صرخت جنيفر، وقد تدلى فكها : ماذا؟

ردد مايك: ماذا؟

استدارت جولي لكي تواجه. وقالت على الفور: لم يحدث أي شيء بيننا. أي شيء على الإطلاق. لقد ماتت أمه وكان يشعر بالقلق آنذاك، فتبادلنا الحديث. حديث فحسب. نام على الأريكة. ذلك ما كان يتحدث عنه بيتي.

بالرغم أن كل ما قالته كان صحيحاً بشكل مطلق، لكنها عندما نظرت ثانية إلى بيت، أكّدت تعابير وجهه أن ريتشارد كان في نيته مسبقاً هدف مختلف.

لاحظت جولي أن مايك انتبه إلى ملامح بيتي أيضاً.

أخفض ريتشارد الكاميرا المجهزة بعدسات مقربة للتصوير كبديل مؤقت عن المناظير، وصار يراقب مايك وجولي منذ حضورهما إلى المنزل في تلك الليلة. أو إلى حد ما، استطاع أن يراقب حيالهما من خلال الستائر الشفافة. أثناء النهار كان من الممكن اكتشاف أية حركة ولكن في الليل، عندما تتوهج الأنوار في الداخل، استطاع رؤية خيالات فقط، وكان ذلك يلبي حاجته.

اكتشفت جولي ما حدث في هذه الليلة. لقد أصلح السلسلة في تلك الليلة بعد لقائه بـ بيتي غاندي بالطبع، لكنه عرف بأنها ستراها على المقعد.

أدرك بأنه عمل بغيض ولكن ما من وسيلة أخرى. حان الوقت لكي تنهي قصة هيامها مع مايك على الفور وإلى النهاية.

بعد أن أغلق مايك الباب خلف الشرطيين، اتكأ عليه مستعملاً بكلتا

يديه لسند جسده، وكأنه على وشك الانهيار. أخفض رأسه، واستطاعت جولي سماع أنفاسه الطويلة العميقة. تنحى سنغر جانباً، وأخذ يحدق إليه بفضول، وكأنه يتساءل فيما إذا كان هذا الأسلوب نوعاً للعبة ما. لم يستطع مايك النظر إليها.

سألها وهو يرفع ذقنه: لماذا لم تخبريني؟

كانت جولي لا تزال واقفة في المطبخ، أشاحت بوجهها بعيداً: أعرف أنك ستغضب..

زمجر مايك لكنها تابعت كلامها وكأنها لم تسمعه. والأهم من هذا كله أنني عرفت لو يحق لك بما حصل كنت سأجرح مشاعرك، ولا مبرر لأفعل ذلك. أقسم لك - لم يحدث بيننا أي شيء على الإطلاق. كل ما جرى هو مجرد حديث.

استقام مايك، ثم استدار أخيراً وقد ارتسمت على وجهه تعابير الغضب.

تلك الليلة كانت ليلة أول موعد بيننا، أليس كذلك؟ تذكر أيضاً أنها نفس الليلة التي حاول فيها تقبيلها لأول مرة لكنها لم تسمح له.

أومأت جولي: كان وقتاً ممتعاً، هاه؟

لم يكن الوقت مناسباً للمزاح، لذلك ندمت على جوابها في الحال. تقدمت خطوة إلى الأمام.

لم أكن أعلم أنه سيزورني في المنزل. كنت أفكر في الخلود إلى النوم عندما طرق الباب.

وماذا بعد؟ لقد سمحت له بالدخول؟

لم يكن الأمر كذلك. ظل يجادلني لأنني أخبرته بعدم رغبتي برؤيته بعد الآن. حصل جدال حامي الوطيس ثم جاء سنغر...

صمتت. لم تشأ الدخول في تفاصيل ما حدث. لم ترغب على الإطلاق أن تشرح أكثر لأن ما حدث بدا غير مهم.

ماذا فعل سنغر؟

شبكت ذراعيها ببعضهما وهزت كتفيها. لقد عضه سنغر. عندما حاولت إغلاق الباب في وجهه، أوقفه بيده فانطلق سنغر نحوه.

حدق إليها مايك. وهل اعتقدت أن كل هذه التفاصيل غير مهمة بما فيه الكفاية لكي تطلعيني عليها؟ حتى بعدما انتهى الأمر؟

قالت متوسلة: هكذا الأمر تماماً. لم يكن مهما. أخبرته أنني لا أرغب برؤيته فأصابته الحيرة.

شبك مايك ذراعيه وقال: إذاً اسمحي لي بأن أسرد لك ما حدث. يقترب من الباب، ويصل شجار بينكما، ثم يهاجمه سنغر، وبعد ذلك تقبلين بأن يمضي الليلة في منزلك صححي لي إن كنت مخطئاً، ولكن قصتك لن تنفع في شيء.

لا تعاملني بهذه القسوة يا مايك، أرجوك..

إذا كيف أعاملك؟ شخص ما أحس بالقلق لأنك كذبت علي؟

أنا لم أكذب عليك.

لا؟ إذا ماذا تسمين ما حدث؟

لم أخبرك لأن المسألة غير مهمة. كل ما حصل لا يعني لي شيئاً، ولم يحدث بيننا أي شيء.

وكيف عرفت أنه لم يحدث أي شيء؟ ربما ما حدث هو الذي شجعه على أن يسلك هذا المنحى.

لكنني لم أفعل شيئاً سوى الإصغاء إليه!.

صمت مايك، لكن جولي استطاعت أن ترى نظرات الاتهام في عينيه.

سألته: ألا تصدقني؟ ماذا؟ هل تظن أنني شاركته الفراش؟

استغرق مايك لحظة طويلة حتى قال: لا أعرف بماذا أظن بعد الآن.

أجفلت جولي خوفاً. أحست برغبة في توبيخه توبيخاً عنيفاً على الفور، أن تصرخ في وجهه أو تطرده، لكنها قاومت تلك الرغبات، وعادت كلمات ريتشارد تتردد صداها على مسامعها.

(أراهن أنك حتى لم تخبريه بأنك سمحت لي بقضاء الليلة في منزل. كيف تتوقعين أن تكون مشاعره؟).

أدركت فجأة أن ما حصل كان أيضاً جزءاً من خطة ريتشارد. كان يحتال عليها، تماماً كما احتال على بيتي غاندي. الطريقة التي تصرف بها عندما كان في الكليبر. أخذت نفساً عميقاً، وحاولت أن تجبر نفسها على الكلام بشكل طبيعي بحيث تخفي نبرة الغضب.

هل هكذا تشك بيك يا مايك؟ تظن أنني نمت مع رجل لم أكد أخبره بعدم رغبتي برؤيته بعد الآن؟ تشك بي حتى بعد أن أخبرتك بأنني لاأحبه؟ بعد كل سنوات معرفتك بي، هل تظن حقاً بأنني أقترف إثماً كهذا؟

حدق إليها مايك: لا أعرف.

كانت الكلمات لاذعة، وأحست جولي بالدموع تملأ عينيها. أنا لم أنم

معه، قال مايك أخيراً: ربما لا. اقترب من الباب وقال: لكن ما حدث يجرح مشاعري ويجعلني أظن أنك لا تثقين بي ولاسيما بعد هذا الهراء الذي حدث في تلك الليلة، أثق بك. ولكن لا أريد أن أجرح مشاعرك.

لقد جرحت مشاعري يا جولي. لقد جرحت مشاعري.

بهذه الكلمات، اقترب من الباب أكثر وفتحه، ولأول مرة أدركت جولي بأنه على وشك المغادرة. انتظر - إلى أين أنت ذاهب؟

رفع مايك يديه. أحتاج بعض الوقت للتفكير بما حدث، أوكي؟

قالت: أرجوك. لا تذهب. لا أرغب بالبقاء وحدي الليلة.

صمت مايك وأخذ نفساً عميقاً. ولكن بعد مرور لحظة، غادر وهو يهز رأسه.

ريتشارد راقب مايك وهو يشق طريقه إلى الأسفل، ويغلق الباب بعنف عندما صعد إلى سيارته.

ابتسم ريتشارد، بعد أن عرف بأن جولي اكتشفت أخيراً حقيقة مايك. وبأنها لا تستطيع الاعتماد عليه. وبأن مايك شخص يتصرف بانفعال وعاطفة وليس بتعقل وبأن مايك لا يستحقها، ولم يستحق حبها أبداً. وبأنها تستحق شخصاً أكثر قوة وذكاء شخصاً يبادلها الحب.

هناك داخل الشجرة، لم يستطع ريتشارد الانتظار حتى تخرج جولي من هذا المنزل، وهذه البلدة، وهذه الحياة التي أسرت نفسها فيها. رفع كاميرته ثانية وبدأ يراقب خيالها من خلف الستائر في غرفة الجلوس.

حتى خيالها كان فاتناً.

الفصل الثالث والثلاثون

سأل هنري: ماذا فعلت؟

أجاب مايك: سمعت ما قلت. سمحت له بقضاء ليلة في منزلها .

في غضون الخمس عشرة دقيقة التي استغرقها هنري للوصول إلى المنزل، لم يطرأ أي تغيير على مايك سوى أنه ازداد غضباً . كاناواقفين في الباحة الأمامية. فتحت إيما الباب في الحال لكي تستفسر عما كان يجري، لكن مايك أوقفها بنصف عبارة وحدق إليها، وهو متأكد أنها تعلم سبب مافعلته جولي. رفع هنري يده.

هلا سمحت لنا بثانية فقط يا إيما؟ يشعر مايك بقلق شديد الآن.

قبل أن تدخل عائدة إلى المنزل، رمقت إيما هنري نظره عبرت بوضوح أنها كانت تقول له، سأغلق الباب، لكنني أتوقع منك تقريراً مفصلاً فيما بعد. استدار هنري ثانية نحو أخيه سأل هنري: هي أخبرتك بذلك؟

أجل، عندما كانت الشرطة هنا...

قال هنري. لحظة، الشرطة كانت هناك؟

غادروا للتو

لماذا كانت الشرطة هناك؟

بسبب السلسلة. لقد وضع ريتشارد صورتيه فيها. بحق الجحيم ماذا يفترض علي أن أفعل الآن حاول هنري أن يهدئه لكنه كان يزداد اضطراباً. أخيراً أمسك بذراع مايك.

والآن أهدأ يا مايك. ربما من الأفضل أن تبدأ من البداية.

سأل بيتي غاندي إلى متى ستواظبين على هذا الصمت؟

كانا يبحران ببطء إلى أسفل البلدة في سيارة المهمات، ولم تتفوه جنيفر رومانيلو بكلمة منذ غادرا منزل جولي.

استدارت جنيفر نحو نافذة السيارة إثر سماعها صوته.

سأل: أما زلت غاضبة مما حدث أمام مايك هاريس؟

لأنك عندما تكونين مكاني، ستتعلمين كيف تتغلبين على ترهان كتلك. عملنا ليس سهلاً دائماً.

حدّقت إليه جنيفر وقد بدت شاردة الذهن. ربما لا يكون سهلاً، ولكن

ما كان عليك أن تتصرف بحماقة أيضاً.

ماذا تتحدثين؟ لم أكن أحمق

لا؟ إذا ماذا يعني ذلك التعليق البسيط الذي أدليت به أمام مايك؟ لم يكن هنالك أي مبرر لذلك.

وتقصدين بخصوص إقامة ريتشارد في منزلها؟

لم تجبه، ولكن ما كان عليها أن تجيب حتى بيتي أدرك سبب انزعاجها.

لماذا تضايقت؟ ما قلته كان صحيحاً، أليس كذلك؟

قررت بأنها تحتقر هذا الشاب بشكل مطلق.

قالت: ولكن ما كان عليك أن تذكر ما حدث أمام مايك: كان بإمكانك أن تأخذ حولي جانباً ونسألها عن الموضوع. ثم هي بدورها تشرحه لـ مايك.

وما الفرق؟

الفرق هو أنك أوقعت بينهما وربما بدأت في خوض جدال رئيسي بهذا الخصوص، هكذا إذاً؟ لا دخل لي إن لم يكونا صادقين مع بعضهما. كنت أحاول فقط الاستفسار عن أدق الأمور.

أومأت جنيفر أجل، وهذا أمر آخر. ماذا اكتشفت بعد أن عرفت بأنه أمضى ليلته هناك؟ هل تحدثت مع ريتشارد؟

أجل، في الواقع فعلت. لقد قابلته في غرفة التمرين، يبدو شاباً مهذباً.

شاب مهذب

قال بيتي بنبرة يدافع فيها عن نفسه: أجل. لن يجرؤ على إنكار التهم الموجهة إليه، هذا سيء، وهذا يعني الكثير، صحيح؟ إنه يريد أن لا يحمل

نفسه المسؤولية وأن ينسى كل ما حدث. لن يُقَيم نفسه بقضية مدنية.

و متى ستشاركني هذه القضية؟

أشاركك بماذا؟ كما قلت لك، انتهت القضية، بالإضافة إلى أنها ليست من اختصاصك. لا تزالين تتعلمين سير العمل.

أغلقت جنيفر عينيها: المشكلة هي أن ريتشارد يبتزّ جولي وهي تتألم كثيراً لهذا. ألا يمكنك أن تلاحظ ما يحدث؟.

هز بيتي رأسه: اسمعي، أخبرني ريتشارد عن موضوع السلسلة، أو كي؟ ذكر لي ما حدث بالمصادفة، وقال لي بأنه وضع الصورتين في العلية المعلقة بالسلسلة عندما قضى ليلته هناك. وتذكري أن جولي نفسها اعترفت بأنها لم تر السلسلة منذ ذلك، فهل تظنين أنه كان يكذب؟

وأنت لا تصدق أية كلمة مما ذكرته؟ لا تصدق بأنه كان يلاحقها؟ وتعتقد أن كل ما يحدث هو مجرد مصادفة أيضاً؟

احتج بيتي: هيه، لقد تحدثت مع الشاب مرتين حتى الآن قاطعه صوت الراديو. جنيفر التي كانت لاتزال تحدق إلى بيتي، رفعت السماعة. سلفياً، ناطقة رسمياً هي في القسم من عشرين سنة وعلى معرفة بكل شخص في البلدة، تكلمت بالرغم أنها لم تكن متأكدة كيف تسير الأمور.

لقد تلقينا للتو مكالمة من سائق شاحنة يتوجه رأساً نحو أسفل الطريق العام. قال بأنه شاهد شيئاً غريباً في قناة للري ويطلب منا أن نذهب إلى المكان.

"ماذا باعتقاده ذلك الشيء؟

لم يقل شيء. أظن أنه كان وسط ضجيج ولم يرغب بأن يجيب على أية أسئلة. إنه الطريق العام رقم 24، على بعد ربع ميل من محطة أموكو على الجانب الشمالي من الطريق، "سنحقق في الأمر"، أجابت جنيفر، وقد احست بالارتياح لأن بيتي أغلق فمه.

كان مايك قد غادر من نصف ساعة، وكان المنزل هادئاً، كانت جولي تتمشى في أنحاء المنزل، وتتأكد أن النوافذ والأبواب مغلقة بإحكام. ثم تمشت نحو غرفة الجلوس، وستغر إلى جانبها. استطاعت أن تسمع في الخارج صوت الصراصير وحفيف الأوراق. شبكت جولي ذراعيها ونظرت باتجاه الباب. جلس سنغر بجانبها، وأسند رأسه إلى ساقها. بعد لحظة بدأ ينبح، وكانت جولي تربت على ظهره، وكأنه كان يعلم بما يجري، لم يبتعد عنها منذ غادر مايك.

كانت جولي واثقة أن ريتشارد لم يضع الصور الفوتوغرافية داخل العلبة في تلك الليلة. بحق الإله، كان لتوه عائداً من حضور جنازة. وهل أخذ بالحسبان في ذلك الوقت أن يحمل صورتين له وينتهز الفرصة لوضعهما في العلبة بينما كانت هي مستغرقة في النوم؟ ليس هنالك فرصة لذلك. لا، لقد كان هناك. داخل منزلها. يبحث، ويفتح الدروج، ويبعثر المحتويات بحثاً عما يريد. مما يعني أنه على علم بما لديها في الداخل.

وهل تمكن من فعل ذلك ثانية؟

هذه الفكرة جعلت حنجرة جولي تتقلص، فهرولت نحو المطبخ، وسحبت كرسياً من جانب الطاولة وحشرتها تحت قبضة الباب الأمامي.

كيف استطاع مايك أن يتركها، كيف استطاع بعد اختفاء أندريا وابتزاز ريتشارد لها؟

كيف استطاع بحق الإله أن يتخلى عنها في هذه الليلة؟

إذا لم تخبره عن ريتشارد. ماذا؟ لم يحدث أي شيء!؟

لكن مايك لم يصدقها. غضب منها، وجرحت مشاعره. ولكن من بينما كل الليالي يهجرها الليلة اتجهت جولي نحو الأريكة، وبدأت تبكي.

سأل هنري: هل تصدقها؟

حدّق مايك نحو أسفل الشارع وأخذ نفساً عميقاً. لا أعرف.

حدّق إليه هنري: هل أنت متأكد؟

عض مايك شفتيه وقال: لا، لا أعرف. كيف لي أن أعرف إن لم أكن موجوداً هناك "لأنك تعرف جولي. تعرفها أكثر من أي شخص آخر.

بعد لحظة طويلة، استرخى مايك وقال أخيراً: لا، لا أشك بأنها نامت معه.

انتظر هنري لحظة قبل أن يجيبها. إذاً لماذا كل هذا الانزعاج؟.

لقد كذبت علي.

لا، إنها لم تكذب. لقد كتمت عنك الأمر.

"الأمر سواء".

لا، الأمر مختلف. هل تعتقد بأنني أطلع إيما على كل ما يحدث معي؟ لا سيما إذا كانت المواضيع غير مهمة؟

هذا الأمر مهم يا هنري

ليس بالنسبة لها يا مايك

كيف لا يكون مهماً؟ بعد كل ما حدث؟

فكر هنري، الحق معه. ربما كان عليها أن تقول شيئاً، ولكن لم يكن هنالك مبرر لمناقشة ذلك الآن. إذاً ما الذي ستفعله؟

بعد مرور لحظة طويلة أجاب مايك: لا أعرف.

استطاع ريتشارد أن يرى صورة خيال جولي عندما جلست على الأريكة. عرف بأنها كانت تبكي، وكم كان يرغب أن يضمها ويواسيها، ليخفف ألمها. وضع إصبعه على شفتيه وكأنه يحاول تهدئة طفل صغير. لقد تعاطف معها وشاركها كل مشاعرها: وحدتها وخوفها وانكسار قلبها. لم يسبق له أبداً أن تأثر وهو يشهد شخصاً يذرف دموعاً.

لقد تذكر أن تلك المشاعر لم تنتبه عندما شاهد والدته تبكي خلال الأشهر التي أعقبت جنازة والده، ولكنه من جديد عاد إلى مشاعره السابقة وأحس بأنه يكرهها.

غادر مايك منزل هنري، متوجهاً نحو منزله وهو يحس بدوار في رأسه.

كانت الرؤية غير واضحة على الطريق، ولم يبد أنه يميز الصور التي يمر بها على جانبي الطريق. فكر ثانية، كان على جولي أن تخبره الحقيقة. أجل، ربما كان ستضايق لكنه سيتجاوز الأمر، ويتفهمه فيما بعد. لقد أحبها، وما فائدة الحب دون ثقة أو صدق لقد غضب من هنري أيضاً لأنه تبنى الموقف ودافع عنها. ربما كان رأيه مختلفاً لو كانت إيما هي التي خدعته، استرجع ما فعلته سارا معه من بضع سنوات أحسّ مرة بالمرارة ومرتين بالخجل:

باستثناء أن جولي لم تخدعه. أدرك أنها لم تكذب بخصوص ما حدث. لكنها لم تمنحه ثقتها بعد. عرف بأن تلك هي الحقيقة التي آلمته. الثقة. عرف دون أدنى شك أنها كانت ستخبر جيم بكل ما حدث معها، لماذا إذاً لم تخبره؟

هل كانت علاقتهما مختلفة عن العلاقة التي ربطتها بـ جيم؟ ألم تثق به كما منحت جيم ثقتها؟ ألم تحبّه؟

داخل الشجر، كان ريتشارد مستمراً بالتفكير بوالدته.

كان يأمل أن تتحسن أحوالها وتصبح أكثر قوة بعد موت والده. ولكنها بدلاً من ذلك بدأت تسكر، وكان المطبخ يعبق برائحة السجائر. أصبحت أكثر عصبية وكأنها كانت تتذكر أفعال زوجها وتغضب من تصرفاته. أول نتائج عصبيتها حدثت عندما كان نائماً في سريره، وبعد أن استيقظ إثر ألم أحس به، وكأنه خسر مبارزة شنت ضده.

وقفت والدته مفتوحة العينين فوق السرير، وكان حزام والدها يتدلى من يدها استعملت مؤخرة إبزيم الحزام لتضربه بها.

صرخت في وجهه: كان خطؤك! كنت دائماً تثير غضبه!

ترنحت مراراً وتكراراً. كان ينكمش على نفسه مع كل ضربة، متوسلاً إليها أن تتوقف ومحاولاً أن يغطي نفسه، لكنها استمرت في ضربه حتى أرهقت لدرجة عجزت فيها عن تحريك ذراعيها في الليلة التالية فعلت الأمر ذاته، لكنه هذه المرة توقع مجيئها وكان تتقبل الضربات بهدوء وغضب مكتوم كما تلقاها في الماضي من والده. عرف إذاً أنه كان يكرهها، ولكن لم

يكن هنالك أي مجال لإيقافها في ذلك اللحظة.. ولاسيما بعد الشكوك التي أفصحت عنها الشرطة بخصوص الطريقة التي مات فيها والده.

بعد تسعة أشهر، وبعد أن تورم ظهره وساقاه، طحن حبوب النوم التي تتناولها والدته ودس المحتويات في مشروب الفودكا الذي تحتسيه. بعد أن خلدت إلى النوم، لم تستيقظ بعد ذلك أبداً.

صباح اليوم التالي، عندما وقف فوق سريرها يحدق إليها، فكر كم كان ذكاؤها محدود بالرغم من شكوكها بأن له علاقة بموت والده، لم تستطع أن تتخيل أنه من الممكن أن يفعل الشيء ذاته. كان عليها أن تعرف بأن يمتلك قوة كافية تجعله قادراً على تغيير قدره.

جولي أيضاً تمتلك القوة الكافية لتغيير مصيرها. جولي شجاعة.

كم أعجب بها لشجاعتها. أحبها لشجاعتها.

بالطبع حان الوقت للقتال حتى النهاية. كان ريتشارد واثقاً أن جولي ستدرك هذه الحقيقة الآن. ربما ستدركها بشكل لا واعي. والآن انتهت التمثيلية التي لعبت فيها دوراً مع مايك، ولم يكن هنالك أي مهرب لمواجهة مايجب حدوثه.

بدأ ريتشارد ينزل ببطء من على الشجرة.

اتجه الشرطيان بيتي غاندي وجنيفر رومانياو إلى محطة أموكو وصفّا السيارة إلى جانب الطريق العام. بعد أن جهزا مصابيح الإضاءة، خرجا من السيارة على بعد مسافة قصيرة استطاعت جنيفر أن ترى الأنوار تنبعث من محطة الغاز، ورأت السيارات تملأ المضخات. وعلى الطريق العام كانت

السيارات تمر بسرعة فائقة. وكان جانب الطريق يعج بدوامة من الأنوار الزرقاء والحمراء اللون، مطلقاً صفارات للإنذار لسائقي السيارات.

قال بيتي مشيراً إلى المحطة: اذهبي في هذا الاتجاه، وسأذهب أنا من هذا الاتجاه أشعلت جنيفر مصباحها وبدأت عملية البحث.

كانت جولي لا تزال تبكي عندما سمعت صوتاً في الخارج. رفع سنغر أذنيه وهو يتجه نحو النافذة وينبح، بدأ قلبها يدق، فنظرت حولها بحثاً عن سلاح.

عندما نبح سنغر، قفزت من على الأريكة بعينين مفتوحتين قبل أن تنتبه إلى أنه يهز ذيله.

سمعته يناديها من خلف الباب. جولي؟ هذا أنا، مايك.

ركضت نحو الباب بسرعة، وأزاحت الكرسي، وقد أحست براحة عارمة. حالما فتحت الباب، نظر إليها مايك قبل أن يشيح بنظره نحو الأرض.

قال: أعرف أنك لم تنمي معه.

أومأت جولي: أشكرك.

مع ذلك أود أن أتحدث معك بهذا الخصوص.

أوكي.

لم يقل أية كلمة في تلك اللحظة، لكنه دس يديه في جيبه وأخذ نفساً عميقاً

سأل أخيراً: هل كنت ستخبرين جيم بما حدث؟

رمشت جولي عينيها. إنه سؤال لم تتوقعه أبداً.

قالت: أجل كنت سأخبره.

أومأ مايك ثانية. هذا ما توقعته أيضاً.

كنا متزوجين يا مايك. عليك أن تفهم هذا.

أعرف

هذا لا علاقة له بالمشاعر التي أكنها لك. لو سألتني إن كنت سأخبره في حال لم نكن متزوجين لكان جوابي لا.

حقاً؟

حقاً. لم أرغب أن أجرح مشاعرك لأنني أحبك. ولو كنت أعلم أن ما حدث سيضايقك إلى هذه الدرجة، لأخبرتك. بكل الأحوال كان علي أن أخبرك إنني أسفة.

أنا آسف أيضاً آسف عن كل ما بدر مني.

تقدمت جولي خطوة إلى الأمام، وعندما لم يتراجع مايك، اقتربت منه أكثر واستندت عليه أحست ذراعيه تطوقانها.

قال: أفضل البقاء الليلة هنا، إن كنت ترغبين.

أغلقت جولي عينيها: كنت أتمنى أن تقول هذا منذ البداية.

اتخذ ريتشارد حركة معاكسة حالما شاهد مايك يوقف سيارته أمام المنزل، فتسلق ثانية إلى أعلى الشجرة. والآن أخذ يراقبهما، بوجه متجهم.

فكر ريتشارد لا. لا، لا، لا........

وكأنه يعيش في كابوس، شاهد مايك وهو يضمها بذراعيه، وشاهدها وهي تحضنه... لا، لا يمكن أن يحدث هذا لا يمكن.

لقد عاد مايك، وكانا يعانقان بعضهما مثل عاشقين.

حاول ريتشارد أن يهدئ من روعه ويسيطر على نفسه، بعد أن أغلق عينيه، استرجع في ذاكرته صور جيسيكا، وصور جولي وصور الطيور، وبدأ يلقي على نفسه دروساً في كيفية تجهيز الكاميرا. في كيفية ضبط العدسات. وفي اتخاذ وضعية مناسبة للوميض وخاصيات النور...

عندما فتح عينيه كان يلتقط أنفاسه بهدوء، عاود السيطرة على نفسه، لكن موجة غضب عارمة لا تزال تعتمل في داخله.

تساءل ريتشارد، لماذا، هل تنوي تكرار أخطاءها؟ حاول أن يبقى مهذباً ولطيفاً معها. لقد عاملها بمنتهى التهذيب هي وصديقها الصغير. تهذيب مبالغ به. تضيَّقت حدقتي عينيه. أليس عندها أدنى فكرة عن التصرف الذي تقوم به لكي تجبره على القيام بما لا يرغب؟

كانت جنيفر تنقل الضوء من جانب لآخر عساها تجد أثراً لسائق الشاحنة. وكان القمر يزول في بداية طلوعه، تحت مستوى الشجرة وآلاف النجوم زينت السماء. بينما عبق الجو برائحة غاز ثقيلة. تقدمت ببطء، وهي تتفحص السد. ولكن لا يوجد أحد.

على مسافة أقل من ثلاثين قدماً عن الطريق، انتصبت أشجار الصنوبر بجانب بعضها. كانت الأعشاب المحيطة بالأشجار كثيفة وطويلة بحيث بدا من المستحيل أن يخترقها الضوء الذي تحمله جولي.

تابعت السيارات المرور من جانب الطريق، لكنها لم تكد تنتبه إليها. كانت تراقب الأرض وتتحرك ببطء. وبحرص تقدمت جنيفر خطوة عندما سمعت حركة جانب الطريق.

رفعت الضوء، شاهدت عينين تحدقان إليها . تسمّرت في مكانها قبل أن ينتقض الغزال بسرعة ويفر هارباً .

أخذت زفيراً، ثم أخفضت رأسها وتابعت البحث. كانت الآن تقترب أكثر من محطة الغاز، وتساءلت ثانية ما الذي يفترض عليها أن تبحث عنه.

تقدمت خطوة نحو حاوية قمامة مرمية، فرأت علباً من الألمنيوم ومناديل قطنية متجمعة في السد . بدأت تتساءل إن كان عليها أن تذهب في الاتجاه المعاكس لكي تساعد بيتي في عملية البحث عندما رأت أن الضوء يتوهج كاشفاً عن شيء جعلها أخيراً تطلق صرخة.

استدار بيتي نحو مصدر الصوت وركض باتجاه جنيفر. وصل إلى هناك في أقل من دقيقة حيث رأى جنيفر ترتعش فوق جثة. تسمر في مكانه فجأة وكان عاجزاً عن الإتيان بأية حركة.

استدعي سيارة الإسعاف إلى هنا!؛ صرخت جنيفر، واستدار بيتي وهرول نحو سيارة المهمات.

بعد أن كتمت رعبها، ركزت جنيفر انتباهها على الجثة. كان وجه المرأة مدمى وقد فقدت ملامحه. كانت هنالك حلقة مثيرة للاشمئزاز إرجوانية اللون حول عنقها. أحد يديها استقلت باتجاه زاوٍ بطريقة غريبة، وبدا واضحاً أن المعصم مكسور. اعتقدت جنيفر أنها ميتة حتى اقتربت من الجنة وسمعت نبضاً خفيفاً.

عندما عاد بيتي، جلس القرفصاء إلى جانب جنيفر.

بعد لحظة، وعندما تعرّف على الضحية، استفرغ على جانب الطريق.

الفصل الرابع والثلاثون

عندما وصلت جولي إلى العمل صباح يوم الخميس، وجدت الشرطيين غاندي وررومانيلو بانتظارها. من خلال التعابير التي ارتسمت على وجهيهما، عرفت في الحال سبب حضور الأمر متعلق بأندريا، أليس كذلك؟

كانت مايل واقفة خلفهما وقد تورمت عيناها واحمرتا. قالت وهي تجتاز الغرفة وترتمي بين أحضان جولي. وأمره، حبيبتي. مايك وهنري في طريقهما إلى هنا... بدأت تنتحب، وأخذ جسدها يرتعش بشكل لا شعوري.

ماذا حدث؟

قالت مايك بصوت مخنوق: لقد ضربها. قتلها تقريباً... إنها الآن في غيبوبة...

لا يعرفون إن كانت ستستيقظ منها.... كان عليهم أن يسعفوها في الحال إلي ولمنغتن منذ ليلة أمس...

أحست جولي أن قدميها لا تحملانها لكنها ظلت جامدة. بعد لحظة، دفع كل من مايك وهنري الباب. رأى مايك جولي ومايك قبل أن ينتبه إلى وجع لـ الشرطيين سأل مايك، ماذا فعل لـ أندريا؟

ترددت جنيفر في الإجابة: ماذا عساها أن تقول وكيف نصف جريمة كتلك؟

الدماء، العظام متكسرة...

قال بيتي أخيراً: الوضع سيء. لم أشهد جريمة كهذه من قبل.

عاودت مابل النحيب ثانية بينما حاولت جولي أن تخفف عنها. بدا هنري غير قادر على الحركة لكن مايك كان يحدّق إلى جنيفر.

سأل مايك: ألم تعتقلوا ريتشارد بعد؟

أجابت جنيفر: لا.

لماذا لا بحقّ الجحيم؟

لأننا لا نعرف إن كان هو المسؤول.

بالطبع هو ما فعلها! وهل هناك بحقّ الجحيم شخص آخر يفعلها سواه؟.

رفعت جنيفر يديها محاولة أن تسيطر على الوضع. اسمعوا، أعرف بأنكم جميعاً تشعرون بالقلق...

صرخ مايك: بالطبع كلنا قلقون! وكيف ستشعر إذاً؟ لا يزال المجرم طليقاً وأنتم تضيعون وقتكم هنا!.

قال بيتي بسرعة بينما استدار مايك نحوه: والآن اهدأوا.

اهدؤوا؟ أنت المسؤول مما حصل في الدرجة الأولى! لولا تصرفك الأحمق لما حدث كل هذا! أخبرتك بأن الشاب خطير! توسلنا إليك كي تفعل شيئاً لكنك كنت مشغولاً جداً بتحرياثات.

خذ الأمر ببساطة..

اتجه مايك نحوه: (لا تملي علي ما يجب أن أفعله! هذا خطؤكَ!

جعل بيتي فمه مستقماً واتجه نحو مايك. قفزت جنيفر لتحول بينهما.

صرخت. هذا الشجار لن يفيد أندريا في شيء! والآن كفا عن العراك!

حدق مايك وبيتي ببعضهما، وجسداهما متصلبان. تابعت جنيفر كلامها بسرعة قالت وهي تحدق إلى مايك وجولي. اسمعا نحن لا نعلم أي شيء بخصوص ريتشارد ولا واحد منكما أخبرنا عن علاقته ب أندريا، وقد وجدناه بعد أن غادرنا كما ليلة أمس كانت قد دخلت مسبقاً في غيبوبة، ولم يكن هنالك أي دليل يشير إلى المجرم. بقيت هناك أنا وبيتي حتى الفجر تقريباً، وجئنا إلى هنا صباحاً لأنه المكان الذي تعمل فيه أندريا، وليس لأننا نشتبه بشيء. أخبرتنا مابل لتوها عن علاقة ريتشارد به أندريا منذ أقل من خمس دقائق. هل تفهمان؟

كان مايك وبيتي لايزالان يحدقان إلى بعضهما حتى أشاح مايك بنظره بعيداً وأخذ نفساً عميقاً قال مايك. أجل، إنني أشعر بالقلق فقط. إنني آسف.

تابع بيتي التحديق إلى مايك. بعد لحظة استدارت جنيفر نحو جولي.

قالت مايك بأن إيما شاهدت ريتشارد بصحبة أندريا في مدينة مورهيد، صحح؟

أجابت جولي: أجل. حدث هذا من مشي يومين. في اليوم نفسه الذي رأيته فيه في الغابة ولا أحد منكم يعلم أنه كانت يقابلها؟ أو كانا يتواعدان؟

لا لم تقل أندريا أي شيء بهذا الخصوص. أول ما سمعت عن الأمر عندما اتصلت هل أخبرت مايك؟

لا، ولم تخبرني شيئاً.

ولم تظهر منذ البارحة؟

لا

ألا يبدو لك الأمر غريباً؟ أقصد بعد أن عرفت أنها تقابل ريتشارد؟

أجابت مابل: بالطبع كنا قلقين، ولكن عليك أن تفهمي أنها ليست المرة الأولى التي تتغيب فيها أندريا عن العمل. إنها تفضل ذلك.

ومع ذلك، ألا تتصل عندما تتغيب؟

أحياناً، ليس في كل الأوقات.

استدارت جنيفر نحو جولي ثانية: لماذا لم تقولي أي شيء، بخصوص ريتشارد وأندريا ليلة أمس عندما كنا في منزلك أنا والشرطي غاندي؟

ولم يخطر ببالي. كنت أشعر بقلق شديد بسبب السلسلة، ثم، بعد ما قاله بيتي أومأت جنيفر وقد فهمت تماماً ما قصدته جولي: أهل من الممكن أن تحضر إيما إلى هنا؟ أو استجوابها.

قال هنري: لا مشكلة اسمحي لي أن اتصل بها.

رغبت جنيفر أن تتأكد أن كل شيء يسير على أفضل ما يرام، فخاضت ثانية في طرح أسئلة إضافية عامة ـ ماعلاقات أندريا الاجتماعية، من هم أصدقاؤها، وأية احتمالات أخرى يمكن أن تستفسر عنها.. استخدمت إجراء نظمياً، لأنها عرفت أنها في حال لم تحقق الشكوك المحتملة الأخرى ستستعمل جهة الدفاع هذه الثغرة لكي تتهم الشرطة بالتحيز في المحكمة أما جولي فقد وجدت صعوبة في التركيز على أسئلة جنيفر الباقية، نتيجة القلق الشديد الذي شعرت به بعدما حصل لـ أندريا لم تستطع أن تبعد عن ذهنها فكرة أنه ريتشارد صار له يلاحقها لعدة أسابيع. وبأنه أمضى ليلة في منزلها. وأن ربما تكون الصحية القادمة.

وصلت إيما أخيراً، وعيناها محمرتان من كثرة البكاء. استجوبتها جنيفر وطرحت عليها الأسئلة ذاتها.

لم تكن إيما تعرف أي شيء باستثناء ما ذكرته جولي ومابل مسبقاً، بالرغم أنها ذكرت أني شاهدتها ـ خارج بار يدعى موسكتو غروف بعيداً عن الواجهة المائية بعد استجواب إيما، حدقت جنيفر نحو الجانب الآخر وسألت: هل تمانعين في تفتيش المكان الذي تعمل فيه أندريا؟ وبما تركت دليلاً ما يعطينا فكرة عن بداية لقائها بـ ريتشارد أو يشير فيما إذا كانت هذه هي المرة الأولى التي تلتقي به.

قالت مايك لا، تابعي البحث

استغرقت جنيفر دقيقة وهي تفتح الدروج، وتفتشها. أغلقت الدروج

وأخذت صورة لـ أندرينا معلقة على المرآة.

هل يمكنني استعادة الصورة؟ لا نحتاجها؟

أومأت مايك: بالتأكيد

تفحّصت جنيفر الصورة قبل أن ترفع نظرها عنها وقالت أوكي، هذا يكفي الآن بدا الجميع متفقين معها. عرفت جنيفر أن عليها المغادرة، ولكنها بدلاً من ذلك اتجهت نحو مايك وجولي. بعد الساعات التي استغرقتها في مطبخهما، أصبحت تعتبرهما صديقين.

قالت: أريد أن أخبركما أنه في حال كان ريتشارد هو المسؤول عن كل ما يحدث، فهو قادرٌ إذاً على القيام بكل شيء. إنها أبشع جريمة سبق لي أن رأيتها. تعجز الكلمات تقريباً عن وصفها. إنه مريض نفسي. أريد فقط أن تفهمان هذا. ابتلع مايك ريقه. قالت جنيفر، خذا احتياطاتكما التي توفر لكما الأمن.

على الطريق، تمشت جنيفر مع بيتي، وكلاهما التزما الصمت. كان عليها أن تعترف بفضل ليس لأنه فقط سمح لها بالاستجواب في الداخل، ولكن بسبب العزم الجديد الذي لاحظ من خلال تعابير وجهه المتجهم.

بعد الصعود إلى السيارة، أدخل مفاتيح التشغيل، لكنه استند إلى الوراء بدون أن يدير المحرك. حدّق من خلال واجهة السيارة وقال أخيراً. إنها تقص لي شعري.

من أندريا؟.

أجل ذلك ما تذكرته ليلة أمس.

بقيت جنيفر صامتة، وهي تراقب بيني الذي أغلق عينه.

قال: إنها لا تستحق ما حدث لها. لا، تستحق ذلك.

وضعت جنيفر يدها على كتفه وقالت: آسفة.

أومأ لها، وكأنه يحاول أن ينسى ما رآه ليلة أمس. أدار محرك السيارة: قال بهدوء: أعتقد أنه حان الوقت لنقوم بزيارة قصيرة لـ ريتشارد فرانكلين في مقر عمله. أو لو باستطاعتي وضعه تحت الحراسة. لا أريد أن أمنحه الوقت لكي تعترف مزيداً من الجراثيم.

إذا كان هو المسؤول، سأجعله يدفع الثمن. يا لسوء ما يحدث.

شبكت جنيفر يديها معاً في حضنها. في الخارج كانت الأشجار والأبنية مكسوة بالضباب عندما اتجهت السيارة الجسر.

قالت: لن يأتي إلى هنا. ذهب من شهر.

بيتي الذي رسمت تحت عينيه دوائر سوداء، حدق إليها من داخل السيارة المعتمة حيث بدا مرهقاً. كيف عرفت ذلك؟

اتصلت بالإدارة الشخصية في شركة J.D بلا نشارد.

كان بيتي لا يزال يحدق إليها. حققت معه؟

ليس بشكل رسمي.

أدار بيتي نظره ثانية نحو الطريق وصف السيارة في موقف في ظل شجرة ضخمة. لماذا لم تتطلعتي من البداية لكي تطلعيني على ما تقومين به. أمسك بفنجان قهوة كان قد جهزه في ذلك الصباح. ولا تقلقي بخصوص التورط في مشاكل. هذا سيبقى سراً بيتنا.

أخذت جنيفر نفساً عميقاً، وبدأت تسرد ما في جعبتها.

في الصالون، كان هنري يحدث في الفراغ، وبدا مايك شاحباً، بينما كانت مايك تمشي دمعها. بدت إيما منهارة وهي متكورة تحت ذراع هنري. أما جولي فشبكت ذراعيها وكانت تتأرجح ببطء على الأريكة جيئة وذهاباً.

همست إيما: لا أصدق ما حدث. لا أصدق ما حدث وحسب. كيف استطاع أن يفعل هذا بها؟

لم يتفوه أحد بكلمة، بينما نظرت مابل إلى الأسفل: أظن أنني كنت سأزورها اليوم لا أعرف ماذا كان علي فعله.

قالت جولي: إنه خطئي. كان علي أن أحذرها منه بعد أن قصت شعره.

لاحظت أنها معجبة به.

احتج مايك: ليس خطؤك. لم يكن بإمكانك فعل أي شيء لمنعها

لو لم تكن هي الضحية لكانت فتاة أخرى.

أنا مثلاً!

اقترب مايك منها: ستتحسن

هزت جولي رأسها: أنت لا تعرف ذلك يا مايك. لا يمكنك أن تعد بأمر كهذا، بدت نبرتها غير مهذبة على عكس ما كانت تنوي، فاستدار مايك وفكر في نفسه، لا أستطيع التنبؤ بذلك.

قالت جولي: لا أفهم ما الذي يحدث. لماذا هنا؟ لماذا اختار المكان من بين كل الأماكن؟ ولماذا هي بالذات؟ لم تفعل له شيء.

قال مايك: إنه مجنون. أمل أن يقبضوا عليه ويحتجزوه لفترة طويلة.

فكرت جولي في نفسها، هذا إن استطاعوا القبض عليه.

في جو من الصمت، حدّق هنري باتجاه النافذة، ثم استدار نحو جولي.

قال: الشرطة على حق: عليك فعل ما طلبته منك. ولكن ليس باستطاعتك البقاء هنا.

نظرت إليه جولي

تابع هنري: ليس بعد ما حدث لـ أندريا. ليس بعد الفترة التي أمضاها وهو يراقب منزلك المكان لم يعد آمناً بالنسبة لك.

أين علي أن أذهب؟

إلى أي مكان: أخرجي من البلدة فحسب. اختفي عن أنظار هذا الشاب. يمكنك الذهاب إلى الشاطئ إذا أردت. لن يعثر عليك هناك.

أضافت إيما: إنه على حق. عليك الخروج من البلدة.

سألت جولي: ماذا له كان مخطئاً؟ ماذا سيحدث في حال استطاع العثور علي؟

لن يجدك. البيت غير مسجل بأسمائنا. إنه منزل آمن ولا يستطيع أن يكتشف أنه ملكنا. لم تذهب إلى هناك منذ شهرين، وهكذا لا مجال أمامه حتى ليعرف أن هناك منزلاً في ذلك المكان. حتى أنه لن يعرف أين يبحث عنك.

بدني يقشعر لمجرد سماع هذه الفكرة.

قال مايك: هل تفضلين البقاء في منزلي؟

قالت: لا. إنني واثقة أنه يعلم مكان منزلك أيضاً.

قال مايك: اذهبي فقط. هنري على حق. المكان خطير هنا.

ماذا لو استطاع أن يلحق بنا؟ ماذا لو كان يراقبني الآن؟

اتجهت أنظار الجميع نحو النافذة.

قال هنري: خذي سيارتي، لا، خذي سيارة إيما. وغادري للتو. سنذهب أنا ومايك لنفحص لك المكان. إن لم يكن هناك، اذهبي إلى الطريق العام وأبقي هناك حيث بإمكانك أن تعرفي إن كان شخص ما يتبعك أم لا. حالما تصلين إلى جاكسو نفيل، قومي ببعض المناورات المجنونة لتتأكدي أنه ما من أحد خلفك. أهم ما في الأمر هو أن عليك المغادرة قبل أن يكتشف ريتشارد ذلك.

ماذا عن الشرطة؟ هل أخبرهم؟

"سأعالج هذا الموضوع. اذهبي فحسب. ومهما فعلت لا تعرجي أولاً إلى المنزل" بعد لحظات، غادر كل من جولي ومايك.

استغرقت جنيفر عشر دقائق حتى أفصحت بكل ما تعلمه. تاريخ الدين المثير للغرابة المؤسسة الجديدة في أوهيو التي حلت محل المؤسسة في كلرادو، رغبة ريتشارد المزيفة في تقديم صورة جانبية عن حياته، وتعليقات جيك بلانسن بخصوص الخطورة التي يشكلها ريتشارد وحفيفة أنه لم يعد بعمل في شركة J.D بلا تشارد. كان بيني يدير عجلة القيادة ويومئ لها، وكان كل ما قالته أحدث تأثير في نفسه. قال. عرفت أن تصرفات ذلك الشاب مثيرة للشبهات. حتى في غرفة النمرين، بدا في غاية المكر، هل تعلمين هذا؟

حدّقت إليه جنيفر بدون أن تتكلم. بالرغم في شعورها في في الارتياح

لأنه ميز الحقيقة أخيراً وبالرغم من إحساسها بالضيق لأنه لم يكتشفها حتى تلقى صفعة على رأسه، لكنه الآن على الأقل تقف ـ في صفها .

قالت أخيراً: إذاً لقد سمعت منك ما أرغب سماعه.

لم يشعر بيتي هذه المرة بنبرة للسخرية ـ في كلامها فأدار عجلة القيادة ثانية وسأل: إن لم يكن ـ في عمله، أين يكون؟

لا أعرف. باستطاعتنا البحث عنه ـ في المنزل.

أومأ بيتي: لنبحث عنه إذاً.

بعد مرور خمس عشرة دقيقة، كان بيتي وجنيفر يتوجهان نحو المبنى الفيكتوري. حالما خرجا من السيارة، جهز كل منهما سلاحه وبدآ يعاينان المنطقة

بدأ المنزل بالنسبة إلى جنيفر أكثر قدماً مما كان يبدو عليه من مسافة بعيدة. كانت الظلال تخيّم أمام النافذة. مان أثر لوجود سيارة، بالرغم من أن مظهر الأعشاب يدل على أن عجلات سيارة دهستها خلف المنزل.

انطفأ محرك سيارتهما. فرّ سرب من الزرازير وهي تزقزق مغادرة الأشجار هرب سنجاب ـ في الحال، طالباً مأوى له يحميه ـ في أعلى شجرة صنوبر. لم يكن هنالك أي مخلوق آخر، ما من أصوات سمعت. من خلال النوافذ لم يسمعا أية حركة..

همس بيتي. المظهر العام يوحي أنه ليس هنا .

فكرت جنيفر وقد أحس بثقة مفاجئة، لا، إنه لا يزال هنا

كان ريتشارد يراقبهما من خلف الأشجار. كان قد خرج مسبقاً ليمسح

أرضية السيارة ـ أزال كل الآثار التي تثبت إدانته في المنزل في محاولة لإخفاء كل الإشارات واضحة تدل على ماحدث في تلك الليلة ـ وذلك عندما سمعهما يتجهان نحو المنزل.

بالطبع، توقع مجيئها، ولم يقم باحتياطاته في الحال.

شق بيتي وجنيفر طريقهما بحرص نحو الباب الأمامي، وكانت وقع أقدامهما يصدر صوتاً على أرضية الشرفة. وقفا قبالة الباب الخارجي، وحدّقا إلى بعضهما قبل أن يطرق بيتي الباب.

وقفت جنيفر في الجانب الآخر واضعة يدها على سلاحها. التمعت عيناها وهي تنظر نحو النافذة وتراقب. بعد ذلك سحبت مسدسها بشكل لاشعوري.

راقب ريتشارد الشرطيين

أخذ نفساً عميقاً وطويلاً، ثم تراجع بهدوء إلى داخل الأشجار، متسائلاً كيف تمكنا من اكتشاف علاقته بـ أندريا بهذه السرعة.

فكر ريتشارد، عن طريق DNA؟ لا فهذا يستغرق وقتاً، أسبوع على الأقل لا بد أن أندريا فضحت سرهما أمام شخص ما، بالرغم أنه حذّرها من التفوه بكلمة. إما أن يكون هكذا أو أن شخصاً ما رآهما معا. ربما في البار. أو في مدينة مورهيد.

لا يهم. عرف مسبقاً بأن سيحين الوقت لوضع حد لتصرفات ريتشارد فرانكلين. الوضع مع أندريا ساهم فقط بتسريع الأحداث. بالرغم من أخذ احتياطاته مبكراً، عرف أنه من المستحيل إزالة آثار كل دليل يثبت ما اقترفه

بحق أندريا في المنزل. وصلت الأبحاث الحديث إلى درجة تمكن الخبراء من التعرف على آثار دماء الشخص وحتى من خلال خصلات شعرها يكتشفون المجرم، ولهذا السبب لم يكلف نفسه عناء إخفاء جثة أندريا بالدرجة الأولى. إذا حصلوا على ترخيص للبحث ـ وهذه مجرد مسألة وقت ـ فإنهم عندئذ سيجدون دليلاً يثبت إدانته.

لكنه لا يزال يأمل لو كان عنده ساعة إضافية لكي يجمع أغراضه. كانت كاميراته وعدساته داخل المنزل، وقد ندم لأنه ترك أغراضه. والصور الفوتوغرافية أيضاً لا سيما صور جيسيكا التي وضعها في حقيبته. عرف أنه من غير الممكن أن تستعملها الشرطة لاكتشاف المزيد من المعلومات من جيسيكا ـ كان حريصاً على إتلاف أية صورة حتى يخفي أي أثر يثبت مكان سكنهما ـ ولكن لن يقدر على استبدال الصور بأخرى.

فقد أيضاً الصور الخاصة بجولي، ولكنه لم يكترث لذلك. فالصور تذكره بالأيام أمضاها معها بعد أن قرر نسيانها.

تساءل إن كانت جولي قد عرفت بعلاقته بـ أندريا. أجل، ربما عرفت. من المحتمل أنها عرفت بعد أن استجوبتها الشرطة. إذاً ما الذي ستفعله؟

فكر في الحال، لا بد أنها هربت. كما هربت من والدتها. ستحاول الاختفاء وربما تحضر معها صديقها الأحمق. في الواقع، ربما كانت قد غادرت مسبقاً.

هنالك سبب آخر للابتعاد من هنا. أخذ بعين الحسبان الخيارات في حال ذهبت الشرطة لكي تعاين خلفية المنزل..

إنها مخاطرة، ولكن ما هو الخيار الآخر الذي عليه القيام به؟ بهدوء بدأ يتحرك نحو سيارة المهمات.

همست جنيفر: دعنا نذهب من الحلف. كانت تضغط على سلاحها بشكل غريب "لديّ شعر غريب أنه لا يزال هنا".

أومأ بيتي موافقاً وغادرا الشرفة. اتجه بيتي نحو الممر المفروش بالحصى، ولكنه عندما رأى جنيفر تسلك الطريق الآخر، تردد قليلاً قبل أن يلحقها. على هذا الجانب، كان عليهما أن يغوصا بين الأشجار، وكانت الأغصان الصغيرة ترتطم تحت أقدامها. احتكت الأغصان الطويلة والأعشاب ببزتهما الرسميتين مصدرة صوت انكشاط. توقف بالقرب من مؤخرة الباب وصمتا. كانت جنيفر في المقدمة تمددت عند الباب وتسللت حول الزاوية.

كانت سيارة ريتشارد مصفوفة هناك، والباب مفتوح من جهة الراكب.

أمسكت بندقيتها تحت صدرها، ورفعت ماسورة البندقية، وأمأت في ذلك الاتجاه. سحب بيتي بندقية ببطء.

تسللت ثانية، وعاينت الباحة حتى يلقي نظرة عليها، ثم أومأت لـ بيتي لكي يتبعها. تسللا إلى الخلف فحاولت الالتزام بالصمت قدر الإمكان.

تجاوزا النوافذ المتجهة نحو الزاوية.

إصغاء...

لاحظت جنيفر أن الطيور كانت صامتة.

خلف الشرفة. وهناك عند الباب الخلفي للمنزل شاهداه مفتوحاً.

تحركت في ذلك الاتجاه، وبيتي أومأ لها قبل أن يتوجه نحو المنزل.

أصبحت السيارة قريبة الآن. من الداخل، استطاعت سماع صوت خفيف للراديو، إنها إذاعة قديمة تبث من جاكسو نقيل.

توقفت جنيفر، وهي تنظر من جانب إلى آخر. فكرت، لقد خرج من هناك ولا بد أنه يراقبنا الآن إنه يترصدنا. بالطريقة ذاتها التي كان يترصد فيها جولي.

تخيلت مظهر وجه أندريا. حدقت ما فوق كتفها، فشاهدت بيتي على الشرفة الخلفية، تقترب من الباب المفتوح. إذاً لقد سمعا صرخة. كان نحيباً مؤلماً، صوت جاء مرتفعاً يتعذب، وجنيفر وضعت يدها استعداد تقريباً على زناد البندقية. ترددت للحظة قبل أن تنظر إلى بيتي. جاء الصوت من أمام المنزل.

تعثر بيتي إلى الأسفل وهو ينزل من الشرفة وبدأ يركض باتجاه الطريق الذي جاءا منه.

استدارت جنيفر لكي تلحق به. استدار حول الزاوية، واندفعا عبر أغصان الأشجار التي كانت ترتطم بهما بينما يشقان طريقهما إلى الأمام، لكنهما عندما وصلا إلى الواجهة الأمامية، لم يشاهدا أي شيء بدا كل شيء، كسابق عهده.

لقد خدعا إذاً، فاقترب بيتي من الواجهة الأمامية للمنزل، وتقدمت جنيفر من الباحة.

كان فمها جافاً وأنفاسها تنبعث بصعوبة، محاولة أن تحافظ على

هدوئها. على بعد مسافة قصيرة، رأت مجموعة من الأشجار الصغيرة محاطة بالشجيرات، ذكرتها بالبطة العمياء المختبئة أشاحت بنظرها بعيداً، ثم عادت. أحست أن البندقية بيدها أصبحت ناعمة الملمس إثر تعرقها. فكرت، إذاً إنه يختبئ هناك. وهو يريدني الاقتراب منه.. من خلفها، استطاعت أن تسمع صوت تحرك بيتي عبر الحصى.

رفعت جنيفر البندقية أمامها، تماماً كما علمها والدها.

نادت ببطء: سيد فرانكلين، هنا الشرطية جنيفر رومانيلو، وإنني على استعداد لإطلاق النار. سلم نفسك وأخرج وأنت ترفع يديك في الهواء.

استدار بيتي إثر سماعه الصوت، ليرى ماذا كانت تفعل، وكان يحدق صوبها، وهو يجتاز الممر. فعل مثلها وسحب بندقيته.

من خلف المنزل سمع صوت محرك سيارة يدور. صدر صوت أنين المحرك عندما ارتطم منظم السرعة بالأرض، وتبعثرت الحجارة من خلف الإطارات المطاطية للعجلات. كان سباقاً متجهماً نحوهما من الجانب الآخر للمنزل.

تسمَّر بيتي في مكانه وهو في منتصف الطريق، شاهد السيارة قبل أن تراها جنيفر بلحظة كانت تنزل إلى الأسفل ببطء.

للحظة، لم يكن بيتي متأهباً للانطلاق. وجه بندقيته نحو السيارة لكنه تردد، وبعد ذلك حتى جنيفر استطاعت أن تلاحظ ما كان يجري.

خلال الثانية الأخيرة المحتملة، ابتعد بيتي عن طريق السيارة التي تجاوزته. انكب على صدره، مثل لاعب كرة البيسبول منزلقاً نحو المنزل،

وانفلتت البندقية من قبضته.

كان أمام جنيفر ثانية احتياطية فقط حتى تطلق النار، ولكن بسبب اندفاع بيتي والمشهد الذي اخترق الأشجار، تراجعت عن عزمها.

هدرت السيارة على طول الطريق العام، وانحرفت حول الكوع، ثم توارت عن الأنظار، مخلفة خطاً من الحصى المتطايرة على معبرها.

ركضت جنيفر باتجاه بيتي. كان قد نهض وبدأ البحث عن بندقيته بالوقت الذي وصلت فيه جولي إليه.

مرت بضع ثوانٍ دون أن يعثرا على البندقية، فركضا نحو سيارة المهمات بدون التفوه بكلمة. صعدا إليها وأغلقا بواباتيهما بآن معاً. وبلا وعي أدار بيتي مفاتيح التشغيل. وانطلقا.

سجّلت جنيفر أن أسلاك اتصال الراديو قد تمزقت نتيجة الصدمة.

كان صوت سيارة ريتشارد قد تلاشى.

صرخ بيتي وهو يضرب العجلة بقسوة: اللعنة!

اختطفت جنيفر سماعة التلفون، واتصلت بالمحطة لأن البلدة صغيرة وليس فيها سوى كادر قليل من الشرطة، لم تكن جنيفر تأمل أن بمقدروهم إلقاء القبض على ريتشارد في الوقت المناسب. عندما أغلقت السماعة وهمت بالنزول، نظر إليها بيتي وسأل والآن ماذا تفعلين؟

سأقتحم المنزل.

دون مذكرة تفويض؟

فتحت جنيفر الباب وخرجت. وقد حاول أن يستجرك إلى الداخل رب

المحتمل أنه في طريقه ليؤدي شخصاً آخر. أعتقد أن ذلك يزودك بسبب شرعي للدخول، أليس كذلك بعد لحظة، كان بيتي يهرول خلفها.

من خلال اندفاع نسبة الأدرينالين في دمه وإصابته بخيبة الأمل، لم يستطع بيتي أن يعترف بأن جنيفر قد تعلمت سير العمل بأقصى سرعة.

صدمت جنيفر بترتيب الأثاث حالما دخلت المنزل.

كان المطبخ نظيفاً بشكل مثير للانتباه، ومغسلة المطبخ تتوهج في ضوء الشمس، ومنشفة الغسيل مطوية بشكل مرتب فوق الغسلة. لم تر أي قدر على الموقد ولم تلحظ أنه هناك أي صحن قيد الاستعمال على الطاولة. التقطت صورة للأشياء أمامها بالرغم أن البراد كان قديماً. فقد بدأ مثل النماذج المعلنة في الجداول في فترة مابعد الحرب العالمية الثانية، ولم يكن هنالك وجود لجلاية صحون ولا مايكرويف. بدا المطبخ محلياً بشكل تقريبي، إنه من نمط المطابخ التي عندما ينظر إليها الأولاد يتذكرون مطابخ جداتهم.

تقدمت جنيفر، وعبرت الركن المخصص لوجبة الفطور. كانت الغرفة تتألف بشكل مثير للدهشة، شمس الصباح تنعكس على الزجاج مرسلة أشعتها الذهبية على أرضية الغرفة. أوراق الجدران الملصقة بأناقة والغالية الثمن والضوء الأصفر اللون ورسومات الأزهار، ورائحة التيجان المصنوعة من خشب السنديان كل هذا أضفى على الغرفة جواً من الثراء. الطاولة كانت بسيطة الشكل، حيث اندفعت حولها الكراسي بأناقة تحركت نحو غرفة الجلوس، وهي تفكر ثانية أنه لا يوجد أي شيء خارج عن المألوف كان

الأثاث بسيطاً، وكل شيء في مكانه، ومع ذلك...

استغرقت لحظة قبل أن تدرك ما هو الخطأ.

فكرت جولي، لم يكن هنالك أي شيء شخصي. أي شيء على الإطلاق. ما من صور فوتوغرافية أو رسومات على الجدران، ولا مجلات ولا جرائد موضوعة على نهاية الطاولة، ولا نباتات زينة. ليس هنالك جهاز ستريو أو ديجتال أو تلفاز.

لم يكن هنالك سوى أريكة وطاولات ومصابيح كهربائية.

رفعت جنيفر نظرها نحو الدرج. من ورائها. دخل بيتي ومعه بندقيته.

قال: لا شيء، هاه؟

قالت: سأصعد للأعلى.

لحقها بيتي. اختلسا النظر، وإلى أسفل القاعة قبل أن يحدقا إلى اليمين.

بعد أن فتحا الباب، وجدا الغرفة مظلمة، فأشعلا الضوء. بينما كان النور يتوهج احمراراً، أحست جنيفر فجأة ما الضعف عندما أدركت ما الذي كان يقوم به ريتشارد منذ ترك العمل كل ما استطاعت قوله كان. "رباه ساعدنا".

لم يرغب ريتشارد أن يلفت الانتباه إليه، فقاد السيارة ببطء حالما وصل إلى الطرقات الرئيسية.

كان قلبه ينبض، لكنه حر طليق! حر! لقد هرب في وقت كان الهروب فيه مستحيلاً، فضحك بصوت عال. كان لا يزال يتخيل وجهي الشرطيين

وهو يشق دربه بالسيارة إلى الخارج، وكأنه يحلق في الهواء.

من المؤسف أن يتدحرج بيتي غاندي عن الطريق. استطاع أن يتخيّل المتعة المبهجة في حال دهسته السيارة، ولكن ياللخسارة، سيعيش بيتي ليشهد يوماً آخر. ضحك ثانية، وهو يشعر بالانتعاش وبدأ يركز على خطته.

كان عليه إخفاء السيارة عن الأنظار، لكنه أراد إبعادها قدر المستطاع عن سوا نزيور استدار نحو الطريق العام المؤدي إلى جاكسو ثقيل. هناك صف السيارة بحيث يصعب إيجادها وبدأ البحث عن جولي.

تذكر أن جيسيكا حاولت مرة الهروب أيضاً، واعتقدت بأنها حريصة كفاية. فركبت الباص من منتصف الطريق عبر البلدة وكانت تأمل أن يسمح لها بالمغادرة. لكنه أمسك بها، وعندما فتح باب الفندق القديم حيث نزلت هناك وجدها جالسة على السرير، ولم تفاجأ حتى عندما شاهدته كانت تتوقع مجيئه، وفي نهاية بالأمر، أرهقها الانتظار وجعلها تنهار. حتى أنها لم تكن تملك الطاقة الكافية للبكاء. عندما قدم لها السلسلة، وضعتها حول عنقها، وكأنها تعرف أنه ما من خيار آخر أمامها.

ساعدها في النهوض من السرير، متجاهلاً ثقل حركاتها، وواضعاً ذراعيه حول حضرها دس وجهه في شعرها واستنشق رائحتها بينما طوقته بذراعيها.

همس لها، هل ظننت أنني سأسمح لك بالهروب معي بهذه السهولة؟

همست، أرجوك

هيا قوليها:

انسابت الكلمات منها وهي منهارة. لا، لن تسمح لي بالمغادرة.

لقد أخطأت عندما فكرت بالهروب، أليس كذلك.

بدأت جيسيكا تبكي، وكأنها أدركت أخيراً سبب مجيئه.

أوه - أرجوك - لا تؤذيني - أرجوك، ليس من جديد..

قال، لكنك حاولت الهروب. وهذا يجرح مشاعري يا جيسيكا.

أوه - يا إلهي - أرجوك - لا.

كان بيتي غاندي واقفاً في ممر الغرفة المعتمة، يرمش بعينيه لعدة مرات، ويلتفت برأسه من جانب لآخر محاولاً استكشاف كل ما في الغرفة.

هنالك على الجدران علقت مئات الصور الفوتوغرافية لـ جولي. جولي وهي تغادر الصالون وتصعد سيارتها، جولي في الغابات بصحبة سنفر في نزهة، جولي تتناول العشاء، جولي في السوبر ماركت، جولي تجلس على الشرفة الخلفية، جولي تقرأ جريدة الصباح، جولي تستلم البريد. جولي على الشاطئ. جولي في الشارع.. جولي في غرفة نومها. جولي في كل مكان شاهدها فيه خلال فترة الشهر الماضي.

أحست جنيفر وكأن شيئاً ما انهار في داخلها. حتى أنها لم تتوقع هذا.. رغبت في المكوث لفترة أطول، أدركت أنه من الأهمية بمكان تفحص بقية المنزل للبحث عن أدلة واضحة تشير إلى أن أندريا كانت موجودة هنا. كان بيتي لا يزال متسمراً في مكانه.

عندما مرت بجانبه همس لها: لا أستطيع أن أصدق هذا الشاب. في

غرفة النوم الثانية، وجدت جنيفر تجهيزات ريتشارد الخاصة بالعمل. لقد علق المرآة هناك، وكانت محاطة بالكثير من الصور. اتجهت جنيفر نحو الباب الأخير، الذي افترضت أنه باب غرفة نومه. بالرغم أنها لم تكن واثقة من شرعية أعمالها، لكنها قررت أن تلكز الباب ريثما تصل المساعدة إليها.

رفعت الباب، فشاهدت خزانة ملابس لها عدة دروج بدا، وكأنها استعملت حديثاً. في الخزانة وجدت ثياب ريتشارد معلقة بشكل أنيق. على الجدار علقت سلة، ووضع هاتف على الأرض بالقرب من مقدمة السرير.

لكن الصورة التي وضعت على مسند السرير استرعت اهتمامها.

في بادئ الأمر، إنها صورة جولي. الشعر نفسه، والعينان كانتا مزيجاً مشابهاً من اللون الأزرق والرمادي، مع ذلك لم تكن تلك صورة جولي، هذا ما أدركته جنيفر بعد لحظات، إنها فتاة تشبهها. فتاة أمسكت بوردة قرب خدها، وكانت أصغر من جولي ببضع سنوات، لها ابتسامة طفولية تقريباً.

عندما أمسكت بإطار الصورة لاحظت السلسلة المعلقة بعنق الفتاة. إنها السلسلة ذاتها التي شاهدتها في مطبخ جولي.

إنها ذاتها ....

أحست أن قدمها تضرب بشيء ما، بالرغم أنها أحس بثقل الشيء أزاحت قدمها بخفة نظرت إلى الأسفل، لمحت طرف حقيبة ناتئة من تحت السرير.

سحبتها ووصفتها على السرير.

في داخلها وجدت دزينة من الصور لمرأة، فبدأت تفرزها عن بعضها.

دخل بيتي خلفها وسأل ما هذا؟

هزت جنيفر رأسها.

قالت: مزيد من الصور الفوتوغرافية.

صور لـ جولي؟

قالت جنيفر وهي تستدير نحوه: لا. لست متأكدة، لكنني أظن أنها صور لـ جيسيكا.

الفصل الخامس والثلاثون

في غضون أربعين دقيقة، كان منزل ريتشارد فرانكلين محاطاً بشرطة سوانزبورد ومخاتير مقاطعة أونسلو. جاء فريق البحث الجنائي من جاكسونقيل للبحث عن بصمات وأدلة تثبت وجود أندريا في المنزل.

كان بيتي وجنيفر واقفين خارج المنزل مع رئيسهم راسيل موريسن ـ وهو رجل فظ له شعر أشيب خفيف وعينان قريبتان جداً من بعضهما. استمع كل منهما إلى القصة بكاملها، ثم أصغى إلى جنيفر التي أطلعته على كل ما علمته مسبقاً.

بعد أن انتهت من سرد الأحداث، اكتفى موريس بهز رأس فقط. لقد ولد

ونشأ في سوانزبورو واعتبر نفسه حاميها، ليلة أمس كان أول شخص وصل ليشهد منظر أندريا هناك، بالرغم أنه كان نائماً عندما تلقى مكالمة في المنزل.

هل هذا هو الشاب نفسه الذي هاجم مايك هاريس في البار هل هو الشاب الذي ادعت جولي بأنه يراقبها؟

قالت جنيفر: أجل.

لكنك لا تملكين أي دليل مادي يدينه؟

ليس بعد.

هل حققت مع جيران أندريا لتعرفي إن كانوا قد رأوه في المكان؟

لا. جئنا إلى هنا بعد أن خرجنا رأساً من الصالون.

أخذ راسيل موريس بعين الحسبان ما سمعه من معلومات.

لمجرد أنه هرب لا يعني هذا أنه الشخص نفسه الذي هاجم أندريا. وليس بالضرورة أنه ارتكب كل الأفعال المنسوبة إليه.

ولكن

رفع موريس يديه ليمنعها من الكلام: أنا لا أقول إنه بريء. يا للجحيم، لقد حاول قتل شرطيين، وهذا لن يحدث في ظل عهدتي. حدق إلى بيتي وقال: هل أنت متأكد أنك بخير؟.

أجل. أصبت بخيبة أمل لكنني بخير.

جيد. أنت المسؤول عن هذا التحقيق، لكنني بخير.

جيد. أنت المسؤول عن هذا التحقق، ولكنني سأوكل لكل شخص مهمة.

أومأ بيتي موافقاً عندما قاطعهما صوت الشرطي فريد بوريس، الذي كان يبحث داخل المنزل. اقترب منهما بسرعة، وصرخ: كابتن؟

استدار مورسن نحوه: ماذا هناك؟

قال: أعتقد أننا عثرنا على دليل.

ما هو؟

قال ببساطة: دماء.

كان منزل هنري يقع على شاطئ في جزيرة توبسيل، وهي شق طويل في الأرض تبعد مسافة نصف ميل عن الشاطئ، وحوالي أربعين دقيقة عن سوانزبورو. إنها جزيرة مغطاة بكثبان رملية مستديرة مبرقعة بالأعشاب الرمل الأبيض، وكانت الجزيرة مأهولة بالعائلات خلال فترة الصيف، بالرغم أن البعض منهم قد عاش هناك على مدار السنة. خلال فصل الربيع، بدت الجزيرة وكأنها ملك لكل زوارها.

مثل بقية المنازل هناك، تم بناء الطابق الرئيسي فوق الكراج ومستودعات التخزين تحسباً لأية اندفاعات عاصفية. عندما يتجه المرء نحو الشرفة الخلفية المطلة على الشاطئ، ويحدق من خلال النوافذ الخلفية للمنزل سيرى منظر الأمواج وهي تتدفق إلى الأمام.

وقفت جولي عند النافذة تحدّق إلى حركة الموج اللامتناهية.

حتى هنا، بدا من المستحيل عليها أن تسترخي أو تشعر بالأمان.

وقفت برفقة مايك عند مخزن البقالة على طول الطريق، واشترت طعاماً يكفيهما لمدة أسبوع، ثم اتجها نحو محل الألبسة لشراء ما يكفي من

ملابس ضرورية خلال الأيام القليلة القادمة. لم تكن لدى أي منهما فكرة عن المدة التي سيمكثانها هنا، ولم ترغب جولي أن تقابل العامة ما لم يكن ذلك ضرورياً.

أباجورات النوافذ أغلقت جميعها ما عدا المطلة على الشاطئ، لذلك عندما صف مايك سيارة إيما في الكراج لم تكن بالإمكان رؤيتها عبر الطريق. عندما كان مايك يقود السيارة، عمل بنصيحة هنري وخرج عن الطريق ثلاث مرات، مستديراً من خلال الشوارع المجاورة وكان يراقب باستمرار المرآة الخلفية. لم يكن أي أحد يتبعهما، كانا على ثقة من ذلك ولكن حولي لا تزال غير قادرة على إبعاد فكرة أنه من الممكن لـ ريتشارد أن يعثر عليها في مكان ما. من خلفها، وضع مايك المشتريات في مكانها، واستطاعت جولي أن تسمع صوت الصناديق وهي تفتح، وتغلق. قال مايك: ربما ألقوا القبض عليه. لم تجب جولي. تحرك سنغر وأخذ يضغط على وركها. حركت جولي يدها بشكل أتوماتيكي فوق رأسه.

هل أنت بخير؟

لا، في الواقع، لا.

أومأ مايك وقد شعر بأن سؤاله غبي، وقال: آمل أن تكون أندريا بخير، عندما ظلت صامتة، حدق إليها مايك، إننا بأمان هنا. تعلمين ذلك صحيح؟ لا يمكن أن يكتشف مكاننا هنا.

أعلم.

لكنها لم تكن واثقة من ذلك، حتى أن خوفها كان عظيماً لدرجة أنها

ابتعدت بشكل لا شعوري عن النافذة. لدى حركتها هذه، رفع سنغر أذنيه مستيقظاً.

سأل مايك: ما الأمر؟

هزت جولي رأسها. هنالك على الشاطئ، استطاعت أن ترى شخصين يتمشيان بالقرب من حافة الماء، متوجهين باتجاهين متعاكسين. كلاهما سارا بالقرب من المنزل دون أن يلتفتا نحوه: لم يكن هنالك أي شخص غيرهما في الخارج.

قالت أخيراً: لا شيء.

إنه منظر جميل، أليس كذلك؟

نظرت جولي للأسفل: للأمانة، لم تلحظ جمال المنظر.

اجتمع موريسن مع الشرطة خارج منزل ريتشارد وهو يقوم بمهمته، ويشرح ما كان يحدث وما يرغب بعمله. قال: يجب على شرطة جاكسو نفيل وإدارة العمدة البحث عن السيارة الآن لترى فيما إذا كان بإمكاننا العثور على هذا الشاب، ولكن خلال هذا الوقت، أريد أن أملي عليكم ما أريد.

بدأ يشير بيده إلى رجل وإلى الذي يليه بينما كان يتكلم.

هارولدسن ويتير - أريد منكما النزول إلى الجسر وإجراء تحقيق مع أي من أفراد الطاقم الذين يمكن أن يزودونا بمعلومات عن مكان تواجد هذا الشاب. الأماكن التي يرتادها، من هم أصدقاؤه، ما هي أعماله المفضلة.. توماس - أريدك أن تبقى هنا ريثما يقوم البحث الجنائي بجمع الأدلة. تأكد

أنهم فحصوا كل شيء... ويجب تدوين كل المعلومات... بوريس - عليك الذهاب إلى شقة أندريا والتحدث مع جيرانها. استفسر منهم إن كانوا قد شاهدوا هذا الشاب في منزلها... جونسن - مثل الآخرين. أريدك التوجه رأساً إلى مدينة مورهيد لكي تتأكد إن كانت أندريا بصحبة ريتشارد فرانكلين هناك...

بوك - أريدك أن تحقق إن كان هنالك شخص آخر تقابله أندريا. من المحتمل أنه الشاب ذاته، ولكنك تعلم كيف يعمل محامو الدفاع. لذلك علينا التحقيق مع كل شخص مشتبه به...

استدار نحو جنيفر وبيتي. وأنتما الاثنان - أريد منكما التحقيق في كل أمر يخص هذا الشاب. كل تفصيل. وابحثا عن معلومات تخص جيسيكا أيضاً أريد استجوابها إن كان بالإمكان.

سألت جنيفر: ماذا بخصوص المذكرة الرسمية المتعلقة بشركة J.D بلا نشارد؟

نظر إليها موريس: سأعالج ذلك الموضوع.

مثلما تصرف مايك وجولي، توقف ريتشارد فرانكلين عند المخزن. بعد أن قاد سيارته إلى الزاوية الخلفية للكراج بعيداً عن المشفى - حيث لا يمكن أن تلفت انتباه أحد - أخذ الحقائب من المخزن وسار للأسفل نحو المبنى. أغلق الباب خلفه. بعد أن بدأ يحدّق إلى المرأة القذرة الموضوعة فوق المغسلة، استعاد رباطة جأشه ثانية. داخل الحقائب البلاستيكية وضع مواداً ضرورية للتغيير كان قد اشتراها من قبل: شفرة حلاقة، ومقص،

وشعر ملون، وكريم يكسب البشرة لوناً أسمرَ، وزوجاً من النظارات المخصصة للقراءة والرخيصة الثمن. لم تكن المواد كافية، لكنها كفيلة بتغيير مظهره عن مسافة ما، وكفيلة بإخفاء معالمه، وكفيلة بإيجادها على كل حال، كانت هنالك مشكلة معرفة المكان الذي ذهبت إليه. كان واثقاً أنها غادرت منزلها، عندما اتصل لم يجب أحد ﴿في﴾ الصالون، وعندما اتصل بالكراج، قال أحد عمال هنري أن مايك غادر أيضاً.

إذاً لقد هربت، ولكن إلى أين؟ ابتسم ريتشارد، وهو واثق بأنه سيحصل على الجواب في الحال. حتى عندما يتخذ الأشخاص احتياطاتهم، فإنهم يرتكبون أخطاءً. كان واثقاً أن الخطأ الذي ارتكبه هو أنها أعلمت شخصاً ما بمكان تواجدها من المحتمل أن تكون مابل أو هنري أو إيما. بالإضافة إلى إن الشرطة تعلم أيضاً بمكانها سيطلبون التحدث معها، وإبلاغها بالمستجدات، لكي يحرسوها.

كان واثقاً أن أحد أولئك الأشخاص سيكون السبيل الذي يدله على مكانها.

أخذ يصفِّر بلطف وهو يغير مظهره. بعد نصف ساعة ظهر بحلة جديدة في ظل ضوء الشمس، أسمر اللون، وشعر أشقر، يرتدي نظارات وليس له شاربان. أصبح رجلاً جديداً.

فكر ريتشارد، كل هذا يحتاج إلى رجل يقود سيارة أخرى. توجه إلى أسفل الشارع، باتجاه المول عبر المشفى.

خلف المحطة، كان أول اتصال قامت به جنيفر مع قسم شرطة دينفر،

حيث أخذ تتنقل بين شخص وآخر حتى وصلت أخيراً إلى المحقق كوهين. عرفته بنفسها وبسير التحقيق عندما تكلمت معه، فسمعت صوت صفيره.

قال لها: أجل. سأرى ما يمكنني فعله. لست الآن في مكتبي، لذلك امنحيني فرصة حتى أعود واتصل بك من هناك بعد بضع دقائق.

بعد أن أغلقت السماعة، حدقت إلى بيتي الذي كان يجري اتصالاً مع خطوط جوية متنوعة في جاكسونفيل، ومع مطارات في ريليه وولمنغتن، للاستفسار فيما إذا كان ريتشارد مسافراً حقاً خارج البلدة عندما أخبر جولي بنبأ وفاة أمه. وإن كان كلامه صحيحاً، فلا بد من معرفة المكان الذي ذهب إليه، على أمل أن ترشدهما التحقيقات إلى شخص ما يدلهما على مكانه.

كان موريسن في مكتبه، يتلقى المعلومات من رجال الشرطة الآخرين. فقد اتصل به توماس من بضع دقائق، وأخبره أن فريق البحث الجنائي قد وجد آثاراً للطخات من سائل منوي على الملاءات. ولا يزالون يبحثون عن دليل إضافي.

عندما عاود كوهين الاتصال، كانت جنيفر السباقة إلى رفع السماعة.

قال: لدينا معلومات على عدة أشخاص يحملون اسم ريتشارد فرانكلين. إنه اسم عادي. لذلك اعطيني بعض مواصفاته.

قدمت له جنيفر وصفاً مختصراً ـ عن طوله ووزنه ولون شعره وعينيه وعمره وسلالته، أوكي، انتظريني ثانية.

على الهاتف استطاعت أن تسمعه وهو ينقل المعلومات إلى الكمبيوتر.

قال أخيراً: هاه.

ماذا؟

تردد قبل أن يقول: لا أعتقد أن لدينا أية ملعومات يمكن أن تفيدك.

لا توجد معلومات؟ ولا معلومات عن الاعتقال.

ليس بالاعتماد على ما أخبرتني إياه. لدينا سجلات لسبعة أشخاص يحملون اسم ريتشارد فرانكلين. أربعة منهم أمريكيون من أصل أفريقي، واحد ميت، وواحد من الستينات من عمره.

ماذا عن الأخير؟

إنه صيدلاني نموذجي يقارب عمره عمر الشاب الذي تتحدثين عنه. ولكن ليس هناك أية معلومات عن مهندس. صار له يدخل السحن ويخرج منه خلال العشرين سنة الأخيرة وحسب سجلاتنا، عنوانه لا يشبه العنوان الذي ذكرته لنا.

هل هنالك شيء آخر؟ هل بوسعك البحث في سجلات المقاطعة؟ أو في سجلات مدن أخرى؟

قال كوهين بخيبة الأمل نفسها التي عبرت عنها جنيفر: هذا كل شيء هنا.

لقد تم تحديث النظام منذ عامين. لدينا معلومات عن كل المحتجزين منذ عام 1977 لو تم اعتقاله في أي مكان في ولاية كلرادو، سنعلم بالأمر.

دونت جنيفر بقلمها الرصاص ما سمعته على المسند. هل يمكنك أن ترسل لي عبر الفاكس صورة لهذا الشاب الأخير؟ أو عن طريق الإيميل؟

بالتأكيد. ولكنني لا أعتقد أنه الشاب نفسه الذي تبحثين عنه، قال كوهين بنبرة لطيفة صمت ثم قال: اسمعي - إن احتجت إلى أية معلومات أخرى اتصلي بي. يبدو لي أنه شاب سيء، وليس من النوع الذي يتجول ببساطة وسط العامة.

بعد أن أغلقت السماعة، اتصلت جنيفر بقسم شرطة كولمبس، على أمل أن تحظى بفرصة أفضل.

في ذلك الصباح غادرت مابل الصالون، واتجهت إلى المشفى. الآن هي جالسة إلى جانب أندريا في قسم العناية المشددة، ممسكة بيدها ومتمنية لها الشفاء كانت تهمس تقريباً لنفسها: سوف تتحسنين يا حبيبتي. سيحضر والده إلى هنا في الحال.

كانت شاشة تخطيط القلب تصدر صوتاً بوتيرة ثابتة، ومابل تعاين الهاتف. تمنت لو عرفت أية معلومات عن مستجدات التحقيق. فكرت للحظة بالاتصال بـ بيتي غاندي للاستطلاع عما يحصل، لكنها كانت لاتزال غاضبة منه لأنه سمح لـ ريتشارد بالتمادي في تصرفاته لذلك غضت النظر لأنها لن تتمالك نفسها دون أن تصرخ في وجهها كان مايك على حق. كل ما كان عليه فعله هو الإصغاء لأقوال جولي عندئذ كان من الممكن تدارك ما حصل. لماذا بدا ذلك في غاية الصعوبة بالنسبة إليه؟ كيف أكمل تدريبه بحق الإله؟

سمعت مابل وقع خطوات الممرضة تقترب منها، فرفعت نظرها إليها. كانت تتفحص الشاشة كل عشرين دقيقة لترى إن كانت هنالك أية تغييرات.

كانت الساعات الأربع والعشرون الأولى حرجة، كما قال الطبيب إذا استطاعت أندريا أن تخرج من الغيبوبة دون ضرر دماغي، سيزداد احتمال أن تطرأ عليها بعض التحسنات.

راقبت مابل الممرضة وهي تضبط المؤشرات الحيوية، وتدون ملاحظاتها. من خلال تعابير وجهها، عرفت مابل أنه لم يحدث أي تغيير عن الإطلاق.

أنهت جنفر مكالمتها مع قسم شرطة كولمبس تماماً في الوقت الذي خرج فيه موريسن من مكتبه قال: حصلنا على مذكرة رسمية. وقعها القاضي رايلي منذ بضع دقائق، وأرسلوها كتاب بالفاكس إلى شرطة J.D بلانشارد للتو. سيزودوننا بالمعلومات في أقصر وقت ممكن، ما لم يكن فريقهم الشرعي منشغلاً ببعض الأمور.

أومأت جنيفر لكنها كانت عاجزة عن إخفاء المعلومات الجديدة.

سألها موريسن: ألا يزال الحظ عاثراً؟

هزت رأسها: ليس هنالك جديد. ليس عنده بطاقة طائرة لا إلى كلرادو ولا أوهيو ليس هنالك معتقلون ولا سجل عنه ولا حتى من مشتبه بالجريمة.

ألم يساعدنا الفاكس الذي وصل من دنيفر؟

تفحصت الصورة المبرقة بالفاكس: ليس الشاب الذي تبحث عنه: إنه حتى لا يشبهه. لا أفهم ما يحدث. شاب كهذا لا يتجول في أي مكان. أعلم أنه تصرف على هذا المنوال من قبل. هنالك سجل عن تصرفاته.

مررت يدها من شعرها. هل هنالك أية أخبار من المنزل؟.

يبدو وكأنه أجرى حديثاً عملية تنظيف للمنزل. فحصوا بعض الأشياء لكننا لسنا متأكدين أنه تم استعمالها حتى تخضع للفحص. إلا أن لدينا عينة من الدم أرسلناها إلى قسم البحث في ولنغتن. القسم هناك يمتلك تقنيات عالية، وحالما يفحصونها، ستجري مقارنتها مع عينة من دم أندريا نأخذها من المشفى. إنها القضية رقم واحد في القائمة ولها الأولوية، وآمل أن يحصل تطابق في العينتين. مع ذلك تم فحص زمرة الدم. زمرة دم أندريا A إيجابي، وكذلك كانت العينة. إنها ليست شائعة مثل زمرة O، وهكذا يبدو لي أنه من المحتمل أن يكون الشاب الذي يبحث عنه.

أليس هنالك معلومات من مورهيد؟ أو عن العمال في الموقع؟

ليس هنالك الكثير. يبدو أن فرانكلين يحمي نفسه.

لم يستطع هارولدسن وتيتر أن يعثرا على أي شخص يكنّ مودة لذلك الشاب. حتى أنه ما من أحد يعلم مكان سكنه. هنالك بعض الأشخاص لا يزالون قيد الاستجواب ولكن لا يبدو أن هنالك أملاً. أما بالنسبة إلى بوريس وبوك، فقد ذكرا أنه لم يستطع أي أحد أن يرى فرانكلين بالقرب من شقة أندريا. غير أنهما حصلا على معلومات عن أشخاص مشتبه بهم فيما يخص القضية. والآن يجمع بوك أسماءهم.

ريتشارد فرانكلين هو الذي يبحث عنه.

رفع موريسن يده، وكأنه أدرك ذلك: ستحصل على معلومات أكيدة خلال ساعتين. أما بالنسبة إلى مدينة مورهيد، فقد عرض جونسن صورة

أندريا هناك، بالمناسبة، إنها فكرة جيدة أن تحصل على الصورة. وهناك الكثير من الحانات والمطاعم، وسيحتاج منا وقتاً حتى تتم تغطيتها بشكل كامل. الفترات المسائية في المطاعم والحانات لاتبدو حتى الساعة الخامسة.

هذا سيستغرق وقتاً،

أومأت جنيفر.

أومأ موريسن باتجاه الهاتف. هل حصلت على أية معلومات عن جيسيكا؟

قالت: لا. ليس بعد. تلك ستكون خطوتي المقبلة.

جلست جولي على الشرفة وإلى جانبها سنغر الذي رفع أحد أذنيه. أشغل مايك التلفاز ثم بدأ يقلب القنوات، وبعد ذلك أطفأه. بدأ يتجول في أرجاء المنزل ليتأكد أن الباب الأمامي مقفل، ثم نظر من خلال النافذة، إلى أعلى الشارع وأسفله. هدوء. خيّم الهدوء بشكل كامل.

قال أخيراً: أعتقد أنني سأتصل بـ هنري. لأطمئنه فقط.

أومأت له جولي.

دفعت شعرها إلى الوراء بكلتا يديها، وأعارت انتباهها إلى الصور الفوتوغرافية التي في كانت في حقيبة ريتشارد. خلافاً لـ جولي، بدت السعادة على محيا جيسيكا. بدا أيضاً أنها زوجته حقاً، لاحظت جنيفر من خلال بعض الصور أنها تلبس خاتم خطبة، والذي فيما بعد أصبح خاتم زواج.

لسوء الحظ لم تستطع أن نكتشف أي شيء يخص جيسيكا من خلال

الصور الفوتوغرافية. فيما إذا كان ذلك هو اسمها الحقيقي. لم تعثر على أية كتابات على خلف الصور تشير إلى اسم فتاة أو حتى من أين التقطت الصور. الصور نفسها لم تظهر أية علامات بارزة، فبعد إلقاء نظرة فضولية عليها، تساءلت جنيفر إن كان باستطاعتها اكتشاف المزيد من المعلومات عنها.

بدأت عملية البحث على الإنترنت عن أية معلومة بخصوص جيسيكا، وعن أي شخص من كلرادو أو أهيو، على سبيل المثال - وضبطت القوائم التي تتضمن الصور لم تجد أية معلومات متعلقة بالمرأة التي تبحث عنها. لكنها لم تفاجأ. وبعد الطلاق، تعود معظم النساء إلى أسمائهن القديمة...

ولكن ماذا لو لم يكن الطلاق قد حصل بينهما؟

لقد شرح مسبقاً كيف كان بمقدوره أن يكون عنيفاً. نظرت جنيفر الهاتف. بعد أن ترددت للحظة، اتصلت بالمحقق كوهين في دنيفر.

أجاب على سؤالها: لا، لا مشكلة. منذ اتصلت، وأنا أفكر بأمر ذلك الشاب لسبب ما، اسمه يبدو معروفاً. هذا سيساعدنا في اكتشاف أمره. انتظري حتى أبحث، انتظرته ريثما كان يضبط السجلات.

قال أخيراً: لا، لا ضحايا مدونة تحت اسم جيسيكا فرانكلين، مامن أشخاص مفقودين.

هل هنالك أية طريقة يمكنك من خلالها أن تكتشف أية معلومات بخصوص زواجهما؟ وكم يوافق فترة زواجهما؟

ليس في متناول يدي معلومات كهذه وربما تجدينها في قسم المقاطعة.

أفضل طريق لك هي أن تبحثي في سجلات ضريبة الملكية، بما أن معظم المنازل مسجلة باسم الزوجين، وهذه خطوة تساعدك على البداية. لكنك بحاجة إلى شخص ما يبحث لك في الأرشيف. وذلك يفترض بالطبع أنهما تزوجا في المنطقة.

هل لديك الرقم؟

اسمحي لي أن أبحث عنه.

سمعته وهو يفتح درجاً، ويلعن ثم نادى أحد رفاقه لإحضار كتاب.

بعد لحظة أخذ يتلو الرقم، وبدأت جنيفر بتدوينه عندما جاء بيتي واقتحم عليها مقعدها.

قال: ديتونا. ابن الكلبة ذهب إلى ديتونا عندما قال بأنه ذاهب لحضور جنازة والدته.

ديتونا؟ أليست المنطقة التي جاءت منها جولي؟

أجاب بيتي بسرعة: لا أذكر، ولكن اسمعي... في حال ماتت والدته، يمكننا الحصول على بعض المعلومات المتعلقة بها في النعي الذي كتب حديثاً. بث مسبقاً في الجريدة، وأطبع معلومات بهذا الخصوص الآن. خطوة ذكية، هاه؟ لم تجب جنيفر، وكانت تفكر بالأمر ثم سألته: ألا تعتقد أن الأمر غريب؟

أقصد أن تموت أمه في المكان نفسه الذي نشأت فيه جولي؟

وهزت رأسها ربما نشأا معاً.

فكرت جولي، ربما، لكن من غير المحتمل. لا يبدو ذلك صحيحاً.

ولاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أنه يوجد دليل يثبت أنه كان في دينفر منذ أربع سنوات وجولي بالتأكيد ستذكر أي تاريخ شائع جمعهما معاً. ولكن.... لماذا ذهب إلى ديتونا؟ فجأة شحب لون وجهها.

سألت: هل لديك رقم هاتف والدة جولي؟

هز بيتي رأسه: لا.

احصل عليه، أظن أن علينا التحدث معها.

ولكن ماذا عن النعوات؟

أنسى أمرها. لسنا متأكدين حتى أن قصة والدته صحيحة. فلنبحث بدلاً عن ذلك في سجلات هاتفه. ربما بوسعنا أن نعرف من المتصل.

أدركت جولي فجأة أن عليها البحث من البداية. بكثير من التفكير ستعرف كل شيء وسجلات هاتفية؟.

من المنزل يا بيتي. احصل على سجلات ريتشارد فرانكلين الهاتفية.

ومضت عينا بيتي محاولاً أن يبقى متيقظاً. إذاً النعوات غير مهمة؟

لا. هو لم يسافر لكي يزور والدته. ذهب إلى هناك ليجمع معلومات عن جولي أراهن بحياتي على ذلك.

جلس هنري مع إيما إلى طاولة المطبخ، وكان يراقب ذبابة تدق بزجاج النافذة إذاً؛ هل هما واثقان أنه لا أحد لحق بهما؟

أومأ هنري. هذا ما أخبرني إياه هنري عندما اتصل.

هل تظن أنهما آمنان؟

آمل ذلك، ولكن لن يرتاح بالي ما لم يقبضوا عليه.

ماذا لو لم يقبضوا عليه؟

سيعثرون عليه.

سألت إيما ثانية: ولكن ماذا سيحدث في حال لم يتمكنوا من القبض عليه؟ كم سيمكثان هناك؟

هز هنري رأسه: طالما القضية لم تنتهِ بعد. صمت. لكن ربما اتصل بالشرطة وأعلمهم بمكانهما.

وبدأت أنهت محادثتها مع هنري، أخذت تفتل خصلة من شعرها وهي شاردة الذهن. قالت: أشكرك لهذه المعلومات. أقدر لك هذا. إلى اللقاء. فكرت وهي تغلق السماعة، إذاً غادرا البلدة. من ناحية لو كانت مكانهما لفكرت في الطريقة نفسها، وفعلت ما قاما به. ومن ناحية أخرى، كان مكان سكنهما بعيداً بحيث يمكن أن لا يحصلا على المساعدة في حال حدث طارئ ما.

بالرغم أن توبسيل كانت لا تزال ضمن المقاطعة، فهي في الطرف الجنوبي - على بعد مسافة تستغرق على الأقل أربعين دقيقة عن سوانزبورو.

السجلات الضريبية المؤرشفة لم تكن ذات فائدة. فالمنزل مسجل باسم ريتشارد فرانكلين فقط.

دون أن تكلف نفسها جهداً في البحث عن معلومات إضافية، ركزت جنيفر انتباهها على الصور. عرفت بأن الصور تزودها بمعلومات لا تتعلق بالأشخاص فقط، بل بمن التقط الصور أيضاً. وريتشارد كان مصوراً

محترفاً - معظم الصور بدت ملفتة للانتباه، ووجدت نفسها تحدق إليها بإمعان. لاحظت أن ريتشارد فرانكلين لم يمارس عملية التصوير ببساطة في نهاية عطلة الأسبوع، لكنه شخص متعامل مع التصوير كفن. أعادت النظر في الجهاز الذي عثروا عليه في منزله.

لم تركز اهتمامها على الجهاز في اللحظة ذاتها، ولكن هل سيساعدها هذا في الحصول على جديد؟ وإن كان الأمر كذلك، كيف السبيل؟ لم تكن بعد متأكدة مما ستفعله كلما أمعنت بالتفكير في القضية، أحست أنها تسلك المسار الصحيح. بالرغم أنها غير قادرة على إعطاء أجوبة دقيقة لكثير من التساؤلات - ولاسيما عندما تأملت الصور، وتساءلت عن دلالتها وعلاقتها بـ ريتشارد، لكنها لم يكن في وسعها سوى الإحساس بأنها على وشك اكتشاف أمرٍ مهم يتعلق بالقضية.

الفصل السادس والثلاثون

في دينفر، كان المحقق لاري كوهين يفكر بشأن المكالمات الهاتفية. لقد طلبت الشرطية رومانيلو معلومات تتعلق بـ ريتشارد فرانكلين، ومع أنه بحث في قاعدة المعلومات دون جدوى، فقد عرف بأنه سمع مسبقاً بهذا الاسم. كما أخبر جنيفر رومانيلو، الاسم كان معروفاً.

بالطبع الاحتمالات كثيرة. شاهد في واحدة من مئات القضايا التي تعامل معها، حتى أنه ربما قرأ الاسم في الجريدة من وقت ما. ربما كان شخص غريب التقى به فجأة في حفلة أو ربما كان شخص ما قابله في الطريق. مع

ذلك انتابه إحساس بأن للاسم علاقة ما يعمل الشرطة. بالرغم من هذا ماذا كان سيحدث فيما لو يتم اعتقاله بعد أن نهض من مقعده، قرر أن يستفسر عن الأمر. ربما بمقدور شخص آخر في القسم أن يوضح له الأمر.

بعد ساعة، خرج موريسن من مكتبه ومعه السجلات الهاتفية ومعلومات من شركة J.D التي خضع لها ريتشارد فرانكلين في الأصل. وتضمن الفاكس استئنافه في العمل ومعلومات عن المشاريع المسبقة التي أدلى باستشارته بخصوصها.

استلم بيتي السجلات الهاتفية، ووضعت جنيفر الصور جانباً وبدأت تدرس المعلومات المقدمة من شركة J.D بلا نشارد.

في مقدمة ورقة مباشرته بالعمل، دوّن ريتشارد اسم شقة في كولمبس كعنوان له وعلى كل حال كان أسفل الشقة منجماً للذهب عمل به، وكتب قوائم الجمعية وخبرته السابقة وخلفيته الثقافية.

بعد الاتصال بمراكز المعلومات، اتصلت بمبنى لنتري في تشيني، ويومينغ وهي آخر شركة عمل فيها ريتشارد قبل أن يؤسس شركته الخاصة به.

بعد أن عرفت بنفسها في مركز الاستقبال، اتجهت نحو غلانسي إدواردز، نائب الرئيس والذي صار له في الشركة منذ حوالي عشرين سنة.

تقدم إدواردز وقال في الحال. ريتشارد فرانكلين؟ بالتأكيد أذكره. كان مديراً هنا في الواقع هو خبير بعمله. ولم أستغرب عندما أسس لنفسه عملاً خاصاً به.

متى كانت آخر مرة تحدثت معه؟

أوه اسمحي لي أن أتذكر. كما تعلمن انتقل إلى دينفر. أظن من مضي ثماني أو تسع سنوات. كنا نعمل.. أوه، انتظري... حصل هذا في عام 1995 صحيح؟ أظن أنه كان يخطط لمشروع...،

أعذرني سيد إدواردز، هل تعرف إن كان متزوجاً؟

استغرق إدواردز عدة لحظات ريثما أدرك بأنها سألته سؤالاً آخر. متزوج؟ أجل، هل كان متزوجاً؟

ضحك إدواردز، لا مجال لذلك. كنا واثقين أنه كان مبتهجاً...

قربَّت جنيفر السماعة من أذنها، متسائلة إن كانت تسمعه بشكل صحيح. انتظر هل أنت متأكد؟

حسناً، ليس مئة بالمئة. بالطبع لم يسبق له أن تحدث بهذا الموضوع. ولم نلحّ عليه أيضاً بالكلام. خصوصيات الرجل تبقى محفوظة دون تدخل طالما أنه يؤدي عمله. هذا هو الأسلوب الذي نتعامل به بشكل دائم مع الموظفين. نؤدي عملنا بشكل جيد وإيجابي في الشركة. دائماً نفعل ذلك.

لم نكد جنيفر تصغي إليه وهو يتابع حديثه.

في بيومينغ ممر طويل، إنها ليست سان فرانسيسكو، إذا أردت أن تفهمي قصدي، ليست مدينة سهلة بشكل دائم. لكن الأحوال تتغير، حتى هنا.

سألت جنيفر فجأة، هل كانت علاقته طيبة مع كل شخص هنا؟ بعد أن تذكرت ما قاله لها جيك بلانسن على الهاتف.

أوه أجل، بشكل مطلق. كما قلت لك، إنه خبير بالفعل في التعامل مع الآخرين، والناس يحترمونه لأجل هذا، وهو شاب لطيف أيضاً. لقد اشترى

لزوجتي قبعة في عيد ميلادها. بالرغم أنها لم تعد تلبسها كثيراً.

تعلمين كيف تتصرف النساء حيال ذلك.

ماذا عن العمال؟ هل علاقته بهم طيبة؟

بعد أن قاطعته، استغرق غلانسي! دواردز لحظة أخرى حتى يلتقط أنفاسه.

أجل، بالتأكيد، هم، أيضاً. كما قلت لك، إنه محبوب. ربما كان لزوجته مشكلة معه... حسناً، إنها حياته الخاصة به، ولكن الجميع يودونه، جميعنا نشعر بالأسف لأجله.

عندما لم تجب جنيفر، أحس إدواردز أن عليه كسر حاجز الصمت.

هل يمكنني أن أسألك لماذا كل هذه الاستفسارات؟ إنه غير متورط في مشكلة، أليس كذلك؟ لم يحدث له أي مكروه، هل حدث له مكروه؟

كانت جنيفر لا تزال يفكر بالمعلومات الجديدة.

أجابت: إنه تحقيق. آسفة، ولكني لا أستطيع شرح المزيد. هل تذكر أنك تلقيت مكالمة من شركة J.D بلانشارد؟

أجل، أظن أن الرئيس هو الذي اتصل. كنا سعداء بمدحه. كما أخبرتك، بالفعل عملية جيد...

وجدت جنيفر نفسها تحدّق إلى صور جيسيكا من جديد. هل تعلم إن كان يمارس التصوير كهواية؟

ريتشارد؟ ربما مارس التصوير كهواية، ولم يذكر هذا أمامي أبداً، لماذا؟ أجابته وغضت نظرها فجأة عن طرح مزيد من الأسئلة. بلاسبب. أود أن

أشكرك لأنني أخذت من وقتك سيد إدواردز. إذا كنت بحاجة مساعدة، هل تمانع أن أتصل بك ثانية؟

لا، على الإطلاق بإمكانك الاتصال بي لغاية الساعة السادسة في معظم الأيام إننا نحترم القانون هنا، ونحن في خدمته، إنني في خدمة عمدة البلدة.... أوه.... أظن أنه صار لي هنا منذ عشرين سنة أو ما يقارب...

بالرغم أنه كان لا يزال يتكلم، أنهت جنيفر مكالمتها، وهي تهز رأسها متسائلة لماذا لم يكن كل ما قاله ذا أهمية.

بعد مرور دقائق قال بيتي لـ جنيفر: أنت على حق، بدا مضطرباً لأنها كانت على صواب في تخميناتها الغريزية بينما هو تاه عن الطريق. هنالك رقم مدون لمحقق خاص في ديتونا، حدّق إلى المذكرة التي كتبها. أجرى ريتشارد ثلاث مكالمات هاتفية مع جهاز التحقيق في كروم. عندما اتصلت بهم لم ألقَ جواباً، لكنني تركت رسالة. لم يكن هنالك سوى رجل واحد. لم أسمع صوت السكرتيرة على آلة التسجيل.

ماذا عن والدة جولي؟

هز بيتي رأسه: أجل، حصلت على رقمها أثناء الاستجواب، لكنني لم أسمع رداً من أحد سأحاول الاتصال بعد فترة قصيرة. ما هي نتائج تحقيقاتك؟

أعطته جنيفر موجزاً عن محادثاتها مع غلانسي إدواردز. بعد أن انتهت، أخذ بيتي يحك مؤخرة عنقه.

أومأ بإشارة لها دلالة معينة. إنه شاب مرح، هاه؟ أستطيع ملاحظة ذلك

أمسكت جنيفر بملخص التحقيق، محاولة أن تتجاهل تعليقه.

قالت: سأضع الشركة التالية في القائمة. صار له يعمل هناك منذ فترة طويلة، ولكنني آمل أن أجد شخصاً ما يتذكره حتى أتكلم معه. بعد ذلك أظن أنني سأحاول التحقيق مع بنك دينفير حيث أودع هنالك حساباته المصرفية، أو ربما أستطيع الحصول على معلومات عن أحد جيرانه السابقين. لو أستطع فقط تحديد موقع أي منهم.

هذا سيستغرق وقتاً.

أومأت جنيفر، وهي شاردة الذهن، لا تزال تفكر بمكالمتها مع إدواردز. قالت وهي تدون بسرعة معلومات أساسية من الملخص، اسمع، بينما أفعل ذلك، حاول أن تكتشف أية معلومات تتعلق بطفولته. حسب معلوماتي أنه ولد في سياتل، لذا عليك أن تتصل بالمشافي الرئيسية، وحاول الحصول على سجل شهادة ميلاده. ربما باستطاعتنا اكتشاف المزيد إذا بحثنا في سجله العائلي. سأواصل العمل في تحقيق هذه الغاية،

بالتأكيد.

أوه. حاول الاتصال مع المحقق ووالدة جولي. أريد حقاً التحدث معهما،

لك ذلك.

استغرق ريتشارد وقتاً أكثر مما توقع لإيجاد سيارة، لكنه خرج من الكراج بسيارة إم ترانز بونتياك طراز 1994 خضراء اللون. استدار نحو إشارة المرور، وتوجه نحو الطريق العام. ابتعد مسافة تكفي ليتأكد أنه ما من شخص يراقبه. فكر ريتشارد، من المثير للسخرية أنه لا يزال هنالك

أشخاص في هذا الزمن يتركون مفاتيحهم في سياراتهم. ألم يدركوا حقاً أنه من المحتمل أن يستفيد أحد ما من غبائهم؟

لا، بالطبع لا. تلك الأمور لا يمكن أن تحدث معهم أبداً. إنه عالم بيتي غاندي، عالم أعمى وكسول وأحمق يتركنا عرضة للإرهابيين، ليس فقط بسبب حماقتهم، بل لأنهم يفتقدون إلى الحذر، ويتسمون بالجهل، لن يكون أبداً مهملاً، لكنه لم يكن يتذمر.

إنه بحاجة إلى سيارة، وهذا يكفيه تماماً.

مرت فترة ما بعد الظهيرة ببطء. من خلال اتصالاتها، تولدت لديها قناعة تلو الأخرى أنه من المستحيل الحصول على معلومات من خلال الخبرات. كان عليها أن تقنع عامل المقاطعة بالبحث في سجلات ضريبة الملكية للحصول على اسم الملاك، ثم العثور على أسماء من خلال هذه المعلومات، كل هذا على أمل أن لا يكون الأشخاص قد انتقلوا من مكانهم. وهذا استغرق وقتاً أكثر مما توقعت، في غضون أربع ساعات، تحدثت مع أربعة أشخاص، جميعهم كانوا على معرفة بـ ريتشارد فرانكلين بآن واحد. اثنان منهم كانا جارين سابقين، واثنان كانا مديرين تذكرا ريتشارد فرانكلين بشكل غامض بعد أن أمضى عاماً في العمل لمصلحة شركة سانتا في نيوميكسيكو، مثل إدواردز، جميعهم أدلوا بالأقوال ذاتها بخصوص ريتشارد فرانكلين.

إنه شاب لطيف ودود مع الجميع. ربما كان مرحاً. لم يعرفوا فيما إذا كان التصوير هواية عنده.

نهضت جنيفر من مقعدها وشقت طريقها عبر المحطة لكي تحتسي فنجان قهوة.

تساءلت: ماهوية هذا الشاب؟ ولماذا بحق السماء كانت تحسُ بقوة أن الشخص الذي وصفه الجميع كان شخصاً آخر غير ريتشارد؟ عبر منتصف الطريق إلى البلدة، ناقش المحقق لاري كوهين الوضع مع بعض الأشخاص في القسم. مثل، تعرفوا على الاسم لكنهم لم يستطيعوا أن يميزوه بدقة. ذهب أحدهم للاطلاع على المعلومات ذاتها التي حصل عليها كوهين، مقتنعاً بأن عليه الحصول على سجل للتوصل فقط إلى النتائج ذاتها.

جلس كوهين خلف مقعده متجهم الوجه وهو يفكر. لماذا كان الاسم معروفاً جداً؟ ليس معروفاً بالنسبة له فحسب بل بالنسبة إلى الجميع هنا؟ لماذا كان معروفاً إذا لم يتم اعتقاله أبداً وما من أحد تذكر أنه استدعي كشاهد؟

انتصب على قامته حالما عثر على الجواب فجأةً.

بعد أن نقر على لوحة المفاتيح، تفحص المعلومات الأساسية التي ظهرت على شاشته. صدق إحساسه الداخلي، نهض من مقعده ليجد المحقق الذي كان عليه التحدث معه.

جلس بيتي خلف مقعده وقد حالفه الحظ. لقد انتهى من جميع المعلومات عن طفولة ريتشارد، ولم يجد صعوبة في إيجادها. كان متوجهاً نحو جنيفر وهو يشعر بالفخر يزودها بالمعلومات عندما رن هاتفها. رفعت أصبعها مشيرة لـ بيتي كي ينتظرها ريثما تنتهي. قالت جنيفر: قسم شرطة

سوانزبورو. الشرطية رومانيلو تتكلم.

سمعت من الناحية الأخرى صوتاً صافياً: هذا أنا المحقق كوهين من دينفر نهضت جنيفر. أوه ..... مرحباً. هل لديك جديد؟

شيء من هذا القبيل. بعد اتصالك، فكرت كم كان اسم ريتشارد فرانكلين معروف لذلك سالت القسم قبل أن أتذكر أين كنت قد سمعت بالاسم من قبل. صمت بعد ذلك، أخبرني أحد المحققين هنا شيء ما مثير للاهتمام. شيء يتعلق بالقضية التي حقق فيها منذ أربع سنوات بخصوص شخص مفقود.

أمسكت جنيفر قامها: بخصوص جيسيكا فرانكلين؟

حدّق بيتي إلى جنيفر عندما سمع اسم جيسيكا.

لا، ليس بخصوص جيسيكا.

إذاً من هو الشخص الذي تتحدث عنه؟

ريتشارد فرانكلين. الشخص الذي اتصلت بي لأجله.

صمتت جنيفر. ما الذي تحاول قوله؟

قال المحقق كوهين ببطء: ريتشارد فرانكلين. هو الشخص المفقود لكنه هنا.

أفهم ذلك. لكنه اختفى منذ أربع سنوات. لم يظهر في مقر العمل، وبعد أسبوع أو ما يقارب اتصلت بنا سكرتيرة أخيراً. تكلمت مع المحقق المسؤول عن التحقيق. قال بأن كل المؤشرات تدل أنه هرب.. كانت الملابس ملقاة على السرير، والدروج قد فتحت وسرقت محتوياتها. كما فقدت حقيبتان

ذكرت سكرتيرته أنهما الحقيبتان اللتان يستعملها دائماً أثناء العمل. وكانت سيارته قد اختفت أيضاً. كان قد سحب كل أقواله من Atm في اليوم الأخير الذي شاهده فيه الجميع.

هرب؟

هكذا بدا.

لماذا؟

هذا ما لم يستطع المحقق أن يخمنه. من خلال اللقاءات مع معارف فرانكلين، لم يستطع أحد أن يخمن ذلك. قالوا أنه ليس من النمط الذي يتخلى ببساطة عن كل شيء، ويغادر عمله. ما من أحد استطاع أن يفهم ما يحصل:

وليست هنالك أية مشكلة قانونية؟

ما من مشكلة استطاع المحقق أن يكتشفها. لم يكن هنالك أية دعاوى قضائية، كما أخبرتك مسبقاً، لم يتشاجر معنا، بدا الأمر وكأنه ببساطة قرر بداية جديدة تذكرت جنيفر أنها الفكرة ذاتها التي راودتها عندما شاهدت التقرير الخاص به.

لماذا لم تنشر عائلته الخبر؟

حسناً، ذلك هو بيت القصيد. لم يكن هنالك حقاً أية عائلة نتحدث معها.

والده متوفّى، ليس لديه أشقاء، ووالدته كانت في مصح وتعاني من مرض عقلي أخذت جنيفر بعين الاعتبار هذه الدلالات. هل بحوزتك

معلومات يمكنك أن ترسلها لي بخصوص هذه القضية؟

بالتأكيد. لقد سحبت الملف مسبقاً. أستطيع أن أرسله لك غداً بعد أخذ نسخٍ عنه.

ألا توجد طريقة تستطيع أن ترسله لي عبر الفاكس؟

إنه ملف سميك. سيستغرق على الأقل ساعة حتى أرسله كاملاً

قالت: أرجوك. بكل الأحوال سأبقى هنا طوال الليل.

أجل. يمكنني فعل ذلك. أعطني رقم فاكسك ثانية.

من وراء النافذة المطلة على طاولة المطبخ في منزل هنري الشاطئي، كان المحيط يتوهج باللون البرتقالي، وكأن ناراً أضرمت تحت سطحه. بدأت بالتناقص ساعات النهار الأخيرة تأخذ بالتتان وزحفت العتمة ببطء نحو المطبخ. أخذ الضوء يطن في الأعلى.

اقترب مايك من جولي التي كانت تراقب سنفر على الشاطئ. كان مستلقياً على الرمل ويرفع أذنيه، ويحرك رأسه من جانب لآخر.

سأل: هل أنت مستعدة لتناول الطعام؟

لست جائعة.

أومأ مايك. كيف ترين سنغر؟

إنه بخير.

قال مايك: كما تعلمين، لا يوجد أحد هناك. إذا ظهر شخص ما سيعلمه سنقر.

أومأت جولي، ثم مالت نحو مايك الذي طوقها بذراعه.

غادر موريسن مكتبه، واتجه نحو جنيفر وبيتي. الدم الذي عثرنا عليه هو دم أندريا رادلي بلا شك. لقد أثبت المخبر ذلك.

لم تكد جنيفر تسمعه، إذا كانت تحدّق إلى الصفحة الأولى التي أرسلت إليها بالفاكس من دنيفر.

تابع مورسن كلامه: وجونسن عثر على شاهد. إنه ساقي أحدى الحانات في موسكيتو غروف يذكر أنه شاهد أندريا في تلك الليلة. قدم وصفاً كاملاً لريتشارد فرانكلين. قال بأنه بدا مضطرباً كثيراً.

كانت جنيفر لا تزال تحدق إلى الصفحة الأولى من الفاكس متجاهلة بقية الصفحات.

قالت بهدوء: إنه ليس ريتشارد فرانكلين.

نظر إليها كل من موريسن وبيتي.

سأل موريسن: عمّا تتحدثين؟

قالت بهدوء: المشتبه به. اسمه ليس ريتشارد فرانكلين. ريتشارد فرانكلين الحقيقي اختفى منذ ثلاث سنوات. هنا، قالت وهي تمرر الصفحة الأولى للفاكس. كانت صورة الشخص المفقود، وبالرغم من عدم وضوح الصورة المرسلة بالفاكس، بدا واضحاً من الرأس الأصلع والملامح الغليظة أنه لم يكن الرجل الذي يبحثون عنه. هذه الصورة وصلتني للتو من دينفر. إنه ريتشارد فرانكلين الحقيقي نظر موريسن وبيتي إلى الصورة.

رمش بيتي عينه باضطراب وسأل: هذا ريتشارد فرانكلين؟

أجل

استمر بيتي بمراقبة الصورة. ولكنهما لا يبدوان متشابهين.

تقابلت نظرات موريسن وجنيفر: تقولين إن هذا الشاب اعترف بهويته؟

أومأت له جنيفر.

سأل موريسن: إذاً بحقِّ الجحيم من يكون الشاب الذي تبحث عنه؟

حدقت جنيفر باتجاه النوافذ المطلة على الجهة البعيدة من القسم. ليست لدي فكرة.

الفصل السابع والثلاثون

قال موريسن: أفكار؟

بعد ساعة، وفي حضرة معظم أفراد الشرطة، لم يستطع موريسن أن يخفف غضبه وخيبة أمله. عندما كان برفقة جنيفر وبيتي بحث في المواد المسترجعة من المنزل على أمل العثور على الهوية الحقيقية للمشتبه به، ولكن دون جدوى. لم يحصل أحد على فحص لسجله الهاتفي.

قال موريس: ماذا بخصوص البصمات؟ ربما ستساعدنا في كشق هويته.

إننا نبحث عن أدلة. ولكننا لن نستفيد إذا لم يكن قد تم اعتقاله في شمال كارولينا لقد تحدثت مع رئيس شرطة كلرادو ووافق على تزويدنا بالمعلومات، ولكن ليس هنالك ضمانة لوجود المشتبه في دينفر.

أصبحت جنيفر: لكنه تعرف على هوية ريتشارد فرانكلين.

أليس هنالك دليل على أنه المسؤول عن الاختفاء. فجميعنا نعلم أنه تعثر بالحصول على المعلومات والاستفادة منها.

ولكن....

رفع موريسن يديه. فلندع خياراتنا مفتوحة. أنا لا أقول بأنه متورط، لكن علينا إعادة النظر في كل شيء. بالإضافة إلى أنها ليست قضيتنا المطروحة هنا. القضية أندريا رادلي - ما الذي فعله بها، وما الذي بمقدوره فعله. ماالمعلومات الأكيدة التي بحوزتنا؟ روماتيلو؟ يبدو أنك أفضل من تتعاملين مع هذه الأمور؟.

أفصحت جنيفر عما عرفته.

إنه شاب مثقف. من المحتمل إنه حائز على شهادة في الهندسة، مما يعني أنه ذهب إلى الجامعة، يحب التصوير ويبدو أنه موهوب فيه، وهذا يدل على أنه مارس التصوير لفترة من الوقت. كانت لديه زوجة تدعى جيسيكا، بالرغم أننا لا نعرف عنها أية معلومات. صار له يراقب جولي منذ بداية تعارفهما، ويبدو أنه مشوش الذهن بينها وبين زوجته. يبدو أنهما متشابهتان بالشكل، حتى أنه ناداها باسم زوجته.

وبسبب التعقيد الذي سيطر على خططه طوال السنوات الماضية، إنني

متأكدة بعدم أنه كان متورطاً بمشاكل مع القانون. أعتقد أنه في حالة فرار دائم، وهذا يدل على أنه خبير في التخفي عن أنظار الشرطة.

أومأ موريسن: بيتي؟ دورك؟.

فكر بيتي للحظة. إنه أكثر قوة مما يبدو. يستطيع حمل الأثقال بقدر ما أستطيع تقريباً حدق إليه بقية أفراد الشرطة. فقال مدافعاً عن نفسه. رأيته في قاعة الألعاب.

هز موريسن رأسه وزفر، وكأنه يتساءل لماذا أزعج نفسه، وطرح عليه ذلك السؤال.

أوكي، فلنخطط لما علينا فعله الآن. بوريس - أنزل شركة بلا نشارد وابحث عن خدمة لهذا الشاب. ليس لدينا متسع من الوقت، لكنني أريد الصور منشورة في أخبار الليلة إن كان هذا بالإمكان. سأتصل مع مدراء المحطة وأشرح لهم الوضع. أريد أيضاً صورة هذا الشاب في الصحيفة، لذلك فليعد تقريراً هنا بحث يستوفي كل المعلومات المطلوبة. أما البقية منكم فعلهم أن يحاولوا مجدداً في البحث عن الأماكن التي يمكن أن يتواجد فيها هذا الشاب. اتصلوا بكل الفنادق. الاستراحات في سوانزبورو وجاكسونفيل للبحث عن أي شخص مطابق لصفاته اليوم. أعرف أن هذا سيستغرق وقتاً طويلاً، لكننا نستطيع أن تجاهل حقيقة مفادها أنه من المحتمل أن يكون أمام أعيننا مباشرة بدون أن ندرك في حال طرأت أية مستجدات، أريد منكم أن تدخلوا إلى كل اثنين معاً لطرح ما استجد.

وبعد ذلك، احتاج إلى أن تكونوا جميعاً هنا الليلة بعد عرض الأخبار.

ستتدفق المكالمات الهاتفية بكثرة لذلك لا بد من حضور الجميع للإجابة عن الأسئلة المطروحة. أهم شيء هو أن تكتشف فيما إذا كانوا قد قابلوه اليوم. ليس البارحة، ولا الأسبوع الماضي. بعدها حاولوا التخلص من كل العقبات وسنرى ما توصلنا إليه.

نظر موريسن حوله: هل كلامي واضح؟

تعالت تمتمات من الموافقة حوله.

إذاً دعونا نباشر عملنا.

بعد أن عرف ريتشارد أنهم سيبحثون عنه في منطقة سوانزبورد، انطلق بسيارته لمدة ساعتين متوجهاً إلى الشمال الشرقي، ونزل في فندق إلى جانب الطريق الرئيسي، وهو مكان يستقبل الزبائن الذين يدفعون نقداً ولا يطلبون أية معلومات شخصية عنهم.

الآن إنه مستلقي في السرير، ويحدّق إلى السقف. فكر في نفسه، بمقدورهم البحث لكنهم لن يتمكنوا من العثور عليّ.

تساءل فيما إذا كانت الشرطة قد علمت بأن اسمه الحقيقي ليس ريتشارد فرانكلين. حتى لو علموا، المسألة غير مهمة، إذ ليس بمقدورهم أن يربطوا بينه وبين اختفا، فرانكلين أو يكتشفوا حقيقة هويته. في أسوأ الحالات سيكتشفون رجلاً ليس له عائلة، حتى إن بحثوا في الكمبيوترات الموضوعة في المكتبات المتنوعة التي زارها أثناء فراره من القانون. وانتقاء قوائم الجمعية المهنية باستعمال الإنترنت كانت عملية بحث مرهقة ومضيعة للوقت، لكنه أطال التمعن فيها، وبذل جهداً في ملاحقته هذه

للبحث عن الرجل الصحيح بينما كان ينتقل من بلدة إلى أخرى.

لم تقدم له الظروف فرصة أخرى، وهو لا يزال بمقدوره أن يتذكر ذلك الإحساس بالراحة والرضا عندما وجد أخيراً الشخص الذي يحتاج إليه.

مر بثلاث ولايات وهو طريقه إلى دينفر، حيث اجتاز المسيسبي، ثم أمضى ثلاثة أسابيع وهو يتعلم أنظمة الرجل الروتينية. لقد راقب ريتشارد فرانكلين الحقيقي كما كان يراقب جولي الآن. علم أن فرانكلين كان رجلاً أصلع، ومرحاً بشكل واضح، وبأنه أمضى جل وقته وحده. ومن حين لآخر كان فرانكلين يعمل حتى وقت متأخر في مكتبه، وفي إحدى الليالي راقب فرانكلين وهو يدخل سيارته إلى الكراج المظلم، ويخفض رأسه فيما يدير المفاتيح.

لم يسمعه فرانكلين، وهو يقترب منه، فوضع بندقية على رأس فرانكلين.

همس: نفذ ما أطلبه منك بالضبط، وسأبقي على حياتك.

بالطبع كانت مجرد كذبة، لكنها كذبة خدمت هدفه، نفذ فرانكلين كل ما طلبه منه وأجاب على كل أسئلته. ذهب فرانكلين إلى شركة Atm وحزم حقيبة. حتى أن فرانكلين سمح لنفسه بأن تعيد، وتمشى على عماها، على أمل أن يتلقى مكافأة بعد تعاونه.

قاد فرانكلين صوب الجبال، وطلب منه أن يستلقي على جانب الطريق. تذكر توسلات الرجل: كيف تبوّل خوفاً بعد أن سمع صوتاً واضحاً لفرقعة بندقية.

لقد ضحك من شدة ضعف الرجل، وضآلة حجمه، وهو يفكر كم كان

الفارق كبيراً بينهما. كان الرجل تافهاً. بالغ الصفر ومشتت الأفكار. لو كان مكانه في ذلك الوضع، لقاتل أو حاول الفرار. لكن فرانكلين بدأ يبكي وفيما بعد ثلاث ساعات، دفن في قبر بحيث يستحيل على أي إنسان أن يكتشفه.

دون ان يكلّف أي إنسان نفسه بالبحث، عرف بأن ملف فرانكلين سيكون من بين ملفات الأشخاص الآخرين المفقودين، وسوف ينسون أمره بسرعة. طالما أن ريتشارد فرانكلين كان مفقوداً، وليس ميتاً، كان من السهولة سرقة هويته الشخصية. كما أن الأمر كذلك، فقد درَّب نفسه على أن لا يستجيب عندما يسمع اسمه الحقيقي أو حتى أن لا يستدير في حال سمعه، فعندما لفظه الآن، بدا الاسم غريباً بالنسبة له.

لقد أولى رعايته لـ ريتشارد فرانكلين الحقيقي، كما اهتم بأمه وأبيه. واهتم بالصبية في الميتم. وبرفيق السكن في الجامعة وبـ جيسيكا.

تضيقت حدقتا عينيه.

حان الوقت الآن ليركز انتباهه على مايك.

كانت مابل جالسة مع أندريا عندما وصل والداها من برون. دخلا وسط مخاوفها ودموعهما التي دامت ست ساعات، وهكذا غادرت مايك الغرفة لتقسم لها المجال بالجلوس وحدهما مع ابنتيهما.

اتجهت نحو غرفة الانتظار وهي تفكر بـ مايك وجولي، متمنية أن يكونا بأمان. فبعد أن رأت جروح أندريا عندما غير لها الأطباء الضمادات، أدركت بكل ثقة أن ريتشارد فرانكلين كان وحشاً وبأن مايك وجولي في وضع خطير أكثر مما توقعا.

لم تكن توبسيل بعيدة بما فيه الكفاية. لا، كان عليهما الابتعاد عن سوانزبورو وبقدر ما يستطيعان وأن يمكثا هناك أطول مدة ممكنة. كان عليها أن تقنعهما بذلك بطريقة ما .

خلال فترة المساء، كان قسم شرطة سوانزبورو يعج بالنشاط مثل خلية نحل.

بعد إجراء بعض الاتصالات، بحثوا في اثنتي عشرة حالة مشتبه بها في الفنادق. وبمساعدة قسم عمدة مقاطعته أونسلو، أجروا تحقيقاً دون جدوى.

كان لدى شركة J.D بلا نشارد صورة جيدة عن المشتبه، حيث طبع بوريس عدة نسخ عنه قبل توزيعها على محطات التلفزيون.. نشر التقرير في أعلى كل بث للأخبار، لكي يتنبه العامة إلى الرجل المشتبه به في الهجوم على أندريا رادلي ولكي يدركوا مدى خطورته. كما دونت في التقرير معلومات نصف شكل السيارة وتم الترخيص.

كما تنبأ موريسن، فقد انتشرت المكالمات الهاتفية بسرعة البرق في غضون دقائق.

كان القسم بأكمله على أهبة الاستعداد للإجابة عليها، فقد سجلت الملاحظات، وأخذت الأسماء وتمَّ التخلُّص من كل المعتوهين.

بحلول الساعة الثانية ليلاً، كان القسم قد أجرى تحقيقاً مع أكثر من مئتي شخص. ولم يرَ أحد المشتبه في ذلك اليوم، ولم يلمح أي منهم السيارة.

بعد أن أجهد نفسه بالتفكير بـ جيسيكا. استسلم أخيراً للنوم.

كانت نادلة في المطعم الذي كان يرتاده، بالرغم أنها لم تكن النادلة التي تلبي طلباته، كان يلاحقها بعينيه وهو يتناول وجبته.

شاهدته وهو يحدّق إليها معطياً ابتسامة مصيرة، بادلته نظراته، بعد أن أغلق المطعم عاد وهو ينتظرها.

بدت وكأنها توقعت أنه بانتظارها، كانت أنوار الشارع تسطع على ملامحها بينما كانا يتمشيان في آخر الليل في شوارع بوسطن. تخيل الطريقة التي كانت تحدق بها إليه عبر الطاولة وقت العشاء... تذكر عطلة نهاية الأسبوع التالية في كاب كود، حيث تمشيا على الشاطئ وأيضاً نزهة على الرمال... أو نزهة ورحلة بالمنطاد.. جيسيكا وجولي.. كم كانتا متشابهتين.... تخيلهما امرأة واحدة... اندمجت الصور مع بعضها.

تذكر جولي.. ودموعها عندما كانت تشاهد الأوبرا.. لمسه أصابعها السحرية وهي تقص شعره... تعاطفها معه عندما كذب عليها بخصوص موت والدته، المفاجئ.... كم بدت فخورة به عندما قدمته لأصدقائها في البار....

يا إلهي، لقد أحبها. سيبقى يحبها دائماً.

بعد مرور لحظة، كانت أنفاسه عميقة وثابتة.

الفصل الثامن والثلاثون

صباح اليوم التالي، حلقت موجة ضباب خفيفة فوق المعبر المائي الساحلي، وكانت تتقشع ببطء بينما ترتفع الشمس فوق قمم الأشجار. اخترق الضوء بشكل موشوري نافذة مركز الشرطة، وسقط مباشرة في فنجان القهوة الثالث الذي احتسته جنيفر في ذلك الصباح.

فكرت جنيفر، إنهم يبحثون عن شبح.

ليس لديهم أية أدلة، أية أدلة على الإطلاق ليتابعوا البحث، والانتظار كان أسوأ شيء في البحث. جاءت جنيفر إلى المكتب بعد أن نامت ساعتين

فقط، لكنها ندمت على القرار. لم تجد أي شيء. يساعدها على التفكير. لم تساعدهم البصمات في العثور عليه، بالرغم من أن موريسن قد قرر استعمال قاعدة معلومات FBI، تراكمت عليهم الأعمال، وأدرك أن ذلك سيستغرق أسبوعاً على الأقل لمتابعة البحث.

بالطبع كانت المكالمات الهاتفية لا تزال تنهال عليهم، وكانت جنيفر ترد على الهاتف بانتظام. أبرمت الأخبار ثانية في وقت مبكر من الصباح. وتم جدولتها لترسل ثانية عند الظهيرة. لكنها لم تحصل بعد على المعلومات التي تحتاجها. تلقوا اتصالات هاتفية كثيرة جداً من مواطنين شعروا بالذعر، وأرادوا ببساطة أن يتأكدوا أنه تم القبض على الجاني، كما جاءت اتصالات من أشخاص يدَّعون أن الجاني قريب منهم. دخل معظم أفراد الشرطة الآخرين بالوقت نفسه الذي حضرت فيه جنيفر وكانوا يحققون في تلك المزاعم. لا إنها كانت آخر شرطية غادرت المركز، أو قامت فيما إذا كان أي منهم يبحث عن الحل، غير أن ضباط الشرطة لم يكن أمامهم خيار سوى البحث في الوسائل المتاحة لديهم.

فكرت جنيفر، من الأفضل الاستعانة بوسائل الإعلام: بالرغم أن المعلومات الجيدة ممكنة، لكن المعلومات السيئة كانت مضمونة، وسحبت المصادر المطلوبة لإنجاز العمل.

تساءلت ثانية، أي عمل؟ الشيء الوحيد الذي ينبغي عليهم الاستمرار والبحث عنه هو الصور المأخوذة من الحقيبة، ومازالت عاجزة عن تخيل السبب الذي جعلها مصدومة جداً لدى رؤيتها تمعّنت في الصور عدة مرات،

بيد أنها حالما وضعتها جانباً، أحسّت برغبة قوية للنظر إليها ثانية بعد أن قلبت الصور، شاهدت الصور نفسها. جيسيكا وهي في الحديقة. جيسيكا على الشرفة. جيسيكا وهي جالسة. جيسيكا وهي واقفة. جيسيكا وهي تبتسم. جيسيكا وهي تنظر بجدية.

تركت جنيفر الصور وهي تشعر بالقرف. لا يوجد شيء جديد.

بعد لحظة، رن الهاتف ثانية. بعد أن أصغت للمتحدث أجابت جنيفر.

أجل، ماما، إنني واثقة أنه باستطاعتك الذهاب إلى مخزن البضائع دون خوف...

في الوقت الذي غادرت فيه مابل ولمنغتن - بعد أن ظلت ساهرة معظم الليل - شعرت بالاطمئنان أكثر على أندريا. بالرغم أنها لم تفتح عينيها، بل حركت يدها قبل حلول الفجر، وأكد الأطباء لوالديها أن ذلك مؤشر جيد.

بعد أن أدركت أنه ليس بمقدورها أن تقدم لها أية مساندة، صعدت إلى السيارة وعادت إلى سوانزبورو. أحست بوجع في عينيها بعد أن أشرقت شمس الصباح، ووجدت صعوبة في التركيز على الطريق.

كان قد زاد قلقها على مايك وجولي أثناء الليل. قالت لنفسها، سأخذ أولاً قسطاً من الراحة، ثم سأتوجه إلى الشاطئ لأتحدث إليهما.

استيقظ ريتشارد، واستحم، وقفز إلى السيارة المسروقة، بعد مرور ساعتين، وبعد أن اشترى فنجان قهوة وبعض المجلات من مخزن على طول الطريق، توجَّه إلى سوانزبورو، شاعراً، وكأنه عائد إلى المنزل.

ارتدى سروالاً كعامل ميناء وقميصاً كخيال، وكان شعره فاتح اللون

ولبس نظارات، حتى أنه لم يتعرّف على نفسه تماماً عندما اختلس النظر في المرآة الخلفية. بدا كأي شخص متوجه إلى الشاطئ لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

تساءل ما الذي كانت تفعله جولي في تلك اللحظة. هل كانت تستحم؟ تتناول الفطور؟

وهل كانت تفكر به، حتى وإن كان يفكر بها؟ ابتسم وهو يضع مجموعة من العملات النقدية من فئة الربع دولار التي تدحرجت إلى الأمام. بينما كانت صحيفة جاكسو نقيل تصل بشكل يومي، كانت تأتي صحيفة سوانزيورد مرتين أسبوعياً.

بعد ذلك شق طريقه نحو منتزه صغير، وختم فوق مقعد خشبي طويل بالقرب من مجموعة من الأراجيح، ثم فتح الصحيفة. لم يرغب أن يثير وجوده في المنتزه مخاوف أي من الآباء، فالناس في هذه الأيام مصابون بالهلع من المراهقين الذي ينتزهون في المتنزهات، لكنه افترض أنه استوعب ذلك الأمر، حتى في بلدة صغيرة.

كانت صورته على الصفحة الأولى للجريدة، فاستغرق وقتاً في قراءة المقال. قدَّم المقال معلومات أساسية، ولكنها ليست كافية ـ لم يكن لديه أدنى شك بأن الذي كتب المقال قد جمع المعلومات بشكل مباشر من قسم الشرطة ـ ودوَّن رقماً مهماً لكي يتصل بالأشخاص في حال عرفوا أية معلومات. بعد أن أنهى قراءة المقال، تفحص بقية الصحيفة، وأخذ يبحث عن معلومات بخصوص السيارة المسروقة.

ثم بعد ذلك قرأ المقال ثانية، وهو يرفع نظره محدقاً إلى الأعلى كل عدة دقائق.

سينتظر طوال النهار إن كان عليه الانتظار، عرف الشخص الذي يبحث عنه، الشخص الذي سيرشده إلى مكان جولي ومايك.

عندما اقترب بيتي من مقعد جنيفر، لاحظت الإرهاق الذي بدا عليه.

سالت: هل هناك جديد؟

هز رأسه، وهو يكتم رغبته بالتثاؤب. إنذار كاذب آخر. ماذا عنك؟

ليس عندي الكثير: هناك نادلة أخرى فبي موسكيتو غروف تذكرت أنها رأت أندريا وريتشارد معاً. سمعنا ذلك أيضاً من المشفى في ولمنغتن. لم تتجاوز أندريا رحلة الخطر بعد، لكن الأطباء يأملون، صمتت. نسيت أن أسألك هذا الصباح، هل سبق لك أن أجريت تحقيقاً مع المحقق أو مع والدة جولي؟

ليس بعد.

لماذا لا تعطيني بعض الأرقام بينما تحتسي قهوتك؟ سوف أوقفها لك.

لماذا؟ نعلم مسبقاً السبب الذي جعله ينزل هناك.

لا أعرف ما الذي يمكنني فعله غير ذلك.

تكلمت جنيفر أخيراً مع والده جولي، لكن بيتي كان على حق، لم يأت الاتصال بجديد أجل، كما قالت الأم، إنه الرجل الذي قال أنه كان صديقاً قديماً لجولي. وبعد أن أحضر صديقه معه. الصديق كان يحمل مواصفات المشتبه.

من جديد لم تكن هنالك إجابة بعد الاتصال بالمحقق الخاص.

ليست هنالك معلومات عن البصمات.

دون معلومات جديدة، عادت من حيث بدأت، وأصابتها خيبة الأمل. ترى هل لايزال في البلدة؟ لم تعرف جواباً. ما الخطوة القادمة التي سيفعلها؟ لم تعرف. هل لا يزال يلاحق جولي؟ فكرت في هذا الاحتمال لكنها لم تكن متأكدة بشكل مطلق. كان هنالك احتمال دائم مطروح هو أنه ببساطة سيغادر البلدة لأن الشرطة تلاحق كان سيتصرف بالطريقة ذاتها على تصرفها في الماضي.

المشكلة هي أنه بعد كل النوايا والأهداف، أصبح يمثل شخص ريتشارد فرانكلين. لم يكن هناك أي شيء شخصي في المنزل، باستثناء ملابسه، وكاميراته، وصُوَرِه الفوتوغرافية والصور لم تدل على أي شيء، باستثناء مصور محترف. من الممكن أنه التقط الصور من أي مكان، وفي أي وقت. ولأن ريتشارد طورها، لم يكن هنالك مختبر يمكنهم أن يتعقبوا آثار الصور من خلاله..

تجمدت أفكار جنيفر فجأة عندما أحست أن الجواب ضائع.

في أي مكان، وفي أي زمن؟

ماهر في التصوير؟

جهاز كاميرا باهظ الثمن؟

مختبره الخاص الذي يطور فيه الصور؟

فكرت جنيفر، تلك لم تكن مجرد هواية يمارسها. أوكي، لقد أدركت ذلك

مسبقاً. ماالجديد؟ حدقت إلى كدسة الصور الموضوعة على مقعدها. إنه عمل صار له يقوم به لفترة طويلة حتى لعدة سنوات، مما يعني..

ربما يستعمل الكاميرات قبل أن يكون معروفاً باسم ريتشارد فرانكلين.

نادت فجأة. بيتي، هل كاميراته في غرفة الأدلة، أم إنها لا تزال مع التحقيقات الجنائية

كاميرات فرانكلين؟ أجل وضعتاها البارحة..

قفزت جنيفر من كرسيها وحدقت نحو غرفة الأدلة.

إلى أين أنت ذاهبة؟

أعتقد أنني ربما أجد وسيلة للتعرف على هوية هذا الشاب.

بعد مرور لحظة، كأن بيني يكافح لكي يلحق بها وهي نشق طريقها عبر المحطة.

سأل بيتي: ماذا يجري؟

كانت جنيفر تشير إلى جهاز التصوير الموضوع على الطاولة بينما يراقبها الضابط المسؤول.

قالت: الكاميرات، والعدسات. هذا الجهاز باهظ الثمن، صحيح؟ وكما قلت من المحتمل أن تكون لصور قد التقطت في أي وقت. حتى بهذه الكاميرات، صحيح؟

هز بيتي كتفيه. أظن ذلك.

سألت: ألا نلاحظ ماذا يعني ذلك؟ أقصد، في حال كان يمتلك كل هذه الكاميرات طوال الوقت؟

لا، لم أفهم. ماذا تقصدين؟

في هذه الأثناء وضع الشرطي صندوق الكاميرات على الطاولة، فأمسكت به جنيفر. كانت شاردة الذهن للغاية بحيث لم تستطع أن تجيب على سؤال بيتي، رفعت الصندوق، وحملته إلى مقعدها.

بعد مرور دقيقة، كان بيتي يراقبها بقلق وهي تفحص مؤخرة الكاميرا.

سألته، هل لديك مفك صغير؟

لأجل ماذا؟

أريد فك هذه القصة.

لماذا؟

أبحث عن الرقم التسلسلي.

سأل ثانية: لماذا؟.

كانت جنيفر مشغولة جداً بالبحث في الدروج. قالت: اللعنة!.

قال بيتي وهو لا يزال غافلاً عن سبب حاجتها للأرقام التسلسلية: ربما تجدين أحدها في مركز الصيانة.

نظرت إليها بمرح: يا لك من عبقري!

أنا؟

بعد خمس عشرة دقيقة كانت بحوزتها قائمة الأرقام التسلسلية التي طلبتها. أعطت نصفها لـ بيتي وأخذت النصف الآخر إلى مقعدها، محاولة أن تحقق ما أملت به.

اتصلت بمراكز المعلومات وحصلت على أرقام مصنعي الكاميرا، ثم

اتصلت بالرقم الآن بعد أن أوضحت بأنها بحاجة للتأكد من اسم وعنوان المالك، سجل الشخص في الطرف الآخر الرقم.

إنه يخص ريتشارد P فرانكلين...

أغلقت جنيفر السماعة، وحاولت الاتصال بالرقم التالي. ثم التالي. في مكالمتها الهاتفية الرابعة قدموا لها اسماً مختلفاً.

الكاميرا تخص روبرت يوتهام في بوسطن في ماساشوستس. هل تريدين العنوان؟

كانت يدي جنيفر ترتعشان وهي تدوِّن المعلومات.

رفع مورسن الكاميرا للأعلى، وقال: كيف تأكدت أنها تخصه؟

الاسم مسجل على أربعة أماكن مختلفة من الجهاز ووفقاً لسجلاته، تبيّن أنها ليست مسروقة. إنني أراهن بكل رغبتي إنه الشاب الذي نبحث عنه.

ما المطلوب مني؟

في حال تورطنا بأية مشاكل مع قسم شرطة بوسطن، أفضل أن تكون على اطلاع بالأمر أومأ مورسين. فليكن ذلك.

لم تتورط جنيفر بمشاكل أبداً. فالتحقيق الأول ساعدها في تقديم معلوماتها المطلوبة.

قال: روبرت يونهام مطلوب للتحقيق في اختفاء زوجته، جيسيكا بونهام من أربع سنوات.

بعد أن أدرك ريتشارد أن بقاءه في مكان واحد يثير الشبهات حوله، حزم أمتعته، وبدأ ينتقل من مقعد إلى آخر.

تساءل ما الذي كانت تفعله في الداخل، لكنه من جديد لم يعر الأمر أهمية. لقد تعلم من فترة طويلة أن يحافظ على هدوئه، وبعد التحديق باتجاه النوافذ، رفع الصحيفة ثانية.

لقد قرأ كل مقال ثلاث أو أربع مرات، وقرأ مقالات أخرى أكثر من أربع مرات. عرف مكان وزمان عرض الأفلام، كما عرف أن مركز الجمعية كان يقدم اشتراكات حاسوبية مجانية للمتقدمين في السن، لكن الصحيفة حجبت وجهه عن أناس البلدة الغرباء.

لم ينتبه القلق في حين اكتشف أمره، بالرغم أنه عرف بأنهم يبحثون عنه، فلن يخطر في بال أحد أن يعيش في هذا المكان. حتى وإن فعلها أحدهم، فلن يمكن أن يتعرّف عليه بعد أن غيّر مظهره وتوارى خلف الجريدة.

صف سيارته في الزاوية، في كراج مخزن البقوليات، وبمقدوره أن يركبها بسهولة متى شاء إن لزم الأمر. أدرك الآن أنها مجرد مسألة وقت.

بعد مرور ساعة، حيث كانت الصفحات لا تزال تنبعث من جهاز الفاكس من بوسطن مسجلة معلومات عن اختفاء جيسيكا، كانت جنيفر جالسة في مقعدها، تستعد لإجراء مكالمة ضرورية، بعد أن اتصلت سمعت صوتاً أنثوياً من الناحية الأخرى.

مرحباً؟

هل هذا منزل إلين مارشال؟

أجل؟ من المتكلم؟

أنا الشرطية جنيفر رومانيلو. أتكلم من قسم شرطة سوانزمورو

سوانزورو؟

قالت جنيفر: إنها بلدة صغيرة شمال كارولينا. كنت أتساءل إن كان لديك وقت للتحدث معي.

لا أعرف أحداً شمال كارولينا.

أتصل لأتكلم معك بخصوص أختك جيسيكا.

ساد صمت لفترةٍ طويلة.

قالت الأخت بصوت خافت وكأنها تتوقع سماع خبر سيئ. هل عثرتم عليها؟

آسفة، لم نجدها. ولكن أريد منك معلومات عن روبرت بوتهام.

لدى لفظ اسمه، سمعت جنيفر صوت تنفس إلين مارشال الحاد.

لماذا؟

لأننا نبحث عنه الآن.

بسبب جيسيكا؟

احتارت جنيفر ماذا يقول فأجابتها أخيراً: لا.. إنه مطلوب بخصوص قضية أخرى ساد صمت طويل.

قتل شخصٌ، أليس كذلك؟ قالت إلين مارشال بشكل أتوماتيكي من سوانزبورو.

قالت جنيفر مترددة. هل لديك أية معلومات بشأنه؟

قالت بكلمات مبعثرة وكأنها تبذل قصارى جهدها لتحافظ على توازنها:

إنه مجنون. يخشاه الجميع بمن فيهم جيسيكا. إنه رجل عنيف وخطير... وذكي جداً. حاولت جيسيكا مرة أن تهرب منه. لقد اعتاد أن يضربها. ذهبت ذات ليلة إلى السوق لشراء بعض البقوليات ولم نرها منذ ذلك الحين. عرف الجميع أنه المسؤول عن اختفائها، لكنهم لم يجدوها أبداً بدأت إلين مارشال تبكي. أوه، يا إلهي.. الأمر في غاية القسوة...

لا يمكنك أن تتصوري كيف يشعر المرء عندما يختفي أحد أحبابه.... أقصد، أن لا تكوني متأكدة إن كانت حية أم ميتة... أعرف أنني فقدتها، ولكن لا يزال لدي بصيص أمل... فحاولت عمل شيء، ولكن ما حدث يبدو أنه حقيقي...

أصغت جنيفر إلى نشيجها في الناحية الأخرى ثم سألها بلطف بعد لحظة: كيف كان يبدو في بداية علاقتهما؟

وما أهمية هذا؟ لقد فعل كل ما يخطر في بالك إنه رجل شرير... أرجوك، ما نريده فقط إلقاء القبض عليه.

وهل تعتقدين أن هذا سيساعدك؟ لن يفيد لأي شيء. بحثنا عنه طوال عدة سنوات استأجرنا محققين خصوصيين، أطلعنا الشرطة على كل شيء.

قالت جنيفر: إنه هنا. وما نريد التأكد منه هو أنه لم يذهب بعيداً. والآن أرجوك هلا أعطيتني مواصفاته؟

تنهدت إلين مارشال، وحاولت نطق كلماتها بصعوبة.

أوه، مثلما تتوقعين أن يكون. إنها قصة قديمة، لم تستطع كتمان الحزن في نبرة صوتها. كان شاباً وسيماً وساحراً، وظل يلاحق جيسيكا حتى وقعت

في غرامه. بدا لطيفاً في بادئ الأمر، كلنا أحببناه. هربا معاً مدة ستة أشهر وبعد زواجهما تغيرت الأحوال. أصبح شخصاً مسيطراً وكان مستاء كلما اتصلت بنا بعد ذلك، كانت نادراً ما تغادر المنزل، ولكن في بعض المناسبات تدبرنا أمرنا لكي نزورها حيث شاهدنا آثار الكدمات عليها. حاولنا بالطبع، التأثير عليها، لكنها استغرقت وقتاً طويلاً قبل أن تصغي إلينا.

عندما قلت بأن جيسيكا هربت مرة...

قبل أخيراً أن عليها الهروب. مضى يومان وهو يتصرف وكان شيئاً لم يحدث. حاول أن يستفهم منا عن مكانها، ولكن الطبع لم يخبره أحد أي شيء عنها. عرفتا بعد ذلك أنها ذهبت إلى مدينة كنساس، المكان الذي تستطع فيه أن تبدأ حياتها من جديد، لكنه عثر عليها.

ليست لدي فكرة كيف عرف مكانها، غير أنّه وجدها، وأعادها إليه. بقيت معه مدة أسبوعين لا أستطيع أن أشرح ماهية علاقتهما، سوى أن أقول بأنه يملك زمام السيطرة عليها عندما يكونان وحدهما. أقصد أنها لم تستجب لنا كلما تحدثنا إليها - وكأنها أدركت أنه ليس بمقدورها أبداً الهروب منه - لكن عندما ذهبت مع أمي إلى منزلها أجبرناها أخيراً على الخروج من هباك.. استأنفت حياتها مع والدينا وكانت تحاول أن تستعيد ألقها. حتى بدا أنها تتحسن أكثر، وذات ليلة ذهبت إلى السوبر ماركت ولم نرها منذ ذلك الحين.

بعد أن أغلقت السماعة، جلست جنيفر إلى مقعدها، وهي تفكر بالمكالمة، والكلمات لا تزال ترن على مسامعها.

لقد طاردها إلى أن نال منها.

نهضت مابل من السرير واستحمت. بالرغم من إرهاقها الشديد، فقد منعها قلقها على مايك وجولي من النوم بشكل جيد. كان عليها التحدث إليهما شخصياً، لكي يدركا مدى خطورة وضعهما. اختطفت مفاتيح سيارتها وفتحت الباب وهي تتذكر ماقالته جولي في الصالون تماماً قبل أن تصعد هي ومايك في سيارة إيما.

ماذا لو لحق بنا؟

تجمدت مابل في مكانها. ماذا لو كان ريتشارد يخطط لكي يتعقب أثرها إلى الشاطئ؟ ماذا لو كان يراقبها الآن؟

كان الشارع واضحاً للعيان في كلا الاتجاهين، لكن مابل لم تكن واثقة من ذلك.

ولم نرغب أن ننتهز الفرصة. استدارت، وعادت إلى الداخل.

بعد فرز المعلومات المتعلقة بروبرت بونهام وإجراء بعض الاتصالات الإضافية.. بما فيها اتصال بـ إلين مارشال. لخصت جنيفر المعلومات بصفحتين. تحدثت مع بيتي بخصوص مايودُ عمله، ثم توجَّها معاً لزيارة مورتسن.

نظر إليها بينما كانت جنيفر تدير الصفحات نحوه، واستغرقت لحظة ريثما قرأها بعد أن انتهى من قراءتها أمعن النظر في جنيفر وقال: هل أنت واثقة في كل هذا؟ بالتأكيد. لا تزال لدينا بعض الاتصالات علينا إجراءها، لكننا تأكدنا من صحة كل المعلومات، استند موريسن في كرسيه إلى الخلف.

جلس بهدوء لفترة قصيرة، محاولاً أن يستوعب مدى خطورة الوضع.

ماذا تريدين أن تفعلي؟

نفت جنيفر حنجرتها. ريثما نجده، أعتقد أنه من الأفضل أن يبقى بيتي في منزل الشاطئ برفقة مايك وجولي. لا أظن أن لدينا خياراً آخر. إذا كان ما عرفناه صحيحاً، تعرفون ما الذي يمكنه فعله، وما هي الخطوة القادمة التي يستعد لها. حدق إليها مورسن بإمعان. هل تعتقدين أنهما سيوافقان على خطوة لهذه؟ قالت جنيفر: أجل. إنني واثقة من هذا. أقصد أنهما سيوافقان حالما يدركان الخطر المحدق بهما.

هل ستتصلان بهما؟

لا، أظن أنه من الأفضل التحدث مع جولي شخصياً؟

أومأ موريسن برأسه: إن توافق سأتولى الأمر.

بعد بضع دقائق، صعدت جنيفر مع بيتي إلى السيارة.

لم يلحظ أي منهما سيارة ترانز إم المسروقة عندما وقفت خلفهما عند الإشارة الضوئية.

الفصل التاسع والثلاثون

بدأت جنيفر: اسمه روبرت بونهام. ريتشارد فرانكلين الحقيقي، مفقودٌ منذ ثلاث سنوات.

قالت جولي: لم أفهم.

كانا في مطبخ منزل هنري الواقع على الشاطئ. حيث جلس كل من مايك وجولي إلى الطاولة، أما بيتي فقد لعب دور الشرطي الصامت، ومالَ إلى الطاولة.

أمسك مايك بيد جولي وضغط عليها.

أدركت جنيفر أن عليها البدء بالحديث منذ البداية، بما أن مايك

وجولي لم يعرفا أي شيء عن سير التحقيق. شرح القضية خطوة بخطوة سيجعل الأمر أكثر وضوحاً، ويقلل من أسئلتهما كما سيمكنها أيضاً إيضاح خطورة الموقف.

سأل مايك: كيف يحصل هذا؟

ريتشارد فرانكلين الحقيقي ليس متزوجاً، باستثناء والدته ـ التي توفيت في المشفى السنة الماضية ـ لا أحد يعمل إن كان رقم ضمانه الاجتماعي قيد الاستعمال. ولأنه اعتبر مفقوداً ـ ليس ميتاً ـ لم يكن هنالك أي أمر يثير أية مخاوف.

حدّق إليها مايك: تعتقدين أن روبرت بونهام قتله. كانت عبارته بمثابة تصريح أكثر منها سؤال.

صممت جنيفر بالاعتماد على كل المعلومات التي بحوزتنا؟ أجل، يبدو ذلك يا للمسيح!

حدقت جنيفر من النافذة، حيث أحست فجأة أنها مشلولة الحركة. هنالك على الشاطئ شاهدت زوجين متقدمين في السن وفقا قبالة المنزل.

انحنى الرجل والتقط سرطان البحر، ثم وضعه في دلو بلاستيكي قبل أن يتابع المسير سألت: إذاً من يكون روبرت بونهام؟ وكيف عرفت أن هذا هو اسمه الحقيقي؟ عرفنا اسمه من الأرقام التسلسلية الموجودة في الكاميرات. لقد سجلها منذ سنوات. إنها الرابط الوحيد الذي يشير إلى ماضيه، وحالما عرفنا اسمه ومكان تواالده، أصحنا قادرين على معرفة بقية المعلومات عنه بسهولة. أمعنت جنيفر النظر في ملاحظاتها. نشأ في بوسطن وأمضى

طفولته وحيداً. كان والده سكيراً لديه مصنع كيميائي. ووالدته مدبرة منزل. كان هناك أكثر من ادعاء بالإساءة في المنزل. حيث حققت الشرطة في ست حوادث خلال السنة. إلى أن قضى نحب الوالد. بعد أن شرحت جنيفر الظروف التي أدت إلى وفاة والده، طوت الملف. تحدثت مع أحد أفراد الشرطة بهذا الخصوص. إنه شرطي متقاعد الآن، لكنه يتذكر الأحداث جيداً. قال بأنه مامن شخص يعتقد بأن فيرمون بونهام قد انتحر، ولكنهم بسبب عدم قدرتهم في التوصل إلى أي دليل.

وبعد أن عرفوا بأن فيرنون لم يكن مثالاً يحتذى للزوج والأب. تخلوا عن متابعة التحقيق في القضية لكنه اشتبه أن الولد قد أغلق باب الكراج وأشغل المحرك ثانية بعد أن أغمى على ميرنون.

بينما كانت تصغي، أحست جولي بانقباض في معدتها. همست "الأم"؟

بعد أقل من عام ماتت بعد أن أخذت جرعة دواء زائدة. من جديد أعتبروها منتحرة سمحت جنيفر للشكوك أن تأخذ مجراها ثم تابعت الكلام.

أمضى بضع سنوات من الملاجئ. متنقلاً من منزل إلى آخر، ولم يكن يطيل البقاء في المكان لفترة طويلة سجلات طفولته مغلقة لذلك لم نستطع معرفة ما فعله خلال فترة مراهقته، ولكن في الجامعة، اشتبه أنه تورط في الاعتداء على شريكه السابق في السكن الجامعي. شريكه اتهمه بسرقة النقود، لكن روبرت أنكر ذلك. بعد بضعة أشهر، ضرب الشريك بعصا غولف بعد مغادرته منزل صديقته، وأمضى ثلاثة أسابيع في المشفى.

بالرغم أنه اتهم روبرت بانهام بالاعتداء عليه، لم يجدوا دليلاً كافياً يدينه. بعد عام، تخرج روبرت من كلية الهندسة.

سأل مايك: هل سمحوا له بالبقاء في المدرسة؟

لست واثقاً أن لديهم خياراً آخر، بما أنه لم يحاكم. صمتت. بعد ذلك، لم يكن هنالك أي سجل لعدة سنوات، إما أنه انتقل إلى ولاية أخرى، أو ابتعد عن لمشاكل، لم تعرف عنه أي شيء بعد. حصلنا على القليل من المعلومات منذ عام 1994 عندما تزوج بـ جيسيكا:

ماذا حدث لها؟ سأل مايك متردداً، وهو غير واثق من رغبته بمعرفة الجواب.

قالت جنيفر: جيسيكا مفقودة منذ عام 1998. كانت تعيش مع والديها، وآخر مرة شاهدها فيها أهلها عندما كانت في السوبر ماركت. ذكر شاهد أنه رأى سيارة روبرت بانهام في الكراج في تلك الليلة، ولكن ما من أحد عرف ما حدث لها. لقد اختفى عن الأنظار في الليلة نفسها التي اختفت بها جيسيكا.

سأل مايك: تقصد أنه قتلها.

قال جنيفر: هذا ما اعتقدته عائلتها والشرطة في بوسطن.

مكث كل من مايك وجولي في مقعديهما إلى الوراء، كانا شاحبين ومصدومين.

بدا الجو ثقيلاً وخانقاً.

تابعت جنيفر ببطء تكلمت مع آخت جيسيكا، وهذا أحد الأسباب التي

دفعتني إلى المجيء إلى هنا . أخبرتني أن جيسيكا حاولت الهروب مرة، هربت عبر البلدة، ولكن روبرت تعقّب أثرها بطريقة ما . في الواقع استعملت كلمة اقتناص.

حمنت، تاركة المجال كي تأخذ الكلمة مفعولها بالتأثير على المستعملين. لا أعرف إن كنتما مدركين للأمر، ولكن روبرت بانهام - ريتشارد - ترك عمله من شهر. من منزله وجدنا صوراً لك، مئات الصور التقطها لك. هذا يدلنا أنه صار له يراقبك منذ خرجت معه في أول لقاء كان أيضاً يدقق في ماضيك.

سألت جولي باضطراب. ماذا تقصدين؟

الأسبوع الذي قال فيه بأنه كان في جنازة والدته، ذهب إلى ديتونا . ذهب إلى هناك ليحصل على معلومات إضافية عنك. هناك محقق خصوصي دقّق في كل تاريخك - تحدثنا مع والدتك بهذا الخصوص. بدا واضحاً جداً أنّهُ يترصدك من فترة طويلة.

فكرت جولي، وقد أحست باختناق في حنجرتها، إنه شبه الاقتناص.

سألت أخيراً لماذا أنا؟ لماذا اختارني أنا؟ انسابت الكلمات بكآبة، مثل الكلمات التي ينطقها الولد وهو في غمرة دموعه.

قالت جنيفر: لست متأكدة من الأسباب. واسمحي لي أن أطلعك على شيء آخر ؟ ما الجديد الآن.

أخرجت جنيفر صورة من الملف ورمتها على الطاولة، الصورة التي وجدتها عند طرف السرير. نظر مايك وجولي إلى الصورة، ثم رفعا بصريهما ببطء عنها.

أمر غريب أليس كذلك؟ هذه جيسيكا. هنا - أريدك أن شاهدي هذه أيضاً بالرغم أنها شعرت، وكأن حشرات كانت تزحف فوق جلدها، حدقت جولي ثانية إلى الصورة، وهذه لمرة ركزت انتباهها على الشيء الذي أشارت إليه جنيفر.

تأكدت من عنق المرأة السلسلة التي قدمها ريتشارد... روبرت، أياً كان.. لـ جولي انتهت إلى نفسها وهي تهمس باسمها.

قالت: جيسيكا بونهام J.B .

من خلفها، سمعت جولي مايك يزفر بحدة.

تابعت جنيفر: أعرف أن الأمر صعب عليك، لكن هنالك سبب آخر نريد التحدث معك بشأنه. بسبب أندريا وشكوكنا حول ما حدث لـ جيسيكا - بالإضافة إلى ريتشارد فرانكلين الحقيقي - تفضل أن تبقى برفقتك الشرطي غاندي لعدة أيام.

سأل مايك: هنا في المنزل؟

إن كان هذا مناسباً.

كانت جولي شاردة الذهن عندما حدق مايك نحو بيتي وقال: أجل، أظن أنها فكرة جيدة.

اتجه بيتي نحو السيارة، وأحضر الحقيبة التي حزم أمتعته فيها حيث كانت جنيفر تتفحص المنازل على طول الشاطئ.

هل المكان هادئ للغاية هنا؟

أجاب بيتي: أظن ذلك.

تفحصت المنازل ثانية. بعض السيارات فقط كانت مصفوفة في الممرات، إنها من السيارات التي يقودها المراهق، نمط من السيارات التي كانت ترغب هي نفسها بقيادتها عندما كانت في المرحلة الثانوية. ست سيارات مصفوفة إلى جانب بعضها، ولكن هذا يدل على أن أقل من ربع المنازل كانت لا تزال مأهولة بسكانها. لم تشعر بالارتياح ولكن دون شك كان هذا أفضل من البقاء في البلدة.

سألت بيتي: وهل ستبقى مستيقظاً طوال الليل؟

قال وهو يغلق باب السيارة بقوة: أجل. سأنام بضع ساعات في خلال أوقات الصباح. سنوافينني بأي جديد، صحيح؟

حالما اكتشف أي جديد، سأتصل بك.

أومأ لها موافقاً. بعد فترة صمت قال: اسمعي، أمام أنه من واجبنا مراقبة المكان، لكن هل يظنن حقاً أنه لا يزال هنا؟ أم تعتقدين أنه هرب ثانية؟

بصدق؟ أجل، أعتقد أنه لايزال هنا.

تبعها بيتي وهو يراقب الشارع صعوداً ونزولاً. وكذلك أنا

في تلك الليلة لم تستطع جولي أن تنام.

في الخارج، استطاعت أن تسمع صوت هدير الأمواج على طول الشاطئ ضمن إيقاع ثابت. كان مايك إلى جانبها في السرير وكان قد فتح النافذة قليلاً، وحالما استغرق في النوم، نهضت جولي من السرير وأغلقتها، وتأكدت من قفل المزلاج.

من تحت الباب، استطاعت أن ترى ضوءاً يتوهج من ناحية المطبخ.

كان بيتي قد جاب نواحي المنزل ﰲ وقت مبكر، ولكن بدأ أنه قد هدأ خلال الساعتين الأخيرتين بالرغم من أعماله المبكرة، أحست جولي بالارتياح لوجوده. ليس لأنه قوي، بل الأهم من ذلك أنه حمل بندقية.

من وراء كثيب رملي، راقب ريتشارد الضوء الأصفر المتوهج ﰲ نافذة المنزل الشاطئي تضايق لأن الشرطي غاندي قرر البقاء معهما، ولكنه عرف بأن الشرطة عاجزة عن إيقافه مثلما عجز مايك وسنقر. لقد خلق هو وجولي لبعضهما، وسيتغلب ببساطة على كل العقبات التي تعترض سعادتهما اللا محدودة. كل شيء أمر كان مثيراً للانزعاج، وليس هنالك تحدٍ أكبر بعد أن غير مشكلة أو سرق سيارة. أو كان عليه البدء من جديد.

تساءل أين يذهبان بعد أن يغادرا شمال كارولينا. استطاع أن يتخيل جولي وهي تستمتع بوقتها ﰲ سان فرانسيسكو، وبنواديها التي تقع على جانب الطرقات وبأجوائها الهادئة. تخيلها أيضاً ﰲ مدينة نيويورك، حيث بوسعهما التمتع بمشاهدة المسرح. حتى أنه تخيلها ﰲ شيكاغو، بجوها المرح والصاخب.

فكر ﰲ نفسه، سيكون جواً رائعاً وساحراً.

ابتسم وقال ﰲ نفسه، نوماً هنيئاً. نامي واحلمي بمستقبل جديد، لأن ليلة الغد ستأتي.

الفصل الأربعون

ساد إحساس بالخمول في الليلة التالية. كانت نسمات الهواء تهب بثبات، وقللت الغيوم المتكاثفة في السماء من ظلمتها. كان المحيط هادئاً، حيث ارتفعت الأمواج بخفة. وانبعثت رائحة ماء البحر المالح.

تناولوا العشاء من وقت مبكر، وكان سنقر واقفاً بالقرب من الباب الخلفي، يهز ذيله بلطف عبرت جولي أرجاء الغرفة وفتحت له الباب، وهي تراقبه ينزل عن الدرجات ويتوارى عن الأنظار خلف الظلال بعد مرور لحظة.

لم تكن تحبذ السماح له بالخروج. بالرغم من وجود مايك وبيتي، شعرت بالأمان أكثر بقربها من سنغر. لكنه بحاجة إلى نزهة، والليل أفضل وقت له لكي يتجول. لم تسمح له بالخروج باكراً في الصباح حيث لن يكون هنالك أحد في الخارج، ولكن خلال النهار، كانت أعداد الناس تتزايد حتى أنه لن يستمتع بجولته.

خطر في بالها أيضاً أن يخرج قائلاً. بالطبع برفقة مايك وبيتي. عساها تتحسن أحوالها في جو منعش، لكنها غضت النظر عن الفكرة بلا شك كان سيعارض مايك وبيتي الفكرة، حتى في حال أصرّت عليها. لكنها بكل الأحوال فكرة لطيفة وإن كانت نظرية.

اتصلت بها كل من إيما ومايك، وبعد لحظات اتصل هنري لكي يتحدث مع مايك. لم تستغرق أي من المكالمات الهاتفية أكثر من بضع دقائق. بدا كل من اتصل ليس بحوزته أي أخبار باستثناء مابل التي اتصلت بعد أن تحدثت مع والدي أندريا. في وقت متأخر من ليلة أمس، استفاقت من الغيبوبة، وبالرغم من أنها كانت لا تزال مرهقة، لكن مؤشرات التحسن بدت واضحة عليها. كانت جنيفر تخطط التحدث معها في غضون يومين.

جنيفر رومانيلو اتصلت أيضاً مرتين لتواكب آخر المستجدات. تمكنت أخيراً من العثور على المحقق الخصوصي الذي سبر أغوار ماضي جولي، وبعد التذمر المعتاد الذي لم يستطع عن طريقه أن يبوح عن الشخص الذي استأجره، أذعن لحقيقة الأمر. قدم أيضاً فاتورة هاتفية تكشف عن مكالمتين تدلان على مكان إقامة ريتشارد.

لسوء الحظ، لم يعثروا حتى الآن على أي أثر لـ ريتشارد. أو روبرت.

استدارت جولي واتجهت عبر غرفة الجلوس إلى المطبخ، حيث كان مايك يضع الصحون في المجلى. وكان بيتي جالساً إلى الطاولة، يلعب لعبة السوليتير. كان قد مارس اللعبة مئة مرة عند الظهيرة، لكي يقتل وقت الفراغ ومعظم الوقت كان على الحياد، باستثناء عندما خرج ليراقب سير الأحداث الجو آمن، هذه العبارة أصبحت المفضلة لديه.

طوقت جولي مايك بذراعيها، فاستدار لدى إحساسه بلمستها.

قال: لقد انتهيت تقريباً. انتظري لحظة فقط حتى أغسل الصحون. أين سنغر؟

اختطفت جولي منشفة، وبدأت تجفف الصحون سمحت له بالخروج.

ثانية؟

إنه ليس معتاداً على الحبس هكذا.

أمازلت تفكرين بما قالته جنيفر لنا؟

أفكر بما قالته، وبكل شيء. أفكر بأفعاله الماضية. أفكر بما فعله مع أندريا. وما يفعله الآن. لماذا اختارني أنا. كلما سمعت عن أخبار المترصدين، بدا لي أن هنالك شيء منطقي له علاقة بما يحدث معي. أصبحت مثل نجوم الأفلام الملاحقين. أو مثل الأزواج أو الأصدقاء المطاردين، لم نخرج معاً سوى عدة مرات، لم نكد نتعرف على بعضنا. حتى أنني أرجع بذاكرتي إلى الوارء، وأفكر إن كنت قد اقترفت خطأ ما.

قال مايك: إنه مجرد رجل مجنون. لا أعرف إن سبق لنا أن استوعبنا

حالة كهذه من موقفه المترصد قرب الكثيب الرملي، راقب ريتشارد جولي وجنى تفتح الباب وتسمح لـ سنغر بالخروج. بدت مثل ملاك يظهر من بين الضوء المتوهج خلفها. أحسَّ ريتشارد أن مشاعره تهيجت لدى تفكيره بالخطوة القادمة.

البارحة، بعد أن عثر على مكانهما، صف سيارته في ممر المنزل. بالرغم أن الكثير من المنازل على طول الشاطئ كانت شاغرة في هذا الوقت من السنة، لكن هذا الخواء بدا مؤقتاً. نظرة سريعة أظهرت أن المنزل مراقب وليس الكراج، فشق طريقه بعد أن أدار القفل البسيط بواسطة "مفك براغي" وجده في حجرة سيارة ترانز أم. أزال الجديد المنكسر من السيارة.

استلقى على وسادة مغبرَّة وجدها على الرفوف، ومن منطقة الخزان عثر على مبرد صغير. بالرغم أنه بدا مقتنعاً، لكنه يلبي غرضه، حث أمضى ساعة في فترة الظهيرة تلك، وهو يشتري حاجياته.

والآن، كل ما كان عليه فعله أن ينتظر سنغر ريثما يتجول على طول الشاطئ. عرف بأن جولي ستسمح له بالخروج، كما فعلت ليلة أمس، وربما الليلة التي سبقتها .

إن الناس في ظل الضغط النفسي يقعون دائماً ضحية للعادات والأعمال الروتينية، وكأنهم يأملون أن يحافظوا على المظهر الخارجي لترتيب العالم.

على مسافة بعيدة، لم يعد قادراً على رؤية سنغر.

بالقرب منه وضع أربع شطائر همبرغر كان قد اشتراها من جزيرة ديلي، وهي مكان وجده بالقرب من مخزن البضائع الذي زاره في تلك الظهيرة.

كانت لا تزال ملفوفة، إلى أن فتحها، وقطعها إلى أجزاء صغيرة.

بعد أن أخذ سندويشات الهمبرغر معه، بدأ يتسلل عبر العشب نحو الدرجات الخلفية للمنزل.

قال بيتي: أكره هذه اللعبة اللعينة. من المستحيل للمرء أن يفوز بها .

بعد أن وضعت جولي الصحون في الخزانة، حدقت باتجاه الطاولة. ضع السابعة الحمراء اللون فوق الثامنة السوداء.

ومضت عينا بيتي، وهو لا يزال يبحث عنها . أين؟

العمود الأخير.

أوه أجل: إنها هناك.

تاه في اللعبة ثانية، وظل بيتي مركزاً انتباهه باتجاه الأسفل.

غسل مايك الصحن الأخير ونزع مأخذ الكهرباء وأغلق النافذة.

كان ضوء المطبخ ينعكس على الزجاج، لذلك كل ما استطاع أن يراه كان انعكاس خيال في الخارج، فتح ريتشارد الرقاقة وبعثر لحم العجل على الدرجات المؤدية إلى الكثيب الرملي ومنها إلى المنزل. عرف بأن سنغر سيصل إلى هنالك قبل جولي ومايك، لذلك لم يشعر بالقلق من أن يطأا شرائح اللحم.

لم يكن متأكداً من وزن سنغر، لذلك مزجها بالبودرة بشكل تقديري، بحيث تبقى رائحة اللحم منبعثة منها. لم يشأ أن يشمها سنغر عدة مرات، لكي لا يعاف أكلها فيتركها .

لا، ذلك لن يفيد على الإطلاق. لقد عضه سنغر مرة، ولم يرغب أن

يجرب تلك الأسنان ثانية. في المرة الأولى منعت جولي سنغر من الاقتراب منه، لكنها بلا شك لن تمنعه هذه المرة. بالإضافة إلى ذلك أحس بالقلق من ذلك الكلب كل ما عرفه هو أنه طالما كان الكلب في الخارج ستبقى جولي مضطربة وحذرة.

تسلل نحو مخبئة ثانية، واستقر فيه منتظراً.

كان مايك وجولي جالسين على الأريكة في غرفة الجلوس، يراقبان بيتي غاندي وهو يخسر لعبة تلو الأخرى.

سألت جولي: هل سبق لي أن أخبرتك عن الرسالة التي وصلتني من جيم؟ الرسالة التي وصلت ليلة عيد الميلاد بعد أن مات جيم؟

نطقت كلماتها وكأنها أحدثت اضطراباً. جيم ظل فوق وجهها، واستطاع مايك أن ينتبه إلى أنها لم تكن واثقة مما تريد البوح به.

ذكرت لي أمر الرسالة، لكنني لا أعرف مضمونها.

أومأت له قبل أن يستند عليه، شاعرة أن ذراعه تلف حول كتفها.

قال مايك: لست مضطرة أن تخبريني بالأمر إن كان هذا يضايقك.

أعتقد أن عليك أن تعرف. بكل الأحوال، الأمر يتعلق بي وبك.

ظل مايك صامتاً، منتظراً أن تتابع حديثها. حدقت لحظة صوب المطبخ، ثم نظرت إليه كان صوتها ناعماً: كانت الرسالة تتعلق بشكل رئيسي بسنغر. لم يرغب أن أبقى وحيدة، ربما أنه ليس لدى عائلة، أعتقد بأن الكلب سيساعدني في حياتي. كان محقاً بذلك، وفي نهاية الرسالة، قال بأنه تمنى لي السعادة ثانية. طلب مني البحث عن شخص ما يمنحني السعادة.

صمتت، وحامت ابتسامة حزينة فوق وجهها.

لهذا السبب ظننت أن الرسالة تتعلق بنا نحن الاثنين. أعرف أنك تحبني، وأنا أحبك أيضاً، لأنك منحتني السعادة يا مايك. بالرغم من كل المخاوف التي تواجهني لا تزال تشعر بالسعادة معي. أريد فقط أن تعلم هذه الحقيقة.

بدت كلماتها غريبة، لم يعرف مايك لماذا أحسَّ برغبة ملحّة لكي تتكلم الآن بدت، وكأنها كانت تحاول أن تحد طريقة لطيفة لكي تودعه. شدها مايك نحوه قال: أنت أيضاً منحتني السعادة يا جولي. وأنت على حق، إنني أحبك، وضعت جولي يدها على ساقه: لا أصارحك بما يعتمل في داخلي لأنني أريد أن تنهي الأحداث بهذا الشكل. لا على الإطلاق. أقول هذا لأنني لا أعرف كيف كنت سأتصرف دونك في آخر الأسابيع الأخيرة القليلة. ولأنني أشعر بالأسف لأنني أقحمتك بكل هذه المشاكل.

ليس هنالك ما يدعو لكي تشعري بالأسف...

بالتأكيد هناك داع للأسف طالما كنت الشخص الذي يساندني، أظن أن جيم حاول أن يفهمني مضمون رسالته. لكني بقيت لفترة طويلة جاهلة لما يدور حولي لو أصغيت إليه جيداً، لما قابلت ريتشارد أبداً. وأريدك أن تعلم أنني أشعر بالامتنان لك ليس لأنك وقفت إلى جانبي فحسب بل لأنك هنا الآن لأجلي.

تمتم مايك: ليس هنالك خيار.

غاص ريتشارد في العشب، وهو يراقب وقع الخطوات. مضت عدة

دقائق قبل أن يلاحظ حركة في الطلال بالقرب من الكثبان الرملية.

تحرك سنغر تحت ضوء القمر، وحرَّك رأسه من جانب لآخر. ألوان فروه العاتمة وحجمه جعلته يبدو مثل شبح تقريباً.

راقبه ريتشارد وهو يستدير ثانية، ويهرول نحو الدرجات.

وصل تقريباً.

أبطأ سنغر من هرولته، ومشى ثم توقف. رفع أنفه للأعلى قليلاً وكأنه متفحص الدرجات، لكنه لم يتحرك نحوها.

قال ريتشارد في نفسه، هيا تقدم، ماذا تنتظر؟ لكن سنغر مازال جاثماً في مكانه أحس يتشارد بالتوتر. وقال، هيا تناولها.

لم يشعر أنه كان يحبس أنفاسه على طول الشاطئ، استطاع أن يسمع صوت هدير الأمواج تمتد وتنحسر. تمايلت الأعشاب مع اتجاه الريح. في الأعلى اندفع نجم سريع مخلفاً وميضاً آنياً، أبيض اللون.

أخيراً، تقدم سنغر نحو الأمام.

كانت خطوة مترددة، وبالرغم من ذلك تقدَّم، وبدأ يمد رأسه، وكأنه شم الرائحة أخيراً، تقدم خطوة أخرى، ثم ثالثة، حتى كان يحوم فوق الهمبرغر.

أخفض رأسه، واستنشق الرائحة، ثم رفع رأسه ثانية، وكان يتساءل ماذا عليه أن يفعل؟ هدر من بعيد صوت سفينة صيد ضعيف، وتبعثر عبر الريح.

في تلك الأثناء، أخفض سنغر رأسه، وبدأ بالأكل.

في سوانزبورو، أمضت الشرطية جنيفر رومانيلو الليل وهي تفكر

بالحصول على معلومات تتعلق المحتال روبرت بونهام.

في وقت مبكر، استدعاها الكابتن إلى مكتبه، لم تكن متأكدة من توقعاتها، ولكن لدهشتها. وبعد أن أغلقت الباب، أثنى على كل عملها.

لا نستطيع أن نتبع غرائزنا، لكننا بحاجة إليها في هذا الوسط. ربما كان بيتي غاندي مخطئاً بشأن المافيا القادمة إلى البلدة، لكنه لم يخطئ عندما اعتقد بأن سوانزورو تتغير وتواكب أحداث العالم. أعرف أن علينا جميعاً أن نصدّق هذا الذي يحدث في البلدة، غير أن أموراً سيئة تحدث في أماكن مثل هذه أيضاً، أدركت جنيفر كفاية أن عليها الالتزام بالصمت طالما أن الكابتن ينظر إليها. عرفت منذ البداية أن هذا الشاب كان سيئاً، وبذلت جهداً مضنياً للحصول على معلومات تخصه، ولا سيما في استنتاج من يكون. كان كل ذلك بفضلك.

قالت: أشكرك.

بعد ذلك، ولكي لا تظن بأنه صار لطيفاً فجأة، صرفها خارجاً، بدا على وجهه أن صبره نَفَد، وكأنه كان يتساءل لما لا تزال جالسة في المكتب، فتحرك باتجاه الباب وزمجر قائلاً: والآن عودي إلى عملك. لا أزال أريد معرفة بعض المعلومات عنه. ربما هذا سيساعدنا في الإمساك به.

أجل سيدي، كررت كلامها، وعندما غادرت المكتب وعيون أفراد الشرطة الأخرى ترصدها، كان عليها أن ترسم ابتسامة وتتغاضى عن كل شيء.

الآن، بينما كانت تتابع تنفيذ أوامر الكابتن ـ كانت لا تزال منكبة تقرأ الوثائق من بوسطن، وتتصل بالأشخاص الذين يعرفون روبرت بونهام ـ

سمعت بوريس وهو يضج حيوية بينما كان يتكلم على الهاتف، فحدقت إليه كان يومئ بشكل غريب، ويدوّن المعلومات. ثم أغلق السماعة أخيراً. انتصب واثقاً، وانتزع قطعة ورقية وشقّ طريقه نحوها.

قال: تلقينا للتو مكالمة هاتفية. كانت سيارته مصفوفة في الكراج عند مشفى أونسلو جاكسونفيل.

ألا يزال هناك؟

ربما لا. تؤكد الحراسة أن السيارة هناك منذ يومين. يذهب إلى هناك كل مساء، يدون لوحات الترخيص، التي بحوزته منذ ذهبت أنت وغاندي للتحدث معه في منزله. لكن بسبب انشغاله في العمل، لم يلحظ المعلومات المدونة في الصحف حتى البارحة، ولم يتفرغ لذاته حتى الآن.

ذلك يوضح سبب عدم عثورهم على السيارة.

ألم يشاهده أحد؟

لا ندري. أظهرت شرطة جاكسونفيل صورة روبرت بونهام للحارس، لكنه لم يتعرف عليه. إنني متوجه إلى هناك الآن، للاستفسار عن الأمر. وربما شاهده شخص هل ترغبين بالذهاب؟

فكرت جنيفر بالأمر. لم تكن تدري ما تفعل، لكنها غير واثقة مما ستؤول إليه الأمور. بالتأكيد ربما وجدوا شخصاً قد رآه، وهو يغادر السيارة، ماذا بعد ذلك؟

ما يهم الآن هو أن يعرفوا أنني هو.

قالت. لا. أعتقد أنني سأواصل البحث في الملفات. ربما توجد ثغرة ما لم أنتبه.

بالرغم أن الستائر غطت النوافذ كلها، كانت غرفة الطعام مفتوحة، وكان ريتشارد يراقب الخيالات. لم يستطع سماع أي صوت باستثناء صوت الأمواج. حيث خيم الصمت على المكان.

ستتوجه جولي في الحال نحو الباب الخلفي، إنها عادة لا تسمح لـ سنغر بالبقاء خارجاً أكثر من عشرين دقيقة أو ما يقاربها، وقد رغب بأن يرى وجهها عندما تناديه.. وهو ينظر إلى المنزل، سمح لنفسه بأن يتمنى أن تسامحه لما اقترفت يداه.

سيساندها، لكن في وقت لاحق. بعد أن تنتهي كل هذه المعمعات. عندما يمكثان وحدهما، وهذا من المفترض أن يحدث.

صعد سنغر إلى الدرجات، واتجه نحو الشرفة الخلفية، ثم نزل إلى الشاطئ ثانية، وأخذت خطواته مساراً دائرياً، حيث تدلى لسانه، وبدأ يهرول، وكأنه يحاول التخلص من الألم الذي في بطنه.. لقد بدأ يلهث من التعب.

انشغلت جنيفر بدراسة معلومات عن جيسيكا بونهام، متسائلة كيف استطاع إيجادها هل تعقب أثرها باستعمال بطاقات الائتمان؟ بلا شك. بدا ذلك غير ممكن ما لم يكن على معرفة بشخص ما استعمل هدفه بقوة القانون. كيف إذاً؟

تساءلت إن كان شخص قد اتصل بـ جيسيكا من عائلتها، وأنه تعقب أثرها من خلال الرقم الذي يدل على مكان إقامتها. كان ذلك ممكناً ـ ببساطة يرمي معظم الأشخاص فواتيرهم بعد تسديدها ـ وكل ما كان علي

عمله هو الاتصال بكل رقم مدون في السجل. لكن هذا يستدعي فرز الأرقام في الحاوية ـ أو اختراق منزلهم عندما لا يتواجد من فيه. فكرت جنيفر، لقد فعل الأمر ذاته مع جولي.

تساءلت إن كانت المكالمة بعيدة المدى من سوانزورو إلى نوبسيل. إن كان الأمر كذلك فعليها أن تحذر هنري وإيما ومابل بأن لا يتصلوا بـ مايك وجولي ـ وإن كانوا اتصلوا، فعليهم إحراق السجلات حالما يسددون الفواتير.

ذهبت بفكرها ثانية إلى السيارة.

لم يكن من المدهش أن يتخلى عنها بالطبع، ولكنه سيجد طريقه ما للعودة إليها. كيف إذاً؟ بالتاكسي؟ فكرت بها، غير أنّها صرفت النظر عن الفكرة. إنه ذكي بما فيه الكفاية ولن يرتكب خطأ كهذا وماضيه يشهد بذلك.

بينما كانت تنقر دليل الهواتف بإصبعها، شاهدت الكابتن موريسن يتجه نحو المكتب. كابتن؟

نظر إليها بدهشة. أعتقد أنك ستنطلقين إلى المشفى لضبط السيارة.

فكرت بذلك، ولكن.

ولكن ماذا؟

سألت جنيفر: أين تقع المشفى بالضبط؟ في مركز المدينة؟ أم في الضواحي؟

إلى اليمين في وسط البلدة. لماذا؟

وماذا يوجد حولها؟ أقصد، هل سبق لك أن ذهبت إلى تلك المنطقة؟

بالتأكيد، عدة مرات. توجد مجموعة عيادات للأطباء، ومحطات غاز ومركز تسوق كما قلت لك، إنها ـ في مركز البلدة.

أين يقع مركز التسوق؟

إلى يمين الشارع صمت، ما الأمر؟

كنت أتساءل كيف وصل إلى هناك. هل تعتقد أنه سرق السيارة؟

رفع الكابتن حاجبيه. سأحقق ـ في الأمر اسمحي لي أن أجري مكالمة.

أومأت جنيفر، وهي تفكر بالسيناريو. أمسكت بمفاتيح سيارة المهمات.

سأل موريسن: أين تذهبين؟

أظن أنني سأتوجه إلى المشفى لأعرف إن وجدوا شيئاً يفيدنا.

إذا وصلتك أية معلومات عن السيارة المسروقة، أطلعني عليها ـ في الحال، أوكي؟

كما تريدين.

تحركت جولي نحو النافذة وألصقت وجهها بالزجاج، وهي تتفحص الشاطئ.

سألت: هل سمعت صوت نباح سنغر؟

اقترب مايك منها. لا، ليس بعد. أعتقد أنه لم يرجع بعد.

منذ متى هو ـ في الخارج؟!.

ليس كثيراً. واثق أنه سيرجع ـ في أية لحظة.

أومأت جولي. على مسافة بعيدة استطاعت أن ترى أنواراً خافتة لسفينة صيد تقترب من الساحل بالرغم أن الشاطئ كان مظلماً، أعتقدت أن بمقدورها رؤية سنغر.

هل ترغبين أن أبحث عنه؟

لا. إنني بحاجة إلى استنشاق هواء نظيف.

راقبها بيتي وهي متجهة نحو الباب.

اتكأ ريتشارد إلى الأمام عندما شاهدها تطل على النافذة بوجهها المشرق. تولدت لديه قناعة أكيدة أنه لم يسبق له أن أحب شخصاً مثلما أحبها.

بعد ذلك ظهر مايك وتلاشت الصورة من النافذة. هز رأسه. لم يأسف على ما سيحدث لمايك.

انتظر ريتشارد وهو على علم بما ستقدم عليه جولي. خلال لحظة، سيسمع صوتها، يردد صداه عبر الجو العابق برائحة ماء البحر المالح. لو حالفه الحظ، ربما ستغامر، وتنزل إلى الشاطئ، لكنه لم يعتمد على هذا الحظ. لا، ستنادي سنغر، لكنه لن يستجيب لندائها.

سيبقى سنغر في مكانه.

نادته جولي لثلاث دقائق، وتحركت نحو الشرفة، قبل أن يلحقها مايك.

سألها: لم يرجع بعد؟

هزت جولي رأسها. لا. حتى أنني لا أراه من هنا.

نقل مايك ناظريه من جانب إلى آخر، في كلا الاتجاهين. هل تريدين مني أن أبحث عنه؟

ربما لا يستطيع سماعك بسبب هدير الأمواج.

ابتسمت جولي. أشكرك.

نزل مايك نحو الدرج. سأعود في دقائق.

بعد مرور دقيقة، سمعت صوت مايك أيضاً وهو ينادي باسم سنغر.

الفصل الواحد والأربعون

كانت جنيفر رومانيلو تحدق بعينين شبه مغمضتين إلى الأنوار الأمامية للسيارة. بعد أن سرق منها النوم في غضون اليومين الأخيرين، أحست بألم في عينيها. كانت تتساءل إن كان عليها احتساء فنجان قهوة لكي يعينها على البقاء مستيقظة عندما سمعت صوت الراديو.

ميزت صوت الكابتن، فأمسكت بالمايك.

قال موريسن: على ما يبدو أن هناك مستجدات. علمت لتوي من قسم شرطة جاكسونفيل أن لديهم تقريراً عن سيارة مسروقة من كراج المولد في

اليوم نفسه الذي اختفى فيه ريتشارد. إنها مسجلة باسم شين كلينتون وهو يقطن في جاكسونفيل.

هل لديك العنوان؟

أجل. 412 زقاق ميلودي.

ما نوع السيارة؟

A 1984 بونتياك ترانز إم. خضراء اللون. ذكر رقم الترخيص. لقد سبق أن حصلنا على APB من خلالها.

سجلت جنيفر ملاحظة ذهنية. ألم تتحدث معه بعد؟

لا، لكنه يسكن من الناحية اليمنى بالقرب من المشفى. هل تريدين رقم هاتفه

بالتأكيد

ذكر لها موريسن رقم الهاتف، وحفظته جنيفر بدورها، ثم قررت ما عليها فعله.

غاصت قدما مايك في الرمل وهو ينزل إلى الشاطئ. حدق من فوق كتفه، حيث استطاع أن يرى جولي تطل على الشرفة، بدا حجمها يزداد صغراً كلما اتخذ خطوة. نادى ثانية سنغر!.

كانت عيناه تتأقلمان تدريجياً مع ظلمة الليل، تفحّص الكثبان الرملية بحثاً عن الكلب. عرف بأن سنغر يتجول أحياناً فوق الكثبان الرملية ليستكشف ما بين المنازل، ولكن من الغرابة أنه لم يعد بعد.

كان يستعد من جديد لينادي سنغر عندما لاحظ خيالاً إلى يساره،

بالقرب من مجموعة درجات. تجول مغترباً، ثم تعرّف على الهيئة الملقاة في الرمل.

استدار حوله، وصرخ باتجاه جولي.

لقد وجدته!

تقدم خطوتين إلى الأمام. ماذا تفعل هنا؟ هيا. دعنا نعدّ إلى الداخل.

حرك سنغر ذيله قليلاً، وسمع مايك صوت أنين منخفض. كان الكلب يلهث بصعوبة، ولسانه متدلٍ إلى الخارج. وصدره يرتفع، وينزل بسرعة.

تبدو كأنك أرهقت نفسك في الخارج...، قال مايك، لكنه صمت عندما سمع سنغر يأن ثانية.

سأل: هل أنت بخير؟

لم يبرح سنغر مكانه.

سأله من جديد: سنغر؟

نزل مايك ووضع يده على صدر سنغر، استطاع سماع دقات قلبه السريعة بدت نظراته مضطربة وغير مركزة. لم يستجب سنغر للمسته، حيث لاحظ مايك أن أحد ساقي سنغر الخلفيتين ترتعش.

انضم بيتي غاندي إلى جولي ووقف على الشرفة.

سأل: ماذا يجري؟

حدقت إليه جولي: إنني انتظر عودة مايك وسنغر.

أومأ لها بيتي ووفقا بصمت، وكانا يحدقان نحو الشاطئ. كانت جولي تتساءل على مكانهما عندما سمعت مايك يناديها. استطاعت أن تشعر أن

صوته يشوبه شيء من الذعر حتى وإن كان من مسافة بعيدة. بعد لحظة، ظهر على الرمال في الأسفل.

صرخ مايك: إنه سنغر! حدث له خطب ما! هيا!

استغرقت لحظة حتى وصلت الكلمات إلى مسامعها. فومضت عيناها.

صرخت. ماذا تقصد؟ ماذا أصابه؟

نادى مايك. لا أعرف! اسرعي!

أحست جولي فجأة بانقباض في صدرها، وهمت بالخروج.

قال بيتي: انتظري. حاول الإمساك بيدها لكي يمنعها، لكن جولي تجاهلته.

راقبها وهي تنزل الدرجات، وتساءل إن كان عليه اللحاق بها أم لا.

تمتم. اللعنة، ثم توجه نحو الشاطئ

كان ريتشارد يراقب الثلاثة على الشاطئ. عندما ابتعدوا، أحس أن نسبة الأدرينالين قد ارتفعت عنده. لقد حان الوقت.

بعد أن تواروا عن الأنظار، تسلل فوق الكتيب الرملي. بقي منخفضاً، ثم اتجه نحو المنزل وبيده عصا حديدية.

بعد لحظة، شاهد مايك حيث كان متوجهاً - ورأى سنغر مستلقياً في الرمال.

بدأت جولي ترتعش وهي متوجهة نحو سنغر. في الوقت الذي وصل فيه بيتي، كان جولي ومايك يترنحان فوق الكلب.

قال بيتي لاهثاً: ما الذي يحدث هنا؟

فردّت جولي بصوت منخفض وهي تمسك الفراء فوق ظهره: سنغر؟ ماذا أصابك يا صغيري؟

لكن ما من جواب. نظرت جولي إلى مايك، وقد ارتسمت تعابير طفولية على وجهها، كانت عيناها تتوسلان إليه لكي يطمئنها على سنغر، وإن لا تشعر بالخوف عليه.

سأل بيتي: لماذا لا يتحرك؟

سألت: مايك؟

فتمتم: لا أعرف. رأيته على هذه الحال..

بما كان متعباً. قال بيتي، لكن نظرة مايك قاطعته.

صرخت جولي: ماذا يجري له ساعده!

رفع مايك رأس سنغر بلطف فوق الرمال. هيا يا صغيري انهض...

كان عنق سنغر قاسي الملمس، ولهاثه يتزايد وكأن الحركة سببت له الأذى عندما تشنج، أخفض مايك له رأسه. نقل بيتي ناظريه بين مايك وسنغر وجولي، متسائلاً عن الخطوة القادمة، وقد أحس مثل الآخرين بالاضطراب.

صرخت جولي: علينا أن نفعل شيئاً!

نحيبها المتألم أجبر مايك أخيراً أن يبادر بالحل. بيتي - ارجع إلى المنزل واتصل بالطبيب البيطري.

ليس من المفترض علي أن أترككم وحدكم -

صرخ مايك: اذهب فحسب! واستعجل!

لكن -

هيا اذهب.

قال: أوكي، أوكي،.. وبعد لحظة كان يشق طريقه وسط الظلام، تاركاً مايك وجولي برفقة سنغر.

حتى بعد أن ابتعد، استطاع بيتي سماع صوت نحيب جولي خلفه.

كانت جنيفر قد دخلت لتوها حدود مدينة جاكسونفيل عندما أدركت أن شيئاً ما يؤرقها.

بدأ إحساسها ذلك بعد عدة دقائق من إعطاء موريسن المعلومات لها على الراديو، لكنها لم تستطع أن تحدد بدقة مصدر قلقها.

فكرت في نفسها، إنها تفتقد إلى شيء ما ولكن ما هو؟

لم يكن هنالك شيء مرئي سوى الأنوار الخلفية للسيارة، حيث بدا الطريق وكأنه يشطر العالم إلى نصفين. أصدر المحرك صوتاً عندما أوقفت بقدمها المسرع. مرت العاكسات على الطريق الرئيسي تحت الإطارات الأمامية للعجلات بحركة سريعة لم يكن قلقها بسبب السيارة المسروقة... أم بسببها؟ وإن كان كذلك.. لم تستطع أن تحدد السبب، لكنها عرفت أن القلق إحساس ما في وعيها. إحساسي ما جلي، إحساس ما خارج عن السيطرة.

فكرت، أوكي، فلتراجع حساباتها ثانية. لقد هجر ريتشارد وسيارته. السيارة سرقت في الوقت الذي وصل فيه ريتشارد إلى جاكسونفيل. وضعت بالحسبان هاتين الفكرتين معاً، واشتبه عليها الأمر - لا، أدركت أن ريتشارد

سرقها ماذا قال الكابتن؟ صناعة وموديل السيارة، الشخص الذي يملكها، عنوان سكن الشاب. فكرت بالأمر. مررت أن آخر فكرة لاتعني شيئاً ولكن ماذا عن صناعة وموديل السيارة؟

خضراء اللون مونتياك ترانز أم.

إن من طراز السيارات التي كانت تتمنى قيادتها في المدرسة الثانوية...

تجهمت، متسائلة لماذا بدت الفكرة مألوفة للغاية.

هنالك من الشرفة، سمع ريتشارد صراخ جولي على كلبها. وقف للحظة لكي يصغي إلى نحيبها، وقد أحس بشيء من التعاطف معها. بالطبع أدرك أن الأمر مؤلم بالنسبة لها، لكنه في الواقع بعد أن سمعها - وسمع صوتها المليء بالخوف والانكسار تأثر أكثر مما كان يتوقع.

لم يكن يرغب أن شعر جولي بالقلق، وكم تمنى لو أن هنالك طريقة ما تصلح ما أفسده. لكن لا جدوى. كان عليه فعل ما فعله. لو كان سنغر كلباً لطيفاً ومهذباً لما سبب له الأذى. لكن سنغر طالما كان مزاجياً مثيراً للاضطراب كما كانت هي.

تعالى صراخ جولي بشكل جنوني، وبدا الصوت مخيفاً. حوزن عليها ورغب بالاعتذار منها، لكنه سيؤجل الاعتذار إلى وقت آخر، بعد أن تستفيق من الصدمة الأليمة وتدرك أن ما فعله كان لأجلهما.

ربما سيشتري لها كلباً آخر، بعد أن تنتهي كل هذه المعمعة. بالرغم أنه لا يريد شراء كلب أبداً، لكنه سيفعل هذا لأجل خاطرها. بمقدورهما اختيار كلب سوية، وعندئذ ستنسى كل شيء يتعلّق بـ سنغر. ربما يذهبان في رحلة

خاصة إلى الحظيرة وينتقيان كلباً يتصرف مثل سنغر. أو من الممكن أنهما سيبحثان في الجريدة ويعثران على شخص ما يبيع الجراء يختاران واحداً يفضلانه معاً.

فكر ريتشارد، أجل، هذا ما ينبغي عمله. شراء كلب آخر. كلب أفضل. ذلك ما سيفعله بعد انتهاء كل الأحداث. سترضى عن عمله، وستشعر بالسعادة، التي يتمنى أن يمنحها إياها.

إنه يشعر الآن بالسيطرة على مشاعره أكثر، حيث بدا صوت صراخه أكثر بعداً عن مسامعه.

على الشاطئ لاحظ حركة مفاجئة. تراجع ريتشارد إلى الزاوية، حيث يتوارى خلف الظلال اندفع بيتي غاندي إلى أعلى الدرجات، عبر الشرفة، ودخل المطبخ من خلال الباب الخلفي. فتح الدرج الموضوع تحت الهاتف بصعوبة حتى أنه انكسر، فانتزع دليل الهاتف.

هيا، هيا، قال وهو يقلب الصفحات، بحثاً عن أقرب رقم لطبيب بيطري.

وجد الفئة المطلوبة وبدأ بتمرير إصبعه أسفل الصفحة، بحثاً عن شخص ما قادر على الاتصال بالطوارئ.

أقرب مشفى للحيوانات كانت في جاكسونفيل، على مسافة تستغرق نصف ساعة، وبشكل أكيد ومفاجئ عرف بأن الكلب لن يعيش طويلاً ويتحمل كل هذه المسافة فكر بيتي، ماذا علي أن أفعل؟ ماذا سأفعل الآن؟

أجبر نفسه على ترتيب أفكاره المرتبكة.

كانت أسماء الأطباء البياطرة مدونة، فقرر الاتصال بأحدهم في المنزل، بما أن الوقت متأخر جداً لأن يفتحوا عياداتهم، إنها الفرصة الوحيدة لشفاء الكلب. لكن هذا يتطلب البحث في الأرقام كل على حدة.

والوقت يمر ليس لمصلحتهم.

وقفت جنيفر عند ضوء أحمر في قلب جاكسونفيل. بالرغم أنها كانت تشق طريقها نحو زقاق ميلودي للتحدث مع شين كلينتون، كان فكرها لا يزال مشغولاً بالمشكلة المتعلقة بسارة بونتياك ترانز إم الخضراء اللون.

موديل السيارة التي رغبت بقيادتها في المدرسة الثانوية.

تبادرت إلى ذهنها الفكرة ذاتها. ولكن أين؟ في المحطة؟ لا، لم تكد تغادر مقعده خلال آخر يومين. في شقتها؟ لا ليس هناك أيضاً. أين إذاً؟

أصبحت إشارة المرور خضراء فهزت جنيفر رأسها عندما تقدمت بسيارتها ثانية.

هل علي الذهاب؟ فقط للتحدث مع جول ومايك، عندما تركت بيتي هناك...

ثبتت يديها على المقود.

فكرت، لا، لا يمكن...

أمسكت بهاتفها، وضغطت على المسرع، وهي تدرك أن هذا سيستغرق منها عشرين دقيقة على الأقل للوصول إلى شاطئ تويسيل... والسيارة الخضراء، ترانز إم التي شاهدتها مصفوفة في أعلى الطريق.

كان بيتي غاندي ثعلب صفحات دليل الهواتف إلى الأمام وإلى الخلف،

ممرراً أصبعه أسفل الصفحات، وخيبة أمله تزداد أكثر فأكثر. هنالك أكثر من دزينة من أسماء البياطرة المدونة، ولكن معظمهم يعيشون في جاكسونفيل، بعيدو المنال من تقديم أية معونة.

كانت هناك أسماء أخرى، فقلب الصفحات بحثاً عن إمكانية أخرى، فتمزقت الصفحة الرقيقة بين أصابعه.

ليندا ماتنسن كان الاسم التالي المدون في القائمة، حيث أدار كل فئة من دليل الهواتف التي دونت المناطق. إنها لا تقطن في جاكسونفيل، ولا من أورتن أو ميسفيل.. بعد أن وصل إلى الفئة الأخيرة، تفحص الصفحة توجد اسم ليندا باتنسن.

منزلها يقع في سنيدز فيري، يبعد عن الطريق مسافة تستغرق عشر دقائق فقط. التقط السماعة وبدأ بالاتصال، دق الرقم الخاطئ فأغلق السماعة، وأخذ نفساً عميقاً. قال لنفسه: هيا اهدأ. ستعتقد أنني مجنون، ولن تأتي لمساعدتي.

اتصل بالرقم ثانية، رن الهاتف من الناحية الأخرى. رن مرة، مرتين، هيا ....

ثلاث مرات، ثم أربع. أمل أن تكون في المنزل.

رفع شخص السماعة. مرحباً.

بدا صوت شاب، وكأنه طالب جامعة.

مرحباً، أنا الشرطية بيتي غاندي من قسم شرطة سوانزبورو. أسف للاتصال في هذا الوقت المتأخر، ولكن هل البيطرية ليندا باتنسن موجودة؟

ساد صمت لفترة قصيرة. قالت بصوت حذر: أجل.

لا أعرف ماذا أفعل. يبدو أن كلبنا تعرض لصدمة عينفة.

حسن، هنالك قسم إسعاف بيطري في جاكسونفيل.

أعرف. لكنني لا أظن أنه سيصبر لفترة طويلة.. إنه مرتعش طوال الوقت ويزداد تنفّسه بسرعة. قلبه ينبض لكنه لا يستطيع حتى رفع رأسه.

تابع بيتي وهو يصف وضع سنغر أفضل ما يستطيع وبعد أن انتهى، ترددت ليندا باتنسن في الرد. بالرغم أنها حديثة في ممارسة البيطرة بشكل نسبي - حيث تخرجت من المدرسة منذ بضع سنوات فقط - لكنها أدركت أن الوضع خطير، ليس بسبب نبرة الخوف التي باتت بوضوح من خلال صوت بيتي، ولكن بسبب المؤشرات إلى وصفها.

هل أكل شيئاً ما في الكراج؟ مثل مبيد حشري؟ أو أية مادة سامة؟

لا أعرف. كان بصحة جيدة منذ فترة قصيرة.

أي نوع هو من الكلاب؟

من سلالة غريت دين.

ترددت ليندا باتنسن. هل هنالك طريقة ما لإحضاره بالسيارة إلى هنا؟ سأكون في عيادتي خلال عدة دقائق. إنها أسفل الشارع.

أستطيع العثور عليها.

بعد ثوانٍ، أغلق بيتي السماعة، وخرج إلى الشرفة الخلفية. أغلق الباب خلفه بقوة ولم يكن يلاحظ الظل الذي يتحرك نحوه.

كانت جولي تمسد فراد سنغر بلطف، بيدين مرتعشتين.

قالت متوسلة: كم استغرق وقتاً؟ ماذا يفعل؟

لم يجب مايك، بعد أن أحس أنها تتحدث مع نفسها أكثر مما كانت تقصد توجيه الحديث إليه وبدلاً من ذلك حاول أن يطمئنها.

همس: سيكون بخير.

كان سنغر يتنفس الآن بصعوبة، وقد توسعت حدقتا عينيه. تدلى لسانه في الرمل، وطبعت عليه حبيبات صغيرة. ومع كل تنفس كان يتشنج.

توسلت إليه جولي. تماسك يا صغيري. أرجوك... أوه، يا إلهي.. أرجوك...

هنالك على الشرفة لم يعرف بيتي ما الذي جعله يستدير إلى الخلف.

ربما صوت احتكاك لطيف لحذاء بالخشب، أو تحرك لا شعوري لخيالات توضحت من خلال ضوء الشرفة الأصفر المتوهج. لم يكن الأمر حدسياً ببساطة، بل كان بيتي متأكداً مما رأى خلال لحظة، كاني يفكر بالسم، وماذا يعني ذلك، لم يكن على استعداد للتفكير إلا بما سيفعله في اللحظة المقبلة.

لكنه عرف، حتى قبل أن يرى ريتشارد، بأن شخصاً ما كان يتقدم نحوه، وكان يتفاداه بشكل غريزي عندما أحس أن شيئاً ما قاسياً يصطدم بجمجمته.

ظهر وميض لألم مفاجئ، ثم شع ضوء ساطع من زاويتي عينيه وتلاشى فجأة ليتحول إلى لون أسود.

قال مامك: ربما علي الذهاب إلى بيتي لمعرفة سبب تأخره.

لم تكد جولي تسمعه، لكنها أومأت، وضغطت شفتيها معاً.

استدار مايك عائداً إلى المنزل.

حدق ريتشارد إلى هيئة بيتي غاندي المطروحة أرضاً عمل فظيع، أجل، لكن لا بد من القيام به، تصرف في محله، لا محال.

فكر ريتشارد، بيتي الذي بحوزته بندقية ثم التخلص منه، والباقي أصبح أكثر سهولة بعد أن أزاح البندقية جانباً، فكر في إطلاق رصاصة على رأس بيتي لكنه نبذ الفكرة بيتي غاندي لم يكن غريمه. إنه مجرد شاب يؤدي عمله.

استدار ريتشارد، وتوجّه نحو الدرجات عندما رأى مايك قادماً من الشاطئ باتجاه المنزل.

نظر إلى الجثة، وأدرك أن مايك سيراه في الحال. فكر بالأمر سريعاً، واختبأ متنظراً دخول مايك.

عندما توجهت جنيفر نحو المنزل الشاطئي، كانت لا تزال تتصل بالرقم. في البداية كان مشغولاً، والآن يرن، ولكن ما من مجيب. بينما كان الهاتف يرن باستمرار أحست أن خطباً ما يحدث هنالك. أمسكت بالراديو طالبة النجدة، لكنها حتى وهي تنفذ مهامها، أدركت أنه لا يمكن لأي شخص الوصول إلى المنزل الشاطئي قبلها.

الفصل الثاني والأربعون

رفع مايك بصره كجثة مبهمة تنطلق من أعلى الدرجات. حدثت له الصدمة بشكل أني وجعلته يرتد إلى الوراء، اصطدم رأسه بالدرجات بعد أن ارتطم بشيء ما دفعه إلى الأسفل، مهشماً عضلات قفصه الصدري، ليسقط على أطراف الدرجات كان الألم مترنحاً ما بين شدة وضعف. لم يستطع مايك أن يرى شيئاً، لكنه أحس بظهره ينزلق على أسفل الدرجات، ومع كل حركة مهتزة شعر، وكأن شخصاً ما يهوي بمطرقة فوق أضلاعه، حتى ارتطم رأسه بالرمال، وتوقف فجأة، وتقوست رقبته بشكل غريب

استطاع أن يلمح فوقه شخص ما يمسك بعنقه، ويحكم قبضته عليه. غرست القدمان في الرمال في الناحية المقابلة له، وأحس وكأن رصاصة اخترقت صدره.

بدأت اليدان تحكمان قبضتهما، وكان مايك يقاوم رغبته بالإقياء بعد أن تغلغل الألم إليه. حتى أنه وجد صعوبة في فتح عينيه، لكنه عندما رأى وجه ريتشارد فرانكلين، استجمع قواه وركز أفكاره فجأة.

تمنى لو استطاع أن يصرخ: جولي اهربي!

لكن صوته لم ينبعث. وبعد أن انقطع عنه الأوكسجين، شعر بالدوار، وبذهن مشتت. بينما كافح ليسحب نفساً، أمسك بشكل لا شعوري بيدي ريتشارد، محاولاً أن ينتزع منه طاقة جديدة، لكن قبضة ريتشارد رفضت التراخي.

ترنح مايك متثاقلاً، والتصق بوجه ريتشارد مقاوماً كل خلية في جسده كانت تصرخ طالبة الأوكسجين. ضرب ساقيه بعضهما، محاولاً أن يرمي ريتشارد بعيداً، لكن ريتشارد لم يتزحزح. حاول مايك أن يحرك رأسه إلى الأمام وإلى الخلف، لكنه كان يزيد من إحكام قبضة ريتشارد عليه.

الألم...

الحصول على الهواء. كان هذا كل ما استطاع أن يفكر به وهو يقترب من وجه ريتشارد، مركزاً نظره على عينيه. واضعاً يديه بشكل مخلبين، ومكافحاً بشكل غريب، لقد وجد الهدف بشكل آني قبل أن يرفع ريتشارد رأسه، ويتملص من قبضته.

إذا لقد أدرك مايك أنه على وشك الاحتضار.

وبشكل مذعور، أمسك بيدي ريتشارد ثانية، مجاهداً ومحاولاً انتزاع الهواء منه، لكنه هذه المرة وجد إصبعاً واستطاع الإمساك بها، فاهتز مع كل ضرب قادمة بها.

شعر وكأن شيئاً يعضه، لكن ريتشارد رفض أن يتركه. كلما شد بقوة، تقوست الإصبع بشكل زاوي غريب. أرخى ريتشارد قبضته عندما لوى فمه متألماً. واتكأ إلى الوراء، كان ذلك كل ما احتاجه مايك. الرفس والتخلص من قبضته، حتى شعر أخيراً أن تياراً هوائياً اخترق حنجرته. أمسك بيده شعر ريتشارد وضرب مؤخرة ريتشارد بركبتيه، لقد انتهز الفرصة واستفاد من ذلك التغيير المهم واللحظي. انكب عليه ريتشارد وحط في الرمال خلفه.

التقط مايك أنفاسه، واندفع عن الدرجات نحو الرمال إلى جانب ريتشارد، ولكنه أحس بالإرهاق الشديد نتيجة الحركة. بالرغم أنه كان قادراً على التقاط نفس سريع، بقيت حنجزته منقبضة نهض ريتشارد على قدميه أولاً، مستدير فجأة، وركل مايك بوحشية على قفصه الصدري، ثم رفسه ثانية. سقط مايك على ظهره، وأحس بركلة أخرى على رأسه.

كان الجرح ينزف بشدة، وأحس من جديد بضيق في تنفسه.

فكر بـ جولي ...... جولي......

ترنح على أطرافه الأربعة، واندفع باتجاه ريتشارد.

رفسه ريتشارد، وبالرغم أن مايك شعر بضرباته لكنه تابع التقدم نحوه. بعد لحظة، أمسك بحنجرة ريتشارد عندما أحس أن شيئاً قاسياً يضغط

على معدته وسمع صوت قرقعة. في البداية لم يشعر بشيء، لكنه بعد ذلك أحس بنار تلتهب في بطنه، ماء مغلي نفذ حتى الأعصاب، وتوزع الألم في كل الاتجاهات، متسلقاً العمود الفقري.

ومضت عينا مايك من هول الصدمة، وبدا أنه فقد السيطرة على لسانه. لم تتحرك ساقاه وضعف جسده، ودفعه ريتشارد بعيداً.

عندما لمس مايك معدته، أحس بسائل لزج يندفع منها. وسط العتمة بدا دمه مثل زيت محرك يتسرب تحت سيارة. لم يستطع أن يعرف مصدر الدماء، ولكن عندما نهض ريتشارد على قدميه، شاهد البندقية.

حدق إليه ريتشارد، وتدحرج مايك بعيداً.

قال في نفسه، إنك بحاجة إلى النهوض. عليك أن تقف... وتحذر جولي عرف بأن ريتشارد سيلحق بها، وعليه أن يمنعه. عليه أن ينقذ حياة جولي.

حاول التغلب على ألمه. لكي يفكر بالخطوة المقبلة...

جاءته رفسة أخرى على رأسه. سقط ثانية على معدته، وكان الدم يضخ تحته. وضع يده على معدته، وأحس أن الحياة تفارقه. صرخ، جولي!.

لكن الصوت صدر مثل الأزيز.

... يا لك من ضعيف... هل ستنقذها.. هل ستحميها..

رفسه أخرى على رأسه، ثم انتهى الأمر.

وقف ريتشارد فوق مايك وعيناه متسعتان، ويلهث بصعوبة، فاقداً لحيويته السابقة. شعر بوخز في يديه، وكانت ساقاه ترتعشان، ولكن الأحاسيس! أوه، لا زالت تضج حيوية!

بدا وكأنه يعيش في عالم لم يسبق له أن عرفه. بدا المشهد والصوت مضخمين، استطاع أن يشعر بأقل حركة للهواء فوق جسده.

كان إحساس بالتشوه والدوار.

لم يكن ذلك الشجار مشابهاً لشجاره مع بيتي. أو مع ريتشارد فرانكلين الحقيقي.

أو حتى مع جيسيكا. قاومته جيسيكا ولكن ليس بهذا الشكل. لقد قضت جيسيكا نحبها على يديه، ولكن لم يكن هنالك إحساس بالنصر عليها. إحساس بالحزن عليها فحسب

لا، الليلة أحس أنه المنتصر، وأنه لا يمكن أن يقاوم أو يهزم.

كان في مهمة، وساندته الآلهة:

متجاهلاً الألم الذي في إصبعه، استدار ريتشارد وحث خطاه نحو الشاطئ. إلى يساره، كانت الكثبان الرملية مغطاة بالأعشاب بنبات اللبلاب، استمرت الأمواج باندفاع دائري بشكل لا نهائي. فكر ريتشارد، إنها ليلة جميلة. في غمرة الظلال استطاع أن يتخيل هيئة جولي، وهي تترنح فوق كلبها. لكن الكلب إما أن يكون قد مات أو أنه سيموت حالاً. سنبقى وحدنا. لانريد من التعقيدات. لن يقف في طريقنا أحد.

بدأ يستعجل في خطاه، مستمتياً التفكير بها. بلا شك، ستخاف جولي إذا رأته. ربما تتصرف بالطريقة نفسها التي تصرفت بها جيسيكا عندما وجدته بانتظارها في سيارتها في تلك الليلة خارج السوبر ماركت لقد حاول أن يوضح لها الأمر. وأن تفهمه لكنها قاومته وغرزت أظافرها في جلده،

فكان عليه أن يخنقها بيديه، وهو يراقبها مدركاً أنها هي التي أجبرته على قتلها، أجبرته لأسباب تتعلق بأنانيتها بأن ينهار مستقبلهما.

لكنه سيتعامل مع جولي بالصبر الذي تستحقه. سيتحدث إليها بنبرات هادئة، وحالما تدرك طبيعة حبه لها، وحالما تعرف أن كل ما فعله كان لأجل خاطرها ـ ولأجلهما معاً ـ سترضخ له.

ربما يزول قلقها على سنغر، لكنه في نهاية الأمر سيواسيها وستعرف أنه لم يكن أمامه من خيار آخر.

بعد ذلك سيذهب برفقتها إلى غرفة النوم، لكن الوقت غير كافٍ لذلك. في الليلة التالية وبعد أن يشعر بالأمان، عليهما أن يستقرا في فندق ويمارسا الحب، وسيعوضان ما فاتهما.

همست جولي: إنه قادم يا صغيري. سيأتي في الحال، وسنأخذك إلى الطبيب أوكي.

لم تكد ترى سنغر وسط الدموع التي ملأت عينيها. كانت حالته تزداد سوءاً مع كل دقيقه تمر، لقد أغلق عينيه، وبالرغم أنه كان لا يزال يتنفس بسرعة، كان يصدر صوت أزيز تحول تقريباً إلى صفير عالٍ، مثل الهواء الذي يمر من خلال حفرة صغيرة جداً في فراش هوائي، مما جعل الصوت يبدو غريباً جداً. لم تكن ساقاه فقط ترتعشان بل جسده كله. استطاعت أن تشعر بعضلاته البارزة تحت يدها، وكأنه يجاهد مقاوماً الموت.

تشنج سنغر، وسمعت جولي نبرة الخوف في صوته. كانت تمرر يديها في فرائه، متوجعة معه، وكأن الألم يسري في جسدها.

لا يمكنك أن تتركني، أرجوك...

كانت في داخلها، تنادي على بيتي ومايك بأن يستعجلا، فالوقت يمر ليس في مصلحة سنغر. بالرغم أنه لم يمض سوى عدة دقائق لكنها أحست الوقت يمر ببطء، وعرفت بأن سنغر لن يقاوم طويلاً.

سنغر... بوسعك المقاومة.. لا تتركني. أرجوك...

كانت على وشك أن تنادي على بيتي ومايك عندما تجمدت الكلمات في حلقها.

في البداية، رفضت أن تصدق ما رأته عيناها، وحاولت إقصاء الصورة بعيداً.

لكنها عندما نظرت ثانية، عرفت أنها لم تكن مخطئة.

بالرغم من لون شعره المختلف، وبالرغم أنه لبس نظارات وحلق شاربه، تعرفت عليه في الحال.

قال ريتشارد. مرحباً، جولي.

تجاوزت جنيفر إشارة المرور، مخلفة بين السيارات وميض ضوئي. أمسكت بمقود القيادة بإحكام حتى أحست بألم في يديها وكانت مركزة نظرها على الطريق.

فكرت، عشر دقائق. كل ما أحتاجه عشر دقائق.

حدقت جولي إلى ريتشارد وهي بلا حراك. كان هنا. لا بد أنه سبب الأذى لـ سنغر. وفعل شيئاً ما لـ بيتي.. لقد أصاب مايك بالضرر. أو، يا إلهي.. مايك.. والآن إنه هنا. لأجل أن يقتص منها: كان يمشي ببطء

صوبها.. كل ما استطاعت التفوه به.. "أنت" رفرفت ابتسامة قصيرة على وجهه. بالطبع وكأنه يقول لها، من كنت تتوقعين؟

توقف على بعد عدة أقدام عنها، وبعد أن تبادلا النظرات لحظة قصيرة. جال ببصره نحو سنغر، قال بصوت منخفض: آسف بشأن سنغر.. أعرف كم أعتنيت به.

تكلم وكأنه لم يرتكب أي خطأ. ارتسمت على وجهه تعابير المفجوع بمصيبة ما، وكأنه شخص ما جاء لحضور جنازة صديق حميم.

شعرت جولي فجأة أنها على وشك أن تستفرغ، لكن قاومت تلك الرغبة، محاولة الحفاظ على رباطة جأشها. حاولت أن تفكر بحل ينقذها. حاولت أن تستوعب ماذا حدث بالضبط لـ مايك. أوه، يا إلهي، مايك..

أين مايك؟ كم رغبت أن تعرف الجواب لكنها خشيت فجأة من اكتشاف الحقيقة.

كل ما استطاعت أن تفعله هو أن تحافظ على انتظام صوتها.

نظر إليها ريتشارد، وقد ارتسمت التعابير ذاتها على وجهه.

قال: ذلك انتهى الأن.

أحست أن كلماته سببت لها تقريباً صدمة جسدية، فشعرت أن يديها ترتعشان.

قالت بصوت مخنوق: ماذا فعلت له؟

لا يهم.

صرخت وهي غير قادرة على ضبط نفسها أكثر: ماذا فعلت له؟! أين هو؟

تقدم ريتشارد خطوة أخرى صوبها، ونبرة صوته لا تزال لطيفة. لم يكن أمامي خيار يا جولي. تعلمين ذلك. كان يسيطر عليك، فلم أستطع السماح له بالاستمرار لكنك الآن آمنة. سأعتني بك.

تقدم خطوة أخرى، فانزلقت جولي فجأة إلى الوراء، بعيداً عن سنغر.

قال: إنه لا يحبك يا جولي. لا يحبك كما أحبك.

فكرت جولي، سيقتلني. تخلص من مايك وسنغر وبيتي، والآن يريد التخلص مني. بدأت جولي تستعيد توازنها وهي تقف عندما اقترب منها ريتشارد، كان خوفها يشتد مع كل خطوة تقدمها استطاعت أن ترى ذلك في عينيه، استطاعت أن ترى بالضبط ماذا كان ينوي فعله.

إنه قادم، لكي يقتلني، لكنه سيغتصبني أولاً...

كانت عاجزة عن إدراك ما سيحدث، لكن صوتاً داخلياً حذرها وأمرها، هيا اهربي! فتصرفت جولي بشكل غريزي.

اندفعت إلى الأمام، ولم تضايق نفسها بالالتفات خلفاً، انزلقت قدماها في الرمال وهي تنزل الشاطئ لم يحاول ريتشارد إيقافها. لكنه ابتسم بدلاً من ذلك، وهو يعرف أنه لا يوجد أي مكان تهرب إليه.

عرف بأنها ستكبد نفسها مزيداً من العناء، وسترجع إليها مخاوفها. بدلاً من ذلك، عقف البندقية داخل حزامه وبدأ يخب السير خلفها، بحيث تبقى تحت ناظريه وحيث يحافظ على مسافة مناسبة تفصلها عنه لكي ينتهز الفرصة المناسبة.

كان مايك يسبح في صحوة ويقظة. وقد وقع أسيراً لعالم من الواقعية والأحلام.

وأخيراً استطاع أن يفهم حقيقة أنه كان ينزف بشدة.

وبأن جولي في حاجة إليه. بدأ ينهض ببطء وهو يرتعش.

حاولت جولي أن تحافظ على خطواتها سريعة عندما ركضت باتجاه أنوار البيت الشاطئي الذي بدا مسكوناً وحده. بدأت تشعر بأن ساقيها متعبتان. بدت الأنوار قريبة، لكنها لم تستطع الوصول إليها.

لا، قالت لنفسها، لا! لن يمسك بي. سأهرب. وسيقدمون لي المساعدة. سأصرخ طلباً النجدة و...

لكن ساقيها.. ورئتيها كانتا تشتعلان.. وصوت دقات قلبها...

الخوف فقط هو الذي حثها على مواصلة الركض.

وهي تركض بأقصى ما استطاعت من سرعة، خطفت نظرة من فوق كتفها.

بالرغم من شدة الظلام، استطاعت أن ترى ريتشارد يقترب منها.

أدركت فجأة، لا يمكنني الفرار منه.

إنها تتعثر الآن. وقد أصابها التشنج. كل ما استطاعت عمله أن تحافظ على توازنها منتصبةً.

وهو لا يزال يلاحقها...

كم تمنت لو استطاعت أن تصرخ: أين الجميع؟ ساعدوني!

عرفت ضمنياً أن الأمواج ستبتلع صرخاتها. بضع خطوات أخرى وسيقترب منها أكثر سيقترب إنها تسمع وقع خطواته الآن. لكنني لا أستطيع مواصلة السير...

انحرفت باتجاه الكثبان الرملية، على أمل أن تجد مكاناً ما هنا تختبئ فيه.

استطاع أن يرى ريتشارد شعرها يتموج خلفها. إنه يقترب الآن، اقترب بشكل كافٍ بحيث يستطيع الإمساك بشعرها.

كان يفكر بذلك، عندما استدارت فجأة وبدأت تنحرف على الكثبان الرملية.

فقد ريتشارد توازنه للحظة، لكنه استعاده في الحال، وعاود المطاردة. ضحك بصوت عال يا لهذه الروح العالية! يا لهذا الجهد! كانت تنافسه. صفق يديه ببعضهما سروراً استطاعت أن ترى جولي المنزل شامخاً خلف الكثبان الرملية، بالرغم أن تسلق الرمال بدا تقريباً بعيد المنال عنها، انزلقت قدماها، كان عليها استعمال يديها للتوازن، وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى القمة، ثنت ساقاها.

درست المنطقة حواليها للحظة، كان ثمة مجال للسيارات للاصطفاف خلف المنزل.

والمنزل الذي يجاوره كان محاطاً بالحدائق بكثافة، فاستدارت في ذلك الطريق.

حدث ذلك عندما أحست أن ريتشارد يشربك قدمها مثل لاعب كرة قدم يبحث عن مجال للهجوم. بعد أن فقدت توازنها، تعثرت على الجانب البعيد للكثبان الرملية.

عندما اقترب منها ريتشارد، انحنى فوقها، وأمسك ذراعها، ليساعدها على النهوض على قدميها.

قال مكشراً عن ابتسامة وهو يلتقط أنفاسه: إنك جديرة حقاً بالمنافسة. عرفت ذلك منذ أول لحظة قابلتك فيها.

وقعت جولي في قبضته وأحست أن أصابعه تغرزان داخل ذراعها. قاومته بصعوبة.

قال: لا تتصرفي بهذه الطريقة يا جولي. ألم تتعلمي بعد كيف ستؤول الأمور لمصلحتي؟

هزت جولي ذراعها وصرخت: دعني أذهب!

أحكم ريتشارد قبضته، فجعلها تجفل، كشر عن ابتسامة ساخرة وكأنه يسألها، فلنرَ الآن هل يمكنك الإفلات مني؟

اقترح عليها بهدوء: ربما بوسعنا الذهاب معاً.

لن أرافقك إلى أي مكان!

اهتزت ثانية، وأفلتت أخيراً من قبضته، ولكنها عندما هربت منه، أحست أنه يدفعها من الخلف، ملقياً بها إلى الأرض ثانية.

حدق إليها، وهز رأسه بخفة.

سأل: هل أنت بخير؟ آسف لكنني اضطررت للقيام بذلك، نحن بحاجة لنتحدث معاً، نتحدث؟ إنه يريد التحدث معي؟

فكرت جولي، يا لك من مراوغ!!.

عندما بدأ يتقدم نحوها، نهضت جولي على قدميها، وحاولت الفرار، لكن ريتشارد أمسك بشعرها فجأةً، وهزه بعنف.

سمعته يضحك بارتباك. سألها: لماذا تجعلين الأمر صعباً علي؟

هنالك على الشاطئ، حاول مايك النهوض، ممسكاً بالدرجات، مقاوماً إحساسه بالغثيان بسبب الألم الذي تغلغل فيه، حيث كانت أفكاره مشوشة ومتشظية...

هيا انهض... عليك الاتصال بالشرطة.. ساعد جولي.. ولكن هذا الألم.. اللعنة.. ألم.. أين أنا... تلك الضجة التي تأتي بتواتر ثابت... من جديد من جديد... إنه الألم... قادم في الأمواج... الأمواج... المحيط... جولي... علي مساعدتها... تقدم خطوة ثم أخرى.

تأرجحت جولي بضعف، ضاربة ريتشارد على صدره وعلى وجهه. جرها ثانية من شعرها، فصرخت.

لماذا تصرين على مقاومتي؟ سأل ريتشارد بنبرة هادئة، كأنه يحاول الاستفسار مثل طفل مشاكس. ألا تفهمين أن كل شيء انتهى؟ الآن لا يوجد هنا سوى نحن الاثنان ليس هنالك مبرر لأن تتصرفي بهذه الطريقة.

صرخت: دعني أذهب! ابتعد عني!

قال: فكري بكل ما يمكننا فعله. إننا ثنائي لطيف كما تعلمين. نحن من بقينا هنا على قيد الحياة.

صرخت: لن نفعل شيئاً سوية. إنني أكرهك!

جرها بوحشية من شعرها ثانية، وسحبها على ركبتيها. لا تقولي ذلك.

صرخت ثانية: أكرهك!

قال: وقد اعتلت صوته المنخفض نبرة شؤم: إنني جاد. أعرف إنك مضطربة، لكنني لا أرغب بأن أؤذيك يا جيسيكا.

صرخت: لست جيسيكا.

وهو في منتصف الطريق، وسقط مايك على ركبتيه لكنه جر نفسه إلى الأمام. أمسك معدته بإحدى يديه، وبالأخرى تمسك بالحاجز وجر جسده إلى الأعلى.

كان الآن بالقرب من القمة حيث استطاع أن يرى بيتي، ووجهه نحو الأسفل، والدماء تتدفق من رأسه. تقدم خطوتين ووصل إلى ظهر السفينة وشق طريقه نحو الباب بدون الحاجز كان سيفقد توازنه، لكنه ظل مركزاً عينيه على الباب، معيراً اهتمامه لما عليه عمله.

حدق إليها ريتشارد، وتعابير غريبة ارتسمت على وجهه، وكأنه لا يعرفها جيداً. رمش عينيه، ومال برأسه جانباً، مثل ولد أراد أولاً أن يتأمل صورته في المرآة.

ماذا قلت؟

صرخت ثانية: لست جيسيكا!

وضع ريتشارد إحدى يديه خلف ظهره، وبعد لحظة شاهدت جولي البندقية.

أمسك مايك بمقبض الباب، لم يشعر بجسده عندما اهتز الباب وفتح.

فكر بالهاتف. عليه أن يصل إلى الهاتف قبل فوات الأوان.

حدث ذلك عندما سمع شيئاً ما يصطدم بالباب الأمامي. بعد أن رفع بصره، أحس فجأة بشيء من الارتياح. قال: جولي بحاجة إلى مساعدة. إلى أسفل الشاطئ... بعد أن صدمت جنيفر بالوضع الذي كان عليه مايك.

تحركت بسرعة نحوه، وساعدته للنهوض على الكرسي. بعد ذلك اختطفت الهاتف واتصلت بالإسعاف عندما بدأ الهاتف يرن، أعطته إياه.

قالت: اتصل بسيارة الإسعاف. هل تستطيع القيام بذلك؟

أومأ مايك، وهو يتنفس بصعوبة عندما رفع الهاتف نحو أذنه. بيني ـ في الخارج ـ، اندفعت جنيفر نحو الباب عندما سمعت مايك يطلب الإسعاف. على ظهر السفينة، اعتقدت في بادئ الأمر أن بيتي كان ميتاً. انسكبت الدماء من رأسه، لكنها عندما انحنت فوقه لتعاينه، حرك ذراعه وأصدر أنيناً.

قالت: لا تتحرك. سيارة الإسعاف في طريقها إلى هنا،

رفعت بصرها نحو الدرجات. بعد لحظة، كانت تخبّ السير نحو أسفل الدرجات.

وضع ريتشارد البندقية على صدغها، وجمدت جولي بشكل غريزي بلا حراك.

ارتسمت تعابير الهدوء على وجهه، بدا أن الواقع قد هجره. وأستطاعت جولي أن ترى ذلك، من خلال نبرة صوته الباردة إذ قال وهو يأخذ نفساً.

أحبك. طالما أحببتك.

فكرت جولي، لا تتحركي. إذا فعلت سوف يقتلك.

لكنك لا تمنحيني فرصة للتعبير عن مشاعري. سحبها من شعرها، مقرباً أذنها من فمه. هيا قوليها. قولي أنك تحبيني.

لم تتفوه جولي بكلمة.

هي انطقيها! صرخ، فأجفلت جولي من نبرة الغضب في صوته. بدت لهجته قاسية ولئيمة. استطاعت أن تشعر بحرارة أنفاسه على وجهها.

منحتك فرصة، حتى أنني سامحتك لما فعلته بي! أنت اضطررتني لفعل ذلك والآن انطقيها!

سرى الخوف الآن في صدرها، وفي حلقها، وفي أعضائها.

قالت وهي متشنجة والدموع في عينيها. أحبك،

أستطيع سماعها. تقولينها من قلبك،

بدأت تبكي. أحبك.

قوليها ثانية:

اشتد بكاؤها: أحبك.

قولي إنك ترغبين بمرافقتي.

أرغب بمرافقتك.

لأنك تحبينني،

لأنني أحبك.

مثل الحلم، لمحت جولي من طرف عينها هيئة تعتلي الكثيب الرملي، كان حارسها يشق طريقه وسط الظلام.

عندما توضحت معالم الهيئة أمام عينيها، راقبت جولي سنغر الذي انقض على ريتشارد، وهو يزمجر، وأمسك بمخلبه الذراع التي قبضت على البندقية.

لم يتركه سنغر وشأنه. حيث سقط ريتشارد وجولي جانباً، هز ريتشارد

ذراعه محاولاً أن يحرر نفسه، كان سنغر يشد ويهز رأسه بقوة، بينما بدأ ريتشارد بالصراخ، وأفلتت البندقية من يده. لقد سقط الآن على ظهره، محاولاً أن يبعد سنغر عن حنجرته.

كان وجهه ملوياً، فأمسك ريتشارد بإحدى يديه سنغر وباليد الأخرى تناول البندقية لم يتوقف الكلب عن مهاجمته، لكن جولي صرخت، واستجمعت قواها بالنهوض والتحرك.

تعثرت وهي تدرك أنه ليس لديها متسع من الوقت.

من ورائها، قبض ريتشارد بأصابعه على زناد البندقية.

بعد أن أطلقت البندقية صوتاً تجمدت جولي ثانية في مكانها. نبح سنغر وكانت صرخته طويلة. صرخت جولي. سنغر! أوه، يا إلهي... لا، آه!

طلقة أخرى ونباح آخر، بدا ضعيفاً هذه المرة. بعد أن نظرت من فوق كتفها، شاهدت ريتشارد وهو يبعد جثة سنغر عنه وينهض على قدميه.

بدأت جولي ترتعش بشكل جنوني.

كان سنغر إلى جانبها، يكافح الآن محاولاً النهوض، ويزمجر ويعوي بالوقت نفسه ويتلوى ألماً بينما تتدفع دمائه إلى الرمال.

سمع على مسافة بعيدة صوت صفارة إنذار للسفينة.

قال ريتشارد. علينا أن نغادر الآن. الوقت ليس في مصلحتنا.

لكن كل ما استطاعت جولي أن تفعله هو التحديق إلى سنغر.

صرخ ريتشارد: الآن! أمسكها ثانية في شعرها وشده بعنف. قاومته جولي، وهي ترفسه، وتصرخ عندما نادى صوت من أعلى الكثيب الرملي.

تجمد في مكانك!

شاهد ريتشارد وجولي الشرطية جنيفر رومانيلو بآن معاً. صوب ريتشارد البندقية نحوها وأطلق بوحشية، بعد لحظة، أطلق تنهيدة مخنوقة. أحس بألم حاد يشتعل في صدره، صوت مثل صوت قطار الشحن يئن على مسامعه. بدت البندقية فجأة ثقيلة الموطئة عليه. أطلق ثانية، وشعر وكأن حنجرته تحترق ألماً، مما اضطره إلى الرجوع خلفاً.

أحس بالدماء تتدفق من رئتيه، وسمع صوت غرغرة وهو يحاول أن يلتقط نفساً لم يستطع أن يبتلع ريقه، فالسائل اللزج جعل التنفس مستحيلاً. حاول رفع البندقية ثانية باتجاه الشرطية، لكن قواه خانته وتلاشت بسرعة. انزلقت البندقية من يديه، وسقط على ركبتيه مغشياً عليه. كل ما تمناه لـ جولي هي السعادة وسعادتهما. بدت الأشكال حوله أكثر ظلمة خلال ثانية. استدار نحو جولي، وحاول التكلم، لكن الكلمات كانت عاجزة عن الخروج من ثغره.

كان لا يزال متشبثاً بحلمه، حلمه بالعيش مع جولي، المرأة التي أحب. فكر ريتشارد في نفسه، جولي، حبيبتي جيسيكا...

سقط ريتشارد صريعاً على الرمال.

حدقت جولي إلى جثته، ثم استدارت نحو سنغر.

كان إلى جانبه، يلهث بصعوبة، وفمه مفتوح. اتجهت جولي نحوه، وانحنت إلى الأسفل، محاولة أن تراه وسط الدموع التي ملأت عينيها.

تشنج سنغر عندما وضعت يدها فوق رأسه، ونقرها بخفة بلسانه

بكت جولي: أوه... يا صغيري.

كان فيه جرحان عميقان ينزفان بشدة، والدماء تتسرب إلى الرمال من تحته.

وهي ترتعش وضعت جولي رأسها على جسده فتشنج سنغر ثانية. اتسعت حدقتا عينيه، وعندما حاول رفع رأسه، أصدر صوت نباح، اخترق قلبها.

لا تتحرك.. سآخذك إلى الطبيب البيطري، أوكي؟

استطاعت أن تشعر بأنفاسه على جلدها، كانت أنفاساً سريعة ومخنوقة لعقها ثانية، فقبلته.

إنك بحالة جيدة يا حبيبي. إنك شجاع جداً.. شجاع جداً... ركز بصره عليها. تشنج ثانية، فخنقت جولي صرختها.

أحبك يا سنغر! تمتمت جولي عندما بدأت عضلات جسده تتراخى.

ستكون بخير يا حبيب. لا مزيد من الشجار. إنني مؤمنة الآن، بوسعك الخلود للراحة...

الخاتمـــــــة

ذهبت جولي إلى غرفة النوم بينما كان مايك يطهو الطعام في المطبخ، حيث انبعثت رائحة صلصة المعكرونة في أبها المنزل. أشعلت الضوء.

مضى شهران تقريباً على تلك الليلة الفظيعة في الشاطئ. ومع ذلك كانت ذاكرة جولي لا تزال تضج بالأحداث التي جرت هناك. تذكرت جنيفر رومانيلو التي ساعدتها في العودة إلى المنزل، وتذكرت الأشخاص الذين أسعفوا مايك وبيتي، وتذكرت كيف عج المنزل بالناس تدريجياً، بعد أن ساد الضباب، ثم حلت الظلمة.

استيقظت في المشفى. هناك كان بيتي ومايك أيضاً في الغرفة المجاورة في القاعة السفلية. بيتي تعافى خلال عدة أيام، لكن وضع مايك بقي محرجاً مدة أسبوع.

حالما استقر وضعه وتماثل إلى الشفاء، بقي في المشفى مدة ثلاثة أسابيع أخرى.

طوال الوقت لازمته جولي، وهي جالسة على الكرسي بالقرب من سريره، ممسكة بيده تهمس له حتى عندما كان ينام.

جمعت الشرطة استفسارات أكثر ومعلومات إضافية تتعلق بماضي ريتشارد، لكن جولي لم تكترث لكل هذا. برأيها. كان ريتشارد فرانكلين ميتاً، ولن يتذكره أحد باسم روبرت بونهام. وذلك كان كل ما يهم.

وبالطبع كان سنغر كذلك

فيما بعد أخبرتها الطبيبة البيطرية أنه أعطي جرعة من سم الجرذان، وهي كافية لقتل ستة كلاب خلال دقائق. قالت ليندا باتتس لـ جولي: لا أفهم ما يحصل. بدت معجزة أنه كان قادراً على التحرك، وقاتل ذلك الرجل وحده.

فكرت جولي في نفسها، لكنه فعلها وأنقذني.

في ذلك اليوم دفنوا سنغر في الحديقة الخلفية لمنزل جولي، حيث تساقط مطر خفيف دافئ على مجموعة صغيرة من الأشخاص الذين تجمعوا لكي يودعوا ذلك الكلب القوي الذي ظل يحرس جولي حتى آخر رمق من حياته.

عندما خرج مايك من المشفى، مرت الأسابيع القليلة التالية في انبهار وذهول.

انتقل من منزله. بالرغم أنه احتفظ بشفته، لكنه لم يمكن هناك منذ

الأحداث التي جرت في المنزل الشاطئي، وكانت جولي سعيدة به، كانت لديه طريقة خاصة في معرفة إن كانت بحاجة إلى رفيق أم أنها تفضل البقاء وحيدة.

لكن المنزل أصبح فارغاً بعد سنغر، لم يكن هنالك أحد يقترب من قدميها طلباً للدفء مع ذلك أحست مراراً وكأن سنغر لا يزال موجوداً يحوم حولها. كانت تلمحه أحياناً قربها من طرف عينيها.. شعرت بوجوده، لكنها كلما استدارت لتراه، لم تكن تجد أحداً على الإطلاق في إحدى المرات شمت رائحة، كانت رائحته بلا شك. عبقت رائحته وكأنه كان جالساً قربها بعد أن لعب بماء المحيط. لكنها عندما نهضت من الأريكة بحثاً عن مصدر الرائحة، كانت تتلاشى ببساطة. ومرة أحست في وقت متأخر من الليل بحاجة ملحة إلى النهوض فذهبت إلى غرفة الجلوس. بالرغم من الظلمة التي سادت المنزل، سمعته وهو يشرب من إناء الماء في المطبخ. الصوت جعلها تتسمر في مكانها وقلبها يخفق بشدة ومن جديد تلاشى الصوت بسرعة.

في إحدى الليالي، حلمت بـ جيم وسنغر، كانا يتمشيان معاً في حقل فسيح وقد أدارا ظهريهما لها، وهي كانت تحاول الركض واللحاق بهما. في حلمها، نادتهما، فتوقفا واستدارا نحوها ابتسم لها جيم، ونبح سنغر. تمنت مرافقتهما، غير أنها على ما يبدو لم تستطع الحراك. حدقا إليها وقد مالا برأسيهما على هيئة واحدة، والنظرات ذاتها شعّت من عيونهما، والبريق ذاته توهج خلفهما. وضع جيم يده على ظهر سنغر، فنبح سنغر ثانية بمرح،

وكأنه تمنى لها السعادة بدلاً من أن يتوحها صوبها، استدار ثانية وهي تراقبهما، بدأت معالمهما تختفي بالتدريج وهما يبتعدان عنها.

عندما استيقظت، التقطت صورة سنغر الذي افتقدته. كان الألم لا يزال يعتمل في قلبها عندما تأملت الصورة، بالرغم أنه لم يجعلها تبكي. من خلف الإطار التقطت الرسالة التي كتبها جيم، وفتحتها.

بينما كانت شمس الصباح ترسل دفئها. على النوافذ، قرأتها ثانية، مرت عيناها ببطء على الفقرة الأخيرة منها.

لا تقلقي. أنّى كنت، سأحرسك. سأكون ملاكك الحارس. وحبيبك. بوسعك الاعتماد علي بأن تظلي تشعري بالأمان.

حدقت جولي للأعلى، بعينين مبللتين بالدموع.

قالت في نفسها، أجل، لقد وفيت بوعدك.

الحارس

تدور أحداث الرواية حول جولي بارنسون التي يفارق زوجها الشاب الحياة بعد أن يترك لها هديتين غير متوقعتين - جرو يدعى سنغر والوعد الذي قطعه على نفسه بأن يظل دائماً حارسها المخلص. والآن بعد انقضاء أربع سنوات على وفاة زوجها، لا تزال جولي في ربيعها التاسع والعشرين، إنها في أوج شبابها ولم يحن الوقت بعد كي تتخلى عن الحب. ربما تكون على استعداد لخوض مغامرة جديدة والاهتمام بشخص ما يمنحها الحب والسعادة.. ولكن من هو هذا الشخص؟.

هل هو ريتشارد فرانكلين، المهندس الوسيم الذي يتعامل معها كأنها ملكة؟ أم مايك هاريس، الشاب اللطيف، الذي كان أفضل أصدقاء زوجها؟ إن اختيار أحدهما سيمنحها السعادة التي فارقتها عدة سنوات. لكن جولي تواجه حياة مليئة بالصعوبات تقض مضجعها بسبب تصرفات ناتجة عن الغيرة والخداع فيتحول الحب إلى رغبة بارتكاب الجريمة.

رواية الحارس مليئة بأحداث مثيرة وغرامية، إنها حكاية تتفجر بالعواطف والغدر وحب الاستحواذ على مشاعر الآخر.

الناشر

ISBN 978-9933905606
9 789933 905606

تصميم الغلاف: م. جمال الأبطع

دار دعد
للترجمة والتأليف والنشر